

المقتفى

تبوك

من غزوات و سرايا المصطفى ﷺ
دراسة جغرافية- تاريخية- توثيق ميداني

خيبر



العشيرة



المدينة
المنورة



ذات الرقاع



بئر معونة



بدر

مهد الذهب



المريسيق



جموم قبا



مكة المكرمة



الحديبية

البحر الاحمر (بحر القلزم)

عبد الله بن مصطفى الشنقيطي

باحث في معالم المدينة المنورة التاريخية و السيرة النبوية

الجزء الأول

المقتفى

من غزوات وسرايا المصطفى ﷺ

دراسة جغرافية - تاريخية - تحقيق ميداني

عبدالله بن مصطفى الشنقيطي

الطبعة الأولى

٢٠٢٣-١٤٤٥

② عمر عبدالله مصطفى الشنقيطي ، ١٤٤٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشنقيطي ، عبدالله مصطفى
المقتفى من غزوات وسرايا المصطفى صلى الله عليه وسلم. /
عبدالله مصطفى الشنقيطي - ط١. - المدينة المنورة ، ١٤٤٥ هـ
٢مج.

ردمك: ٩-٦٠٥١-٤-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٦-٦٠٥٢-٤-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- السيرة النبوية ٢- غزوات النبي صلى الله عليه وسلم
أ.العنوان

١٤٤٥/١٠٦٩

ديوي ٢٣٩

رقم الإيداع: ١٤٤٥/١٠٦٩
ردمك: ٩-٦٠٥١-٤-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٦-٦٠٥٢-٤-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى كل شغوف بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتمنى أن كان خادماً عند قدميه الشريقتين في حله وترحاله، أهدي هذا العمل

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْنًا
وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}

عَفْواً أَبَا خَلَادٍ..



عَفْواً أَبَا خَلَادٍ:

تَالِثَ بَکْمِ شَرِّهَا أَرَى قَلْبِي
عَمَّ النَّبَلَاءُ وَعَمَّ كُنَّ مُتَلَبِّي
كُلَّ الْمَعَالِي يَا أَمَا الْأَمْجَادِ
يَحْيَى الْقَرِيضَ لَكِي يَتَالَقَ أَيْدِي
وَيَقُودُنِي قَمُوداً إِلَى الْإِبْرَاهِيمِ
فَأَخْضَرَتِ الدُّنْيَا وَمَا ضَ الْوَادِي
أَتَعَبَيْتَ رَحْمَتِكَ صَالِحَ الْأَوْلَادِ
وَيَرَاغِ شِعْرِي لَا تَقْبَلِي وَمَكَارِي

إِنَّ السَّهَامَةَ وَالْأَصَالََةَ وَالنَّدَى
يَا أَيُّهَا الْمَغْلَدَاتُ قَبِضْكَ عَارِمُ
بِكَ قَدْ سَمِعْتُ كُلَّ الْمَكَارِمِ وَأَنْخَنْتُ
عَفْواً أَبَا خَلَادٍ لَسْتُ بِشَاعِرِ
لَكِنَّ حُبّاً فِي الْفَوَادِ يَسْوِقُنِي
يَا أَيُّهَا الْغَيْمُ الْمَسِيحُ بِمَاتِهِ
يَا مُنْفَقَ الْأَمْوَالِ دُونَ حَسَابِهَا
يَا سَيِّدِي إِنِّي لِفَضْلِكَ شَاهِدُ

محبكم/ محمد المهدي

شكر وامتنان

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أسجد لله تبارك وتعالى شكراً على ما أنعم وتكرم وتفضل ووفق لإنجاز هذا العمل، الذي استغرق اتمامه سنين عدداً، ثم أعانني على إعداده للنشر بمساعدة ثلة من الفضلاء الخيِّرين، لولا دعمهم وتشجيعهم، وقبل ذلك دعائهم لما أمكن الانتهاء منه وإخراجه إلى النور.

وأخص بالشكر والتقدير عالم السيرة النبوية الشريفة، فضيلة الشيخ الدكتور / محمد أنور بن محمد علي البكري¹ - حفظه الله - على تفضله بتقديم هذا الكتاب للقارئ الكريم.

كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والعرفان بالجميل للأستاذ خالد بن عبد الله الضحيان - حفظه الله - الذي كان دعمه وراء إخراج هذا العمل إلى النور، مع أن عبارات الشكر لا توفيه حقه، لكنني أدعو الله العلي القدير أن يحفظه ويبارك له في أهله وذريته وماله، وإن يجزيه الجزاء الأوفى لقاء ما قدم.

¹ من أعيان المدينة المنورة وعلمائها ومؤرخيها. حصل على البكالوريوس في الدراسات الإسلامية من جامعة الملك سعود بالرياض، والماجستير من جامعة أريزونا/ توسان بالولايات المتحدة، والدكتوراه من جامعة الزيتونة في تونس. اشتغل بالتدريس في جامعة طيبة بالمدينة المنورة سنوات طويلة، وتقلد فيها عدة مناصب أكاديمية وإدارية وهو عضو الجمعية التاريخية السعودية. وعضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي، ونائب رئيس المجلس البلدي في دورته الأولى. له عدة مؤلفات منها "علم المغازي بين الرواية والتدوين في القرنين الأول والثاني للهجرة"، و"بقيع العرقد"، ومساجد الفتح المساجد السبعة بالمدينة المنورة وصلاة النبي ﷺ فيها".

والشكر موصول إلى أخي الأستاذ محمد بن عبد الله المهدي - حفظه الله - على تشجيعه الدائم وسعيه الدؤوب في سبيل إخراج هذا العمل وتقديمه إلى القراء الكرام. وفي مثل صنيعه هذا يقول سيدنا رسول الله ﷺ: "الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَّاعِلُهُ"، فجزاه الله عني خيراً.

كما أشكر أخي الجيولوجي جمال بن علي شوالي لمساعدته في تنفيذ المرثيات الفضائية، والمهندس مصطفى جمال شوالي لتصميمه وتنفيذه الغلاف، والأستاذ حمزة بن أحمد جميل لقيامه بتنسيق النص وفهرسته وتجهيزه للطباعة. فلهم مني جميعاً الشكر أجزله، والدعاء أجمله.

والشكر والدعاء موصول إلى كل من ساعدني في الدلالة على معلّم أو أهدى إليّ معلومة أو فكرة كانت غائبة عني، أو ساعدني في بعض المصاعب التي مرت بي أثناء التجوال، وأخص بالذكر كلاً من الأساتذة:

فهد بن علي الهرفي البلوي^١، وعبد العزيز بن مشرّد المطيري^٢، وصيفي بن عيسى الشلالي^٣ وكذلك إبراهيم بن عبد الله الرشيد، وعليان الذيابي الرشيد (أبو

^١ مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٣٢/٣٨ الناشر: مؤسسة الرسالة

^٢ وكيل مركز الجوّ التابع لإمارة منطقة تبوك

^٣ رئيس مركز الصلصلة التابعة لمحافظة خيبر

^٤ خبير آثار خيبر المعروف

طلال) وهما من أهالي الصلصلة. ومطير بن عويد الحيسوني من أهل الحناكية،
وحمدي بن حمدان الشاماني الحربي من أهل العُرف.

ولا يفوتني أن أنوه بصديقي ورفيقي في التجوال د. أحمد بن ناصر النعماني، فقد
وقفنا سوياً على كثير من المعالم النبوية والتاريخية القريبة من مكة المكرمة.
أما إخوتي وزملائي في "وقف معالم طيبة" فإني أوجه لهم تحية طيبة، وأدعو لهم
بمزيد من التفوق والتوفيق والسداد.

تقديم

بقلم الدكتور / محمد أنور بن محمد علي البكري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين، ورحمة العالمين، صاحب أكمل رسالة، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، النبي الأمي، عالٍ القدر رفيع الشأن. من قال الله عزوجل فيه (وإنك لعلی خلق عظیم)، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد

لقد أكرم الله المولى عزوجل هذه الأمة المحمدية منذ أن بعث فيها سيد الخلق بهذه الرسالة التي هدت الإنسان إلى المعرفة الحقيقية لخالقه الذي أبدع هذا الكون العظيم بسمائه، وجباله وأرضه، وخلق هذا الإنسان الذي فضله على سائر المخلوقات، فكانت رسالة الإسلام خاتمة الرسالات، وهو خاتم النبيين عليهم جميعاً من الله الصلاة والسلام.

لقد بذل علماء المسلمون من المحدثين، والمؤرخين، والمقرئين، والرحالة، والجغرافيين، والبلدانيين الجهود المتواصلة عبر هذه العصور الطويلة ورصد وحفظ كل ما يتعلق بالسيرة النبوية العطرة، وأحداثها الزمانية، والمكانية التي بقيت وحفظت آثارها عبر هذه السنين منذ بعثته قبل ألف وأربعمائة سنة من

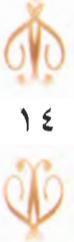
اليوم.

لقد حفلت السيرة النبوية بأحداث عظيمة، تمثلت بغزواته وفتوحاته، وسراياه، وبعوثه الأمر الذي تطلب السير في الأرض لمعرفة تلك المواقع والأماكن التي جرت على أرضها تلك الأحداث المباركة التي غيرت مجرى التاريخ الإنساني على هذه الأرض حيث انتشر الإسلام في شتى ربوعها وبقاعها.

ومن هنا قيض الله رجالاً تحروا، واجتهدوا، ورحلوا، وساروا يرصدون، ويقفون على هذه المواقع التي جرت على أرضها تلك الأحداث، خاصة وأن بعضها مواقع بعيدة عن المركز (المدينة المنورة) الأمر الذي يتطلب الرجوع إلى المصادر والمراجع المختلفة الحديثية، والتاريخية، والجغرافية ومعاجم اللغة، وكتب الرحالة، الأمر الذي يتطلب التدقيق في المرويات والأخبار، عن تلك المواقع، والغزوات، والسرايا، والبعوث.

ويأتي في مقدمتهم إمام المغازي ابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد، ومن جاء بعدهم كالطبري، وابن كثير، والذهبي وغيرهم ممن كان لهم عناية واهتمام بهذا العلم المبارك علم السيرة والمغازي.

وقد قيض الله في هذه الايام مؤرخاً ومتخصصاً، وبلدانياً، يعشق الترحال والسير، والبحث عن المواقع المختلف في تحديد مواقعها، ونواحيها، وجهاتها على أرض خرجت إليها جيوش النبي ﷺ، وسراياه، وبعوثه المباركة التي كان الهدف منها نشر كلمة التوحيد، ونقل الناس من الشرك إلى التوحيد ومن عبادة



الأوثان إلى عبادة الرحيم الرحمن.

إنه المؤرخ، والجغرافي، والبلداني (عبد الله بن مصطفى بن أبوه الشنقيطي)، ابن من أبناء طيبة الذي سخر نفسه، وأوقف حياته وبذل جهده، وماله في سبيل الوقوف على تلك المواقع التي جرت على أرضها الغزوات والسرايا النبوية نحو مختلف الجهات المحيطة بالمدينة المنورة، عاصمة النبوة وعاصمة الإسلام الأولى.

لقد أحسن الظن أخي وصديقي الأستاذ المؤرخ البلداني الذي تخصص، وتفرد، واجتهد، ولمع في تحقيق مواقع الغزوات، والسرايا والبعوث، والطرق التي سار فيها النبي ﷺ مع جيوشه المباركة نحوها في اتجاهات الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب من المدينة المنورة وكأنه قد سار فيها من قبل يأخذ المسارات التي تتوفر فيها المياه، من الآبار، والأودية، يسير في بعضها المشهور، ويأخذ أحياناً مسارات يُعْمِي فيها على خصومه وأعدائه.

ونضرب مثلاً على ذلك ما حدث في غزوة العشيرة عندما غيّر سيره، وترك وادي الضبوعة الذي فيه الآبار بيساره وأخذ طريقاً آخر (تسمى شعبة عبد الله) إلى نقب وعر جداً يسمى (الرّتج) وهبط منه إلى وادي سَيْر، ثم انحدر مع الوادي حتى التقائه مع وادي ملل وانحداره في وادي سَيْر سوف يخفى آثاره تماماً فهذا الوادي ليس طريقاً إلى أي جهة معلومة.

هنا أقف وأشير إلى البلداني (عبد الله مصطفى الشنقيطي) الذي له نفس

طويل ودقيق في تحري المواضيع، والمواقع التي اختلف فيها أصحاب السَّير من المؤرخين والجغرافيين، وكتاب المعاجم، والبلدانيين وأذكر أمثلة منها:

ذات فرقين	والربوض	والمُصَيِّخ	قاع أرن
ووادي الشعبة	والمراض	والتغلّمان	وهيفا
قرقرة الكُدر	وذو خشب	ذو المروة	وفيفاء الفحلتين

هذا هو البلداني عبد الله الشنقيطي جمع فأوعى وتحرى ولم يترك مرجعاً من كتب السيرة، والحديث، وكتب التراجم، وكتب الرحالة، والجغرافيين، وكتب المعاجم إلا وستنطقها وكأنها تحدثه ويحاورها ويجمع بين نصوصها المختلفة ثم يخرج لنا ما صح منها وتأكد أنه الموقع الصحيح لتلك الغزوة أو السرية أو البعث.

لقد ملأ الأستاذ المؤرخ والبلداني فراغاً كبيراً كنا ونحن نقرأ السيرة النبوية ومغازي رسول الله ﷺ، أيّ المراجع والمصادر ترجح حتى جاءنا البلداني الشنقيطي بهذا السفر العظيم الذي غطى بعض الغزوات والسرايا، والبعوث النبوية.

أقولها وأنا المتخصص في السيرة النبوية وقد درّستها لقراءة ٢٧ عاماً للطلاب كمادة هي متطلب جامعة ضمن البرامج لكافة التخصصات في جامعتي الملك سعود، والملك عبد العزيز، وجامعة طيبة.

وجزى الله أستاذنا المؤرخ البلداني خير الجزاء على هذا الجهد العظيم المضني كيف لا وقد سار على طريق جيل من الرواد من أمثال حمد الجاسر،



إبراهيم العياشي، وعاتق البلادي، وغيرهم يرحمهم الله. فهذا جهد لا يقدر عليه إلا من كان قصده حب هذه السيرة النبوية العطرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أستاذ السيرة النبوية بجامعة طيبة سابقاً

عضو الجمعية التاريخية السعودية

عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي

نائب رئيس المجلس البلدي سابقاً

الدكتور / محمد أنور محمد علي البكري

١٢/١١/١٤٤٤هـ، / يونيو/ ٢٠٢٣م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وعليه نتوكل وبه نستعين، وأشهد ألا إله إلا الله رب
السموات ورب الأراضين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الصادق الوعد
الأمين، وأصلي وأسلم على الشفيح المشفق يوم الدين، سيدنا ونبينا محمد وعلى
آله الطيبين الطاهرين.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وذكّرنا ما نسينا وعلمنا ما جهلنا،
وزدنا علماً. اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت إن شئت جعلت الحزن
سهلاً.

وبعد:

فليسمح لي القارئ الكريم أن أبدأ معه بإيراد تحليل بسيط لمكونات الحدث
التاريخي، فأقول:

أيّ حدث تاريخي له أربعة أبعاد: الزمان، والمكان، والإنسان (الأشخاص
المشاركون في الحدث)، والحدث نفسه.

ونلاحظ هنا أن ثلاثة من هذه الأبعاد الأربعة سريعة الاندثار والزوال؛ وهي:

زمان الحدث، فهو ينتهي بانتهائه، والمشاركون فيه أيضاً أعمارهم
محدودة، والحدث عندما ينتهي يصبح تاريخاً، ويبقى البعد المكاني أطولها بقاءً.
فقد يبقى عشرات السنين (مثل الشجر ونحوه)، أو المئات من السنين (مثل الآبار

وكثير من الصروح التي هي من عمل الإنسان)، أو الألوف (المعالم الطبيعية مثل الجبال والأودية، ونحو ذلك، وبعض آثار عمارة الإنسان للأرض).

هذا التحليل البسيط للحدث التاريخي يوضح لنا أهمية البعد المكاني لتوثيق الحدث، لأنه يبقى ماثلاً أزمنة متطاولة، ويحول دون جعله حدثاً لا مكان له في الحقيقة الخارجية (مجرد حكاية في الذاكرة الجمعية)، وهذه هي البوابة الأولى ليتحول الحدث إلى خرافة.

فرؤية المكان الذي احتوى الحدث رأياً العين، يحوِّله من (المرويِّ إلى مرثيِّ)، ويخرجه من الماضي إلى الحاضر، فيؤثر في وجدان الرائي أو المتلقي، ويجعله يتفاعل مع مجريات الأحداث وكأنها تحدث أمامه، وهذا التأثير في النفس والوجدان هو المبدأ الذي قامت عليه الفنون البصرية مثل الصور والأفلام وغيرها، والمثل المشهور يقول (ليس من رأى كمن سمع).

وصدق الشاعر: فاستعجمت دار نِعْم ما تكلمنا.. والدار لو كلمتنا ذات أخباراً^١.

البعد المكاني في القرآن والسيرة النبوية

وارتباط الحدث بالمكان ليس مما أغفلته شريعتنا الغراء.

يدعونا الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل إلى السير في الأرض، ومشاهدة أماكن الأمم الغابرة للاعتبار، ذلك أن المشاهدة أدعى للتأثير في النفوس من الكلام

^١ البيت للناطقة الذبياني في معلقته (جمهرة أشعار العرب)

قال تعالى {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ}¹.

بل إن السير في الأرض من دواعي اكتمال شخصية الإنسان، فهو يصقل مواهبه، وينمي حاسة التفكير النقدي فيه، ويجعله يميز بين ما يستحق الاستماع إليه وما لا يستحق.

يقول جلّ وعلا {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}².
وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحض على التفكير والتذكير والتفقه مرتبطة بالسير في الأرض.

مثل قوله تعالى {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ}³.

وهذا مما يجعلني أرى أن (السير في الأرض) يصلح أن يكون علماً قائماً بذاته، له قواعده وأصوله.

وفي السنة المطهرة إشارات كثيرة إلى (السير في الأرض). منها قول النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة وهو في الروحاء: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِيَهْلَنَ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرُّوْحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيْسِيْنَهُمَا). صحيح مسلم.

وفي عودته أيضاً من مكة المكرمة " مَرَّ بُوَادِي الْأَرْزِقِ فَقَالَ «أَيَّ وَادٍ هَذَا».

¹ سورة الأنعام، الآية ١١

² سورة الحج، الآية ٤٦

³ العنكبوت، الآية ٢٠

فَقَالُوا هَذَا وَايِ الْأَزْرَقِ. قَالَ «كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - هَابِطًا
 مِنَ السَّمَاءِ وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ». ثُمَّ أَتَى عَلَى نَبِيَّةٍ هَرَشَى. فَقَالَ «أَيُّ نَبِيَّةٍ هَذِهِ».
 قَالُوا نَبِيَّةٌ هَرَشَى قَالَ «كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ
 جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ خِطَامٌ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي». صحيح البخاري.

واختيار النبي ﷺ لمخاطبة الصحابة وهو يسير في الأرض ويشير إلى هذه
 المعالم لهو دليل واضح على مدى تأثير المشاهدة على المخاطب.

و إذا جئنا للصحابة رضي الله عنهم رأيناهم يولون الأماكن التي ارتبطت
 بالنبي صلى الله عليه وسلم اهتماماً عظيماً؛ فهذا أَبُو بُرْدَةَ رضي الله عنه : قَالَ
 قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقَيْتَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ لِي انْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ فَأَسْقِيكَ فِي قَدْحٍ
 شَرِبَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُصَلِّيَ فِي مَسْجِدٍ صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَسَقَانِي سَوِيْقًا وَأَطْعَمَنِي تَمْرًا وَصَلَّيْتُ فِي مَسْجِدِهِ"
 صحيح البخاري.

فالأماكن المرتبطة بالنبي صلى الله عليه وسلم (مصليات، آبار، معالم
 طبيعية) لها خصوصية كان السلف الصالح يحرص على الحفاظ عليها.
 ففي تاريخ الطبري وغيره، عن علي زين العابدين بن الحسين رضي الله
 عنهما، يقول: كنا نعلم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من
 القرآن.

وعن عبد الله بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما أنه قال: "كان أبي سعد



بن أبي وقاص يأخذ بأيدينا أنا وإخوتي، يوقفنا على مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآثار رسول الله، ويروي لنا ما شهد من الماضي، ويقول لنا: تعلموا تاريخكم، وتعلموا سيرة نبيكم، فإنها مجدكم ومجد آبائكم".

وصنيع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في تتبع المواضع المرتبطة بالنبي صلى الله عليه وسلم أشهر من أن يُذكر.

وقد بذل المسلمون - علماءهم وحكامهم وعامتهم جهوداً متواصلة حتى تصل إلينا السيرة النبوية المكانية كأنها حدثت بالأمس رغم تطاول القرون. وهذا والله الحمد مما تختص به هذه الأمة من بين الأمم، فكثير من الأمم الأخرى تحولت سيرة أنبيائها وصالحائها إلى أساطير، فجزاهم الله خيراً، ورحمهم، وأكرم مثوهم، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

ولا أريد أن أطيل في سرد الأمثلة فهي معروفة للجميع.

نخلص من هذا العرض الموجز إلى أن معرفة الجانب المكاني من السيرة النبوية له الأهمية القصوى، لئلا تتحول سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام إلى حروف مسطورة في الكتب فقط، وكلام مجرد يُنسى أوله آخره.

وهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم هو محاولة مني للسير في الأرض متتبِعاً أثر بعض الغزوات والسرايا النبوية مستتيراً بما تركه لنا علماءنا من إرث كبير في هذا المجال، وعلى رأس هؤلاء إمام جغرافيا السيرة النبوية؛ محمد بن عمر الواقدي - رحمه الله - في كتابه العظيم (المغازي)، وبدونه لم يكن من المستطاع

معرفة تفاصيل كثيرة عما جرى في الغزوات، و السرايا النبوية من أحداث، وخاصة ما يتعلق منها بالمعالم الجغرافية، لذلك سنعمد كتابه "المغازي" كمصدر رئيس في تحديد المواضع المذكورة في الغزوات والسرايا، مع المصادر الأخرى مثل ابن إسحاق، وابن سعد، وغيرهما، مع ما ورد في كتب الحديث، مع ملاحظة أن المحققين لا يهتمون كثيراً بذكر المواضع، إلا إذا كان لها تعلق بحكم شرعي.

ولما كان الهدف الرئيس لهذا الكتاب، هو تحديد المواضع، والمعالم الواردة في المغازي، والسرايا النبوية، بأقصى ما أستطيع من دقة، فإنه لا بد من التدقيق في كل الروايات المتعلقة بتلك المواضع والمعالم، وعرضها على الواقع على الأرض، وذلك بالتطبيق الميداني، وإن كان هناك تباين بين الروايات، فإن أمكن التوفيق بينها فيها ونعمت، وإلا لجأت إلى الترجيح بوسائل الترجيح المعروفة، وأهمها هنا أن تكون الرواية متطابقة مع ما هو مشاهد على الأرض.

أما بقية الجوانب الأخرى الواردة في الغزوة أو السرية، مثل سببها وتاريخها وأهم الأحداث التي حصلت فيها ونتائجها وأهم الدروس المستخلصة منها؛ فقد تطرقت إلى كل ذلك، ولكن باختصار، لئلا يطغى التوسع فيه على الغرض الرئيس وهو الجانب الجغرافي للغزوة أو السرية.

وجعلت الكتاب على بايين؛ الباب الأول للمغازي مرتبة على حسب وقوعها، وفيه ثلاثة عشر فصلاً، بعدد المغازي الواردة في الكتاب، وكذلك الأمر في الباب الثاني بالنسبة للسرايا.

وقد اخترت اقتفاء أثر ثلاث عشرة غزوة، وأربع سرايا نبوية، رأيت أنها من

أكثر الغزوات والسرايا التي تحتاج معالمها الجغرافية إلى شرح، وتوضيح، وتصحيح، وتعيين.

وإن يسّر الله تعالى، وأمد في الأجل فستتلوها بقية الغزوات والسرايا إن شاء الله تعالى.

وأخيراً.. فما كان في هذا الكتاب من صواب فهو بتوفيق من الله عزّ وجلّ، وفضل منه وإحسان، وما كان من خطأ فهو مني، ومن الشيطان لعنه الله.

والله نسأل أن يلهمنا الصواب ويقيننا مواطن الزلل، وأن يتولانا بعفوه وكرمه.. إنه وليّ ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

عبد الله بن مصطفى بن أبوه الشنقيطي

المدينة المنورة - في يوم الجمعة ثامن شوال سنة ١٤٤٤ هجرية

الباب الأول
المغازي النبوية

الفصل الأول

غزوة العُشيرة^١

٣١

^١ ويقال لها أيضاً غزوة ذي العُشيرة، أو ذات العُشيرة، انظر: (مغازي الواقدي، صحيح مسلم، سيرة مغلطاي)

تاريخ الغزوة

اتفق أصحاب المغازي والسير على أنها كانت في السنة الثانية للهجرة، مع اختلاف يسير في الشهر الذي بدأت فيه الغزوة، فعند ابن إسحاق ومن وافقه أنها بدأت في جمادي الأولى، وانتهت بعد ليالٍ من جمادي الثانية.

قال ابن إسحاق؛ وهو يتحدث عن وصول النبي ﷺ إلى العشيرة فَأَقَامَ بِهَا جُمَادَى الْأُولَى وَلَيَالِي مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ^١.

أما الواقدي وابن سعد ومن وافقهما فعندهم أنها كانت في جمادي الآخرة.

قال الواقدي ثُمَّ غَزَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ عَلَى رَأْسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، يَعْتَرِضُ لِعَبِيرَاتِ قُرَيْشٍ حِينَ أَبْدَأَتْ إِلَى الشَّامِ^٢.

لكن جمهور أصحاب المغازي والسير على قول ابن إسحاق.

وعند تأمل تواريخ الوقائع التي حصلت قبل الغزوة، مثل غزوة بواط، وما حصل بعدها مثل غزوة بدر الأولى، وما تلا ذلك من أحداث، يترجح قول ابن إسحاق، والله أعلم.

^١ السيرة النبوية، غزوة العشيرة
^٢ المغازي، غزوة العشيرة



هل العشيّرة أول الغزوات النبوية؟

اتفق المؤرخون وأصحاب السير على أن غزوة الأبواء (غزوة ودان) هي أول الغزوات النبوية، وتلتها غزوة بواط، ثم غزوة العشيّرة.

أما عند المحدثين، فإن أول الغزوات هي العشيّرة، ومصدرهم في ذلك، ما رواه البخاري في الصحيح، من حديث أبي إسحاق، قال: كُنْتُ إِلَى جَنْبِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ فَقِيلَ لَهُ: كَمْ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةٍ؟ قَالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ. قُلْتُ: كَمْ غَزْوَةٍ أَنْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً^١.

قلت: فأيهن كان أول؟ قال العشير، أو العسير.

وقد أجاب الحافظ ابن حجر عن هذا التباين بين قولي الفريقين، بتأييده رأي ابن التين^٢، قال الحافظ: وَقَوْلُ ابْنِ التَّيْنِ: يُحْمَلُ قَوْلُ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عَلَيَّ أَنَّ الْعُشَيْرَةَ أَوْلُ مَا غَزَا هُوَ أَيُّ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ وَالتَّقْدِيرُ؛ فَقُلْتُ: مَا أَوْلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا أَيُّ وَأَنْتَ مَعَهُ قَالَ الْعُسَيْرُ فَهُوَ مُحْتَمَلٌ أَيْضًا، وَيَكُونُ قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ اثْنَتَانِ مِمَّا بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ عَدَّ الْغَزَوَتَيْنِ وَاحِدَةً^٣.

وهذا يتضح أن المرجح هو أن غزوة العشيّرة هي الغزوة الثالثة، التي خرج فيها النبي ﷺ بنفسه الشريفة يعترض عير قريش، بعد غزوتي الأبواء وبواط.

^١ صحيح البخاري، باب غزوة العشيّرة

^٢ ابن التين (٦١١ هـ) (١٢١٤ م): عبد الواحد بن عمر بن عبد الواحد بن ثابت المعروف بابن التين الصفاقسي، أبو عمرو، وأبو محمد، المحدث، الفقيه. له شرح على صحيح البخاري سماه المختار الفصيح الجامع لفوائد مسند البخاري الصحيح. توفي بصفاقس.

^٣ فتح الباري، باب غزوة العشيّرة.

أسباب الغزوة

من أهم الأسباب-والله أعلم- أن من كان يريد الهجرة من المسلمين من مكة إلى المدينة يترك أمواله كلها وراءه، المنقولة والثابتة، لأن قريشاً لا تسمح له أن يصحب شيئاً منها، فيقومون بمصادرتها. ورأينا مثلاً على ذلك في هجرة صهيب الرومي (رضي الله عنه)، عندما قال له المشركون أَيْتِنَا صُعْلُوْكَ حَقِيْرًا، فَكْثُرْ مَالُكَ عِنْدَنَا، وَبَلِغْتَ الَّذِي بَلِغْتَ، ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِمَالِكَ وَنَفْسِكَ، وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ؛ فَقَالَ لَهُمْ صُهَيْبٌ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي أَتَخْلُونَ سَبِيلِي؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: رِبِحَ صُهَيْبٌ؛ رِبِحَ صُهَيْبٌ^١.

وبعد هجرة النبي ﷺ، استولى عقيل بن أبي طالب على بيت النبي ﷺ الذي وُلد فيه، واستولى معتب بن أبي لهب على بيت خديجة، الذي هاجر منه ﷺ، ووُلد فيه أبناءؤه^٢.

بل كانوا يمنعونهم من المغادرة، إمعاناً في التضييق عليهم، ودفعهم إلى ترك دينهم، أو أموالهم فكانوا يتسللون لوأداءً، فرادى، ثم يلتقون خارج مكة، للخروج إلى المدينة.

وفي قصة هجرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): قال: اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام ابن العاص بن وائل السهمي

^١ السيرة النبوية (٤٧٧/١)

^٢ أخبار مكة للأزرقي (١٤٦/٢)



(التناضب من أضاة بني غفار)^١، فوق سرف، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه، قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب وحبس عنا هشام وفتن فافتتن^٢.

وعندما اجتمع المهاجرون في المدينة، وكانوا في ضيافة الأنصار، رأى النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته، ألا سبيل للحصول على جزء من أموالهم المصادرة من قبل قريش، سوى بالتعرض لتجارهم (وهي معاشهم الذي لا يستطيعون العيش بدونه) عسى أن يحوزوها.

وهناك سبب آخر أساسي، وهو أن قريشاً قد أذنت المسلمين بالحرب عندما أخرجوهم من ديارهم، وسلبوا ممتلكاتهم، وحرصوا قبائل العرب، بل وهرقل الروم^٣، ونجاشي الحبشة - على معاداة المسلمين، وتشويه دينهم، وصد من يتغي اعتناق الإسلام من العرب عنه، كما في قصة محاولة الشاعر أعشى قيس (ميمون بن قيس) اعتناق الإسلام^٤.

بل إن قريشاً لاحقت المسلمين وهم في المدينة، فأرسلوا إلى الأنصار يتهددونهم، أن أخرجوا من أويتهم من المهاجرين، وإلا سنفعل بكم الأفاعيل.

^١ التَّنَاضِبُ وَأَضَاةُ بَنِي غَفَارٍ مَوْضِعٌ وَاحِدٌ، الْأَضَاةُ أَرْضٌ تُمِيبُكَ الْمَاءَ فَيَتَكَوَّنُ فِيهَا الطَّيْنُ، وَالتَّنَاضِبُ شَجَرَاتٌ فِي هَذِهِ الْأَضَاةِ، وَهِيَ لَا زَالَتْ مُشَاهِدَةً عَلَى جَانِبِ وَاوِي سَرْفِ الشَّمَالِيِّ، إِلَى جِوَارِ قَبْرِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ، وَقَدْ صَارَتْ التَّنَاضِبُ وَالْأَضَاةُ أَرْضًا زُرَاعِيَّةً لِأَنَاسٍ مِنْ لُخَيَّانَ، وَكُلَّمَا قُطِعَ شَجَرُ التَّنَاضِبِ عَادَ (المعالم الجغرافية في السيرة النبوية - البلادي)

^٢ السيرة النبوية لابن هشام (٤٧٤/١)

^٣ دلائل النبوة (٣٨١/٤)

^٤ اعترضته قريش فقالوا له: يَا أَبَا بَصِيرٍ، فَإِنَّهُ يُحْرِمُ الْخَمْرَ، فَقَالَ الْأَعْشى: أَمَا هَذِهِ قَوْلُ اللَّهِ إِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا لَغَلَلَاتٍ، وَلِكَيْ تَمُنْصَرَفَتْ فَاتَرَوْى مِنْهَا عَامِي هَذَا، ثُمَّ أَتَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَأَنْصَرَفَتْ فَمَاتَ فِي عَامِهِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَغْذُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (السيرة النبوية).

جاء في سنن أبي داود بسند صحيح، عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبيّ ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج - ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر-: إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم.

فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبيّ ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقيهم فقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم، فلما سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفرقوا. ^١

لذلك، فإن مهاجمة قوافل قريش، وفرض الحصار الاقتصادي عليها، أو حتى الهجوم عليها في عقر دارها، هو عمل حربي مشروع، لإضعاف العدو، وكسر شوكته، وحرمانه من مصادر قوته.

لذلك، عندما سمع الرسول -صلى الله عليه وسلم- بخروج عير لقريش تريد الشام، وهي إحدى رحلتي الشتاء والصيف، تجهز لاعتراضها مع جمع من الصحابة كلهم من المهاجرين، لعلهم يصيبون ما يعوضون به جزءاً من أموالهم

^١ سنن أبي داود ١٥٦/٣، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

وتذكر المصادر أن قريشاً جمعت في هذه العير جميع أموالها، حتى لم يبق بمكة لا قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلا بعث به في تلك العير إلا حويطب بن عبد العزى، يقال إن في تلك العير خمسين ألف دينار، وألف بعير. وكان أبو سفيان قائد تلك العير، ومعه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلاً.

التبع الميداني لأحداث الغزوة

خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في خمسين ومائة. ويقال في مئتين من المهاجرين ممن انتدب. ولم يكره أحداً على الخروج. وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها. خرج يعترض لعير قريش حين بدأت إلى الشام. وكان قد جاءه الخبر بفصولها من مكة فيها أموال قريش.

وقد كفانا ابن إسحاق - رحمه الله - مؤونة البحث عن الطريق الذي سلكه النبي ﷺ عند خروجه من المدينة متجهاً إلى العشيّة، فحدد لنا معالمه بالتفصيل حتى وصوله إلى الجادة العظمى، ومنها استقامت به الطريق المعهودة إلى ينبع (النخل) حيث موقع العشيّة.

قال ابن إسحاق: فَسَلَّكَ عَلَى نَقْبِ بَنِي دِينَارٍ، ثُمَّ عَلَى فَيْقَاءِ الْحَبَّارِ، فَزَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ بِيَطْحَاءِ ابْنِ أَزْهَرَ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ السَّاقِ، فَصَلَّى عِنْدَهَا. فَثَمَّ مَسَّجِدُهُ

^١ السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، ٣٤٩/٢

^٢ لعل الطريق الصحيح هو الذي أورده الواقدي في وصف طريق بداية الخروج إلى بدر، فلم يذكر فيفاء الخبر.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصُنِعَ لَهُ عِنْدَهَا طَعَامٌ، فَأَكَلَ مِنْهُ، وَأَكَلَ النَّاسُ مَعَهُ، فَمَوْضِعُ
 أَثَافِيِّ الْبُرْمَةِ مَعْلُومٌ هُنَاكَ، وَاسْتَقَى لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ، يُقَالُ لَهُ: الْمُشْتَرِبُ، ثُمَّ ارْتَحَلَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَرَكَ الْخَلَائِقَ بِيَسَارٍ، وَسَلَكَ شُعْبَةً يُقَالُ لَهَا: شُعْبَةُ
 عَبْدِ اللَّهِ، وَذَلِكَ اسْمُهَا الْيَوْمَ، ثُمَّ صَبَّ لِيَسَارٍ حَتَّى هَبَطَ (يَلِيلٌ)¹، فَنَزَلَ بِمُجْتَمَعِهِ
 وَمُجْتَمَعِ الصُّبُوعَةِ، وَاسْتَقَى مِنْ بئرٍ بِالصُّبُوعَةِ، ثُمَّ سَلَكَ الْفَرَشَ: فَرَشَ مَلَلٍ، حَتَّى
 لَقِيَ الطَّرِيقَ بِصُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ، ثُمَّ اعْتَدَلَ بِهِ الطَّرِيقُ، حَتَّى نَزَلَ الْعُشَيْرَةَ مِنْ بَطْنِ
 يَنْبَعٍ².

قلت: حينما وصل النبي ﷺ إلى العشيرة (وهي منزل القوافل المتجهة إلى
 غزوة، وإليها متجر قريش إلى الشام)، وجد العير المستهدفة قد رحلت قبل وصوله
 بأيام، لم تحدد المصادر التي بين أيدينا عددها.

قال ابن سعد في الطبقات: والعشيرة لبني مدلج³ بناحية ينبع. وبين ينبع
 والمدينة تسعة بُرْدٍ، فوجد العير التي خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام، وهي العير
 التي خرج لها أيضاً يريدونها حين رجعت من الشام فساحت على البحر.. وبذي
 العشيرة كنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بن أبي طالب أبا تراب.
 وذلك أنه رآه نائماً متمرغاً في البوغاء⁴ فقال: اجلس. أبا تراب! فجلس.

¹ خطأ، الصحيح (مائل)

² السيرة النبوية، غزوة العشيرة

³ بطن من كنانة، من العدنانية، وهم: بنو مدلج ابن مرة بن عيد مناة بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن

مضر بن نزار ابن معد بن عدنان. كان منهم من اختص بعلم القيافة. (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة)

⁴ يعني نحو ١٨٠ كيلاً.

⁵ البوغاء: التُّرْبَةُ الرَّخْوَةُ كُنْهَا دُرَيْرَةٌ، وَطَائِفَةُ النَّاسِ وَحَمَقَاهُمْ. (القاموس المحيط).

سبب آخر لتسمية علي - رضي الله عنه - بأبي تراب

جاء في صحيح البخاري، عن سهل بن سعد، قال: جاء رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بيت فاطمة، فلم يجد علياً في البيت. فقال: ((أين ابن عمك؟!)). فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج فلم يقل عندي. فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لإنسان: (انظر أين هو). فجاء، فقال يا رسول الله، هو في المسجد راقداً. فجاء رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب -، فجعل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يمسحه عنه ويقول: (قم أبا تراب، قم أبا تراب) ^١.

وقد جمع الحافظ ابن حجر بين رواية الصحيح، ورواية ابن سعد الواردة عند ابن إسحاق، بأن هذا القول تكرر منه ﷺ لعلي (رضي الله عنه)، فقال: أخرج ابن إسحاق والحاكم من طريقه من حديث عمارة أنه كان هو وعلي في غزوة العُشيرة فجاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجد علياً نائماً وقد علاه تراب فأيقظه وقال له مالك أبا تراب ثم قال ألا أحدثك بأشقى الناس.. الحديث

وَعَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ كَانَتْ فِي أَثْنَاءِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ قَبْلَ وَفَعَةِ بَدْرٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ فَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا أَمَكْنَ الْجَمْعُ بِأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ تَكَرَّرَ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ عَلِيٍّ ^٢. والله أعلم.

^١ الجامع الصحيح المختصر، ١/١٦٩، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧

^٢ فتح الباري، ١٠/٥٨٨، دار المعرفتيبيروت، ١٣٧٩

موادعة بني مدلج وبني ضمرة

مكث النبي ﷺ في العشيرة نحواً من شهر (جمادى الأولى وليالٍ من جمادى الآخرة)، وادع فيه بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثمَّ رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً. وهذه صورة كتاب موادعة النبي ﷺ لبني ضمرة: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة، بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصر على من رامهم، إلا أن يحاربوا في دين الله، ما بلّ بحر صوفة، وأن النبي إذا دعاهم لنصر أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله ورسوله^٢.

في رجوعه ﷺ من العشيرة، سلك طريقاً آخر غير الطريق الذي جاء منه، وهذا من هديه ﷺ، أنه يغير بين طريق ذهابه وطريق إيابه، طريق العودة هذا لا يخلو من وعورة، لكنه أقصر الطرق بين المدينة وينبع، وفيه ثنية تسمى (ثنية مبرك).

نقل لنا السيد السمهودي عن ابن زباله بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى مطلعته من ثنية مبرك، في مسجد هناك بينه وبين دعان^٣ ستة أميال أو خمسة.

قلت (القول للسمهودي): ثنية مبرك: معروفة تسلك إلى ينبع في المغرب من جهة أسفل خيف بني سالم من ذات اليمين، وطريق الصفراء ذات اليسار^٤.

^١ بفتح الضاد المعجمة وسكون الميم وكسر الراء، هذه النسبة إلى ضمرة، وهم: بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، رهط عمرو بن أمية الضمريّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. (الأنساب للسمعاني)

^٢ الحافظ القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، غزوة العشيرة.

^٣ دعان وادي يدعى اليوم وادي الفقير، بين بدايته ونهاية وادي مبرك حوالي ١٠ أكيل.

^٤ وفاء الوفا، ١٧٦/٣

المعالم الواردة في الغزوة

ذكرت المصادر معالم مكانية نستدل بها على تفاصيل الطريق للوصول إلى العشيّة، والتي نستشف منها استراتيجية النبي ﷺ في عدم الإفصاح عن وجهته النهائية، واتخاذ الأسباب في التعمية عليها، وكل ذلك لاستغلال عامل المفاجأة للعدو، ويتضح ذلك جلياً في بداية المسار الذي سلكه النبي ﷺ من المدينة حتى صخيرات اليمام (مسافة مرحلتين)، وهذا المسار لا يمكن التكهن لمن سار عليه بالوجهة النهائية التي يقصدها.

ويعود الفضل في معرفتنا لتفاصيل الطريق في الذهاب، لمحمد بن إسحاق (رحمه الله)، والعودة لمحمد بن الحسن بن زبالة (رحمه الله).

والمعالم التي أوردتها المصادر في الغزوة، هي:

- ١- نقب بني دينار ٢- فيفاء الخبار ٣- بطحاء ابن أزره ٤- المشيرب ٥-
 - الخلائق ٦- شعبة عبد الله ٧- ملل ٨- صخيرات اليمام ٩- العشيّة ١٠- ينبع ١١-
- ثنية مبارك.



نقب بني دينار
24°27'28.3"N
39°35'47.6"E

نقب بني دينار:

بنو دينار من بني النجار- ويسمى هذا النقب أيضاً نقب

المدينة ، وهو طريق العقيق بالحرّة الغربيّة، وبه السقياء.

والنَّقْبُ فِي اللِّغَةِ: الطَّرِيقُ الضَّيِّقُ فِي الجَبَلِ. ونقب بني دينار طريق ضيق في بداية الحرة الغربية، إذا تجاوزت نهاية النقا، يصعد فيه السالك إلى العقيق، وهو الطريق الرئيس للخارج من المدينة إلى النواحي الغربية منها، ومكان هذا النقب اليوم الشارع النافذ من شمال سور سكة الحديد إلى دوار عروة^١.



نقطة الخبر
24°26'57.0"N
39°32'08.0"E

فيفاء الخبر

قال عنها ياقوت: موضع قريب من المدينة، وكان عليه

طريق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين خرج يريد قريشا قبل وقعة بدر، والخبار في كلامهم الأرض الرخوة ذات الحجارة، وهو فيفاء الخبر، ويقال: فيفاء الخبر، ذكره ابن الفقيه في نواحي العقيق بالمدينة^٢

وقال في موضع آخر فيفاء الخبر، وقد ذكرناه في الخبر: وهو بالعقيق من جماء أم خالد^٣

وقال السمهودي: ونقل ابن سعد عن ابن عقبة أن فيفاء الخبر من وراء الجماء^٤

قلت: هذا التحديد الأخير دقيق جداً، فيفاء الخبر: مقرح نشأ فيه اليوم حي كبير يسمى العزيزية، يقع غربي جماء أم خالد

^١ موضع محطة سكة حديد الحجاز اليوم (الامتصيون)

^٢ اسم الشارع الهرماس بن زياد الباهلي

^٣ معجم البلدان، رسم: الخبر

^٤ المرجع السابق، رسم: فيفاء

^٥ وفاء الوفاء، ٧٤/٣

بطحاء ابن أزهراً



بطحاء ابن أزهراً
24°26'56.3"N
39°30'27.9"E

أرض واسعة دمثة، تدفع فيها شعاب طرف جبل عظم الشمالي، وما دبر من الصلصلين، وبعض شعاب جبال الضبوعة، وتتجه كلها شرقاً، ثم تتحد في وادٍ واحد، يدخل بين الجبلين (جبل المكيمن، والأسناف)، ثم يدفع في العقيق^٢.

ويسمى اليوم هذا السهل الواسع (الدعيثة)، وقد امتلأ بالأحياء السكنية.

المشيرب



المشيرب
24°25'33.1"N
39°24'43.3"E

قال مجد الدين الفيروز آبادي في المغانم المطابة: المشيرب: تصغير مشرب، لموضع الشرب، موضع له ذكر في حدود حرم المدينة، وحديثه ذكرناه في باب أسماء المدينة في شرح الحرم، وهو اسم موضع فيما بين جبال في شامي ذات الجيش، بينها وبين خلائق الضبوعة^٣.

وقال الشيخ جمال الدين المطري: وأما مشيرب فما بين جبال في شامي ذات الجيش، بينها وبين جبال خلائق الضبوعة .

^١ منسوبة إلى عبد الرّحمن بن أزهري بن عبد عوف القرشي، الزُّهريّ، أبو جبير المدني. ابن عم عبد الرّحمن بن عوف، وقيل: ابن أخيه، له صحبة، شهد حنيناً مع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَوَى عَنْهُ: قصة شارب الخمر (د)، وغير ذلك، وروى عنه جماعة (انظر تاريخ ابن عساكر، تهذيب الكمال في أسماء الرجال).
^٢ انظر (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) ص ١٤٦٩
^٣ المغانم المطابة ص ٣٨٣ تحقيق حمد الجاسر



وفي معجم البلدان لياقوت: المشيرب: وجدته في مغازي ابن اسحق
المشترب، وهو ماء ببطحاء ابن أزهر، وكان قد شرب منه النبي صلى الله عليه وعلى
آله وسلم .

قلت: يوجد شعب يسمى اليوم: أبو مرخة واسمه قديماً المشيرب^١، يقع
على الحد بين جبال الضبوعة شمالاً، ووادي ذات الجيش جنوباً ويسمى أسفله
وادي المكيمن، حينما يجري في بطحاء ابن أزهر (أسفل الدعيثة)، ثم يدخل بين
جبل مكيمن الجماء عن يساره وجبيلات الأسناف^٢ عن يمينه حتى يدفع في العقيق
من جانبه الغربي.

هذا الشعب ينطبق على أعلاه وصف المؤرخين أنه هو المشيرب للأسباب

الآتية:

^١ أخبرني الأستاذ محمد بن عبد الله المغذوي، وهو ثقة، أن أحد كبار السن من أهل تلك الديار أخبره أنه سمع من
أوائله أن هذا الوادي يسمى المشيرب.
^٢ المدينة بين الماضي والحاضر، الشريف العياشي، ص ٤٢١

١- يقع شامي ذات الجيش، بينها وبين جبال الضبوعة.

٢- يوجد في الشعب ما يشبه القلات ، وهي برك طبيعية تتجمع فيها مياه الأمطار لفترات طويلة، كما يشاهد من يتأمل في جوانب الشعب أنه كانت تنحدر منه المياه كالشلالات وقت المطر ليتم تجميعها واستعمالها.

٣- توجد دلائل مؤكدة أن الشعب كانت توجد به ينابيع فققرها (فوهاها) واضحة.

٤- الشعب كان مقصداً للتزود بالمياه، وقد سجل كثير ممن كان يرتاد هذا المكان ذكرياته بأن نقشها على الحجارة في جنبات الشعب (على شكل أدعية وابتهالات).

٥- الشعب يشق بطحاء ابن أزر (الدعيثة)، لذلك تزود النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالماء منه في هذه الغزوة.

ورأس وادي المشيرب أحد أشرف الحمى الوارد في أحاديث تحديد حمى الشجر. نورد هنا واحداً منها: روى عمر بن شبة عن أبي بكر بن النعمان بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن جده، قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعلم على أشرف حرم المدينة، فأعلمت على شرف ذات الجيش، وعلى مشيرب، وعلى أشرف مخيض، وعلى الحفيا، وعلى العشيرة، وعلى قلت^١.

^١ انظر تفاصيل الحمى بأنواعه في كتاب (أحماء المدينة) للمؤلف

مسجد بطحاء ابن أزهري



جبل القويمه
24°26'50.2"N
39°30'27.9"E

في وسط الدعيثة جبيل صغير مدور الرأس أحمر يدعى: القويمه^١، يقع على جانب أحد الشعاب التي تجري في بطحاء ابن أزهري. أخبرني شيخ من أهل تلك الديار^٢، أنهم في زمن قوافل الإبل، وعندما يوفضون من جبال الضبوعة قادمين من ملل أو الفقرة أو الجفر، وما والاها من تلك الجهات، فإنهم يحطون رحالهم عند ذلك الجبيل، وأنه كان حوله آثار ورسوم قديمة جداً، ولا أستبعد أن يكون هو المكان المذكور الذي نزل عنده النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في طريقه إلى العشيرة (ينبع). والله أعلم



الخلاتق
24°26'00.8"N
39°23'27.7"E

الخلاتق

الخلاتق في اللغة هي الآبار الحديثة الحفر^٣، وهي آبار حفرت في وادي الضبوعة، والضبوعة وادٍ مازال معروفاً باسمه إلى اليوم، يأخذ مساقط مياهه من السفوح الغربية لجبال تحمل نفس الاسم، تحف سهل الدعيثة من الغرب، ثم يتجه الوادي غرباً حتى يفيض في ملل. وآبار الضبوعة معروفة، وقد كانت تورد إلى عهد قريب، ولكن في الآونة

^١ أصبح هذا الجبيل اليوم في حيّ سكتي كبير، وبدأت المعدات الثقيلة تنهشه، وإذا لم يتم تداركه فسيصبح عما قريب أثراً بعد عين.

^٢ هو الشيخ عايد بن بنية الحجيلي الحربي، أحد منسوبي محكمة المدينة سابقاً، وخبير بمعالم تلك الجهات لأنه من أهلها.

^٣ لسان العرب، مادة خلق

الأخيرة تم الاستيلاء عليها، وأصبحت داخل مزارع وإنشاءات أقامها بعض المواطنين.



شعبة عبد الله



شعبة عبد الله، ضبعة الرند
24°28'16.0"N
39°24'17.2"E

عندما رحل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من بطحاء ابن أزره كان طريقه المعتدل هو صعود ربيع الطين^١، والانحدار مع وادي الضبوعة، ولكن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إمعاناً في التخفي والتمويه ترك وادي الضبوعة الذي فيه آبار الخلائق بيسار، وأخذ ذات اليمين في شعبة كانت تسمى شعبة عبد الله، وفي أعلاها نقب وعرجداً، يسمى الآن: الرتج، وهبط منه إلى وادي سَيْر، وانحدر مع الوادي حتى التقائه مع وادي ملل.

^١ يُعتقد أنها هي ثنية المُحدّث الواردة في أعلام الحمى، انظر "أحياء المدينة" للمؤلف.

وانحداره في وادي سير سوف يخفى آثاره تماماً، فهذا الوادي ليس طريقاً
إلى أي جهة معلومة.



ملتقى وادي الضبوعة مع وادي ملل

مجتمع وادي الضبوعة مع وادي ملل



مجتمع الضبوعة مع ملل
24°25'54.9"N
39°16'20.7"E

ثم انعطف ﷺ يساراً وسار قليلاً حتى نزل عند التقاء وادي
الضبوعة مع وادي ملل، واستقي له من بئر بالضبوعة، ثم واصل
مسيره صلى الله عليه وعلى آله وسلم في وادي ملل.



فرش ملل
24°22'10.4"N
39°15'44.1"E

فرش ملل: سهل أبيض أفيح وجميل، تتخلله الأودية،

فرش ملل

وتحيط به الجبال، ومن أشهر جباله جبل صَفْرَ، وهو يقع في وسط هذا السهل.
ويحد فرش ملل من الشرق جبل عبود، ومن الغرب هضاب العُجْز، ووادي
مغلاً الأسفل^٢، ومن الجنوب هضبة عدنة، وسلسلة من الهضاب الصغيرة بين عبود
وعدنة (فدافد عبود)^٣، ومن الشمال جبال الخضراء والحفيا. ^٤
ويشق هذا السهل من الجنوب إلى الشمال وادي الغميس (بين) حتى
مفيضة في ملل.

ويدخل هذا السهل من الغرب واديا حزره ومثعر، فيتحددا مع الغميس (بين)،
قبل أن يصب هذا الأخير في ملل.

فرش ملل في المصادر

حدد لنا السمهودي فرش ملل تحديداً دقيقاً بأسماء معالم مازالت معروفة،
فقال: فرش ملل:

والفريش مصغره معروفان قرب ملل، يفصل بينهما بطن واد يقال له مثعر،
كان بهما منازل وعمائر، كان كثير بن العباس ينزل فرش ملل على اثنين وعشرين
ميلاً من المدينة °

قلت: الفريش معروف، وكذلك وادي مثعر، وبموجب هذا التحديد فإن

^١ كانتا تسميان العجوزين

^٢ كان يسمى مغلاً الموارد (التعليقات والنوادر للهجري)

^٣ كذا وردت في شعر معن بن أوس المزني: فقدفد عبود فخبراء صائف ... فنو الجفر أقوى منهم ففدافده

^٤ اسمه في المصادر وادي بين.

° وفاء الوفا، رسم: فرش ملل

وادي مشعر هو الحد الفاصل بين الفرش والفريش، ولذلك قال البكري أن هضبة
عدنة من الفريش: فأما الفريش ففيه آبار لبني زيد بن حسن، وبه هضبة يقال لها
عدنة

وقال البكري أيضاً: ولمل الفرش المذكور، والفريش. وبالفرش جبل
يقال له صفر، أحمر كريم المغرس، وبه ردهة، وبناء لزيد بن حسن، قال عمرو بن
عائذ الهذلي:

أرى صفراً قد شاب رأس هضابه ... وشاب لما قد شاب منه العواقر

وقال ياقوت: وصفر أيضاً: جبل أحمر من جبال ملل قرب المدينة، هكذا
رواه أبو الفتح نصر، وقال الأديبي: صفر، بالتحريك، بلفظ اسم الشهر جبل بفرش
ملل كان منزل أبي عبيدة بن

عبد الله ابن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى^١

وقال السيد علي: عبود وصفر جبلان بين المدينة والسيالة ينظر أحدهما إلى
الأخر، والطريق يجيء بينهما^٢.

قلت: هذا الطريق الذي ذكره عليّ هو المسار الذي سلكه النبي ﷺ بعد قيامه
من منزله في مجتمع ملل مع الضبوعة حتى وصل صخورات اليمام.

^١ معجم البلدان، رسم: صفر

^٢ الجبال والأمكنة والمياه، ١/٢٢٦

صخيرات اليمام:



صخيرات اليمام
24°14'57.3"N
39°13'17.2"E

قال البلادي صُخَيْرَاتُ الْيَمَامَةِ: كَانَتْ مَحَطَّةً عَلَى طَرِيقِ
مَكَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ، عَلَى قُرَابَةِ (٥٠) كَيْلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَقَبْلَ السِّيَالَةِ
بِثَلَاثَةِ أَكْيَالٍ فَقَطْ، وَهِيَ الْيَوْمَ صُخُورٌ سُودٌ مَنَاصِيبٌ فِي قَفْرِ لَا سَاكِنَ لَهُ^١.

قلت: صخيرات اليمام، تسمى اليوم الصخيرات بدون إضافة، ويمر
عليها الطريق السريع إلى ينبع، وحولها نُزلة، وسكان، وجامع كبير، ولم تعد في قفر
لا ساكن فيه.



صخيرات اليمام

^١ المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (١٢٣/١)



العشيرة

24°16'22.2"N

38°22'54.1"E

العشيرة اسم يطلق على مواضع كثيرة جداً في جزيرة العرب، لأنه نسبة إلى الشجر المعروف، والعشيرة التي نسبت إليها الغزوة، قرية من قرى ينبع النخل، وهي آخر القرى للمتجه إلى ينبع البحر.

وقد دَرَسَ هذا الاسم اليوم، وأصبح موضعه يطلق على ثلاث قرى صغيرة متجاورة للأشرف ذوي هِجَار، هي: (القرية، والمبارك، والبركة)

وقد عدَّ الجزيري^١ عين العشيرة من عيون ينبع، فبعد أن أورد عدداً من العيون، قال: (والعشيرة، والمبارك، من البركة، والبركة)^٢.

والمبارك والبركة مازالت معروفة، كما سبق معنا.

وتعرف العشيرة بأنها منزل على الطريق لمن أراد التوجه إلى ساحل فلسطين (غزة)، أو إلى مصر، وشمال أفريقية، ويسمى هذا الطريق (طريق المُعْرِقة)، وهو الطريق الذي سلكته قافلة أبي سفيان إلى الشام، وفي رجوعها منه. قال ياقوت: المُعْرِقَةُ: بالضم ثم السكون، وكسر الراء، وقاف، وقد روي بالتشديد للراء والتخفيف وهو الوجه، كأنه الطريق الذي يأخذ نحو العراق أو أن يكون يعرق الماء بها: وهي الطريق التي كانت قريش تسلكها إذا أرادت الشام وهي طريق تأخذ



^١ والعشيرة تصغير عُشْرَة واحدة العُشْر، وهو شجر معروف يكثر في الحجاز، وله ثمر في حجم قبضة اليد، بيضاوي الشكل، أو كروي، بداخله سائل يشبه الحليب، وجميع أجزاء نبتة العُشْر سامة بالنسبة للإنسان والحيوان، ولكن لها خواص صيدلانية، وفوائد طبية.

^٢ الجزيري (٨٨٠ - نحو ٩٧٧ هـ = ١٤٧٥ - نحو ١٥٧٠ م) عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري: باحث حنبلي مصري. له "درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة - ط الأعلام الزركلي

^٣ الدرر الفرائد المنظمة، ص ١٤٢١، ج ٢، ط ١، دار اليمامة- الرياض

على ساحل البحر وفيها سلكت عير قريش حتى كانت (سبب) وقعة بدر، وإياها أراد عمر بقوله لسلمان: أين تأخذ إذا صدرت على المعركة أم على المدينة؟^١

ويصف البشاري^٢ العشيرة بقوله: العشيرة صغيرة على الساحل قبل ينبع عندها نخيلات وليس لخاها نظير^٣.

وللعشيرة ذكر كثير في التاريخ الإسلامي، باعتبارها موضعاً لإحدى الغزوات النبوية، التي كان لها ما بعدها، وفيها مسجد نبوي صلى فيه النبي ﷺ نحواً من شهر.

والعشيرة منزل لا يمكن الاستغناء عنه، للحجاج والمسافرين القادمين إلى الحجاز من مصر وشمال أفريقية، والأندلس، وكل تلك الجهات، وإن كانت الشهرة قد أصبحت للاسم العام للجهة، وهي ينبع، وتوارى اسم العشيرة، وخاصة مع بداية القرن الحادي عشر للهجرة، فوجد الرحالة الناصري الدرعي^٤، حينما وصل العشيرة، وصف موقعها، وسماها ينبع، فقال: واستبشر الناس بقدوم الينبع^٥، لأنها أول بلاد الحجاز العامرة.. والقرية التي بها الركب هي آخر القرى التي

^١ معجم البلدان، المعركة

^٢ المقدسي (٣٣٦ - نحو ٣٨٠ هـ = ٩٤٧ - نحو ٩٩٠ م) محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي ويقال له البشاري، شمس الدين، أبو عبد الله: رحالة جغرافي، ولد في القدس. وتعاطى التجارة، فتجشم أسفاراً هيات له المعرفة بغوامض أحوال البلاد، ثم انقطع الى تتبع ذلك، فطاف أكثر بلاد الإسلام، وصنّف كتابه " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - ط " قال المستشرق غلد ميستر (Gildmeister): امتاز المقدسي عن سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة نظره. وقال سبر نغر (Sprenger): لم يتجول سائح في البلاد كما تجول المقدسي، ولم ينتبه أحد أو يحسن ترتيب ما علم به مثله (١). الأعلام للزركلي.

^٣ أحسن التقاسيم، ٨٢/١

^٤ ابن عبد المتّلام (١٢٣٩ - ٠٠٠ هـ = ١٨٢٣ - ٠٠٠ م) محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن محمد الناصري الدرعي: عالم بالحديث، رحالة، من أهل درعة بالمغرب. تعلم ببلده وسافر الى فاس فقرأ على علمائها. ورحل إلى المشرق مرتين. وتوفي في الزاوية الناصرية بدرعة. له (الرحلة الكبرى) و (الرحلة الصغرى) وهي رحلات إلى الحج. الأعلام للزركلي.

^٥ الصحيح ينبع، بدون ال التعريف

من ناحية البحر، وليس بعدها إلا ينبع البحر الذي هو المرسي. وغالب أهل القرى
يأتون إلى هذه القرية التي ينزل بها الحاج للتسوق، وتعمر هناك سوق كبيرة يوجد
بها غالب المحتاج، وتجلب إليها البضائع، والسلع ذوات الأثمان، ويجلب إليها
من الثمار والفواكه والحبوب والفول الشيء الكثير. وهناك وجدنا أخبار سائر بلاد
الحجاز، وتعرفنا رخصها من غلائها، وخصبها من جدبها، ومن هناك تجلب الميرة
للمدينة المشرفة^١.

مسجد العشيرة

تحدث السيد السمهودي عن مسجد العشيرة، فقال: مسجد العشيرة -
معروف ببطن ينبع، وهو مسجد القرية التي ينزلها الحاج المصري بينع، في ورده
وصدره.

روى ابن زباله عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في
مسجد ينبع بعين بولا.

قلت: (القول للسمهودي): والعين اليوم جارية عنده، لكن لا تعرف بهذا
الاسم.

قال المجد: وهذا المسجد اليوم من المساجد المقصودة المشهورة،
والمعابد المشهودة المذكورة^٢

^١ الرحلة الناصرية، ص ٣٤٢

^٢ وفاء الوفا، رسم: مسجد العشيرة





قلت: مسجد العشيّرة مازال مكانه معروفاً، وإن لم يكن عليه بناء، وقد كان معموراً، ومبنيًا بناءً حسناً إلى منتصف القرن الحادي عشر.

٥٥

فقد زاره العياشي عام ١٠٧٢ للهجرة، ووصفه بقوله: وإلى هذا البلد كانت غزوة العشيّرة من غزواته، صلى الله عليه وسلم، ومسجد القرية الآن هو مسجد العشيّرة، المعدود في المساجد التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم، وقد دخلنا هذا المسجد وتوضأنا من هذه العين، وكان نزولنا تحت القرية، وجعلنا خباءنا تحت المزارعة التي على التل المرتفع، وقد تقدم أنها لأبي الحسن (النفاتي). وفي الينبع أيضاً قبر الحسن المثلث، فوق القرية، ولم نصل إليه لبعده، وزرناه من بعيد، وفي

^١ العياشي (١٠٣٧ - ١٠٩٠ هـ = ١٦٢٧ - ١٦٧٩ م)

عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، أبو سالم: فاضل، من أهل فاس. نسبته إلى آية 'عياش (قبيلة من البربر تتأخّر أرضها الصحراء، من أحواز سجلماسة) قام برحلة بؤنها في كتابه "الرحلة العياشية - ط" في مجلدين، سماها "ماء الموائد"

هذا الموطن طائفة من الأشراف، ومنهم شرفاء بلدنا القاطنين في سجلماسة^١.

وقد زار الرحالة المغربي محمد ابن ناصر الدرعي مسجد العشيرة مرتين، وقال عنه: وقد دخلنا هذا المسجد وقلنا فيه حتى صلينا الظهر والعصر وتوضأنا من هذه العين وعليها نخيل ملتفة ناعمة^٢. ووجدناها هذا العام؛ يبس ماء العين وانهدم بعض سقف المسجد وذبلت النخل^٣.

والعشيرة من الإقطاعات النبوية، أقطعها النبي ﷺ علياً بن أبي طالب -رضي الله عنه- فتصدق بها.

جاء عند ابن شبة من حديث عمار (رضي الله عنه): وَقَالَ ابْنُ أَبِي يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي حَدِيثٍ سَأَلَهُ قَالَ: أَقْطَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِذِي الْعُشَيْرَةِ مِنْ يَنْبَعٍ، ثُمَّ أَقْطَعَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَمَا اسْتُخْلِفَ إِلَيْهَا قَطِيعَةً، وَاشْتَرَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَيْهَا قِطْعَةً، وَحَفَرَ بِهَا عَيْنًا، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَفِي الْحَيَاةِ وَالسَّلَامِ وَالْحَرْبِ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَةٌ لَا تُوهَبُ وَلَا تُورَثُ، حَتَّى يَرِثَهَا اللَّهُ الَّذِي يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ^٤.

^١ هم ملوك المغرب الحاليين، وسجلماسة اسمها اليوم تافيلالت

^٢ عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، ج ١، ص ٢٢٥، دار الكتب العلمية- بيروت

^٣ كان هذا في الرحلة الأولى عام ١١٠٩ للهجرة

^٤ هذا في رحلته عام ١١٢١ للهجرة

^٥ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، ص ٣٤٢، دار السويدي للنشر والتوزيع- أبو ظبي

^٦ تاريخ المدينة، ١/٢٢١



ينبع

٥٧

إذا ورد اسم ينبع في المصادر المتقدمة فإن المقصود هو ينبع النخل، ذلك أن ينبع البحر لم ينشأ إلا في القرن السابع الهجري في زمن الأيوبيين^١، وينبع النخل وادٍ عظيم، تتفجر من جنباته العيون، ترفده أودية تنحط من جبال عالية، جالبة معها كميات هائلة من المياه، مما جعل أرض ينبع اسماً على مسمى (أرض الينابيع)، ولما نظر على (كرم الله وجهه) إلى الجبال المحيطة بها استعظمها، وقال: لقد وضعت على نقي من الماء عظيم^٢.

قال عنها البشاري: ينبع كبيرة جلييلة، حصينة الجدار، غزيرة الماء، أعمر من يثرب، وأكثر نخيلاً حسنة الحصن، حارة السوق، لها بابان، الجامع عند

^١ انظر كتاب السلوك للمقرئزي

^٢ ابن شبة، ١٣٧/١

أحدهما، الغالب عليها بنو الحسن ^١.

ونقل ياقوت عمّن وصفها، فقال: وهي قرية من طريق الحاج الشامي، أخذت اسمها من الفعل المضارع لكثرة يبايعها، وقال الشريف بن سلمة بن عياش الينبيعي: عددت بها مائة وسبعين عيناً ^٢.

وقال عنها البكري: وينبع: عن يمين رضوى لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر، وهي قرية كبيرة، وبها عيون عذاب غزيرة. زعم محمد بن عبد المجيد ابن الصَّبَّاح أن بها مئة عين إلا عيناً..

ويسكن ينبع الأنصار وجهينة وليث. ومن حديث محمد بن عمر بن عليّ ابن أبي طالب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى في مسجد ينبع. ومن حديث واقد بن عبد الله الجهنيّ، عن عمه، عن جدّه كشد بن مالك، قال: نزل طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد عليّ بالنّخبار^٣، وهو موضع بين حورة السفلى وبين منحوس، على طريق التّجار إلى الشام، حين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يترقّبان عير قريش، وفيها أبو سفيان، فنزلا على كشد، فأجارهما.

فلما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبع أقطعها لكشد، فقال: يا رسول الله، إنّي كبير، ولكن أقطعها ابن أخي؛ فأقطعها إياها، فابتاعها منه عبد الرحمن ابن أسعد بن زرارة بثلاثين ألفاً، فخرج عبد الرحمن إليها، فاستوبأها ورمد بها، وكرّ

^١ أحسن التقاسيم، ٨٣/١

^٢ معجم البلدان، رسم: ينبع

^٣ في الأصل التجبار، والصحيح ما أثبتناه وهو وادٍ مازال معروفاً.



راجعا؛ فلقية علي بن أبي طالب رضی الله عنه، فقال له: من أين جئت؟ قال:

من ينبع، قد سببتها، فهل لك أن تبتاعها؟ قال علي: قد أخذتها بالثلاثين.

قال: هي لك. فخرج إليها^١

ويقول البلادي عن ينبع: إِذَا ذُكِرَ هَذَا الْإِسْمُ فِي السَّيْرَةِ أَوْ أَيِّ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ الْمُتَقَدِّمِينَ فَلَا يَنْصَرَفُ إِلَّا عَلَى وَادِي يَنْبَعِ النَّخْلِ، وَهُوَ وَادٍ فَحْلٌ كَثِيرُ الْعُيُونِ وَالْقُرَى وَالنَّخِيلِ، الَّتِي أُخِذَ اسْمُهُ مِنْهَا، يَتَعَلَّقُ رَأْسُهُ عِنْدَ بَوَاطِ عَلَى قُرَابَةِ (٧٠) كَيْلًا مِنَ الْمَدِينَةِ غَرْبًا، ثُمَّ يَنْحَدِرُ بَيْنَ سِلْسِلَتَيْنِ مِنَ الْجِبَالِ عَظِيمَتَيْنِ، فَتَكْثُرُ رَوَافِدُهُ مِنْهُمَا، وَهَذَا هُوَ سَرُّ وَفَرَةٌ مِيَاهِهِ وَتَفْجُرُ عُيُونِهِ، وَالسِّلْسِلَتَانِ هُمَا: جَبَلُ الْأَشْعَرِ فِي الْجَنُوبِ، وَيُسَمَّى الْيَوْمَ «الْفِقْرَةَ» تَسِيلُ مِنْهُ أَوْدِيَةٌ عِظَامٌ فِي يَنْبَعِ، مِنْ أَهْمَّهَا «نَخْلِي» وَعَبَائِرُ، وَجِبَالُ رَضْوَى مِنَ الشَّمَالِ، وَمِنْهَا أَوْدِيَةٌ أَيْضًا مِنْ أَهْمَّهَا: ضَأْسٌ وَغَيْرُهُ^٢

حكام ينبع:

في القرن السادس الهجري، قامت للحسنين دولة في ينبع ووادي الصفراء وما حولها، كان من أشهر رجالاتها الشريف قتادة بن إدريس بن مطاعن (٥٢٧- ٦١٧ للهجرة)، وهو من أهل خيف العلقمية، إحدى أشهر خيوف ينبع، الذي سار إلى مكة وانتزع حكمها من الأشراف الهواشم، واستمرت ذريته من بعده في حكم مكة وينبع ومعظم الحجاز، حتى دخول الملك

^١ معجم ما استعجم، رسم: رضوى

^٢ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ١/٣٤٠

عبد العزيز مكة عام ١٣٤٣ للهجرة، وقيام الدولة السعودية.

جبل الزينة



جبل الزينة
24°17'11.0"N
38°19'33.0"E

هذا الجبل يذكره الرحالة الذين يصفون مراحل الطريق المصري إلى ينبع، باعتباره موضعاً قريباً من ينبع، يستقبل عنده أمير ينبع كبراء الحجاج؛ من سلاطين وأمراء، وقادة.

قال عنه البلادي: جبل قرب ينبع شمالاً، كان يستقبل أمير ينبع المحمل المصري عنده، فسُمي بما يتخذ من زينة هناك. ولا شك أن هذا الاسم هو من قبل الحجاج المصريين، وليس هو اسمه الحقيقي^١.

قلت: جبل الزينة: جبل كبير، اسمه (جبل العاقر الشمالي)، شمال منزل الحاج بينبع بنحو (٦) كم.

وأمام هذا الجبل تنصب الزينات، وتتم مراسم الاستقبال في أرض سهلة واسعة قرب وادي ثما، وقد تحدث الجزيري عن هذه المراسم بالتفصيل، فتتظر هناك^٢.

جبل الزينة عند المؤرخين

نورد هنا نصين يوضحان كيفية استقبال أمير ينبع للسلاطين والأمراء،

^١ معجم معالم الحجاز، ج٤، ص١٥١، ط١-دار مكة
^٢ انظر الدرر الفرائد المنظمة، ص١٤١٢، ط١، منشورات دار اليمامة.



الأول: استقبال سلطان مصر المملوكي الأشرف قايتباي^١،

الثاني: استقبال أمير الحج المصري، وبصحبه المحمل.

الأول: ما جاء عن مؤرخ دولة السلطان الأشرف قايتباي، أحمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني المعروف بابن الجيعان^٢، في كتابه (المجموع الظريف في حجة المقام الشريف)، حينما سجل حجة هذا السلطان عام ٨٨٤ للهجرة، فقال: حل الركاب الشريف يوم الأحد سابع عشر^٣ إلى جبل الزينة، وبات به.

ثم في يوم الاثنين المبارك ثامن عشرة، حضر إليه أمراء الحاج، ونائب جدة، وطلبوا وركبوا بين يديه، والمحمل الشريف خلفه، وألبس الشريف سبع أمير الينبوع، وأخاه، والقاضي زين الدين قاسم بن زباله تشاريفهم المجهزة صحبة الحاج على العادة، وركبوا في الخدمة الشريفة إلى أن وصل إلى الينبوع، وكان يوماً مشهوداً عظيماً ليس يخفى أمره لشهرته، فأكل السماط، ثم فرقت الجراية، ورسم

^١ الأشرف قايتباي (٨١٥ - ٩٠١ هـ = ١٤١٢ - ١٤٩٦ م) قايتباي المحمودي الأشرفي ثم الظاهري، أبو النصر سيف الدين: سلطان الديار المصرية، من ملوك الجراكسة. كان من المماليك. اشتراه الأشرف برسباي بمصر، صغيراً، من الخوجه محمود (سنة ٨٣٩ هـ و صار إلى الظاهر جقمق بالشراء، فأعتقه واستخدمه في جيشه، فأنهى أمره إلى أن كان " أتليك " العساكر في عهد الظاهر ترميغا (سنة ٨٧٢ هـ و خلع المماليك ترميغا في السنة نفسها، وبيعوا " قايتباي " بالسلطنة، فنقلب بالملك الأشرف. وكانت مدته حافلة بالعظائم والحروب، وسيرته من أطول السير. واستمر إلى أن توفي بالقاهرة. وذكر أنه كان منقشفاً، له اشتغال بالعلم، وأنه كثير المطالعة، فيه نزعة صوفية، شجاع عارف بأنواع الفروسية، مهيب عاقل حكيم، إذا غضب لم يلبث أن تزول حدته. أبقى كثيراً من آثار العمران في مصر والحجاز والشام ولا يزال بعضها إلى الآن. الأعلام للزركلي.

^٢ ابن الجيعان (٩٣٠ - ١٠٠٠ هـ = ١٥٢٤ - ١٠٠٠ م) أحمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني، أبو البقاء، شهاب الدين ابن الجيعان: نائب كتابة السر بمصر. عاش في نعمة واسعة، وساءت حاله بعد سنة ٩٢٣ هـ فصوردر وسجن مرات، وباع كل ما يملك، ثم شفق بالقاهرة. أورد ابن إياس كثيراً من أخباره، وأوجز النجم الغزي في ترجمته، ولم يذكر له تأليفاً. وقال صاحب هدية (العارفين) إنه صنف كتاباً. منها كتاب باسم (المجموع الظريف في حجة المقام الشريف الملك الأشرف أبي النصر قايتباي وضعه ابن الجيعان في حج الملك الأشرف سنة ٨٨٤) والنسخة بخط ابن الجيعان نفسه (كما أفادنا الأستاذ حمد الجاسر). الأعلام للزركلي (باختصار)

^٣ سابع عشر من ذي القعدة عام ٨٨٤

بتجهيز بعض أثقال صحبة أمير أول، وصحبته نائب جدة إلى بدر، ومعهم جماعة من الغلمان، ليستمر المحمل المجهز ببدر إلى حين عود الركاب الشريف من زيارة المدينة الشريفة النبوية، على الحالِّ بها أفضل الصلاة والسلام انتهى.

الثاني: وصف قطب الدين النهروالي استقبال أمير ينبع لأمير الحج المصري عام ٩٦٥ للهجرة،

فقال: المنزل الثالث والأربعون: جبل الزينة، وهو موضع مشرف على ينبع، وصله قبل الفجر، وخرج إليه على العادة صاحب ينبع، في زينتته وقواده، ومن معه، وهو السيد درّاج بن هجار، فاجتمع بأمر الحاج، وزين المحمل، والعسكر وأوقفوا المحمل، فوضع له سجادة بين يدي جمل المحمل، فصلى عليها ركعتين، ثم تقدم إلى رحل جمل المحمل، ووضع عليه منديل، وطأطأ إليه، كأنه يقبله، وهذا رسم قديم اعتاده أمراء ينبع، ثم ركب فرسه، ولبس خلعتة، هو وولده، وقاضي ينبع، ومشى إلى جانب أمير الحاج أمام المحمل، ودخل ينبع بهذه الصفة

وينبع فعل مضارع ماضيه نَبَعَ، صار علماً على عدة عيون في هذا المكان، وبها خيوفٌ خرب أكثرها، وهي ولاية مستقلة، يوليها صاحب مكة من أراد من أشرف ينبع، وهم الآن ذوي هجار، وكبيرهم الذي ذكرناه آنفاً، السيد درّاج بن هجار بن مُعزّي بن درّاج بن وبيير

وشرفاء ينبع يقال لهم بنو إبراهيم، وهم فخذ من بني حسن ومنهم جد



صاحب مكة، الشريف قتادة بن إدريس بن مطاعن، أخذ مكة من طائفة أخرى من بني حسن يقال لهم الهواشم^١.

قلت: وينبع النخل اليوم، قرى كثيرة عامرة، تتوفر فيها كل الخدمات، وأشهر هذه القرى:

قرية الیسيرة، وسويقة، والعلقمية، وغيرها، ويندرج تحت هذه القرى خيوف (عيون) كثيرة، بعضها عامر، وبعضها داثر.



مبرك الجلبي
24°05'46.1"N
38°49'45.3"E

وادي مبرك

هما مبركان، واديان يتقاسمان الماء من رأس واحدة، هي

ثنية مبرك^٢، مثله في ذلك كمثل وادي ذفران وبواط. ووادي مبرك

الشرقي جلبي، ويفيض في وادي طاشا، والغربي غوري، ويفيض في وادي الخشمة، الذي يفيض بدوره في وادي الفقير (دعان قديماً)، ثم في البحر.

ومبرك مازال معروفاً باسمه إلى اليوم، وهو وادي ضيق محجر وعر، ولكنه أقصر الطرق إلى ينبع، لذلك كان يأخذه خفاف المسافرين بين المدينة، وبعض قرى وبوادي وادي الصفراء إلى ينبع، حتى حل عهد السيارات.

^١ الفوائد السنوية في الرحلة المدنية والرومية-مخطوط
^٢ اسمها اليوم ربيع مبرك



نقبة مبرك
24°05'33.9"N
38°47'05.5"E

السلطان الأشرف قايتباي يسلك نقب مبرك

٦٤

سجل لنا التاريخ أن أعظم سلاطين مصر في عصر دولة

المماليك، السلطان الأشرف قايتباي سلك نقب مبرك، في حجته

عام ٨٨٤ للهجرة، وأنه عندما وصل ينبع أراد التوجه مباشرة إلى المدينة للزيارة، فأخذ على طريق ريع مبرك.

ويصف لنا ابن الجيعان توجه السلطان من ينبع إلى المدينة عبر ريع مبرك، فيقول: ثم ركب ليلة الثلاثاء المبارك تاسع عشره، وتوجه من طريق صعب جداً، يقسر^٢ الواصف عن ذكرها، تسمى عقبة المبرك، وبات في أثناءها يسيراً، ثم ركب

^١ من ذي القعدة

^٢ يقصر. وأبقينا الكلمة كما هي في الأصل

منها ليلة الأربعاء العشرين منه، إلى أن وصل صلاة الصبح إلى الجديدة ونزل بها^٣.

ثم واصل مسيره إلى المدينة على درب الأنبياء.

ميرك في المصادر

قال ياقوت: ميركان: قال كثير:

إليك ابن ليلى تمتطي العيس صحبتي ... ترامى بنا من ميركين المناقل

قال ابن حبيب في تفسيره: ميركان قريب من المدينة، وقال ابن السكيت:

ميركان أراد ميركا ومناخاً وهما نقبان ينحدر أحدهما على ينبع بين مضيق ليلى وفيه طريق المدينة من هناك، ومناخ على قفا الأشعر، والمناقل: المنازل، أحدها منقل^٤.

قلت: قوله ينحدر أحدهما على ينبع بين مضيق ليلى وفيه طريق المدينة من

هناك هذا ميرك الغوري، أما نقب مناخ فهو رأس وادي دمدم الهابط من الفقرة (الأشعر).

ووصفه السمهودي بقوله: وميرك أيضاً: نقب يخرج من ينبع إلى المدينة،

^١ الجديدة هي اليوم الخيف، محطة شهيرة على الجادة، تقع عند ملتقى وادي طاشا مع وادي الصفراء.
^٢ قال الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله: "الميرك: ثنية معروفة قديماً، منها ينزل إلى وادي الحمراء، فوادي الصفراء، وتعرف الآن بنقب علي.

قلت: هذا وهم منه رحمه الله، نقب علي هو ثنية ذفران، التي سلكها النبي ﷺ في مسيره إلى بدر، وثنية ميرك شمالها، ولا صلة بينهما.

^٣ المجموع الظريف في حجة المقام الشريف، لابن الجيعان

^٤ معجم البلدان، رسم: ميركان

عرضه نحو أربعة أميال أو خمسة، تنسب إليه ثنية مبرك، وهو معروف اليوم، وإياه
عنى كثيرٌ بقوله:

فقد جعلت أشجان برك يمينها وذات الشمال من مريخة أشأما

قال المجد: الأشجان المسایل، وبرك هاهنا: نقب يخرج إلى المدينة، وذكر
ما تقدم، قال: وكان يسمى مبركاً، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت: قول السهمودي عرضه نحو أربعة أميال أو خمسة ، الظاهر أن
الضمير يعود على وادي مبرك، وليس النقب، لأن نقب مبرك ضيق جداً، لا يتجاوز
عرضه بضعة أمتار، أما مفيض وادي مبرك، بعد أن يخرج من الجبال إلى الساحل
فهو واسع، وذو مسایل، ويمكن أن تنطبق عليه هذه الصفة.

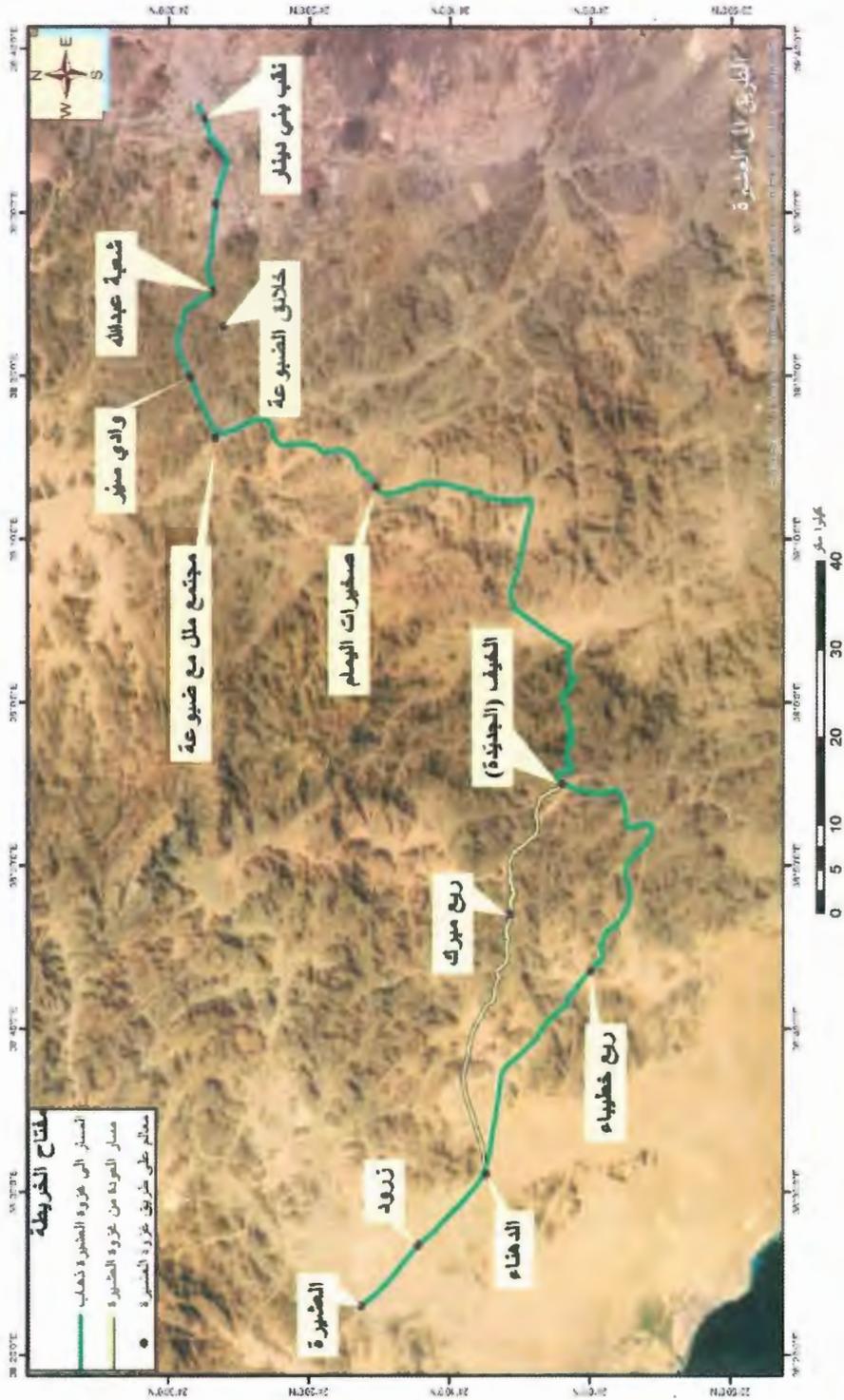
وصف الطريق النبوي إلى العشيرة

خرج النبي ﷺ وصحابته الكرام، من المدينة، فسلك على السقيا، ثم على
نقب بني دينار، ومنه هبط العقيق، فأخذ على طريق البطحاء (بطحاء ابن أزهر)،
وسار فيها مسافة حوالي (٩) كم، ثم نزل فصلى وتناول طعامه، واستقي له من
المشرب، ثم رحل فاجتاز فيفاء الخبار، وكان طريقه المنطقي أن يأخذ على ربيع
الطين (ثنية المحدث قديماً)، فتركها يساراً؛ في مزيد من التعمية على وجهته
الحقيقية، وأخذ في شعب وريع الرتع (شعبة عبد الله قديماً)، وهبط منه على وادي



^١ في رواية ابن إسحاق تقديم وتأخير بخصوص بطحاء ابن أزهر وفيفاء الخبار؛ فالمسار الصحيح هو بطحاء ابن
أزهر أولاً ثم فيفاء الخبار، وهذا هو الذي يتفق مع الواقع على الأرض، وهي رواية الواقدي، ولكنه جعلها في
المسير إلى بدر، والصحيح ما جاء عن ابن إسحاق أنها كانت في المسير إلى العشيرة.

سِير، وسار فيه حتى هبط وادي ملل، ونزل عند التقائه مع وادي الضبوعة، ومنه استأنف المسير صعوداً في وادي ملل حتى خرج على وادي بين، وفرش ملل، ثم في وادي غميس الحمام، حتى نزل صخورات اليمام.





ربيع خطيباء
24°59'32.6"N
38°43'59.1"E

وصف الطريق من صخوريات اليمام إلى العشيرة

قال ابن إسحاق: إن الطريق اعتدل به من صخوريات اليمام

إلى أن وصل العشيرة.

وطريق العشيرة المعتدل: هو طريق ينبع المعهود منذ ذلك العصر، وحتى قدوم عصر السيارات، هذا يعني أن النبي ﷺ وصحبه الكرام، قاموا من منزلهم عند صخوريات اليمام، وسلكوا نفس الطريق الذي وصفه ابن إسحاق في مسيرهم إلى بدر^١ حتى هبطوا وادي ذفران الغوري، ومن هناك أخذوا ذات اليمين إلى ينبع، فأخذوا في وادي الشبيرم الجنوبي^٢، ثم في وادي الشبيرم الشمالي بين جبلي الفاقع وخطيباء، وهي أودية وشعاب ضيقة كثيرة التعرجات، حتى هبطوا من خطباء واسط^٣، على وادي واسط الواسع الأفيح، ومنه أسندوا في ربيع محلّة، ثم في وادي القنع، جاعلين بَرْق الكرشافة ووادي مبارك على أيماهم وجبل أم رقيبة (مريخة قديماً) على أيسارهم^٤، واجتازوا الدهناء ورمل زرود^٥، ثم جزعوا وادي ينبع حتى

^١ ينظر المسير إلى بدر، عند الكلام على غزوة بدر.



ربيع خطيباء
24°59'32.6"N
38°43'59.1"E

^٢ تسمى اليوم ربيع خطيباء

^٣ يقول كثير عزة: وقد جعلت أشجان برك يمينها ... وذات الشمال من مريخة أشاما

^٤ منزل برد كثيرا في كتب الرحالة المغاربة والمصريين.

^٥ هذه رمال تسمى زرود، وهو اسم قديم، متداول بين أهل تلك الديار، لكنها ليست في قديم وشهرة زرود التي على الطريق العراقي، وقد وردت في بعض المدائح النبوية.

نزلوا العشيرة.

وصف طريق العودة من العشيرة



خرج النبي ﷺ، وصحبه الكرام من العشيرة، متوجهين إلى المدينة على طريق كان وما يزال يعرف بطريق (ثنية مَبْرُك).

وعلى من يسلك هذا الطريق من العشيرة (ينبع النخل)، فعليه أن يجتاز رمل زرود، ثم يهبط من الدهناء على وادي الخشمة، ثم يُسند مباشرة في وادي مبرك، وهو وادٍ واسع في أوله، ثم يضيق بعد ذلك، لكن فيه ملازم للماء، وتدل كثرة الآبار والأشجار الموجودة فيه اليوم على روائه.



نقطة
24°13'16.0"N
38°20'33.0"E

المدينة
24°07'33.0"N
38°51'34.0"E

وطول وادي مبرك الغوري حوالي ٣٠ كيلاً، بعدها يبدأ الصعود في الثانية، ومن يراها اليوم؛ وقد سهلت بالآليات الحديثة، يعرف كيف كانت صعبة جداً في تلك الأزمنة.

بعد صعود الثانية يوجد أرض متسعة نسبياً، مناسبة للنزول والاستراحة، والاستعداد للنزول مع وادي مبرك الجلسي، ويرجع أنه ﷺ صلى في هذا المتسع واستراح فيه، وعُلم مكان صلاته بأحجار، فصار يعرف بمسجد ثنية مبرك.

بعد الاستراحة انحدروا في وادي مبرك الجلسي وهو أقل وعورة من توأمه (مبرك الغوري)، إلى أن هبطوا وادي طاشا، أحد الروافد المهمة لوادي الصفراء.

عند الهبوط في وادي طاشا، حذروا الوادي حتى التقائه مع وادي الصفراء (المضيق) عند الجديدة (خيف عين العلاء)، وتعرف اليوم بالخيف بدون إضافة، ومن هناك أخذوا الجادة العظمية إلى المدينة.

هل أخذ النبي ﷺ طريق مبرك في الذهاب أم في الإياب؟

لم يرد في المصادر التي بين أيدينا إجابة هذا السؤال بشكل مباشر، ولكن يمكن استنتاج ذلك من قول ابن إسحاق .. حَتَّى لَقِيَ الطَّرِيقَ بِصُخَيْرَاتِ الِیْمَامِ، ثُمَّ اعْتَدَلَ بِهِ الطَّرِيقُ، حَتَّى نَزَلَ الْعُشَيْرَةَ مِنْ بَطْنِ يَنْبَعِ، والطريق المعتدلة هي



الطريق المعهودة من المدينة إلى ينبع، وهي التي قدمنا وصفها آنفًا، هذا يعني أنه ﷺ لم يأخذ طريق مبرك في الذهاب إلى العشيرة، بل إن نص ابن زبالة يشير بوضوح إلى أنه ﷺ أخذ طريق مبرك في الإياب، حيث قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى مطلعاً من ثنية مبرك، والطلوع من ثنية مبرك يكون للقادم من الجهة الغربية، لأن الصعود للثنية يكون من جهة الغرب، مثلها كمثلي ثنية الغائر وركوبة، والكر، وغيرها من الثنايا في جبال الحجاز. والله أعلم.



الفصل الثاني

غزوة بدر الكبرى

سبب الغزوة

تقدم معنا في غزوة العشيرة الأسباب الرئيسة التي حملت المسلمين على شنّ حرب اقتصادية على قريش. ومن أهم وسائل تلك الحرب قطع طرق الامداد بينهم وبين جهة التموين الرئيسية لهم وهي الشام.

فعندما علم المسلمون بتوجه القافلة التجارية لقريش إلى الشام قاموا بمحاولة أولى لاعتراضها عند عشيرة ينبع.

ومن أحداث غزوة العشيرة علمنا أن المسلمين لم يلحقوا بالغير، لكن في رجوعها من الشام لابد لها أن تعود من نفس الطريق المار بالعشيرة وبدر. فتحيّن المسلمون عودتها ليأخذوها حينما ترد بدرأ.

وبتدبير إلهي فلتت العير مرة أخرى. **وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا** ١.

تاريخ الغزوة

كان من دأب قريش أن تقوم برحلتين، إحداهما إلى الشام، في فصل الشتاء، والأخرى إلى اليمن في فصل الصيف، وهما الرحلتان اللتان ذكرهما الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: "لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ (١) إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)".

١ الأنفال: ٤٢

٢ تقول المصادر إن رحلة الشتاء إلى اليمن، والصيف إلى الشام (المنمق في أخبار قريش لابن حبيب)، ولكن تاريخ غزوة ذي العشيرة، وغزوة بدر يظهران خطأ هذا القول، فقد كانت الأولى في بداية فصل الشتاء (نوفمبر)، والثانية في نهاية الفصل (مارس)، وهما متزامتان مع خروج عير قريش من مكة، ورجوعها من الشام.

ويقول الإخباريون إن هاشم بن عبد مناف (الجد الثاني للنبي ﷺ)، هو من سنّ هاتين الرحلتين، وكان طريقهم إلى الشام يأخذ مسارين؛ طريق الأنبياء، وكان يمر بالمدينة، ثم الحجر (العلا)، فالى تبوك، وصولاً إلى الشام.

والآخر، الطريق الساحلي، وكان يأخذ على بدر، ثم ينبع (النخل)، ثم الحوراء (أملج)، ثم يسير في الساحل حتى الوصول إلى أيلة، ومنها إلى غزة (فلسطين)، وهذا الطريق هو الذي سلكته عير قريش، التي حاول المسلمون اعتراضها، في ذهابها (في غزوة ذي العشيرة)، وإيابها (في غزوة بدر).

وفي رمضان، من السنة الثانية للهجرة، جاءت الأخبار للنبي ﷺ أن قافلة قريش تتجهز للعودة- والقوافل التجارية لها نظام معروف في السير، وفي النزول، والنبي ﷺ يعرف ذلك جيداً، فقد مارس التجارة في شبابه كما هو معروف- فأرسل فرقتين استطلاعتين:

الأولى: مكونة من طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (رضي الله عنهما) إلى النخبار (وادٍ قرب الحوراء ستمر به القافلة). والثانية: مكونة من فرد واحد، هو بسبس بن عمرو الجهني، حليف بني النجار، فلم يلبث أن جاءه بسبس بأخبار موكدة مهمة، وصفها لنا أنس بن مالك (رضي الله عنه)، قال: "بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَشْتَى بَعْضُ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

¹ سَمَّاهَا الْيَهُودُ الصَّهَابِيَّةُ (إيلات)

وَسَلَّمَ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيُرْكَبْ مَعَنَا»، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظَهْرَانِهِمْ فِي عُلُوِّ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا»^١

خروج النبي ﷺ إلى بدر

"خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى نَقْبِ بَنِي دِينَارٍ، ثُمَّ نَزَلَ بِالْبُقْعِ، وَهِيَ بِيُوثُ السَّقِيَا - الْبُقْعُ نَقْبُ بَنِي دِينَارٍ بِالْمَدِينَةِ - يَوْمَ الْأَحَدِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ. فَضْرَبَ عَسْكَرُهُ هُنَاكَ وَعَرَضَ الْمُقَاتِلَةَ"^٢

هذا النص من الواقدي يحتاج إلى وقفة، لتحديد المواضع، والنظر في تاريخ الخروج الوارد فيه.

تحديد المواضع

نقب بني دينار



نقب بني دينار
24°27'28.3"N
39°35'47.6"E

بنو دينار من بني النجار- ويسمى هذا النقب أيضاً "نقب المدينة"^٣، وهو طريق العقيق بالحرّة الغربية، وبه السقيا^٢.

وَالنَّقْبُ فِي اللُّغَةِ: الطَّرِيقُ الضَّيِّقُ فِي الْجَبَلِ. ونقب بني دينار طريق ضيق في

^١ صحيح مسلم (باب ثبوت الجنة للشهيد)

^٢ المغازي للواقدي، غزوة بدر القتال.

^٣ وفاء الوفا (١٥٧/٤).

بداية الحرة الغربية، إذا تجاوزت نهاية النقاء، يصعد فيه السالك إلى العقيق، وهو الطريق الرئيس للخارج من المدينة إلى النواحي الغربية منها، ومكان هذا النقب اليوم في الشارع النافذ من شمال سور سكة الحديد إلى دوار عروة^٢.

البقع

البقع شرح معناه الواقدي؛ بأنه هو نقب بني دينار، أي هو الموضع الذي ينتهي بالنقب، وهو الفضاء الذي عرض فيه النبي ﷺ الخارجين معه إلى بدر، ومكانه اليوم، الأرض المقام عليها مباني محطة سكة حديد الحجاز.

بيوت السقيا



بئر السقيا
24° 27' 40.2" N
39° 36' 05.0" E

محلة فيها بئر بهذا الاسم، بجانب البقع، واسم أرضها الفلجان، شرب منها النبي ﷺ في خروجه إلى بدر، وكان يستعذب الشرب منها^٣.

تاريخ الخروج

في السنة الثانية للهجرة، دخل شهر رمضان فلكياً يوم الأحد، وكان شهر

^١ موضع محطة سكة حديد الحجاز اليوم (الإستصيون)

^٢ اسم الشارع الهرماس بن زياد الباهلي

^٣ وفاء الوفا (١٤١/٣)، وموضع البئر كان معروفاً إلى عهد قريب، إلى أن ردمت، وعُيِدَ فوقها الطريق بعد توسعته.

^٤ التوقيعات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالمسنين الإفرنجية والقبطية (اللواء محمد مختار باشا).

محمد مختار باشا (١٢٦٢ - ١٣١٥ هـ = ١٨٤٦ - ١٨٩٧ م)

محمد مختار باشا المصري: عالم من نوابغ الجيش بمصر. ولد وتلقى الفنون العسكرية بالقاهرة، وقام برحلات كشفية في بلاد الصومال والجهات الشرقية من السودان. وارتقى في مناصب الجهادية (وزارة الحربية)، ونشر

شعبان تسعاً وعشرين يوماً، لذلك سيكون يوم الأحد، إما الثامن، أو الخامس عشر، أو الثاني والعشرون، ولكن موقعة بدر ستقع يوم الجمعة (حسب رأي الجمهور)، بعد الخروج بخمسة أيام، فبهذا الحساب، ستكون إما الثالث عشر، أو العشرون، أو السابع والعشرون.

وهذه التواريخ الثلاثة لم يقل أحد من المؤرخين، أو المحدثين، أو أصحاب السير أن موقعة بدر وقعت فيها.

لكن إذا اعتبرنا شهر شعبان ثلاثين يوماً، تكون بداية رمضان يوم الإثنين، وتكون أيام الجُمع فيه، ٥، ١٢، ١٩، ٢٦.

هذا التحليل يوصلنا إلى النتائج التالية:

- يوم الجمعة في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، لا يمكن أن يوافق السابع عشر منه.

- يوم الجمعة يمكن أن يوافق التاسع عشر من رمضان، إذا أُكْمِل شهر شعبان ثلاثين يوماً، وهذا وارد جداً، ويحصل كثيراً.

- لم يرد في المصادر أن يوم بدر كان في ٥ أو ١٢ أو ٢٦ من رمضان. لكن جاء في بعضها أنه كان يوم الجمعة التاسع عشر منه.

- السابع عشر من رمضان يوافق، إما يوم الثلاثاء، أو الأربعاء، ولم يقل

أحد- فيما أعلم- إن يوم بدر كان في أحد هذين اليومين.

نخلص من هذه النتيجة إلى أن أصح الأقوال في تاريخ موقعة بدر، هو يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان.

ويعزز هذا القول، الحديث الصحيح، الذي رواه الحاكم في المستدرک، قال: " حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى، وَأَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ يَعْقُوبَ الْحَافِظُ، قَالَا: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ، ثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، ثنا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، قَالَ: «تَحَرَّوْهَا لِأَحَدَى عَشْرَةَ يَبْقَيْنَ، صَبِيحَتُهَا يَوْمُ بَدْرٍ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ^١

عدد من خرج إلى بدر

وكان عدد من خرج مع النبي ﷺ ثلاثمائة وثمانية، يضاف لهم خمسة، وقيل ستة^٢، ضرب لهم النبي ﷺ بسهامهم وأجورهم.

وَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمَامَهُ عَيْنِينَ لَهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَأْتِيَانَهُ بِخَبَرِ عَدُوِّهِمَا: بِسَبْسِ بْنِ عَمْرٍو. وَعَدِي بْنِ أَبِي الزُّبَيْعَاءِ. وَهُمَا مِنْ جَهينة حليفان للأَنْصَارِ^٣.

^١ [التعليق - من تلخيص الذهبي] - على شرط البخاري ومسلم.

^٢ المختلف فيه هو سعد بن عباد (رضي الله عنه)، تجهز للخروج فنهش، فضرب له النبي ﷺ بسهمه، وأجره (الواقدي)

^٣ المغازي، الطبقات الكبرى (٩/٢)

منازل ومعالم الطريق إلى بدر

سنعتمد كتاب المغازي للواقدي، في يوم الخروج، وترتيب المنازل، مع الأخذ في الاعتبار التقويم الصحيح؛ من أن يوم الأحد يوافق الرابع عشر من رمضان.

وسنعتمد في ذكر المعالم على كتاب المغازي، وعلى سيرة ابن إسحاق، بتهديب ابن هشام.

اليوم الأول

خرج النبي ﷺ يوم الأحد رابع عشر رمضان^١، من الستة الثانية للهجرة " من بُيُوتِ السَّقِيَا حَتَّى سَلَكَ بَطْنَ الْعَقِيقِ، ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقَ الْمُكَيْمِينَ^٢ حَتَّى خَرَجَ عَلَى بَطْحَاءِ بْنِ أَزْهَرَ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ هُنَاكَ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى حِجَارٍ فَبَنَى تَحْتَهَا مَسْجِدًا، فَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ. وَأَصْبَحَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فَهُوَ هُنَاكَ..."^٣

قال ابن إسحاق: " فَسَلَكَ طَرِيقَهُ مِنْ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، عَلَى نَقَبِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ عَلَى الْعَقِيقِ، ثُمَّ عَلَى ذِي الْحَلِيفَةِ"^٤.

^١ سوف نقتصر على ذكر معالم الغزوة الواردة في السيرة النبوية، أما بقية معالم الطريق الأخرى فنتركها إلى مواضعها عند الكلام عن "الطرق بين الحرمين"

^٢ يوم الأحد يوافق ١٤ رمضان، وليس ١٢ منه، حسب الشرح السابق.

^٣ في الأصل "المكتمن"، تصحيف، والصحيح ما أثبتناه.

^٤ المغازي (٢٧/١). الراجح أن هذا كان في غزوة العشرة.

° السيرة النبوية (٦١٣/١)



معالم اليوم الأول (يوم الأحد ١٤ رمضان)

عند الواقدي: بطن العقيق، طريق المكيمن، بطحاء ابن أزر

عند ابن إسحاق: نقب المدينة، العقيق، ذو الحليفة

العقيق

وادي العقيق المبارك. والطريق الأعظم (طريق الأنبياء) بجزعه عند بئر

عروة، وقصره.

طريق المكيمن

المكيمن

قال السمهودي مكيمن: تصغير مكمن، ويقال: مكيمن الجماء، وهو الجبل المتصل بجماء تضارع بطن العقيق^١.

بطحاء ابن أزهري

أرض واسعة دمثة، تدفع فيها شعاب طرف جبل عظم الشمالي، وما دبر من الصاصلين، وبعض شعاب جبال الضبوعة، وتتجه كلها شرقاً، ثم تتحد في وادٍ واحد، يدخل بين الجبلين (جبل المكيمن، والأسناف)، ثم يدفع في العقيق^٢.
ويسمى هذا السهل الواسع اليوم (الدعيثة).

والطريق عندما يخرج من بطن العقيق، ينشعب إلى شعبتين؛ اليمنى هي طريق البطحاء (بطحاء ابن أزهري)، واليسرى طريق الشجرة (ذو الحليفة)، والطريقان يجتمعان في البيداء للسالك على الجادة العظمى.

فعند الواقدي أنه سلك الشعبة اليمنى (وهي التي عليها الطريق المعبد اليوم)، وعند ابن إسحاق أنه سلك الشعبة اليسرى إلى ذي الحليفة (مقات أهل المدينة).

^١ وفاء الوفا (١٤٩/٤)

^٢ انظرها في غزوة العشيرة.

^٣ انظر (التعليقات والنوادر للهجري) ص ١٤٦٩

قلت: الظاهر أن قول ابن إسحاق هو الصواب، من أن النبي ﷺ سلك العقيق

ثم الشجرة (ذو الحليفة)، يؤيده حديث عائشة-رضي الله عنها، قالت: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذَكِّرُ مِنْهُ جُرْأَةً وَنَجْدَةً، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جِئْتُ لِأَتَبِعَكَ، وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: «فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَانْطَلِقْ»^١.

الأمر الآخر: إن طريق المكيمن الذي ذكره الواقدي، والأحداث التي حصلت فيه، يتطابق في كل التفاصيل الواردة فيه مع الطريق إلى غزوة العشيرة عند ابن إسحاق وقد تقدم معنا ذلك عند الكلام عن غزوة العشيرة. والواقدي لم يصف الطريق إليها، فلعله-رحمه الله، وهم فبدلاً من أن يصف طريق بدر وصف طريق العشيرة. والله أعلم.

المنزل الثاني (يوم الإثنين ١٥ رمضان)

قال الواقدي وَأَصْبَحَ بِيْطْنِ مَلَلٍ، وَتُرْبَانَ بَيْنَ الْحَفِيرَةِ وَمَلَلٍ^١.

وقال ابن إسحاق ، ثُمَّ عَلَى أَوْلَاتِ الْجَيْشِ . ثُمَّ مَرَّ عَلَى تَرْبَانَ ، ثُمَّ عَلَى مَلَلٍ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : ذَاتِ الْجَيْشِ .



معالم اليوم الثاني:

ذات الجيش، الحفيرة، تربان، ملل

^١ المقصود، أن تربان بين الحفيرة، وملل.

ذات الجيش :



ذات الجيش
24°21'39.0"N
39°26'32.0"E

شعبة على يمين الخارج إلى مكة بحذاء الحفيرة^١.

قلت: وذات الجيش يسير فيها الطريق بين البيداء، وثنية

الحفيرة.

ثنية الحفيرة:



ثنية الحفيرة
24°21'10.6"N
39°25'29.8"E

يطلق عليها اليوم (ريع المفرحات)، ويصعد بها الطريق بعد

أن يجزع شعيب سمهان.

تربان :



وادي تربان
24°21'12.0"N
39°25'13.0"E

هو واد بين ذات الجيش وملل والسّيالة على المحجّة

نفسها، فيه مياه كثيرة مريّة، نزلها رسول الله، صلى الله عليه وسلم،

في غزوة بدر^٢.

قلت: وما زال وادي تربان محتفظًا باسمه إلى اليوم.

^١ الهجري، التعليقات والنوادر ص ١٤٦٩، ولمزيد من التفاصيل حول ذات الجيش، انظر كتاب "أحساء المدينة" للمؤلف

^٢ معجم البلدان (٢٠/٢)



ملل:



وادي ملل
24°19'13.0"N
39°18'57.0"E

قال ياقوت: واد ينحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصب
في الفرش فرش سويقة وهو مبتدأ ملك بني الحسن بن علي بن أبي
طالب وبني جعفر بن أبي طالب ثم ينحدر من الفرش حتى يصب
في إضم^١

قلت: قوله حتى يصب في الفرش فرش سويقة ، غير دقيق، فملل بعيد عن
سويقة، والصحيح أن فرش ملل، أرض فيحاء، غربي ملل، تصب شعابها فيه.

^١ معجم البلدان (١٩٤/٥)

المنزل الثالث (يوم الثلاثاء ١٦ رمضان)

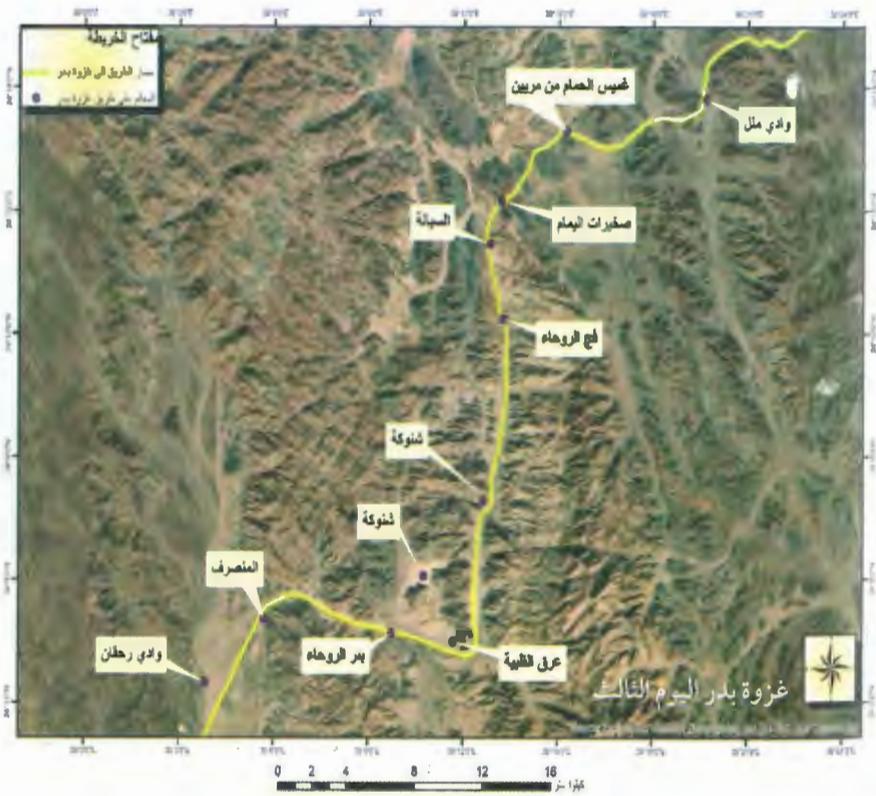
قال الواقدي وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ صَبِيحَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ (سِتَّ عَشْرَةَ)

مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ بِعِرْقِ الظُّبَيْيَةِ^١

قال ابن إسحاق ثُمَّ عَلَى مَلَلٍ، ثُمَّ غَمِيمِسِ الْحَمَامِ مِنْ مَرَّيْنِ، ثُمَّ عَلَى

صُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ، ثُمَّ عَلَى السِّيَالَةِ، ثُمَّ عَلَى فَجِّ الرَّوْحَاءِ، ثُمَّ عَلَى سَنُوكَةَ، وَهِيَ

الطَّرِيقُ الْمُعْتَدَلَةُ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِعِرْقِ الظُّبَيْيَةِ^٢



^١ مرجع سابق

^٢ مرجع سابق

معالم اليوم الثالث:

مرين، غميس الحمام، صخيرات اليمام، السيالة، فج الروحاء، شنوكة،
عرق الظبية.

كل هذه المعالم مازال معروفة باسمها، ماعدا السيالة.



مرّين:



قال الهجري: قال أبو الحسن: عبود جبل بين مدفع مرّين
وبين ملل ومرّين طريق، أي يسلك هناك وبريد مرّين بطرف

مرّين
24°16'57.9"N
39°15'11.3"E

عبود^١.

وقال ياقوت أن النبي، صلى الله عليه وسلم، مرّ على تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام من مرّيين ثم على صخيرات اليمام، فهو ههنا مضاف إلى مرّ^٢.

قلت: بين مضافة إلى مرّ (وليس مرّ). فاللفظ مكون من مضاف ومضاف إليه.

وتفصيل ذلك: يخرج من الفريش واديان، كل منهما يدعى مرّ، يتجهان نحو فرش ملل؛ الشرقي منهما يصب في ملل شرقي طرف جبل عبود، وفي مرّ هذا يقول ابن مقبل الليثي:

قد ظهرت عين الأمير مظهرًا ... بسفح عبود أتته من مرّا^٣

ومرّ الآخر يتجه غربًا، حتى يدفع في وادي بين ، عند مفيض (غميس الحمام) فيه. لذلك سُمي مرّ الغربي هذا، (مريين)، تمييزاً له عن مرّ الآخر الشرقي.

^١ التعليقات والنوادر، ص ١٥٩٣

^٢ معجم البلدان (٤٥٤/٥)

^٣ الأمير المعني هو الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب أمير المدينة في زمن الخليفة المنصور، والعين باقي أثرها إلى اليوم.

غميس الحمام:



غميس الحمام
24°16'54.11"N
39°15'04.9"E

قال البلادي: "وَهُوَ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْمَدِينَةِ مَا زَالَ بِهَذَا
الِاسْمِ، يَأْخُذُ مِنَ التَّلَالِ الْوَاقِعَةِ غَرْبَ بَلَدَةِ الْفُرَيْشِ، ثُمَّ يَتَّجِهُ شَرْقًا
بِشَمَالٍ، حَتَّى يَجْتَمَعَ بِوَادِي الْفُرَيْشِ فِي «مَرِيَيْنِ»، فِي رَأْسِهِ أَثَارُ
مَحَطَّةِ «السِّيَالَةِ»^١

قلت: غميس الحمام يأخذ مياه الشرفة (شرف السيالة)، وشعاب وجه جبل
الدرعا، ويفيض فيه شعيب السيالة.

وغميس الحمام، ومريين، إذا اجتمعا كونا رأس وادي (بين)، الذي يجري
في فرش ملل، حتى يفيض في وادي ملل، بين ضاحك، وضويحك (هما اليوم:
الخضراء، وحمراء ضبيعة).

ووصف ابن إسحاق للطريق دقيق جداً، فالجادة العظمى (طريق الأنبياء،
وهو الذي سلكه النبي ﷺ إلى بدر) تطأ ملتقى وادي مريين، وغميس الحمام، ثم
يسند في غميس الحمام إلى صخورات اليمام، ثم السيالة..

^١ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (٢٢٨/١)



صخيرات اليمام

صخيرات اليمام :



صخيرات اليمام
24°14'57.3"N
39°13'17.2"E

قال البلادي صُخَيْرَاتُ الْيَمَامَةِ: كَانَتْ مَحَطَّةً عَلَى طَرِيقِ
مَكَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ، عَلَى قُرَابَةِ (٥٠) كَيْلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَقَبْلَ السِّيَالَةِ
بِثَلَاثَةِ أَكْيَالٍ فَقَطْ، وَهِيَ الْيَوْمَ صُخُورٌ سُودٌ مَنَاصِبُ فِي قَفْرِ لَا
سَاكِنَ لَهُ^١.

قلت: صخيرات اليمام، تسمى اليوم الصخيرات بدون إضافة، ويمر
عليها الطريق السريع إلى ينبع، وحولها نزلة، وسكان، وجامع كبير، ولم تعد في
قفر لا ساكن فيه.

^١ المعالم الجغرافية في المسيرة النبوية (١٢٣/١)
^٢ لعل من المناسب تسمية الجامع باسم الصخيرات



السيالة
24°14'21.9"N
39°12'49.0"E

قال ياقوت أرض يطؤها طريق الحاج، قيل: هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة، قال ابن الكلبي: مرّ تبع بها بعد رجوعه من قتال أهل المدينة وواديها يسيل فسمّاها السيالة^١.

وفي وفاء الوفا مخففة كسحابة، سبقت في مسجد شرف الروحاء. قال ابن السكيت: مرّ تبع بالسيالة بعد رجوعه من المدينة، وبها وادي يسيل، فسمّاها السيالة^٢، وآخر السيالة شرف الروحاء، وهي على ثلاثين ميلاً من المدينة^٣.

وحدها البلادي، فقال: بِفَتْحِ السَّيْنِ، وَمُثَنَّةٍ تَحْتَ مُخَفَّفَةٍ وَأَلْفٍ ثُمَّ لَامٍ، وَآخِرُهُ هَاءٌ. وَهِيَ مَحَطَّةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ اتَّخَذَهَا الْحَاجُّ مَحَطَّةً، فَظَلَّتْ عَامِرَةً حَتَّى قُضِيَ عَلَى قَوَافِلِ الْجَمَالِ، وَقَدْ غُيِّرَ اسْمُهَا فَسُمِّيَتْ «بِتَارُ الصَّفَا» لِأَنَّ آبَارَهَا مَنْحُورَةٌ فِي صَخْرٍ، وَقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْهَا «بِتْرُ مَرْزُوقٍ» وَمَا زَالَتْ آثَارُ مَبَانِيهَا مَائِلَةً، وَأَبَارُهَا يُورَدُ بَعْضُهَا. تَبْعُدُ السِّيَالَةُ (٤٧) كَيْلًا عَنِ الْمَدِينَةِ^٤.

أقول: محطة السيالة مازالت آثارها بادية إلى اليوم، ويسمى الجزء الأخير منها (الشرفة)، وهو ما كان يطلق عليه (شرف السيالة).

وقد قامت هيئة السياحة بتسوير الموقع، للمحافظة على ما تبقى من آثاره،

^١ معجم البلدان، رسم: السيالة

^٢ وضع الشيخ حمد الجاسر أن هذه التعليقات المنسوبة إلى تبع باطله. (المغامم المطبوعة: هامش صفحة ٢٥١).

^٣ رسم: السيالة.

^٤ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (١٦٤/١)

ومنع التعدي عليها.



فج الروحاء
24°12'24.8"N
39°13'15.9"E

فج الروحاء:

والفج: الطريق الواسع بين الجبلين. وجمعه فجاج، وفج الروحاء هي الجادة عندما تهبط من شرف الروحاء، وتسير بين جبلين؛ على اليمين جبال شنوكة، وعلى اليسار جبل عار (من متون ورقان).

شنوكة:

عند ياقوت جبل وهو علم مرتجل¹.

وفي موضع آخر، قال: وقيل: شنوكتان شعبتان تدفعان في الروحاء بين مكة والمدينة

ونقل السمهودي عن الأسدي: شنوكة: بالفتح، ثم الضم ثم السكون وفتح الكاف بعدها؛ جبل بعد شرف الروحاء بقليل، يقابل الشعب المعروف بشعب علي، وهو شعب شنوكة على ثلاثة أميال من مسجد شرف الروحاء، قاله الأسدي .

يضاف إلى هذه الأقوال، قول ابن إسحاق وهي الطريق المعتدلة ، نستنج من كل ذلك، أن شنوكة تطلق على الجبال الواقعة على يمين المتجه إلى بطن الروحاء، وعلى الشعب المعروف اليوم بشعب (الرحبة)، الذي يفيض في وادي

¹ مرجع سابق

السدارة، وعلى الشعب الذي ما يزال اسمه شنوكة، ويفيض في الروحاء، كما تطلق شنوكة على الوادي المعروف اليوم باسم (السدارة)، أو (وادي بني سالم)، وهو ما عبّر عنه ابن إسحاق بقوله وهي الطريق المعتدلة .

إذا؛ شنوكة اسمٌ لجبل، وشعب، ووادي، وهذه المعالم الثلاثة، هي التي يشتمل عليها فج الروحاء.

عرق الظبية:



عرق الظبية
24°04'19.7"N
39°11'50.9"E

قال ياقوت: بالضم ثم السكون، وياء مثناة من تحت خفيفة، وما أراه إلا علما مرتجلا لا أعرف له معنى، هكذا ضبطه أهل الإتيان، وهو عرق الظبية، قال الواقدي: هو من الروحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة^١.

وقال البلادي: عَرُقُ الظَّبِيَّةِ يَتَرَدَّدُ كَثِيرًا فِي السَّيْرَةِ، وَلِأَهْلِ البُلْدَانِيَّاتِ خَوْضٌ فِي صَبْطِ «الظَّبِيَّةِ»، غَيْرَ أَنَّ هَذَا الصَّبْطُ «الظَّبِيَّةُ» هُوَ الْأَصْحُ، وَهُوَ الْمَنْطُوقُ إِلَى الْيَوْمِ وَيُسَمِّيهِ أَهْلُ الدِّيَارِ الْيَوْمَ «طَرَفَ ظَبِيَّةٍ» وَالطَّرْفُ وَالْعِرْقُ وَالنَّعْفُ: وَاحِدٌ. وَهُوَ نَعْفٌ أَشْهَبُ يَكْنَعُ فِي وَادِي السَّدَارَةِ عَلَى الطَّرِيقِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، قُبَيْلَ الرَّوْحَاءِ بِثَلَاثَةِ أَكْيَالٍ تَقْرِيبًا^٢.

^١ مرجع سابق (٥٨/٤)

^٢ مرجع سابق (٢٠٤/١)

وصول خبر العير:

كان النبي ﷺ، عند خروجه من المدينة، قدّم بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي ازغباء يتحسسان له أخبار العير، فانطلقا، حتى وردا على مجدي بدرًا، يتحسسان الخبر، فلما نزل ماء بدرٍ أنَاخا راحلتيهما إلى قريبٍ من الماء، ثم أخذَا أسقيتهما يستقيان من الماء فسمعا جاريتين من جوارِي جهينة يُقال: لإحداهما برزة، وهى أزم صاحبتها في درهم كان لها عليها، وصاحبتها تقول: إنما العيرُ غدا أو بعد غدٍ. نزلت الروحاء، ومجدي بن عمرو يسمعها، فقال: صدقت فلما سمع ذلك بسبس وعدي انطلقا راجعين إلى النبي ﷺ حتى لفيأه بعرق الطيبة فأخبراه الخبر^٢.

المنزل الرابع (الأربعاء ١٧ رمضان)

قال الواقدي ثم سار رسول الله ﷺ حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من شهر رمضان فصلى عند بئر الروحاء، وخرج رسول الله ﷺ من الروحاء، فسلك المضيّق، ثم جاء إلى الخبيرتين^٣.

قال ابن إسحاق ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سجسج، وهى بئر الروحاء، ثم ارتحل منها، حتى إذا كان بالمنصرف، ترك طريق مكة بيسار، وسلك ذات اليمين على النازية، يريد بدرًا، فسلك في ناحية منها، حتى جزع واديًا، يُقال له رُحقان، بين النازية وبين مضيّق الصفراء، (ثم على المضيّق)، ثم انصب منه،

^١ هذا وهم بين، طريق العير كانت على الساحل، ولا تمر بالروحاء إطلاقاً، والظاهر أنه تصحيف للحوراء وقد مرت بها العير.

^٢ المغازي (٥٤/١)

^٣ مرجع سابق

حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الصَّفْرَاءِ، بَعَثَ بَسْبَسَ بْنِ (عمرو) الْجُهَنِيِّ، حَلِيفَ بَنِي سَاعِدَةَ، وَعَدِيَّ بْنَ أَبِي الرَّغْبَاءِ الْجُهَنِيِّ، حَلِيفَ بَنِي النَّجَّارِ، إِلَى بَدْرِ يَتَحَسَّسَانِ لَهُ الْأَخْبَارَ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَعَيْرِهِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ قَدَّمَهُمَا ^١.



معالم اليوم الرابع:

الروحاء، بئر الروحاء (سجسج)، المنصرف، النازية، رحقان، وادي مضيق

الصفراء.

^١ السيرة النبوية

الروحاء :

يطلق اسم الروحاء على تلك الدارة الواسعة، التي تحفها الجبال من كافة نواحيها، ويبدأ الدخول إليها، للمتجه من المدينة إلى مكة، من أعلاها، و يسمى (شرف الروحاء)، فإذا هبط من الشرف، صار في (فج الروحاء)، فإذا تجاوز عرق الظبية، صار في بطن الروحاء، ومسجد الروحاء يعتبر في بطن الروحاء، ويبعد عن المدينة (٧٥) كم.

والروحاء مازالت معروفة إلى اليوم، ويطلق العامة عليها (بئر الراحة).



بئر الروحاء:



بئر الروحاء
24°04'41.4"N
39°09'42.7"E

بئر رواء، غزيرة الماء، شهيرة، مازالت معروفة، يزدها الناس إلى اليوم، وتعرف عند الرحالة، في القرون الماضية، باسم

(ذات العلم).

ونزول النبي ﷺ، وصلاته عندها، يقتضي أنه شرب من مائها، وتوضأ، وتزود منه. ويكفي الموضع شرفاً، ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: هذا واد من أودية الجنة، يعني وادي الروحاء، وأن اسمه سجاسج^١.

يلاحظ هنا أن النبي ﷺ بقي في الروحاء يوماً كاملاً، فقد نزل عرق الظبية صباح الثلاثاء، وأتى بئر الروحاء ليلة الأربعاء، وصلى عندها، والمسافة بين المنزلين، حوالي ٣ كم، والظاهر أن التأخير في هذا المنزل لغرض الراحة، وعقد المشاورات، بعد أن وصلتهم بعض الأخبار الأولية عن العير، والنفير، وأن قريشاً قد بلغها خروج النبي ﷺ لاعتراض العير، وجرت عدة مناقشات، واستشارات بين النبي ﷺ وأصحابه، في هذا الموضع، واختلفت وجهات نظرهم حول استعدادهم لملاقاة العدو (النفير)، وقال بعضهم، أنهم لم يخرجوا إلا لاعتراض العير، وليس عندهم السلاح الكافي لقتال جيش قريش^٢.

وأُنزل الله تعالى في هذا الشأن، آيات من سورة الأنفال، منها قوله تعالى:
كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ
فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ^٣.

^١ ابن شبة (٧٨/١)

^٢ المعجم الكبير للطبراني (١٧٤/٤)، ط٢، مكتبة ابن تيمية-القاهرة

^٣ سورة الأنفال، الآية ٥، ٦

المنصرف:

محل الانصراف، وهي اليوم بلدة تسمى (المسيجد)، قال عنها البلادي
الْمُنْصَرَفُ، يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْمُسَيْجِدِ، نِسْبَةً إِلَى مَسْجِدِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَا زَالَتْ آثَارُهُ هُنَاكَ ١.

قلت: المسجد المذكور زالت آثاره الآن، وقريب منه جداً سيل ماء، وضعه
قبل حوالي سبعين عاماً أحد سكان البلدة، وحافظت عليه بلدية المسيجد، وهو
موجود الآن، ويبدو أنه هو المكان الصحيح لمسجد المنصرف النبوي.



النازية:

سهل واسع، بين المسيجيد، وريع المستعجلة^١

ومازالت النازية معروفة باسمها إلى اليوم.

قال في وفاء الوفا بالزاي وتخفيف المشاة تحت، موضع واسع، به عضاه ومرخ، بين المستعجلة، وهو مضيق الصفراء، وبين مسجد المنصرف، وهو مسجد الغزاة^٢.

وقال عنها البلادي وَهِيَ أَرْضٌ فَيَاحُ إِذَا خَرَجْتَ مِنْ بَلَدَةِ الْمُسَيِّجِيدِ تَوُّمٌ مَكَّةَ، سِرَتْ فِيهَا، يَسِيلُ فِيهَا مِنْ عَلَى يَمِينِكَ وَادِي رَحْقَانَ، وَيَصُبُّ عَلَى أَسْفَلِهَا مِمَّا يَلِي الْمُسْتَعْجَلَةَ وَادِي خُرُصٍ^٣.



وادي رحقان
24°01'55.7"N
39°03'38.3"E

رَحْقَانَ:

وادي، مازال معروفًا باسمه إلى اليوم.

قال في وفاء الوفا رحقان: بالضم ثم السكون والقاف آخره نون، واد عن يمين المتوجه من النازية إلى المستعجلة وسيله يصب عن يسار المستعجلة في خيف بني سالم، ولهذا قال ابن إسحاق في السير إلى بدر كما سبق في مسجد مضيق الصفراء: فسلك في ناحية منها، يعني النازية، حتى جزع واديا يقال له رحقان بين

^١ المستعجلة: اسمها اليوم الطلعة، أو طلعة الماك.

^٢ مرجع سابق، رسم: النازية

^٣ مرجع سابق

النازية وبين مضيق الصفراء، أي قطع طرف الوادي المذكور مما يلي المستعجلة، وهي أول مضيق الصفراء^١.

ووصفه البلادي بقوله رَحْقَانُ بَفَتْحِ الرَّاءِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي السَّيْرَةِ بِضَمِّهَا، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا: وَرَدَ فِي النَّصِّ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي «الْمُنْصَرَفِ» وَهُوَ وَادٍ كَبِيرٌ مِنْ رَوَافِدِ وَادِي الصَّفْرَاءِ، يَأْتِي مِنْ جَبَلٍ «الْفِقْرَةَ» الْمَعْرُوفِ قَدِيمًا بِالْأَشْعَرِ، ثُمَّ يَصُبُّ فِي أَعْلَى وَادِي الصَّفْرَاءِ فَوْقَ الْمَضِيقِ.

تَجْتَمِعُ: هُوَ وَالْجِيءُ وَالسَّدَارَةُ، ثُمَّ تَكُونُ وَادِي الصَّفْرَاءِ، وَعِنْدَ مَصَبِّهِ تُوَجَدُ أَرْضُ النَّازِيَةِ^٢.



المضيق
24°01'14.4"N
39°02'05.4"E

المضيق:

قال السمهودي المستعجلة: وهي المضيق الذي يصعد

إليه من قطع النازية قاصداً الخيف والصفراء .

وقريباً من هذا، قول البلادي وَهُوَ مَكَانٌ مِنْ وَادِي الصَّفْرَاءِ، إِذَا اجْتَمَعَتْ أَوْدِيَةُ: الْجِيءِ وَرَحْقَانَ وَالسَّدَارَةَ، فِي مُتَسَعِ جَنُوبِ بَلَدَةِ الْمُسَيِّحِ عَلَى قُرَابَةِ (٩٠) كَيْلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، دَفَعَتْ فِي مَضِيقٍ مِنَ الْوَادِي بَيْنَ جَبَلَيْنِ: جَنُوبِيٍّ وَيُسَمَّى خَلْصَ، وَشَمَالِيٍّ وَيُسَمَّى الْمُسْتَعْجَلَةَ^٣.

قلت: يفهم مما سبق أن المضيق، يطلق على رأس وادي الصفراء، لكنه قد

^١ وفاء الوفا (٨٠/٤)

^٢ مرجع سابق (١٣٩/١)

^٣ مرجع سابق (٢٩٩/١)

يطلق اسماً على الوادي جميعه، فيقال: (وادي المضيق)، ومن ذلك قول ابن إسحاق رُحْقَانُ، بَيْنَ النَّازِيَةِ وَبَيْنَ مَضِيقِ الصَّفْرَاءِ، ثُمَّ عَلَى الْمَضِيقِ، ثُمَّ انْصَبَّ مِنْهُ.. ، ومثله قول الواقدي .. فَسَلَّكَ الْمَضِيقَ

ووادي الصفراء (أو وادي المضيق)، قال عنه ياقوت وادي الصفراء: من ناحية المدينة، وهو واد كثير النخل والزرع والخير في طريق الحجاج وسلكه رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غير مرة، وبينه وبين بدر مرحلة انتهى.

نعود إلى المسار النبوي: خرج النبي ﷺ من الروحاء ليلة الأربعاء، فهبط المضيق (وادي الصفراء)، وسار فيه حتى كان قريباً من الصفراء (قرية الواسطة)، ثم نزل. والمنزل القريب قبل الصفراء، هو (الحمراء)، وعندها البريد السادس إلى بدر، وكانت تسمى المعلاة^١، فلعلها هي موضع نزول النبي ﷺ في نهاية اليوم الرابع من مسيره إلى بدر.

المنزل الخامس (الخميس ١٨ رمضان)

قال الواقدي ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْخَبِيرَتَيْنِ فَصَلَّى بَيْنَهُمَا، ثُمَّ تَيَأَمَنَ فَتَشَاءَمَ فِي الْوَادِي حَتَّى مَرَّ عَلَى خَيْفِ الْمُعْتَرِضَةِ فَسَلَّكَ فِي ثَنِيَّةِ الْمُعْتَرِضَةِ حَتَّى سَلَّكَ عَلَى التِّيَا، وَبِهَا لَقِيَ سُفْيَانَ الضَّمْرِيِّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَعَجَّلَ مَعَهُ قَتَادَةُ ابْنُ النُّعْمَانَ الطَّفْرِيِّ - وَيُقَالُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبِ الْمَازِنِيِّ، وَيُقَالُ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ - فَلَقِيَ

^١ الحمراء قرية كانت بها عين ماء، لها ذكر كثير في كتب الرحلات، تبعد عن الصفراء، شمالاً ٧٧ كم، وهي ملتقى ثلاث طرق (بنيع، بدر، غبقة).

^٢ الطبقات الكبرى، معجم البلدان

فِيَانَ الضَّمْرِيِّ عَلَى التِّيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ الضَّمْرِيُّ: بَلَى
مَنْ أَنْتُمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَخْبِرْنَا وَنُخْبِرَكَ قَالَ الضَّمْرِيُّ: وَذَلِكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: نَعَمْ .

قَالَ: الضَّمْرِيُّ فَسَلُوا عَمَّا سِتُّنُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَخْبِرْنَا عَنْ قُرَيْشٍ ، قَالَ
الضَّمْرِيُّ: بَلَّغْنِي أَنَّهُمْ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَكَّةَ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَادِقًا
فَإِنَّهُمْ بَجَنِبِ هَذَا الْوَادِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَخْبِرْنَا عَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ،
قَالَ: خُبِّرْت أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ يَثْرِبَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي خَبَرَنِي صَادِقًا فَهُمْ
بِ: بَنَابِ هَذَا الْوَادِي، قَالَ الضَّمْرِيُّ: فَمَنْ أَنْتُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: نَحْنُ مِنْ مَاءٍ ..
وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْعِرَاقِ، فَقَالَ الضَّمْرِيُّ: مِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ، ثُمَّ انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
إِلَى أَصْحَابِهِ وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ بِمَنْزِلِ صَاحِبِهِ بَيْنَهُمْ قَوْزٌ مِنْ رَمَلٍ، وَنَزَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَادِي بَدْرٍ عِشَاءَ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ. ٢

قال ابن إسحاق فَلََمَّا اسْتَقْبَلَ الصَّفْرَاءَ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، سَأَلَ عَنْ
جَبَلَيْهِمَا مَا اسْمَاهُمَا؟ فَقَالُوا: يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا، هَذَا مُسْلِحٌ، وَلِلْآخَرِ: هَذَا مُخْرِيٌّ،
وَسَأَلَ عَنْ أَهْلِهِمَا، فَقِيلَ: بَنُو النَّارِ وَبَنُو حُرَاقٍ، بَطْنَانِ مِنْ بَنِي غِفَارٍ فَكَرِهَهُمَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرُورُ بَيْنَهُمَا، وَتَفَاءَلَ بِأَسْمَائِهِمَا وَأَسْمَاءِ أَهْلِهِمَا.
فَتَرَكَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّفْرَاءَ بَيْسَارِ، وَسَلَكَ ذَاتَ الْيَمِينِ عَلَى
وَادٍ يُقَالُ لَهُ: ذَفِرَانَ، فَجَزَعَ فِيهِ، ثُمَّ نَزَلَ، وَأَتَاهُ الْخَبْرُ عَنْ قُرَيْشٍ بِمَسِيرِهِمْ لِيَمْنَعُوا

١ الصحيح (لتسع عشرة)

٢ المغازي (٦٩/١)

عِيرَهُمْ، فَاسْتَشَارَ النَّاسَ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ قُرَيْشٍ .

قلت: في ذفران الغوري (الغربي)، علم النبي ﷺ بأن جيش قريش يقترب من بدر، أما العير، فلم يجدوا عنها خبراً، وكان المسلمون ما يزالون يأملون أن يوافوها ببدر.

وكانت نتيجة الاستشارة قول سعد بن معاذ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ أَجَلٌ، قَالَ: فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عَهْدَنَا وَمَوَائِقَنَا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَاْمُضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَا مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوْنَا عَدًّا، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللَّقَاءِ. لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقْرِبُهُ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فَسَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَطَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ^١. قال ابن إسحاق: ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَفْرَانَ، فَسَلَكَ عَلَى ثَنَائِيَا، يُقَالُ لَهَا الْأَصَاغِرُ، ثُمَّ انْحَطَّ مِنْهَا إِلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ: الدَّبَّةُ، وَتَرَكَ الْحَنَانَ بِيَمِينٍ وَهُوَ كَثِيبٌ عَظِيمٌ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرِ^٢.

معالم اليوم الخامس:

الخيرتان، خيف المعترضة، ثنية المعترضة، (التيا)، وادي بدر، الصفراء،

^١ المسيرة النبوية (٦١٥/١)

^٢ المرجع السابق

مسلح، مخرب، ذفران، الأصافر، الدبة، الحنان.



الظهيرتان
23°55'27.2"N
38°52'11.5"E

الخبيرتين:

لم أجد من ذكر الخبيرتين سوى الإمام الواقدي، ولكنه -

رحمه الله - جاء بهما في سياق واضح، فقال: **ثُمَّ جَاءَ إِلَى**

الْخَبِيرَتَيْنِ فَصَلَّى بَيْنَهُمَا، ثُمَّ تَيَأَمَّنَ فَتَشَاءَمَ فِي الْوَادِي.. ، هذا وصف واضح لمسيره ﷺ، عندما ترك الصفراء بيمين، وسلك في وادي ذفران، كما جاء عند ابن إسحاق.

وبالرجوع إلى معاجم اللغة في معنى الخبيرتين، نجد أن من معاني (الخبيرة)،

قولهم: **وَشَاةٌ خَبِيرَةٌ: أَي مُقْتَسِمَةٌ**^١.

وبالوقوف على الموضع، نجد أنه عبارة عن قطعتين جبليتين، يفصل بينهما

وادي الصفراء، وهو أسفل وادي ذفران، فلعل هذه التسمية مأخوذة من شكل هذا الموضع، الذي يشبه شاةً مقسومة إلى نصفين، والعرب من عادتهم أن يسموا الأشياء بصفة تتميز بها.

وهذا الموضع (الخبيرتين)، أورده السهودي نقلاً عن ابن زبالة

باسم (الجيزتين).

قال في خلاصة الوفا ولابن زبالة: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بمسجد بذات أجدال من مضيق الصفراء، ومسجد بالجيزتين من المضيق^٢.

^١ تاج العروس (١٢٩/١١) - دار الهداية
^٢ مرجع سابق (٤٩٠/٢)

وجاء عند صاحب القاموس والجيزة، بالكسْرِ: الناحيةُ والجانب، ج جِيزٌ.
يَحْدَفُ الهاءِ وَجِيزٌ، كَعِنَبٍ، والجِيزِ، بِالْكَسْرِ، جانبُ الوادي ونحوه^١.

وثنية الجيزة الجيزتان، أي أن المسجد في جانب من الواديين (الصفراء
والصفيراء)، وهذا نفس موضع المسجد، إذا اعتبرنا أن الاسم عند الواقدي قد
دخله التصحيف.



بنيّة المعترضه ثنية ذفران
23°57'12.3"N
36°48'47.4"E

خيف المعترضة، وثنية المعترضة:

هذان الاسمان عبّر بهما الواقدي عن وادي ذفران، الذي
يدفع في الصفيراء ثم في الصفراء، وعن ثنيته، ومنها ينحدر وادي
ذفران الغوري، حتى يفيض في وادي واسط.

(التيا):

هذا الاسم لم يرد في المصادر الأخرى غير الواقدي، وأرى أنه محرف عن
(الثنايا)، أي: ثنايا الأصافر، وخاصة أن الواقدي لم يذكرها، وقد سلكها النبي ﷺ
بعد ارتحاله من ذفران.

لأن النبي ﷺ حينما انتهى من استشارة أصحابه في وادي ذفران، وعقدوا
العزم على مجابهة قريش ركب، ورجل من أصحابه قُدّام الجيش، ومضى حتى
وقف على شيخ قريبا من بدر.. ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

^١ مرجع سابق (٨٤/١٥)

أصحابه ١.

وثنايا الأصافر في طريقهم من ذفران إلى بدر، فلعلها هي الموضع الذي وجد عنده النبي ﷺ الشيخ (سفيان الضمري).

الصفراء:



الصفراء
23°53'29.0"N
38°53'59.0"E

قال عرّام بن الأصبغ السلمي: الصفراء قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلّها، وهي فوق ينبع ممّا يلي المدينة وماؤها يجري إلى ينبع ٢.

قلت: قول عرام أن ماء الصفراء يجري إلى ينبع غير دقيق، فوادي الصفراء يدفع عند مرفأ البريكة (الجار قديماً)، بعيداً عن ينبع.

وفي المعالم الأثيرة وادٍ، وقرية، بين المدينة وبدر، نزله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غير مرة. أما القرية: فتسمى اليوم «الواسطة»، وأما وادي الصفراء: فهو واد من أودية الحجاز الفحول، كثير القرى والخيوف.

مسلح ومخرى:

هما جبلان يطلان على الصفراء (الواسطة)، على جانبي وادي المضيق (الصفراء)، يسمى الشرقي منهما اليوم، جبل سمّنة، والغربي، (أبو كراث).

١ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١٦٤/١)
٢ مرجع سابق (٤١٢/٣)،

ذفران:

قال السهودي وذفران: واد معروف قبل الصفراء بيسير، يصب سيله فيها، ويسلكه الحاج المصري في رجوعه من المدينة إلى ينبع، فيأخذ ذات اليمين ويترك الصفراء يسارا^١.

وقال عنه البلادي مَا زَالَ ذَفِرَانُ مَعْلُومًا يَأْخُذُهُ الطَّرِيقُ مِنَ الحَمْرَاءِ - بَوَادِي الصَّفْرَاءِ - إِلَى يَنْبَعِ، يَأْخُذُ أَوْلًا عَلَى الصَّفِيرَاءِ، ثُمَّ عَلَى ذَفِرَانَ ثُمَّ عَلَى وَاسِطٍ^٢.

قلت: ذفران واديان شرقي، وغربي، رأسهما واحد، الشرقي يصب في وادي الصفراء، والغربي في وادي واسط، ثم في البحر.

الأصافر:



الأصافر
23°55'48.0"N
38°44'29.0"E

وصفها ياقوت بقوله الأَصَافِرُ: جمع أصفر محمول على أحوص وأحوص، وقد تقدّم: وهي ثنايا سلكها النبي، صلى الله عليه وسلم، في طريقه إلى بدر^٣

^١ مرجع سابق (٧٧/٤)

^٢ مرجع سابق (١٣١/١)

^٣ مرجع سابق (٢٠٦/١)





قلت: الأصافر: مجموعة جبال ليست بالعالية، أعلاها جبل يسمى اليوم الأصفر، وحوله ظراب صفر، فيها ثنايا تُسلك، تؤدي إلى مدخل بدر من الناحية الشمالية، بعد أن تجزَع وادي النجيل، وشعيب أيّصب، ثم الهبوط على رأس وادي الخشبي (وادي بدر)، ومن ثمة الدخول إلى بدر.

الدَّبَّة:



الدَّبَّة
23°51'39.7"N
38°45'52.6"E

الموضع الكثير الرَّمْل^١. وَالدَّبَّةُ عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ، حَيْزٌ مِنَ الرَّمْلِ غَيْرٌ سَائِبٍ كَالدَّفِّ^٢، وهذا الوصف للدَّبَّة يتكرر في أماكن كثيرة، لكن هذا الموضع الذي مر به النبي ﷺ مازال هذه صفتَه، يقع أسفل شعيب أيّصب، ويسمى باسمه (قوز أيّصب)..

^١ تهذيب اللغة، مادة: دب
^٢ البلادي، مرجع سابق (١٢٥/١)



وقول ابن إسحاق إلى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ: الدَّبَّةُ ، المقصود، موضع اسمه الدبة،
ولست هي بلدة، أو بلدة بالمعنى المتعارف عليه.

قال في لسان العرب: بلد: البَلْدَةُ والبَلَدُ: كُلُّ مَوْضِعٍ أَوْ قِطْعَةٍ مُسْتَحِيزَةٍ،
عَامِرَةٌ كَانَتْ أَوْ غَيْرَ عَامِرَةٍ. الأزهرى: البَلَدُ كُلُّ مَوْضِعٍ مُسْتَحِيزٍ مِنَ الْأَرْضِ، عَامِرٍ
أَوْ غَيْرِ عَامِرٍ، خَالٍ أَوْ مَسْكُونٍ، فَهُوَ بَلَدٌ^١.



الحنان
23°48'33.3"N
38°46'02.5"E

الحنان:

الحنَّان: كَثِيبٌ عَظِيمٌ كَالجَبَلِ^٢. وَسُمِّيَ الحَنَّانَ، لِأَنَّهُ يُسْمَعُ

منه صوت كالحنين^٣.

^١ مرجع سابق، مادة: بلد

^٢ الجبال والأمكنة، والمياه (١١٤/١)

^٣ البلدان لابن الفقيه (١٠٠/١)

قلت: وهذا الصوت مصدره حبيبات الرمل عندما تدرجها الرياح، فيسمع لها صوت مجلجل، وكانت العرب تظن أن هذا صوت الجن، فسموا هذا الصوت (العزيف)، ووصفوا الكثيب بالحنان، أو العزاف.

وحنان بدر رَمْلٌ يُشْرِفُ عَلَى قَرْيَةٍ بَدْرٍ مِنَ الشَّمَالِ، وَتُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ «قَوْزٌ

عَائِي^١.

ليلة الجمعة (١٩ رمضان):

الاستعداد للمعركة

نزل النبي ﷺ عشاء الجمعة، في الجزء الشمالي من بدر، على وادي بدر^٢، فَبَعَثَ عَلِيًّا وَالزَّبِيرَ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ وَبَسْبَسَ بْنَ عَمْرِو وَيَتَحَسُّونَ عَلَى الْمَاءِ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى ظُرَيْبٍ، فَقَالَ: أَرْجُوا أَنْ تَجِدُوا الْخَبَرَ عِنْدَ هَذَا الْقَلِيبِ، الَّذِي يَلِي الظَّرِيبَ^٣ - وَالْقَلِيبُ بَثْرٌ بِأَصْلِ الظَّرِيبِ^٤.

وجد رسول النبي ﷺ سقاءً على القليب، وبعد التحقيق، اتضح أنهم سقاء قريش، وأن جيش قريش خلف العقنقل، في الجانب الأقصى لبطن وادي يليل، وأشار النبي ﷺ إلى مكان تجمعهم بقوله: إِنَّ جَمَعَ قُرَيْشٍ تَحْتَ هَذِهِ الضِّلَعِ الْحَمْرَاءِ مِنَ الْجَبَلِ^٥، وهذه الضِّلَعُ الحمراء (مجموعة جبال حمر) على شفير

^١ البلادي (١٠٦/١)

^٢ يسمى اليوم وادي الخشبي

^٣ مازال هذا الظريب موجوداً، على الجانب الأيسر لوادي بدر (الخشبي).

^٤ المغازي (٧٠/١)

^٥ مسند أحمد (٢٦٠/٢) ط١ - مؤسسة الرسالة

وادي يليل الأيمن، تفصل بين حوض وادي بدر (الخشبي)، وبين بطن وادي يليل.

وهنا تؤكد المسلمون أن العير قد فلتت.

استشار النبي ﷺ أصحابه في اختيار أرض المعركة، فأشار عليه الحَبَاب بن المنذر، بقوله فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ انْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَدْنَى مَاءِ الْقَوْمِ، فَإِنِّي عَالِمٌ بِهَا وَيَقْلِبُهَا، بِهَا قَلِيبٌ قَدْ عَرَفْتُ عُذُوبَةَ مَائِهِ وَمَاءٌ كَثِيرٌ لَا يَنْزَحُ، ثُمَّ نَبِيٌّ عَلَيْهَا حَوْضًا وَنَقْدِفٌ فِيهِ الْآيَةُ فَنَشْرَبُ وَنُقَاتِلُ وَنَعَوِّرُ مَا سِوَاهَا مِنَ الْقَلْبِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا حَبَابُ أَشْرْتَ بِالرَّأْيِ ، فَهَضَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفَعَلَ كُلَّ ذَلِكَ ^١.

موقف الفرقاء الثلاثة ليلة الجمعة

الفريق الأول: وهم النبي ﷺ والمسلمون قد أخذوا مواقعهم في العدو الدنيا من بطن وادي يليل (أدنى بالنسبة لجهة المدينة)، وهو موقع مسجد العريش اليوم وما حوله.

الفريق الثاني: وهم قريش، كانوا في العدو القصوى لبطن وادي يليل (الأقصى بالنسبة لجهة المدينة في اتجاه مكة).

ويوجز ابن إسحاق موقف الفريقين ليلة الموقعة بقوله: وَمَصَّتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلُوا بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْوَادِي، خَلْفَ الْعَقَنْقَلِ. وَبَطْنِ الْوَادِي، وَهُوَ يَلِيلُ، بَيْنَ بَدْرِ وَبَيْنَ الْعَقَنْقَلِ؛ الْكَثِيبُ الَّذِي خَلْفَهُ قُرَيْشٌ. وَالْقَلْبُ بَدْرٍ، (حيث معسكر

^١ المغازي، مرجع سابق.

المسلمين)، فِي الْعُدْوَةِ الدُّنْيَا مِنْ بَطْنِ يَلِيلٍ إِلَى الْمَدِينَةِ^١.

قلت: توضيحاً لقول ابن إسحاق: وَبَطْنِ الْوَادِي، وَهُوَ يَلِيلٌ، بَيْنَ بَدْرِ وَبَيْنَ الْعَقَنْقَلِ، معناه أن بطن وادي يليل طرفه الأدنى عند بدر (موقع العريش)، وطرفه الأقصى تحت العقنقل، حيث عسكرت قريش على جانب وادي يليل الأيسر (الجنوبي)^٢.

أما الفريق الثالث: وهو ركب أبي سفيان؛ فقد ورد أبو سفيان بدرًا قبيل وصول المسلمين لها، فقابل مجدي الجهني (أحد شيوخ أهل بدر)، فقال له يَا مَجْدِي، هَلْ أَحْسَسْتِ أَحَدًا؟ فَقَالَ مَجْدِي: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتِ أَحَدًا أَنْكِرُهُ، وَلَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ يَثْرَبٍ مِنْ عَدُوٍّ وَلَوْ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا عَدُوٌّ لَمْ يَخْفَ عَلَيْنَا، وَمَا كُنْتُ لِأَخْفِيهِ عَلَيْكَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ رَأَيْتِ رَاكِبِينَ أَتَى إِلَى هَذَا الْمَكَانِ - فَأَشَارَ إِلَى مُنَاخِ عَدِيِّ وَبَسَبَسِ - فَأَنَاخَا بِهِ ثُمَّ اسْتَقِيَا بِأَسْقِيَتِهِمَا، ثُمَّ انْصَرَفَا.

فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ مُنَاخَهُمَا، فَأَخَذَ أَبْعَارًا مِنْ بَعِيرَيْهِمَا فَفَتَّهُ فَإِذَا فِيهِ نَوَى، فَقَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَائِفُ يَثْرَبٍ، هَذِهِ عِيُونُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، مَا أَرَى الْقَوْمَ إِلَّا قَرِيبًا فَضْرَبَ وَجْهَ عَيْرِهِ، فَسَاحَلَ بِهَا، وَتَرَكَ بَدْرًا يَسَارًا، وَأَنْطَلَقَ سَرِيعًا.

ففي ليلة الجمعة، كان أبو سفيان غربي بدر، قد لصق بالبحر، أخذًا في الطريق الساحلي، هروبًا بقافلته من أن يعترضه المسلمون^٣.

^١ المسيرة النبوية لابن هشام، ٦١٩/١، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط٧، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

^٢ مكانها اليوم مزرعة عبد الحميد بن بركة الله الصبحي، من أهالي بدر.

^٣ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (٣٧٥/١)

هذا المشهد الثلاثي المتزامن أنزل الله عز وجل فيه قوله تعالى: **إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا**^١.

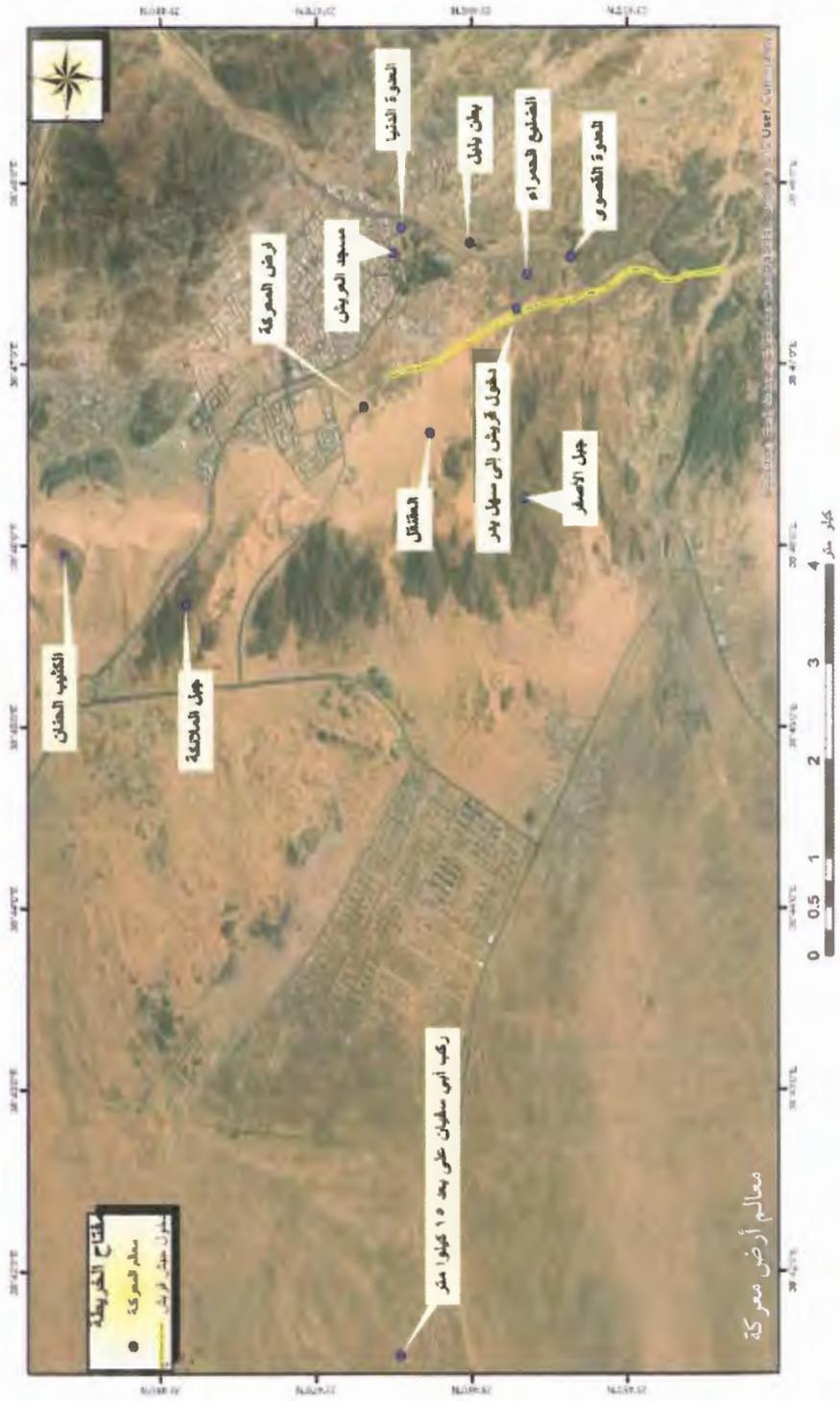
قلت: إن القول بأن أبا سفيان أرسل قيس بن امري القيس، بعد أن ساحل بالعبير، فلاقى قريشاً في الجحفة، فهذا وهم بلا شك، يخالف مدلول الآية الكريمة، التي تدل على أن قريشاً، والمسلمين كانا عند عدوتي وادي (يليل) في بدر، وفي نفس الوقت كان أبو سفيان في الساحل غير بعيد عنهما.

لكن قد يكون أبو سفيان بعد أن ابتعد قليلاً عن بدر واطمأن على سلامة غيره، أرسل قيساً إلى قريش فلاقاهم رسوله في موضع قريب من بدر.



^١ سورة الأنفال، الآية ٤٢

^٢ المغازي (٥٨/١)



حددت لنا المصادر أرض المعركة، فقال ابن إسحاق وَقَدْ اِزْتَحَلَّتْ قُرَيْشٌ حِينَ أَصْبَحَتْ، فَأُقْبِلَتْ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَوَّبُ مِنَ الْعَقَنْقَلِ - وَهُوَ الْكَثِيبُ الَّذِي جَاءُوا مِنْهُ إِلَى الْوَادِي قَالَ: اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أُقْبِلَتْ بِخِيَلِهَا وَفَخْرِهَا، تُحَادِّدُكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ فَانصِرْكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ أَجْنُهُمُ الْغَدَاةَ.

وكذلك فعل الواقدي، فقد جاء بعبارته مشابهة لعبارة ابن إسحاق، فقال: لَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا تُصَوَّبُ مِنَ الْوَادِي - وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ طَلَعَ زَمْعَةَ بْنَ الْأَسْوَدِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، يَتَّبِعُهُ ابْنُهُ، فَاسْتَجَالَ بِفَرَسِهِ يُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعُوا لِلْقَوْمِ مَنَزِلًا.

قلت: هذان النصان المتطابقان من هذين الإمامين يشيران بوضوح إلى أن أرض المعركة ستكون في سهل بدر، الذي يشقه وادي بدر^١، وذلك لعدة اعتبارات، أهمها:

- تنكَّب قريش السير في بطن وادي يليل صبيحة المعركة، وصعدوهم في شعب الدخول^٢ إلى بدر والهبوط من العقنقل، دليل على نيتهم دخول بدر، وأن المعركة ستكون هناك.

- تغوير النبي ﷺ للقلب وراءهم في وادي بدر، دليل على أنه أرض

^١ اسمه اليوم الخثبي
^٢ يسمى اليوم أيضاً (الميثابية)

المعركة المتوقعة، وفعل ذلك لثلا يستفيد المشركون منها، أثناء القتال أو قبله.
 - عدم مفاجأة طلوع قريش من العقنقل للمسلمين، واستمروا على
 تعبثهم، ولم يغيروا صفوفهم، دليل آخر على أن المعركة لم يكن من المتوقع
 أصلاً أن تكون في بطن ليل، بل كانوا متأكدين أنها ستكون في وادي بدر
 (الخشبي)، لذلك أكملوا تعبثهم وصفوا صفوفهم قبل طلوع قريش من
 العقنقل.

- يقول الواقدي: وَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى
 الصُّفُوفِ، فَاسْتَقْبَلَ الْمَغْرِبَ، وَجَعَلَ الشَّمْسُ حَلْفَهُ، وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ
 فَاسْتَقْبَلُوا الشَّمْسَ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعُدْوَةِ الشَّامِيَّةِ
 وَنَزَلُوا بِالْعُدْوَةِ الْيَمَانِيَّةِ - عُدْوَتَا النَّهْرِ وَالْوَادِي جَنْبَاهُ - فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ
 فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَ هَذَا مِنْكَ عَنْ وَحْيٍ نَزَلَ إِلَيْكَ فَاْمُضِ لَهُ، وَإِلَّا فإِنِّي
 أَرَى أَنْ تَعْلُو الْوَادِي، فَإِنِّي أَرَى رِيحًا قَدْ هَاجَتْ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي، وَإِنِّي أَرَاهَا
 بُعِثَتْ بِنَصْرِكَ.

قلت: تحليل هذا النص، وفهمه يحتاج إلى تأمل: استقبال المشركين
 للشمس واستدبار المسلمين لها، هذا لا يتحقق تماماً إلا إذا كانت المعركة في
 وادي بدر (الخشبي)، حينئذ تكون وجوه المسلمين جهة غروب الشمس، ووجوه
 المشركين جهة شروقها، أما إذا كانت المعركة في بطن ليل فستكون الشمس مائلة،

على جانب حجاج المسلمين الأيسر، وعلى جانب حجاج المشركين الأيمن.^١
 أما قوله: فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعُدْوَةِ الشَّامِيَّةِ وَنَزَلُوا
 بِالْعُدْوَةِ الْيَمَانِيَّةِ - عُدْوَتَا النَّهْرِ وَالْوَادِي جَنْبَتَاهُ ، هذه العبارة المقصود بها نزول
 النبي ﷺ العدو الدنيا ليلة المعركة، ونزول قريش العدو القصوى ليلتها، وليس
 يوم المعركة وصف الصفوف تحضيراً لها. ودليل ذلك: أن مَنْ في العدو الشامية
 لبطن ليليل سيكون مواجهاً للشمس، إذا كان من يقابله في العدو اليمانية، وهذا
 عكس ما جاء في أول الكلام، من أن المسلمين استدبروا الشمس، والمشركين
 استقبلوها.

أيضاً قول الصحابي: فَإِنِّي أَرَى أَنْ تَعْلُوَ الْوَادِيَّ إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ وادي
 ليليل، فإنه إذا علاه فسيخرج من بدر نهائياً، لأن المسلمين في العدو الدنيا لوادي
 ليليل، وما فوقها خارج بدر، أما وادي بدر فقد يعلوه ويبقى في بدر وفي أرض
 المعركة.

- ينقل الواقدي كيفية استشهاد سعد بن خيثمة (رضي الله عنه)، يقول:
 كَانَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنِّي يَوْمَئِذٍ بَعْدَ مَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ، وَنَحْنُ
 وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ اخْتَلَطَتْ صُفُوفُنَا وَصُفُوفُهُمْ، خَرَجْتُ فِي إِثْرِ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا
 رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى كَثِيبٍ رَمْلٍ وَسَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ، وَهُمَا يَقْتَتِلَانِ حَتَّى قَتَلَ
 الْمُشْرِكُ سَعْدَ بْنَ خَيْثَمَةَ .

^١ كانت المعركة في ١٤ مارس، والشمس على خط الاستواء في برج الميزان تقريباً، ولأن بدرأ على مدار السرطان، فسيكون مدار الشمس مائلاً عن الشرق الفلكي، كما هو ظاهر في الصورة المرفقة.

هذا دليل واضح على أن المعركة في وادي بدر (الخشبي) حيث كُتبان الرمل
الأسائب من العنقل، ولا توجد كُتبان الرمل في بطن ليليل.

هذه الأدلة والشواهد، وهناك قرائن وإشارات أخرى غير ما ذكر، تؤكد أن
ميدان معركة بدر كان في سهل بدر. والله أعلم.

بدء المعركة ونهايتها:

بدأت المعركة بتحدي الأسود بن عبد الأسد المخزومي، بأن يشرب من
حوض المسلمين، أو يموت دونه، فلما حاول ذلك قُتل عند الحوض، ثم طلب
البراز عتبة بن ربيعة العبشمي، وأخوه شيبه، وابنه الوليد، فبرز لهم حمزة بن عبد
المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب -رضي الله عنهم-
فقتلوا ثلاثتهم، وحُمل عبيدة بن الحارث جريحًا، حيث فاضت روحه الطاهرة في
ذفران عند رجوع النبي ﷺ من بدر.

ثم اختلطت الصفوف، والتحم الجيشان، وأيد الله تعالى نبيه بالملائكة
مردفين، استجابة لاستغاثة نبيه ﷺ.

لم تستمر المعركة سوى سويقات قليلة، من الضحى حتى الزوال، ولما
حَمِيَ الوطيس خرج النبي ﷺ من العريش وَأَخَذَ حَفْنَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ فَاسْتَقْبَلَ قُرَيْشًا
بِهَا، ثُمَّ قَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، ثُمَّ نَفَحَهُمْ بِهَا، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: شُدُّوا، فَكَانَتْ
الْهَزِيمَةُ^٢.

^١ المغازي (١٥٦/١)

^٢ السيرة النبوية (٦٢٥/١)

وتفاصيل معركة بدر الكبرى، تملأ كتب الأحاديث، والسيرة النبوية الشريفة، ولا حاجة لذكرها هنا، فهذه الأحداث، وأشباهاها ليس من أغراض الكتاب التفصيلي فيها.



شهداء وقتلى بدر:

استشهد من المسلمين أربعة عشر شهيداً، ستة من قريش، وثمانية من الأنصار، وهم:

من قريش:

١- عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ.

٢- عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ.

٣- ذُو الشَّمَالَيْنِ ابْنُ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ نَضْلَةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ خُزَاعَةَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي غُبَّانَ.

٤- عَاقِلُ بْنُ الْبُكَيْرِ، حَلِيفٌ لَهُمْ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ.

٥- مِهْجَعٌ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

٦- صَفْوَانُ بْنُ بَيْضَاءَ.

من الأنصار:

١- سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ.

٢- مُبَشَّرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ بْنِ زُبَيْرٍ.

٣- يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ.

٤- عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ.

٥- رَافِعُ بْنُ الْمُعَلَّى.

٦- حَارِثَةُ بْنُ سُرَّاقَةَ بْنِ الْحَارِثِ.

٧، ٨- عَوْفٌ وَمُعَوِّذٌ، ابْنَا الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ ابْنِ سَوَادٍ، وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ.

أما قتلى مشركي قريش، فقد بلغ سبعين قتيلًا.

نتيجة موقعة بدر :

في ضحى يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان، التقى الجمعان؛ جمعٌ مؤمن بالله، موقن بنصره، وجمعٌ كافر بالله، مؤمن باللوات والعزى، فكان هذا اليوم، يوم الفرقان، اليوم الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل، وجعل كلمته هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى، فكان هذا اليوم له ما بعده، أعز الله فيه المسلمين، وأمدهم

^١ السيرة النبوية (٧٠٦/١)

^٢ المرجع السابق

بجند من عنده (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ)^١.

وابتداءً من هذا اليوم صار أعداء الإسلام؛ من مشركين، ويهود، وغيرهم، يحسبون لهذا الدين ألف حساب.

يصف لنا الواقدي-رحمه الله- حال اليهود، والمنافقين حين قدم النبي ﷺ بأسرى بدر المدينة: فَلَمَّا قَدِمَ بِالْأَسْرَى أَذَلَّ اللَّهُ بِذَلِكَ رِقَابَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودَ، وَلَمْ يَبْقَ بِالْمَدِينَةِ يَهُودِيٌّ وَلَا مُنَافِقٌ إِلَّا خَصَدَ عُنُقَهُ لَوْعَةِ بَدْرِ.. وَفَرَّقَ اللَّهُ فِي صُبْحِهَا بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ وَقَالَتِ الْيَهُودُ فِيمَا بَيْنَهُمَا: هُوَ الَّذِي نَجِدُهُ مَنَعُوتًا، وَاللَّهُ لَا تَرْفَعُ لَهُ رَايَةً بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا ظَهَرَتْ.

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ: بَطْنُ الْأَرْضِ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا، هُوَ لِأَشْرَافِ النَّاسِ وَسَادَاتِهِمْ وَمُلُوكِ الْعَرَبِ، وَأَهْلِ الْحَرَمِ وَالْأَمْنِ قَدْ أُصِيبُوا .

مَا رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَعْظَمُ مِنْهُ فِي يَوْمٍ عَرَفَةَ - وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنْزِيلِ الرَّحْمَةِ وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ - إِلَّا مَا رَأَى يَوْمَ بَدْرِ. قِيلَ وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرِ؟ قَالَ أَمَا إِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ يَزِعُ الْمَلَائِكَةَ^٢.

معالم أرض معركة بدر:

وادي يليل، العقنقل، جبل الملائكة، الملص، العريش، القلب والحوض

^١ سورة الأنفال، الآية ٩

^٢ المغازي (١٠٧، ١٢١/١)

وادي ليليل:



وادي ليليل
23°46'01.0"N
38°47'38.2"E

وادي الصفراء إذا اقترب من بدر سُمى (ليليل)، قال ياقوت الخائعان^١: تشنية الخائع. قال يعقوب: الخائعان شعبتان تدفع واحدة في غيقة والأخرى في **يَلِيل** وهو وادي الصفراء^٢.

ويقول عنه البلادي **يَلِيل** بتكرارِ المُثَنِّاةِ التَّحْتِيَّةِ، وَاللَّامِ. جَاءَ فِي النَّصِّ الَّذِي ذَكَرْنَا فِي «الْعُدْوَةِ الْقُصْوَى» وَكَانَ وَادِي الصَّفْرَاءِ يُطْلَقُ عَلَى أَسْفَلِهِ الَّذِي يَمُرُّ بِبَدْرِ اسْمِ يَلِيلٍ^٣.

العقنقل:



العقنقل
23°46'13.9"N
38°46'50.5"E

قال الجوهري: العقنقل الكثيب العظيم المتداخل الرمل. وقال ابن فارس في (مقاييس اللغة)، في قول امرئ القيس:

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى ... بِنَا بَطْنُ خَبْتِ ذِي قَفَافٍ عَقَنْقَلِ

أي: رملٌ منعقد داخل بعضه في بعض.

وعن الثعالبي في (فقه اللغة)، العَقَنْقَلُ: ما تَرَاكَمَ وَتَرَاكَبَ مِنَ الرَّمْلِ.

والعقنقل المذكور في غزوة بدر موضع ورد عند ابن إسحاق، وفي الشعر

^١ الخائعان، شعبتان قريبتان من بدر، تصب الشمالية منهما في وادي الصفراء عند الحسينية.

^٢ مرجع سابق

^٣ مرجع سابق

الذي قيل في يوم بدر.

ومما قيل من الشعر وذكر فيه عقتقل بدر، قول أمية بن أبي الصلت، يرثي من
أُصِيبَ مِنْ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ:

مَآذَا بَبَدْرٍ فَالْعَقْنَ ... قَلِّ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَحَاجِحُ

فمدافع البرقين فال ... حَنَّانٍ مِنْ طَرْفِ الْأَوَاشِحِ

ومنه قول كعب بن مالك، يذكر ما صنع المسلمون بصناديد قريش يوم بدر:

مِمَّا صَبَّحْنَا بِالْعَقَنْقَلِ قَوْمَهَا ... يَوْمًا تَغَيَّبَ فِيهَا الْأَسْعَدُ

وَبِيئَرِ بَدْرٍ إِذْ يُرْدُّ وُجُوهَهُمْ ... جَبْرِيلُ تَحْتَ لِيَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ

قلت: عقتقل بدر: رمال بيضاء متراكمة على صفحة جبل الأصفر الشرقية

المطلّة على بدر.

والوصول إلى العقتقل يتم عن طريق شعب يسمى عند أهل بدر اليوم
(شعب الدخول)، وقد كان يقال له أيضاً شعب (الميثابية). هذا الشعب يصل
وادي ليليل بالعقتقل ومنه إلى بدر.

جبل الملائكة

الملص



جبل الملائكة
23°47'48.3"N
38°45'48.6"E



الملص
23°47'56.4"N
38°45'47.4"E

كان خروج الملائكة ونزولها إلى ميدان المعركة، من شعب

بجانب جبل، سُمي فيما بعد باسم (جبل الملائكة)، وهو (أبرق)¹،

يقع في الجهة الشمالية الغربية من بدر، فيه شعب يفصل بينه وبين

الحنان، يدعى الملص، من هذا الشعب خرجت الملائكة وَكَانَ

أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ يُحَدِّثُ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ بَصْرُهُ، قَالَ: لَوْ كُنْتُ مَعَكُمْ الْآنَ بِيَدْرِ وَمَعِي

بَصْرِي لَأَرَيْتُكُمْ الشَّعْبَ - وَهُوَ الْمَلْصُ - الَّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ، لَا أَشُكُّ فِيهِ

وَلَا أَمْتَرِي².

وإلى هذا الجبل، الذي فيه هذا الشعب، أشار ابن إسحاق بما رواه عن ابن

عباس، قال: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَّارٍ، قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَابْنُ عَمِّ لِي حَتَّى أَصْعَدَنَا

فِي جَبَلٍ يُشْرِفُ بِنَا عَلَى بَدْرِ، وَنَحْنُ مُشْرِكَانِ، نَنْتَظِرُ الْوَقْعَةَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ،

فَنَتَّهَبُ مَعَ مَنْ يَنْتَهَبُ. قَالَ: فَبَيْنَا نَحْنُ فِي الْجَبَلِ، إِذْ دَنَتْ مِنَّا سَحَابَةٌ، فَسَمِعْنَا فِيهَا

حَمْحَمَةَ الْخَيْلِ، فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْرُومُ، فَأَمَّا ابْنُ عَمِّي فَاَنْكَشَفَ فِتَاعُ

قَلْبِهِ، فَمَاتَ مَكَانَهُ، وَأَمَّا أَنَا فَكِدْتُ أَهْلَكَ، ثُمَّ تَمَاسَكْتُ³.

¹ جبل أبرق: إذا كان ذا لونين، سواد وبياض أو غير ذلك (جمهرة اللغة، باب: بَرَق).

² المغازي (٧٦/١)، السيرة النبوية،

³ مرجع سابق

العريش :



العريش
23°46'31.0"N
38°47'36.5"E

روى الواقدي بسنده عن مُحَمَّدِ بْنِ كَيْدٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْقَلِيبِ، بُنِيَ لَهُ عَرِيشٌ مِنْ جَرِيدٍ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ مُتَوَشِّحَ السَّيْفِ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ^١.

وفي مكان العريش بُني مسجد مازال قائماً، يسمى مسجد العريش، وهو الجامع الرئيس في مدينة بدر اليوم.



القليب والحوض
23°46'27.2"N
38°47'25.5"E

القليب والحوض

هما اللذان أشار بهما الحُبَابُ بن المنذر على النبي ﷺ بقوله انطَلِقْ بِنَا إِلَى أَدْنَى مَاءِ الْقَوْمِ، فَإِنِّي عَالِمٌ بِهَا وَبِقَلْبِهَا، بِهَا قَلِيبٌ قَدْ عَرَفْتُ عَذُوبَةَ مَائِهِ وَمَاءٌ كَثِيرٌ لَا يَنْزَحُ، ثُمَّ نَبَّيْنَا عَلَيْهَا حَوْضًا وَنَقَذِفُ فِيهِ الْآيَةَ فَنَشْرَبُ وَنُقَاتِلُ وَنُعَوِّرُ مَا سِوَاهَا مِنَ الْقُلُوبِ .

قلت: لا يعرف اليوم مكان القليب والحوض بالتحديد.

غير أنه كان معروفاً في زمن ابن جبير (ت ٦١٤هـ). فعندما جاء إلى بدر في أواخر سنة ٥٧٩هـ وصف موضعه بقوله وموضع القليب الذي كان بإزائه الوقعة الإسلامية التي أعزت الدين وأذلت المشركين هو اليوم نخيل، وموضع الشهداء خلفه، وجبل الرحمة الذي نزلت فيه الملائكة عن يسار الداخل منه الى الصفراء،

ويُزائه جبل الطبول، وهو شبيه كثيب رمل ممتد.^١

وأرى أن القليب المقصود هنا هو القليب الذي نزل عليه الصحابة وعسكروا حوله، وليس القليب الذي سُحب إليه ورُمي فيه بعض قتلى بدر؛ فمن المستبعد أن يُنبت موضع هذا القليب الخبيث المخبث (كما في الحديث الصحيح)^٢ شيئاً ذا فائدة.

وتوجد الآن بئر (موقوفة)، في مزرعة تقع خلف مسجد العريش، غير بعيدة عنه، ماؤها لا ينزح، مهما سحبوا منها بواسطة الآلات الرافعة (المواتير)، وفي موقع ينتق مع الوصف التاريخي لموقع البئر والحوض الوارد في أحداث الغزوة.

طريق العودة إلى المدينة:

بعد انجلاء المعركة عن هزيمة مشرقي قريش، وهم ما بين قتيل، أو أسير، أو فار.

بقي النبي ﷺ في ساحة بدر ثلاث ليالٍ بعد المعركة، ثم ذهب، ووقف على القتلى، يكلمهم: وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرَصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ أَمَرَ بِرَأْسِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نَرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، أَيَسْرُكُمُ أَنْكُمُ أَطَعْتُمُ اللَّهَ

^١ رحلة ابن جبير، ط١، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت
^٢ الجامع الصحيح، ٧٦/٥

وَرَسُولُهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالَ:
 فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»، قَالَ
 فَتَادَهُ: أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ، فَوَلَّهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا^١.

بعد انقضاء ثلاثة أيام، وفي يوم الإثنين الثاني والعشرين من رمضان، قفل
 النبي ﷺ وصحابته منصورين مظفرين، إلى المدينة.

وقد اختلف طريق العودة قليلاً عن طريق الذهاب؛ ففي العودة أسند ﷺ
 مباشرة بعد بدر في وادي الصفراء، ماراً بالأثيل.

قال الواقدي: وَأَمَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ بِقَبْضِ الْغَنَائِمِ وَحَمَلِهَا، وَأَمَرَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يُعِينُوهُ فَصَلَّى الْعَصْرَ بَبَدْرٍ ثُمَّ رَاحَ فَمَرَّ بِالْأُتَيْلِ - الْأُتَيْلُ:
 وَادٍ طُولُهُ ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ، وَبَيْنَهُ وَبَدْرٍ مِيلَانِ.. قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَنَزَلَ بِهِ وَبَاتَ
 بِهِ، وَبِأَصْحَابِهِ جِرَاحٌ، وَكَيْسَتْ بِالْكَثِيرَةِ .

وفي الأثيل أمر النبي ﷺ بقتل النضر بن الحارث، جزاء ما كان يصنع من
 استهزاء بالنبي ﷺ والمبالغة في أذيته، وأذية المستضعفين من المسلمين، وصد من
 أراد الإسلام من قريش، وغيرهم عن الدخول فيه بأحاديث، وحكايات مزوقة،
 أخذها من ثقافات فارسية، ورومية، وغيرها، والخشية من أن بقاءه حياً سيكون
 عائقاً قوياً عن دخول كثير من قريش وغيرهم من العرب في الإسلام.

^١ صحيح البخاري (ح ٣٩٧٦)، باب: قتل أبي جهل

الأثيل :



الأثيل
23°48'27.3"N
38°50'14.5"E

يسمى اليوم (الجديد)، وعندها البريد السابع من المدينة،

ثم ميلان إلى بدر^١.

قال عنها البلادي ضد القديم، عين ضعيفة، عليها نخل للصُّبوح من حرب

ترب بدر، مما يلي المدينة، على الجادة^٢.



فيفاء خريم
23°53'31.9"N
38°53'17.1"E

فيفاء خريم

فلما كانت الغداة، سار النبي ﷺ من الأثيل، فوصل الصفراء

(قرية الواسطة)، وأمامه الجبلان (مسلح ومخرى)، فكّرهُ مرة

أخرى أن يمر بينهما، فتياسر عنهما، وسلك في شعب يسمى (خريم)، يهبطه على

مفيض وادي الصفراء في وادي المضيق (وادي الصفراء).

يقول ياقوت - رحمه الله: خَرَيْمٌ: بلفظ تصغير حرم، وقد ذكر في خرمان:

وهو ثنية بين جبلين بين الجار والمدينة، وقيل: بين المدينة والروحاء، كان عليها

طريق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عند منصرفه من بدر، قال كثير:

فأجمعن بيناً عاجلاً، وتركنني ... بفيفا خريم قائماً أتلدّد^٣.

قلت: هو بين الجار، والمدينة، وليس بين المدينة والروحاء، فمنه طريق

^١ الطبقات الكبرى (٩/٢)

^٢ معجم معالم الحجاز، ج ٢ ص ١٣٥، ط ١

^٣ مرجع سابق (٣٦٤/٢)

يُسلِّك إلى ينبع، أو إلى الجار (البريكة) بقرب مرفأ الرايس.

وبجوار هذا الشعب عين من عيون وادي الصفراء اسمها (الخرماء)، وهذا اسم قديم لها، قال عنها ياقوت قال ابن السكيت: الخرماء عين بالصفراء لحكم بن نضلة الغفاري، قال كثير:

كأن حمولهم لما تولّت ... بيّليل، والتوى ذات انتقال

شوارع في ثرى (الخرماء) ليست ... بجاذية الجدوع، ولا رقال^١.

هبط النبي ﷺ مفيض وادي الصفراء، قرب الحمراء، وهو عين المكان الذي تيامن فيه، عند مسيره إلى بدر، متجنباً الدخول بين جبلي الصفراء، وهناك فاضت روح الشهيد عبيدة بن الحارث (رضي الله عنه)، ودفنه النبي ﷺ في ذلك الموضع، وقبره معروف هناك.



تقسيم النفل:

واصل النبي ﷺ مسيره في وادي الصفراء (ويسمى مضيق الصفراء)، حتى وصل أعلاه، فنزل في شعب من شعابه اسمه (سِير)، وهذا هو اسمه إلى الآن، فنزل بجانب كثيب فيه يسمى اليوم (الدبّة)، وهناك قَسَم فيء بدر.

وأكد هذا ابن إسحاق بقوله **ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى إِذَا خَرَجَ مِنْ مَضِيقِ الصَّفْرَاءِ نَزَلَ عَلَى كَثِيبٍ بَيْنَ الْمَضِيقِ وَبَيْنَ النَّازِيَةِ - يُقَالُ لَهُ: سَيْرٌ - إِلَى سَرْحَةٍ بِهِ.**

فَقَسَمَ هُنَالِكَ النَّفْلَ الَّذِي آفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى

السَّوَاءِ ١.

١ السيرة النبوية

خرج النبي ﷺ من مضيق الصفراء، فعلا المستعجلة، ثم هبط منها في النازية، وعندما وصل الروحاء استقبله الناس من أهل المدينة مهئين بالظفر، والنصر، وبعضهم يعتذرون بأنهم لم يكونوا يعلمون أنه سيكون قتلاً، وإنما هي العير، والغنيمة، فقبل النبي ﷺ أعدارهم.

وفي عرق الظبية، أمر النبي ﷺ بقتل عقبة بن أبي معيط، وهو الذي نزلت فيه الآية الكريمة، من سورة غافر **أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ** . فعلاوة على صده عن ذكر الله، وأذيته للنبي ﷺ وللمسلمين في مكة، فقد كان خبيثاً، سيئاً، طاغوتاً، لا يقل سوءاً عن أبي جهل، حتى أنه تجرأ على فعلة لم يفعلها أبو جهل؛ فقد حاول قتل النبي ﷺ خنقاً، في حجر الكعبة^١.

بعد عرق الظبية، وبينما هم في وادي شنوكة (وادي السدارة)، أفلت من الأسر سهيل بن عمرو، فتفرقوا يبحثون عنه، فوجده النبي ﷺ، فعاقبه بالسير على قدميه، إلى المدينة ويداه مغلولتان إلى عنقه.

الدخول للمدينة من ثنية الوداع الشمالية

كان من هديه ﷺ أنه كان يخالف بين طريق ذهابه وعودته؛ يخرج من طريق، ويعود من طريق آخر، وكان يفعل هذا في سفراته، وغزواته.

وفي عودته من غزوة بدر الكبرى دخل المدينة من ثنية الوداع^٢ (الشمالية)،

^١ صحيح البخاري (ح ٣٨٥٦)

^٢ مغازي موسى بن عقبة، ص ١٢٦، جامعة ابن زهر-المغرب



مؤيداً منصوراً قد خافه كل عدو له بها وحولها، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة،
ومن لم يسلم حقيقة أسلم نفاقاً، ودخل عبد الله بن أبي بن سلول في الإسلام
ظاهراً.

مصليات الرسول ﷺ في غزوة بدر

أورد الإمام الواقدي، عدداً من المصليات المنسوبة إلى صلاة النبي ﷺ فيها،
أثناء مسيره إلى بدر، فقال: كَانَ قَدْ صَلَّى بِالذَّبَّةِ، ثُمَّ صَلَّى بِسَيْرٍ ثُمَّ صَلَّى بِذَاتِ
أَجْدَالٍ، ثُمَّ صَلَّى بِخَيْفِ عَيْنِ الْعَلَاءِ، ثُمَّ صَلَّى بِالْخَيْرَتَيْنِ^١.

وزاد ابن زبالة ومسجد بذفران المدبر من البناء، وصلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذنب ذفران المقبل الذي يصب في الصفراء، قال: فحفرت بئر
هنالك يقال: إنها في موضع جبهة النبي صلى الله عليه وسلم، فلها فضل في العذوبة
على ما حواليا، وصلى في مسجد الصفراء^٢.

مسجد الذبّة

بِسَيْرٍ: روى ابن زبالة عن محمد بن فضالة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم نزل بالذَّبَّةِ؛ ذبّة المستعجلة من المضيق، واستقى له من بئر الشعبة الصابة
أسفل من الذَّبَّةِ، فهو لا يفارقها أبداً^٣.

^١ المغازي (٦٩/١)

^٢ أخبار المدينة (١٥٩/١)

^٣ مرجع سابق

قلت: دبة المستعجلة تقع في شعب سَيْر، وكل هذه المواضع معروفة اليوم، لكن المسجد غير معروف مكانه تحديداً.

وقوله واستقى له من بئر الشعبة.. يوجد اليوم بئر في شعبة، تنطبق عليها الصفة المذكورة، يردها الناس، هذه البئر حفرت، أو جددت قبل حوالي مئة عام، احتفرها رجل من الصوادرة من قبيلة الرحلة من حرب^١.



ذات أجдал
24°01'47.2"N
38°55'38.7"E

مسجد ذات أجдал:

لا تُعرف اليوم ذات أجдал، ولكن جاء في معجم البلدان، والطبقات الكبرى أن بين بدر والمدينة سبعة برد: بريد بذات الجيش، وبريد عبود، وبريد المرغة، وبريد المنصرف، وبريد ذات أجдал، وبريد المعلاة، وبريد الأثيل، ثم بدر^٢، وبتطبيق هذه المسافة على الأرض، انطبقت على شعب يفيض في وادي الصفراء، قرب خيف (أم ذيان)، يسمى اليوم (الصرباني)، لكن لا يُعرف مكان المسجد فيه.

مسجد خيف عين العلاء:



خيف العلاء الخيف
24°02'10.4"N
38°55'05.7"E

محطة رئيسة على الجادة، معروفة اليوم باسم الخيف، وعين العلاء مازالت معروفة أيضاً فيها، لكنها انقطعت، مثل بقية عيون وادي الصفراء، منذ سبعينات القرن الهجري المنصرم.

^١ أخبرني بهذا الشريف حمود بن حميد آل نامي، نقلًا عن د. حامد الأحمد من أهل المسيجيد.
^٢ معجم البلدان (٣٥٨/١)

وتعرف محطة الخيف، في أدب الرحلات باسم (الجديّدة)، ولها ذكر كثير في كتب رحلات الحج.

ولم أجد أحداً من أهل الديرة يعرف مكان المسجد.

مسجد الجيزتين (الخيزرتين):

قال في خلاصة الوفا: ولا بن زباله: صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بذات أجدال من مضيق الصفراء، ومسجد بالجيزتين من المضيق^١. يفهم من وصف موقع هذا المسجد أنه قريب من ملتقى وادي الصفراء، والصفراء، حسب ما مرّ معنا في وصف معالم الطريق إلى بدر.

١٣٧

وجاء السهمودي بنص في وفاء الوفا، يحدد فيه موقع مسجد قريب من هذا الرصف. قال-رحمه الله-: ورأيت قبل الوصول إلى طرف ذفران الذي يلي الصفراء على يمين السالك في طريق مكة يريد الصفراء، رأيت عليها مسجداً مبنيًا بالجص مرتفعا عن الطريق يسيرا، يتبرك الناس بالصلاة فيه، وليس بقربه مساكن؛ فالظاهر أنه أحد المساجد المذكورة، ورأيت أمام محرابه قبرا قديما محكم البناء، ولعله قبر عبيدة بن الحارث بن المطلب، فقد ذكر ابن إسحاق وغيره أنه مات بالصفراء من جراحتة التي أصابته في المباراة ببدر، ولم يذكروا محل دفنه.^٢

قلت: هذا المسجد الذي هذه صفته، غير موجود اليوم، فلعله أزيل لوجود

^١ مرجع سابق (٤٩٠/٢)

^٢ مرجع سابق (١٧٥/٣)

مقبرة عنده، وهي الآن مسورة.



مسجد بين الخيبرتين (الجيزتين)

موقع قبر عبيدة بن الحارث (رضي الله عنه)

ذكر الزين المراغي محل دفن عبيدة بن الحارث (رضي الله عنه)، وأنه في

ذفران:

قال الزين المراغي واعلم أن قبر عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن

هاشم بن عبد مناف بذفران^١.

قلت: وهذا هو القول الصحيح الذي تؤيده الوقائع على الأرض، لأن النبي

ﷺ في رجوعه من بدر، هبط من فيفاء حُرِيم على أسفل ذفران، كما مرّ معنا.

^١ تحقيق النصر (١/٢٧٣)، ط١، تحقيق د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان



بئر في ذنب ذفران المقبل

مسجد ذفران المقبل :

روى ابن زبالة، أن النبي ﷺ صلى في مسجد بذفران المدبر وصلى بذنب ذفران المقبل الذي يصب في الصفراء فحفرت بئر هناك يقال إنها في موضع جبهة النبي صلى الله عليه وسلم فلها فضل في العذوبة على ما حو اليها^١.

قلت: ذفران واديان، يشتركان بالرأس (مثل التوأم السيامي!).

ذفران المقبل يصب في الصفراء ثم في الصفراء (وقديماً تعتبر الصفراء من ذفران)، وهناك بئر قديمة، يُعتقد أنها هي الواردة في المصادر.

^١ خلاصة الوفا (٤٩٠/٢)

مسجد ذفران المدبر



مسجد ذفران المدبر



مسجد ذفران المدبر
23°57'22.3"N
38°45'19.1"E

وذفران المدبر، يصب غرباً في وادي واسط، ثم في البحر،

وبُني في المكان الذي يُظن أن النبي ﷺ نزله مسجداً. والله أعلم.

الفصل الثالث

غزوة قرقرة الكُدُر

أسباب الغزوة

بعد الانتصار المدوّي للمسلمين على قريش يوم بدر، فقد أدى ذلك إلى فزع كثير من القبائل، وخاصة قبيلتي سليم، وخطفان، وهما قبيلتان محاربتان بطبعهما، قويتا الشكيمة، منازلهما قريبة جداً من المدينة، وقد رأتا ما حل بقريش، فأرادتا أن تقوما بهجوم استباقي على المسلمين في المدينة،

وأجمعوا أمرهم على ذلك، على أن يكون تجمعهم في موضع خط التماس بين القبيلتين، ولكنه يُعدُّ من منازل سليم، يسمى هذا الموضع (قرقرة الكدر).

علم النبي ﷺ بما تحيكه هاتان القبيلتان للمسلمين، فلم يمهلهم طويلاً، فسار إليهم في مئتين من أصحابه، وفي هذا يقول الواقدي: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْمَدِينَةِ إِلَى قَرَارَةِ الْكُدْرِ، وَكَانَ الَّذِي هَاجَهُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ بِهَا جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ وَسُلَيْمٍ. فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ .

تاريخ الغزوة

قال ابن إسحاق: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (يعني من غزوة بدر)، لَمْ يَقْمُ بِهَا إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ حَتَّى غَزَا بِنَفْسِهِ، يُرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ سِبَاعَ بَنِ عُرْفُطَةَ الْغِفَارِيِّ، أَوْ ابْنَ أُمَّ مَكْتُومٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَبَلَغَ مَاءٌ مِنْ مِيَاهِهِمْ، يُقَالُ لَهُ: الْكُدْرُ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ،



لَهُمْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ شَوَّالٍ وَذَا الْقَعْدَةِ، وَأَفْدَى فِي
إِيَّامَتِهِ تِلْكَ جُلَّ الْأَسَارَى مِنْ قُرَيْشٍ^١.

هذا عند ابن إسحاق، ومن تابعه من أصحاب السير، أن الغزوة كانت في
صدر شهر شوال من السنة الثانية للهجرة.

أما الواقدي، وتابعه ابن سعد، فقد جعلها في المحرم من السنة الثالثة
لهجرة، فقال: غَزْوَةُ قَرَارَةَ الْكُدْرِ: إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ وَغَطَفَانَ لِلنَّصْفِ مِنَ الْمُحَرَّمِ
عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ شَهْرًا؛ غَابَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً^٢.

قلت: قول ابن إسحاق أقرب للواقع، فقرقرة الكدر مكان قريب من المدينة،
ولم تحصل مواجهة أو احتكاك بين الفريقين، فلم يكن هناك ما يدعو إلى هذا
المكوث الطويل في أرض العدو الذي جاء عند الواقدي.

قرقرة الكدر



قرقرة الكدر
24°24'52.0"N
39°59'35.0"E

ورد هذا الاسم في غزوتين غزاها رسول الله ﷺ خرج فيها
بنفسه الشريفة، حتى وصل إلى هذا الموضع، فما هي القرقرة
هذه؟

^١ مرجع سابق
^٢ المغازي



قرقرة الكدر (وفي الصورة أحد أعلام الطريق

قرقرة الكدر، أو ما يعرف اليوم بقاع (حوضي)، قاع واسع تبلغ مساحته (١٢٠) كم مربعاً، يقع شرق المدينة المنورة، ويبعد عنها (٣٨) كم على السمات، وتفيض فيه جميع الأودية المقابلة على المدينة المنورة من جهة الشرق، ومن الجنوب الشرقي، ومن الشمال الشرقي، وإذا امتلأ صار بحيرة كبيرة لا يُرى مداها، وليس لمياه هذه البحيرة إلا مخرج واحد تخرج منه في الاتجاه الغربي، في مضيق بين جبلين، هذا المضيق هو بداية وادي الشظاة، أو وادي الخنق، كما يسمى اليوم.

حدود قرقرة الكدر (حوضي)

يحد هذا القاع من الغرب جزء من جبال الغبي، وحره شوران^١، وهي جزء

من حرة الحجاز العظيمة (حرة بني سليم تاريخياً)^٢

^١ هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، حقائق وأرقام ص ٧٢
^٢ نسبة إلى جبل شوران (نبط)، وليست شوران المتداولة بين الناس اليوم
^٣ تدعى اليوم خطأ حرة زهط أو رهاط

ومن الشرق جبل الأفيهد، وضلعان القرن.

ومن الشمال حزم الناعمة، وحرّة القفيف، وبعض جبال الغبي

ومن الجنوب جبال القديرة، وجبال خريط.

والقرقرة: الأرض الملساء ليست بحد واسع، فإذا اتسعت غلب عليها اسم

التذكير فقالوا: قرقرًا^١

(القرقر) من الأراضي المنخفضة اللينة، ومن الأودية والقيعان الأملس

الذي لا شجر فيه ولا حجارة، ومن البلدة نواحيها الظاهرة.^٢

أقول: لا تعرف قرقرة الكدر اليوم إلا بقاع حضوضى، فلو سألت أي شخص

من أهلها عن قرقرة الكدر فلن يعرفها.

حضوضى في اللغة

اطلعتُ على تخريج لغوي لمعنى حضوضاء، في موقع (فريق الصحراء)

على الشبكة العنكبوتية، أنقله هنا لإتمام الفائدة.

من أين أتت كلمة حضوضى؟

هناك قاعان ضخمان في المملكة العربية السعودية، يحملان هذا الاسم

الأول هو هذا، والثاني في شمال المملكة شرق محافظة القريات.

^١ معجم البلدان، باب القاف والراء

^٢ باب القاف

كنت أظن أنه من الأفضل كتابة الاسم بالطاء بناء على النطق المحلي: حظوظاء لكن بعد البحث تبين ان لها تخريجاً لغوياً اذا نطقناها بالضاد هكذا: حضوضى او حضوضاء وأقرب كلمة متداولة لها هي الحضيض.

ولنستمع لكلام ابن منظور في لسان العرب: الحَضِيضُ: قَرَارُ الأَرْضِ عند سَفْحِ الجَبَلِ، وقيل: هو في أسفله، والسَّفْحُ مِنْ وراءِ الحَضِيضِ، فَالحَضِيضُ مما يلي السفح والسفح دون ذلك، والجمع أَحِضَّةٌ، وحُضُضٌ. وفي حديث عثمان: فتحرك الجبلُ حتى تَسَاقَطت حِجَارَتُهُ بِالحَضِيضِ

وقال الجوهري: الحَضِيضُ القَرَارُ مِنَ الأَرْضِ عند مُنْقَطَعِ الجَبَلِ؛ وأنشد الأزهري لبعضهم:

الشَّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلْمُهُ... إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ... زَلْتُ بِهِ إِلَى الحَضِيضِ
قَدَمُهُ... يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ... وَالشَّعْرُ لَا يَسْطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهُ

وفي حديث يحيى بن يعمر: كَتَبَ عن يزيد بن المُهَلَّبِ إِلَى الحِجَاجِ: إِنَّا لَقِينَا العَدُوَّ ففَعَلْنَا وَاضْطَرَّرْنَاهم إِلَى عُرْعُرَةِ الجَبَلِ وَنَحْنُ بِحَضِيضِهِ. وفي الحديث: أَنه أَهْدَى إِلَى رَسولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَدِيَّةً فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يَضَعُهَا عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: ضَعَهُ بِالحَضِيضِ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَكَلْتُ كَمَا يَأْكُلُ العَبْدُ، يَعْنِي بِالأَرْضِ. قال الأصمعي: الحَضِييُّ، بضم الحاء، الحجرُ الذي تجده بِحَضِيضِ الجَبَلِ وهو منسوب كَالسُّهْلِيِّ والدُّهْرِيِّ؛ وأنشد لحميد الأرقط يصف فرساً:

وَأَبَا يَدُقُّ الحَجَرَ الحَضِييًّا



والحقيقة، أن قاع حضوضى قاع حضيض تصب فيه اودية كثيرة، بل حتى
التيعان المجاورة مثل قاع غراب كلها تنتهي الى حضيضه^١

وصف قرقرة الكدر في المصادر:

عند البكري قُرُقْرَةُ الكُدْر بضم أوله، وإسكان ثانيه، بعدهما مثلهما،
مضافة إلى كدر القطا^٢. وهي على ستة أميال من خيبر^٣.

وفي السيرة النبوية لابن كثير قال السهيلي: والقرقرة: الارض الملساء.
والكُدْر: طير في ألوانها كُدْرَة^٤.

ويحدد الدكتور أحمد إبراهيم الشريف بعدها عن المدينة بقوله وندب
النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه فخرجوا في أثر أبي سفيان حتى بلغ قرقرة
الكدر على نحو أربعة وعشرين ميلاً من المدينة^٥.

هذا البعد عن المدينة الذي حدده د. الشريف هو الصحيح، ولكن الشريف
ينسب القول لياقوت، ولم أجده عند ياقوت في مظانه في المعجم.

يقول ياقوت: كُدْرٌ: جمع أكدر، قرقرة الكدر، قال الواقدي:

بناحية المعدن قريبة من الأرحضية بينها وبين المدينة ثمانية برد، وقال غيره:

^١ (فريق الصحراء) الدرب الشرقي بين المدينة ومكة، قاع حضوضاء

^٢ القطا طائر معروف لونه أكدر، ويعرف نوع منه اليوم باسم "الكدرى"

^٣ ليست عند خيبر، تلك قرقرة أخرى مازالت معروفة

^٤ غزوة السويق

^٥ مكة والمدينة في الجاهلية وعهد السول ص ٣٥٢



ماء لبني سليم وكان رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خرج إليها بجمع من سليم، فلما أتاه وجد الحَيَّ خلوفاً فاستاق النعم ولم يلق كيدا، وقال عرّام: في حزم بني عوال مياه آبار منها بئر الكدر، وغزا النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بني سليم بالكدر في حادي عشر من محرم سنة ثلاث من الهجرة، وقال كثير:

سقى الكدر فاللعباء فالبرق فالحمى ... فلوذ الحصى من تغلمين فأظلما^١.

قلت: في كلام الواقدي لبس؛ ثمانية بُرد بُعْدُ المعدن (مهد الذهب) عن المدينة، وليس الأرحضية، والأرحضية معروفة اليوم، ولا تبعد سوى ثمانين كيلاً (حوالي أربعة برد) عن المدينة.

ويؤيد ذلك قول ابن سعد في الطبقات قرقرة الكدر، ويقال قرارة الكدر، وهي بناحية معدن بني سليم قريب من الأرحضية وراء سد معاوية، وبين المعدن وبين المدينة ثمانية برد^٢.

وقال البلادي يَبْدُو أَنَّهَا مَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِحَضَوْضَى، فَهِيَ قَاعٌ تَجْتَمِعُ فِيهِ أَوْدِيَةٌ مَا شَرَقَ الْمَدِينَةَ قَبْلَ اجْتِمَاعِهَا فِي الْخَنْقِ، وَلَا زَالَ عِنْدَ أَهْلِ هَذِهِ الدِّيَارِ، الْقَرْقَرُ أَوْ الْقَرْقَرَةُ: الْقَاعُ الْوَاسِعُ، وَحَضَوْضَى: قَاعٌ وَاسِعٌ^٣،

وقرقرة الكدر، صدر وادي قناة.

يقول ابن إسحاق في سرد قصة قتل عمرو بن أمية الضمري العامريين في

^١ معجم البلدان، رسم: الكدر

^٢ في الأصل سد معونة والصحيح ما أثبتناه. هو معروف

^٣ الطبقات الكبرى، غزوة قرقرة الكدر

^٤ المعالم الجغرافية الواردة في السيرة، مادة: قرقرة الكدر



رجوعه من سرية بئر معونة: فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْقَرْقَرَةِ مِنْ صَدْرِ
وَأَنَا ...^١

قرقرة الكدر اليوم:

ما زالت قرقرة الكدر على عهدنا القديم لم تتغير، قاع واسع قرقر لا نبت
فيه، وقد أنشئ سدُّ ترابي مغلف بالخرسانة على مفيض القاع إلى وادي الخنق أو
الشظاة، لحماية القاطنين على مسار الوادي.^٢

أحداث غزوة قرقرة الكدر:

قال ابن سعد: ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَرْقَرَةَ الْكَدْرِ.
ويقال قرارة الكدر. للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من
مهاجره. وهي بناحية معدن بني سليم قريب من الأرحضية وراء سد (معونة)^٣.
وبين المعدن وبين المدينة ثمانية برد. وكان الذي حمل لواءه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. واستخلف على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم. فكان
بلغه أن بهذا الموضع جمعاً من سليم وغطفان. فسار إليهم فلم يجد في المجال
أحدًا. وأرسل نفراً من أصحابه في أعلى الوادي واستقبلهم رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي بطن الوادي فوجد رعاء فيهم غلام يقال له يسار. فسأله عن الناس
فَقَالَ: لا علم لي بهم إنما أورد لخمس وهذا يوم ربي والناس قد ارتفعوا إلى المياه

^١ السيرة النبوية لابن هشام (سرية بئر معونة)

^٢ عادة تكون سدود الحماية خرسانية، وجعل هذا السد ترابياً غريب حقاً، فهو يحجز كميات هائلة من المياه خلفه،
فإذا انهار فسوف تتدفق المياه بكميات مهولة قد تسبب خسائر لكل ما هو في طريقها.

^٣ سبق التصحيح، (سد معاوية)

ونحن عزاب في النعم. فانصرف رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقد ظفر
 بالنعم فانهدر به إلى المدينة فاقسموا غنائمهم بصرار. على ثلاثة أميال من
 المدينة. وكانت النعم خمسمائة بعير. فأخرج خمسة وقسم أربعة أخماس على
 المسلمين. فأصاب كل رجل منهم بعيرين. وكانوا مائتي رجل. وصار يسار في
 سهم النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأعتقه. وذلك أنه رآه يصلي. وغاب رسول
 الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خمس عشرة ليلة^١.



المعالم الواردة في الغزوة

في نص ابن سعد هذا ستة معالم؛ وهي:

قررة الكدر - معدن بني سليم - الرحضية - سد معاوية - مورد الكدر - بصرار.

^١ الطبقات الكبرى، مرجع سابق ٢/٢٣٢

- قرقرة الكدر:

- سبق الحديث عنها بالتفصيل، وأنها ما يعرف اليوم بقاع حضوضي.



معدن بني سليم
23°29'53.0"N
40°51'53.0"E

- معدن بني سليم:

يعرف اليوم بمهد الذهب، ويقع جنوب شرق المدينة، ويبعد عنها بحوالي ١٧٥ كم، على طريق ضعة-الضميرية، وهذا الطريق يباري ويساوي تقريباً الطريق الشرقي (النجدية)، الرابط بين مكة المكرمة، والمدينة المنورة.

والاسم الأول لمعدن بني سليم معدن (فاران)، نسبة إلى بني فران الذين نسب إليهم المعدن.

وقد اختلف في نسب هؤلاء على قولين، أحدهما: إنهم من بقايا العرب العاربة الأولى من بني فران بن عمرو بن عمليق، والقول الثاني: إنهم من بني فران بن بلي، ولعل أصح الأوجه الجمع بين هذين القولين، فهم في الأصل من بقايا العرب البائدة، انضم إليهم طوائف من العرب الباقية من قبيلة بلي، من قضاة من قحطان، ومن بني سليم من قيس عيلان من عدنان، وبهؤلاء عرف معدن فران المعروف الآن بمهد الذهب، وقديماً بمعدن بني سليم^١.

وقال السهودي في وصف معدن بني سليم معدن بني سليم: بضم السين،

^١ مجلة العرب، الجزء التاسع - السنة الثانية - ربيع الأول سنة ١٣٨٨ (حزيران ١٩٦٨م)

ويقال له: «معدن فران» به قرية كبيرة بطريق نجد بها آبار وبرك على مائة ميل من المدينة، وقال ابن سعد: على ثمانية برد^١.

وكان الذهب يستخرج منه في زمن النبي ﷺ. جاء في حديث الزهري بسنده عن ابن عمر، قال: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِطْعَةٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْمٍ، فَقَالَ: هَذَا مِنْ أَيْنَ؟ قَالُوا: مِنْ مَعْدِنٍ لَنَا..^٢

وكان الخليفة الراشد أول من افتتح أعمال المنجم، وجعله تحت إشراف الدولة وفي خلافته -يعني أبا بكر- انفتح معدن بني سليم، وكان يسوي في قسمته بين السابقين الأولين والمتأخرين في الإسلام، وبين الحر والعبد والذكر والأنثى، فقيل له: لتقدم أهل السبق على قدر منازلهم، فقال: إنما أسلموا لله، ووجب أجرهم عليه يوفيهم ذلك في الآخرة، وإنما هذه الدنيا بلاغ^٣.

ويذكر الطبري، أن الأمويين عيّنوا على معدن بني سليم عاملاً هو (كثير بن عبد الله)، وذلك في عام ١٢٨هـ - ٧٤٥م^٤.

وكذلك كان الولاة من بني العباس، يرسلون من يشرف على أعمال المنجم. قال في التمهيد: رَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ قَالَ اسْتَعْمَلَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَلَى مَعْدِنِ

^١ مرجع سابق، ١٤٧/٤

^٢ حديث أبي الفضل الزهري، ٥٢٦/١، ط١، ١٤١٨، الناشر: أضواء السلف، الرياض

^٣ الكامل في التاريخ، ٢٦٥/٢، ط١، دار الكتاب العربي- بيروت

^٤ تاريخ الرسل والملوك، ٢٤٨/٧، ط٢، دار التراث- بيروت

^٥ زيد بن أسلم: مولي عمر بن الخطاب. ويكنى أبا أسامة، روى عن ابن عمر. وعن أبيه. وعطاء بن يسار وعبد

الرحمن بن أبي سعيد الخدري وكان ثقة كثير الحديث.

قال مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَمَاتَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ خُرُوجِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ سَنَنْتَيْنِ. وَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ

عَبْدِ اللَّهِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ.



بني سليم^١.

استمر إشراف الدولة العباسية على أعمال هذا المنجم حتى ضعفت،
وانشغلت بالصراعات الداخلية بين أصحاب النفوذ، فشاعت الفوضى، وقل
الإمن، وهذا ما أشار إليه صاحب (المناسك)^٢ بقوله: زعم ابن أبي سعد أنهم كانوا
إذا استخرجوه جاءتهم الحريش وجعدة وقشير وأخذوه منهم، وغلبوهم عليه .

ونتيجة للإهمال وعدم الصيانة، صار استخراجهم غير مجدٍ، فترك، وفي ذلك
يقول أيضاً: وتراب البلد مخلوط بالذهب، والذي حملهم على تركه أن المؤونة
أكثر مما يخرج منه^٢.

وفي العصر الحاضر أعيد فتح المنجم في العهد السعودي، وما زال يستخرج
منه الذهب، وغيره من المعادن النفيسة المصاحبة، إلى وقت الناس هذا.

الرحضية



الرحضية
24°05'26.0"N
40°13'32.0"E

الرحضية: كُراع من حرة بني سليم، يشقها وادٍ من أعلاها
يسمى باسمها، يفيض في وادي الشعبة عند جبل خراب، ويعلو هذه
الحرة اليوم طريق المدينة - المهد المعبد.

^١ ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٣٠٩/١٨، الناشر: وزارة الأوقاف - المغرب
^٢ كتاب المناسك، قيل إنه لإبراهيم الحربي، ولكن الراجح أنه لتلميذه القاضي وكيع.
^٣ المناسك وأماكن طرق الحج، ومعالن الجزيرة، ص ٣٣٥، تحقيق: حمد الجاسر



وحرة الرحضية مازالت على اسمها القديم، ويقال لها أحياناً لأرحضية، تقع جنوب شرق المدينة المنورة، على بُعد حوالي ٧٠ كم، ويمر من تحت أنفها، الطريق الشرقي بين مكة والمدينة (الطريق النجدية).

قال عنها ياقوت فيما ينقله عن عرّام الرحضية: بالكسر ثم السكون وضاد معجمة وياء مشددة من نواحي المدينة قرية للأنصار وبني سليم من نجد وبها آبار عليها زرع كثير ونخيل^١.

^١ معجم البلدان، رسم: الرحضية



سد معاوية وقد كسرتة الزلازل

سد معاوية^١

وفي أواخر عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، أنشئ سد قوي البنيان، يتجلي فيه المدى الذي وصل إليه المسلمون من رقي في علم الهندسة الإنشائية، وهذا السد موجود إلى الآن، وقد انكسر في وسطه وبقيت جوانبه، ربما كان ذلك بسبب الزلازل التي صاحبت ثوران بركان المدينة المنورة التاريخي عام ٦٥٤ للهجرة.



سد معاوية
24°26'33.8"N
39°55'07.7"E

^١ لمزيد من المعلومات عن هذا السد، يرجى الرجوع لكتاب "أودية حمي المدينة" للمؤلف



حجر تأسيس السد

دشن القائمون على بناء السد عند الانتهاء من بنائه بكتابة نقش على حجر التأسيس ثبت في أعلى السد، واستمر هذا الحجر موجوداً في مكانه إلى وقت قريب. وقد حاول بعض لصوص الآثار أخذه من مكانه فصعب عليهم ذلك فتركوه^١

قراءة النقش^٢:

بسم الله الرحمن الرحيم
هذا السد لعبد الله
معوية أمير المؤمنين
اللهم بركله فيه رب
السموت والأرض

^١ الحجر موجود الآن في متحف سكة حديد الحجاز
^٢ دراسات في الآثار الإسلامية المبكرة بالمدينة المنورة، أ.د. سعد بن عبد العزيز الراشد

بنه أبو رداد مولى
عبد الله بن عباس بحو
ل الله و قوته
و قام عليه كثير بن ا
لصلت و أبو موسي

مورد الكدر



مورد الكدر
24°14'12.9"N
40°07'44.9"E

غزوة قرقرة الكدر، ويقال لها أيضاً غزوة بني سليم، لأنها كانت إلى ديار بني سليم، لذلك نجد أن بعض مؤرخي السيرة خلط بينها وبين غزوة بني سليم الأخرى (غزوة بحران)^١.



وقرقرة الكدر الحد الشمالي لديار سليم، وتليهم بنو عوال من غطفان في

^١ انظر، مغلطاي، الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء، ٢١٨/١

الحزم المعروف باسمهم تاريخياً (حزم بني عوال)، ويسمى اليوم حزم صماخ (ومنه حرة الناعمة).

فالنبي ﷺ عندما نهض لبني سليم وحلفائهم من غطفان، أتاهم في محالهم جنوب القرقرة.

يقول الواقدي: فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ حَتَّى جَاءَ فَرَأَى آثَارَ النَّعَمِ وَمَوَارِدَهَا، وَلَمْ يَجِدْ فِي الْمَحَالِ أَحَدًا؛ فَأَرْسَلَ فِي أَعْلَى الْوَادِي نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ.

وَاسْتَقْبَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَطْنِ الْوَادِي، فَوَجَدَ رِعَاءً فِيهِمْ غُلَامٌ يُقَالُ لَهُ: يَسَارٌ فَسَأَلَهُمْ عَنِ النَّاسِ فَقَالَ يَسَارٌ: لَا عِلْمَ لِي بِهِمْ إِلَّا أُرِدُّ لِحُمْسٍ وَهَذَا يَوْمٌ رُبْعِي؛ وَالنَّاسُ قَدْ اِرْتَفَعُوا إِلَى الْمِيَاهِ وَإِنَّمَا نَحْنُ عَزَابٌ فِي النَّعَمِ^١.

وقال ابنُ إسحاق: فَبَلَغَ مَاءٌ مِنْ مِيَاهِهِمْ، يُقَالُ لَهُ: الْكُدْرُ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ .

بعد دراسة ما جاء في المصادر عن الغزوة، واتفقهم على أنها كانت على بني سليم، وبعد تأمل الواقع على الأرض، ترجح عندي، أن قول الواقدي وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ أن المقصود الطريق النجدية (وهي الجادة الرئيسة إلى المدينة)، وأن الوادي هو (وادي خريط^٢)، فهو الذي يطؤه الطريق، وفيه الموارد، أما الوادي الآخر (وادي الشعبة)، فلا موارد فيه، سواء كانت قديمة أو حديثة، أما المياه التي

^١ المغازي

^٢ يلفظ في اللهجة المحكية بابسكان أوله.

ارتفع الناس (بني سليم) إليها، فهي ما تعرف اليوم بآبار غراب.

وبالبحث في وادي خريط، وسؤال أهل المكان العارفين به، أرشدني أحدهم، وهو الأستاذ/ هاجد بن علي العوفي^١ إلى حفرة قطرها حوالي ٣ متر في بطن وادي خريط، يؤكد أهل تلك الناحية انها كانت بئراً قديمة جداً لا يُعرف من احتفرها (في عرفهم تسمى قريشية)، كل القرائن تشير إلى أنها قد تكون هي المورد الذي أقام عليه النبي ﷺ ثلاث ليال كما قال ابن إسحاق. والله تعالى أعلم.

^١ ووقف معي عليها بعد ذلك الشيخ عوض الله بن حمد بن خويتم البراكي الحربي من أهل الوادي، وأكد معرفة أهل تلك الديار بقدمها ولا يعرفون بئراً سواها في الوادي لها هذه الصفة.



صِرَار:



صرار
24°29'13.7"N
39°38'41.5"E

موضع يتكرر كثيراً في السيرة النبوية الشريفة، وفي الأحداث التاريخية المتعلقة بالمدينة المنورة، وقد جُهل اسمه منذ عهد بنيديد، ولكن موضعه معروف اليوم في حيِّ (العريض).

يقع صرار في قرارة من الحرة الشرقية (حرة واقم)، وأهم المعالم الموجودة فيه إلى الآن بئر جاهلي، وبقايا الأطم الذي سُميت الجهة به (أطم صرار).

يبعد صرار عن المسجد النبوي الشريف (على السمّت)، أربع كيلومترات، نزله السيد علي العريضي بن جعفر بن مُحَمَّد بن عَلِي بن الحُسَيْن بن علي بن أبي طالب، وله فيه مسجد كان قائماً إلى عهد قريب.

١٦٣

وفي صدر القرن الرابع عشر الهجري، كان موضع صرار يسمى (أبا الرشيد)^١، وكان ملتقى طرق للحجاج القادمين من شرق المدينة، حيث كان يوجد به محجر صحي (كرنتينة).

صِرَار في المصادر التاريخية

وصفت المصادر صرار، فقال البكري: بكسر أوله، وبالراء المهملة أيضاً في آخره: بئر قديمة، على ثلاثة أميال من المدينة تلقاء حرة واقم. قال زيد بن أسلم: خرجت مع عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، حتى إذا كنا بحرة واقم، إذا بنا توارث

^١ علي بن موسى المدني، وصف المدينة المنورة، ص ١١٦، الناشر: مكتبة الثقافة- المدينة المنورة.

بصرار، فسرنا حتى أتيناها؛ فقال عمر:

السلام عليكم يأهل الضوء، وكره أن يقول يأهل النار، أأدنو؟ فقيل له أدنُ بخير أو دع. وإذا بهم ركب قصر بهم الليل والبرد والجوع، وإذا امرأة وصبيان، فنكص على عقبه، وأقبل يهرول حتى أتى دار الدقيق، فاستخرج عدل دقيق، وجعل فيه كبة من شحم، ثم حملة حتى أتاها، فقال للمرأة: ذري وأنا أحر لك، يريد أأخذ لك حريرة.

وقال حسان بن ثابت يذكر إخراج الأوس والخزرج يهود من يثرب:

فسرنا إليهم بأثقالنا ... على كل فحل هجان قطم

فلما أناخوا بجنبي صرار ... وشدوا السروج بلى الخزم

فَمَا رَاعَهُمْ غَيْرَ مَعِجِ الْخَيْوِ .. لِ وَالرَّحْفُ مِنْ خَلْفِهِمْ فِي دَهْمٍ^١.

ووصف السهمودي صراراً، وهو الخبير به، فقال: سبق في منازل يهود أن أناساً منهم كانوا بالجوانية، وكان لهم بها الأطم الذي يقال له صرار، وبه سميت تلك الناحية صراراً، ولهم الريان أيضاً، وصارا لبني حارثة، قال ابن زبالة: وله يقول نهيك بن يساف:

لعل صراراً أن تجيش بئاره ... ويسمع بالريان تبني مشاربه

فصرار: أطم شامي المدينة من ناحية الحرة ومنازل بني حارثة، وسبق أنهم

^١ هذا البيت الأخير، زيادة من ديوان حسان، ليكتمل جواب الشرط (فلما).



كانوا مع بني عبد الأشهل في دارهم، ثم أجلوهم إلى خيبر، ثم رق لهم حضير بن
سماك الأشهلي^١.

أما ياقوت فقد أطال الكلام على صرار، وذكر الأقوال السابقة فيه، ونقل قول
نصر الإسكندري: إن صراراً ماء قرب المدينة محترف جاهلي على سمت العراق،
وقيل: أطم لبني عبد الأشهل.

وقال أيضاً، إنه جبل من جبال القبلىة نقلاً عن العمراني، راوية الزمخشري،
عن علي بن وهاس العلوي.

قلت: هذا الجبل الذي ذكره العمراني مازال معروفاً جنوب غرب محافظة
العلا، وليس هو صرار المراد هنا، والذي هو موضع فيه أطم وبئر جاهلي قرب
المدينة.

وفي كتاب (الأمكنة والجبال والمياه) لجار الله الزمخشري صرار: قال
السيد علي: وادٍ غربي المدينة، يسيل من أودية البيضاء، بيضاء أشجع، والبيضاء
جبل شاهق قريب من ذي خشب^٢

قلت: البيضاء معروفة، ولا يعرف اليوم وادٍ فيها بهذا الاسم.

^١ وفاء الوفا، رسم: صرار
^٢ مرجع سابق، ص ١٦١،



الطريق النبوي إلى مورد الكدر

١٦٦

الطريق التي سلكها الجيش النبوي إلى مورد الكدر هي الطريق النجدية، وتبدأ من المسجد النبوي، متجهةً إلى الشمال الشرقي، جاعلين البقيع على أيماهم، وديار بني معاوية من الأوس على أيسارهم، ميممين حرة واقم (الحرة الشرقية)، وبعد أن يصلوا صراراً، يميل بهم الطريق إلى الجنوب الشرقي في حرة شوران (وهي الحرة الشرقية القصوى التي تنتهي عند جبل شوران^١ المطل على سد معاوية)^٢، فقد كانت هذه هي الجادة قبل ثوران البركان التاريخي عام ٦٥٤

^١ يسمى جبل شوران اليوم (جبل نبطا)،

^٢ لم يكن السد موجوداً في ذلك الزمن. وللتوسع في معرفة حرة شوران وجبلها، ينظر كتابي (أحساء المدينة، وأودية حمى المدينة) للمؤلف.

للدهجرة.

وبعد حوالي (٢٩) كم من صرار، يهبط بهم الطريق أسفل الحرة، عند جبل

شوران.

في نهاية حرة شوران، وتحت جبل شوران (جبل نبطا اليوم) يجري وادي الشظاة، وتوجد فيه مياه كثيرة، أشهرها (غدير هكر)، ويستمر الطريق يباري الوادي، وقريباً منه حتى يصل قرقرة الكدر (قاع حضوضي).

والجادة الرئيسة (الطريق النجدية) تأخذ في الجانب الجنوبي الشرقي من

القاع، وهي الطريق إلى ديار بني سليم.

١٦٧

وبعد مسير (٢٦) كم، من بداية القاع يصل الجيش النبوي إلى موارد المياه

في طرف القاع الجنوبي، أسفل وادي خريط، وبذلك تكون مجمل المسافة التي قطعها الجيش من خروجه من المدينة حتى وصوله مورد الكدر، حوالي (٦٤) كم.

الفصل الرابع



غزوة السويق^١

^١ السويق: يتخذ من الجنطة والشعير (لسان العرب). وهو طعام مازال معروفاً بهذا الاسم، يتخذ من الحبوب أي كان نوعها، فتحمص وتطحن، ثم يتم حفظها لاستعمال طويل الأجل، وعند الاستعمال قد يضاف لها العسل، أو السم، وخلافه.

تاريخ الغزوة

عند الجمهور أنها حدثت في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة، وهذا هو قول الواقدي، وتبعه ابن سعد وغيره، وكذلك عند ابن إسحاق، ومن تبعه، وهناك قول عند ابن حبان أنها في ذي القعدة.

قال الواقدي: غَزْوَةُ السَّوَيْقِ فِي ذِي الْحِجَّةِ، عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ شَهْرًا. خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِخَمْسِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَغَابَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ^١.

وعند ابن إسحاق: غَزَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ غَزْوَةَ السَّوَيْقِ فِي ذِي الْحِجَّةِ^٢.
أما ابن حبان، فعنده أن الغزوة كانت في ذي القعدة^٣.

يلاحظ أن كل الأقوال مجمعة على أن الغزوة بعد وقعة بدر بفترة قصيرة، وستين بعد قليل سبب قصر هذه المدة!

سبب الغزوة

بعد اندحار قريش في بدر، شعر أبو سفيان أن مكانة قريش في العرب، كقبيلة مرهوبة الجانب، قد تزعزعت، ولا بد من عمل يعيد لقريش شيئًا من تلك الهيبة.
لكن شن الحرب على المسلمين يحتاج إلى وقت، وموارد مادية كثيرة،

^١ المغازي

^٢ السيرة النبوية

^٣ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، (غزوة السويق)



«قبل كل شيء الاستعداد النفسي، فرجال قريش منهارون نفسياً من آثار الهزيمة، ويحتاجون إلى وقت حتى يكونوا مستعدين لإعادة الكرة.

لكن أبا سفيان غير مستعد للانتظار، فهو لم يشهد المعركة، وكزعيم من زعماء قريش، عزم على أن يقوم بعمل يجعله يبدو كأنه شارك فيها.

أحداث الغزوة

يقول ابن إسحاق: فَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ، حِينَ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ، وَرَجَعَ فُلُّ قُرَيْشٍ مِنْ بَدْرٍ، نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهُ مَاءٌ مِنْ جَنَابَةٍ، حَتَّى يَغْزَوْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ فِي مَائَتِي رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، لِيَبْرَّ يَمِينَهُ، فَسَلَكَ النَّجْدِيَّةَ، حَتَّى نَزَلَ بِبَدْرٍ فَنَاقَةَ إِلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: ثَيْبٌ، مِنْ الْمَدِينَةِ عَلَى بَرِيدٍ أَوْ نَحْوِهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ اللَّيْلِ، حَتَّى أَتَى بَنِي النَّضِيرِ تَحْتَ اللَّيْلِ، فَأَتَى حُيَّيَّ بْنَ أَخْطَبَ، فَضْرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ بَابَهُ وَخَافَهُ، فَانصَرَفَ عَنْهُ إِلَى سَلَامِ بْنِ مِشْكَمٍ، وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي النَّضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ، وَصَاحِبَ كَنْزِهِمْ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَرَأَهُ، وَسَقَاهُ، وَبَطَّنَ لَهُ مِنْ خَبَرِ النَّاسِ، ثُمَّ خَرَجَ فِي عَقِبِ لَيْلَتِهِ حَتَّى أَتَى أَصْحَابَهُ، فَبَعَثَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَتَوْا نَاحِيَةَ مِنْهَا، يُقَالُ لَهَا: الْعَرِيضُ، فَحَرَقُوا فِي أَصْوَارٍ مِنْ نَخْلِ بِهَا، وَوَجَدُوا بِهَا رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَحَلِيفًا لَهُ فِي حَرْثٍ لَهُمَا، فَفَتَلُوهُمَا، ثُمَّ انصَرَفُوا رَاجِعِينَ. وَنَذَرَ بِهِمُ النَّاسُ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِمْ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ بَشِيرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، وَهُوَ أَبُو لُبَابَةَ، فِيمَا قَالَ ابْنُ

^١ الفل، القوم المنهزمون.

^٢ الأصوار: جمع صور يفتح الصاد، وهو جماعة التخل.

هشام، حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعاً، وقد فاتهُ أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحرب يتخففون منها للنجاء، فقال المسلمون، حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، أطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: نعم^١.

سَبَبُ تَسْمِيَّتِهَا بِغَزْوَةِ السَّوِيْقِ

قال الواقدي، ووافقه ابن إسحاق، أن أبا سفيان، لما اعتدى على الأنصارين في العريض، رأى أن يمينه قد حُلَّتْ، ثم ذهب هارباً، وخاف الطلب، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فنَدَبَ أصحابه فخرجوا في أثره، وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون فيلقون جرب السويق - وهي عامَّة زادهم - فجعل المسلمون يَمُرُّونَ بِهَا فَيَأْخُذُونَهَا، فَسَمِيَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ غَزْوَةَ السَّوِيْقِ لِهَذَا الشَّانِ^٢.

المعالم الواردة في الغزوة

معالم هذه الغزوة مشابهة تقريبا، لغزوة قرقرة الكدر، لأن النبي ﷺ خرج من المدينة حتى وصل قرقرة الكدر في كلتي الغزوتين، وسلك نفس الطريق (الطريق النجدية).

لكن هذه الغزوة ورد فيها ثلاثة معالم؛ جبل ثيب، العريض، وطريق أبي

سفيان إلى بني النضير

^١ السيرة النبوية لابن هشام

^٢ المغازي، غزوة السويق



جبال تيب



جبال تيب بالقرنفذ
24°26'49.4"N
39°51'07.7"E

هذه جبال حمر معروفة، تقع شرق المدينة، على بعد

حوالي ٢٠ كم.

وقد تعرض اسم هذه الجبال لعدة تغييرات؛ ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان سلمة بن الأكوع الأسلمي -رضي الله عنه- يصيد الطباء فيهدي لحومها لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جفيفا وطريا، ففقدته النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: (يا سلمة ما لك لا تأتيني بما كنت تأتي به؟ فقال يا رسول الله! تباعد عنا الصيد، فإنما نصيد بتيب وصدور قناة، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (أما إنك لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك إذا ذهبت، وتلقيتك إذا رجعت، فإني أحب العقيق .

واتفق أبو علي الهجري مع ما جاء في الحديث المذكور، فقال: حرة بني

سليم تبتدي من ذات عرق ورهاط، ثم تنقطع بحبس عوال وراء تيب إلى قرب الطرف المنزل الذي قبل المدينة .

وفي وفاء الوفاء للسهمودي: قوله: تيب: بفتح المثلثة، ثم مشاة تحتية ساكنة، ثم موحدة - كذا في النسخة التي وقعت عليها من ابن زباله، وقال: إنه جبل في شرق المدينة، وكذا هو في العقيق للزبير بن بكار، وكذا رأيت مضبوطا بالقلم في أصل معتمد من تهذيب ابن هشام، فإنه قال في غزوة السويق: فخرج أبو سفيان حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له: تيب من المدينة على بريد أو نحوه، وكذا هو في العقيق لأبي علي الهجري، إلا أنه قال عقبه: ثيب كتيب، فاقضى أن الياء الساكنة بعدها همزة، ويشهد لذلك ما سيأتي في أسماء البقاع من ترجمة الشظاة من شعر عباس بن مرداس .

وقال السهمودي أيضا: ووقع في كتاب ابن النجار وتبعه المطري: تيم: بفتح المشاة الفوقية والتحتية وبالميم، قلت: وفي شرقي المدينة جبل يعرف اليوم بهذا الاسم، وقال المجد: إنه تصحيف، والصواب: يتيب، بلفظ مضارع تاب إذا رجع، فهو بالتاء المشاة من فوق، ولذا ذكره في مادتها من القاموس .

وقال في مادتها أيضا: تياب كفعّل موضع، ولم يتعرض لذلك في التاء المثلثة .

قلت: هذه الجبال قد تعرض اسمها لعدة تغيرات، ففي الصدر الأول كان

اسمها: ثيب، تيب، ثم تياب ويثيب، ثم استقر على تيم من عصر ابن النجار (القرن السابع الهجري)، حتى الوقت الراهن.

ومن المؤرخين المعاصرين الذين وصفوا جبال تيم: المؤرخ/ إبراهيم العياشي، فقال: لا يزال هذا اسمه، ويقع في شرقي المدينة على طولها، ويبعد عن المدينة من ناحية المطار بنحو عشرين كيلو متر، وهو أحمر طويل في نحو أكثر من عشرة كيلو مترات.

أما ارتفاعه في كافة امتداده فليس بالمرتفع كثيرا، وفي طرفه الشرقي الشمالي كان خيف، وهو ميت منذ زمن بعيد، وبين المطار وبينه رحبة وسبعة، وله علاقة بحدود حمى المدينة^١.

١٧٧

ويقول الشيخ عائق البلادي: تيم: بفتح المثناة فوق، وسكون المثناة تحت، وآخره ميم، جبال حمر تشرف على سد العاقول من الشرق، ترى من المدينة منقادة من الشمال إلى الجنوب، تكنع في وادي الخنق يمر طريق القصيم بطرفها الشمالي بين المدينة والصويدرة^٢.

^١ المدينة بين الماضي والحاضر، الفصل السادس، وادي قناة
^٢ معجم معالم الحجاز، ٥٣/٢، ط١، دار مكة



العريض



العريض
24°29'12.2"N
39°38'38.5"E

العريض: موضع معروف اليوم، وسُمي به حيٌّ من أحياء الحرة الشرقية (حرة واقم)، ويطلق العريض على الجزء الشمالي من الحرة، وكان يجري فيه وادي العريض (شعبة من وادي مهزور)، تفيض في وادي قناة، وفي العريض يقع أطم وبئر صرار.

قال في لسان العرب: العريض تصغير العريض، والعريض: الوادي، وقيل جانبه، وقيل عريض كل شيء ناحيته، والعريض: الجماعة من الطرفاء والأثل والنخل ولا يكون في غيرهن. وأعراض المدينة هي قراها التي في أوديتها، وقيل: هي بطون سوادها حيث الزرع والنخيل.

والعَرِيضُ، بِضَمِّ الْعَيْنِ، مُصَغَّرٌ: وادٍ بِالْمَدِينَةِ بِهِ أَمْوَالٌ لَأَهْلِهَا؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي سَفْيَانَ: أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى بَلَغَ الْعَرِيضَ^١.

قلت: والعريض الذي في المدينة، تنطبق عليه كل الصفات الواردة هنا في معنى (العرض).

العريض في المصادر التاريخية

قال عنه السهودي: تصغير عرض، وادٍ بالمدينة، قاله الهمداني، وهو معروف شامي المدينة قرب قناة، وتقدم حديث «أصح المدينة من الحمى ما بين حرة بني قريظة إلى العريض» وفي السير أن أبا سفيان أحرق صوراً من صيران نخل العريض، ثم انطلق هارباً .

وقال السهودي أيضاً، وهو يتحدث عن شعاب وادي مهزور: ولم يتعرض ابن شبة للشعبة التي تشق من مهزور إلى العريض، وهو معظمه، بسبب السد المبني هناك، وقد اقتصر عليها المطري، فقال: مهزور شرقي العوالي، شمالي مذيذب، ويشق في الحرة الشرقية إلى العريض، ثم يصب في وادي الشظاة.

قال الزين المراغي عقب نقله: وكأن حرة شوران أي المذكورة في كلام ابن زباله هي الحرة الشرقية^٢.

وحده البلادي بقوله: الْعَرِيضُ بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ، وَفَتْحِ الرَّاءِ، وَسُكُونِ

^١ لسان العرب، مادة: العرض

^٢ مرجع سابق، ٢١٤/٣، وكلام الزين المراغي هذا، يؤكد أن حرة شوران شرق المدينة، خلافاً لما عليه الناس اليوم، من أنها جنوب المدينة.



المُثَنَّاةِ التَّحْتِيَّةِ، وَآخِرُهُ ضَادٌّ مُعْجَمَةٌ: نَاحِيَةٌ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي طَرْفِ حَرَّةٍ وَاقِمٍ، شَمَلَهَا
الْيَوْمَ الْعُمَرَانُ، مَا زَالَتْ مَعْرُوفَةً. جَاءَ ذِكْرُهَا فِي غَارَةِ أَبِي سُفْيَانَ فِي غَزْوَةِ السَّوِيْقِ،
كَانَ يُنْسَبُ إِلَى الْعَرِيضِ هَذَا قَوْمٌ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، يُقَالُ
لَهُمُ الْعَرِيضِيُّونَ.^١

طريق أبي سفيان إلى بني النضير

السالك على الطريق النجدية في اتجاه المدينة، بعد أن يجتاز نقب شوران
يصل إلى الطرف الجنوبي لجبال تيم، عند جبال تسمى اليوم (الفرائد)، لأنها
انفردت عن جبال تيم، وهي معتبرة جزءاً منها؛ فقرب ذلك المكان ينشعب الطريق
شعبتين؛ اليمنى إلى العريض (صرار)، واليسرى إلى عوالي المدينة (بني قريظة
والنضير).

^١ مرجع سابق، ٢٠٥/١، والعريضيون نسبة إلى علي العريضي.





والشعبة اليسرى هذه هي التي سلكها أبو سفيان لمقابلة حُجَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ،

وَسَلَامِ بْنِ مِشْكَمٍ.

هذه الشعبة هي التي قدم منها أبو شجرة بن عبد العزى السلمي على عمر بن الخطاب، في قصة روتها كتب التاريخ، جاء فيها .. ثم إن أبا شجرة أسلم، ودخل فيما دخل فيه الناس، فجعل يعتذر ويوجد أن يكون قال البيت المتقدم، فلما كان زمن عمر بن الخطاب، قدم أبو شجرة وأناخ راحلته بصعيد بنى قريظة، وجاء من حرة شوران، ثم أتى عمر وهو يقسم بين فقراء العرب، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطني، فإني ذو حاجة، فقال: من أنت؟ قال:

^١ لَمَا ارْتَدَّ قَالَ قَصِيدَةً فِيهَا هَذَا الْبَيْتُ: فَرُوَيْتَ رَمَحِي مِنْ كَتِيْبَةِ خَالِدٍ ... وَإِنِّي لِأَرْجُو بَعْدَهَا أَنْ أَعْمُرَا

أنا أبو شجرة بن عبد العزى، فقال له: يا عدو الله، ألسنت الذي يقول:

فرويت رمحي من كتيبة خالد ... وإني لأرجو بعدها أن أعمرها

عمر الله سوء ما عشت لك يا خبيث، ثم جعل يعلوه بالدرة على رأسه، حتى سبقه
عدوًّا، وعمر في طلبه، فرجع أبو شجرة مولياً إلى راحلته، فارتحلها، ثم شد بها في
حرة شوران راجعاً إلى أرض بني سليم.

وقال أبو شجرة فيما كان من ذلك:

ضن علينا أبو حفص بنائله وكل مختبط يوماً له ورق

لما لقيت أبا حفص وشرطته ... والشيخ يقرع أحياناً فينحمق

ثم ارعويتُ إليها وهي جانحة ... مثل الطريدة لم ينبت لها ورق

أقبلتها الخلل من شوران صادرة ... أني لأزري عليها وهي تنطلق^١



^١الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء، ١٤٧/٢، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت

الفصل الخامس

غزوة ذي أمّر

تاريخ الغزوة

عند ابن إسحاق، ومن وافقه، أنها بعد غزوة السويق، في أواخر محرم من السنة الثالثة للهجرة.

يقول ابن إسحاق: غزوة ذي أمر إلى نجد سنة ثلاث: فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق، أقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم، أو قريباً منه ثم غزا نجداً يريد بني غطفان وهي غزوة ذي أمر، فأقام بنجد صفراً كله، أو قريباً من ذلك، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً^١.

وعند الواقدي، وابن سعد، ومن وافقهما، أنها كانت في يَوْمِ الْخَمِيسِ لِثَنَيْ عَشْرَةَ حَلَّتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثٍ^٢.

سبب الغزوة

بعد أن أفضلت غزوة قرقرة الكدر الاستباقية، في شوال من السنة الثانية للهجرة، تخطيط تحالف بني سليم وغطفان لغزو المسلمين في المدينة؛ قام جمع من قبائل غطفان، وهم: بنو ثعلبة بن سعد ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر، ومحارب بن خصفة بن قيس عيلان، وأنمار^٣ بن بغيض بن ريث بن غطفان؛ قاموا بالتجمع على ماء لهم، في وادٍ من أوديتهم يدعى (ذو أمر)، استعداداً لغزو المدينة، والنيل من أطرافها، وتولى هذا الجمع أحد

^١ سيرة ابن إسحاق، ط١، دار الفكر-بيروت

^٢ المغازي، غزوة ذي أمر

^٣ سمي الحاكم الغزوة يغزوة أنمار. انظر: سيرة مغلطاي، وتاريخ الخميس، المبعث والمغازي، وغيرهم

أحداث الغزوة

قال الواقدي: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَبِي هُنَيْدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَتَابٍ، وَحَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ الضَّحَّاكِ بْنِ عُثْمَانَ، وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَرَادَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْحَدِيثِ، وَغَيْرُهُمْ قَدْ حَدَّثَنَا أَيضًا، قَالُوا: بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ جَمْعًا مِنْ ثَعْلَبَةَ وَمُحَارِبٍ بِذِي أَمْرِ، قَدْ تَجَمَّعُوا يُرِيدُونَ أَنْ يُصِيبُوا مِنْ أَطْرَافِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمْعَهُمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: دُعْثُورُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُحَارِبٍ. فَتَدَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ؛ فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ رَجُلٍ وَخَمْسِينَ، وَمَعَهُمْ أَفْرَاسٌ فَأَخَذَ عَلَى الْمُتَّقَى، ثُمَّ سَلَكَ مَضِيقَ الْحُبَيْتِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى ذِي الْقِصَّةِ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ بِذِي الْقِصَّةِ يُقَالُ لَهُ: جَبَّارٌ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ، فَقَالُوا: أَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ يَثْرِبَ، قَالُوا: وَمَا حَاجَتُكَ يَثْرِبَ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَرْتَادَ لِنَفْسِي وَأَنْظُرَ، قَالُوا: هَلْ مَرَرْتَ بِجَمْعٍ أَوْ بَلَعَكَ خَبْرَ لِقَوْمِكَ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ دُعْثُورَ بْنَ الْحَارِثِ فِي أَنَاسٍ مِنْ قَوْمِهِ عَزَلٌ، فَأَدْخَلُوهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ.

وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُمْ لَنْ يَلَاقُوكَ؛ إِنْ سَمِعُوا بِمَسِيرِكَ هَرَبُوا فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ، وَأَنَا سَائِرٌ مَعَكَ وَدَالَكَ عَلَى عَوْرَتِهِمْ، فَخَرَجَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَصَمَّهُ إِلَى بِلَالٍ، فَأَخَذَ بِهِ طَرِيقًا أَهْبَطَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَثِيبٍ، وَهَرَبَتْ مِنْهُ الْأَعْرَابُ فَوْقَ الْجِبَالِ، وَقَبَلَ

ذَلِكَ مَا قَدْ غَيَّبُوا سَرَ حَهُمْ فِي ذُرَى الْجِبَالِ وَذَرَارِيهِمْ، فَلَمْ يُلاقِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا،
 إِلَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَا أَمْرٍ وَعَسْكَرَ مُعْسَكَرَهُمْ
 فَأَصَابَهُمْ مَطَرٌ كَثِيرٌ فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ فَأَصَابَهُ ذَلِكَ الْمَطَرُ فَبَلَ ثَوْبَهُ وَقَدْ
 جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاوِي ذِي أَمْرٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ. ثُمَّ نَزَعَ ثِيَابَهُ فَنَشَرَهَا لِتَجِفَّ
 وَالْقَاهَا عَلَى شَجَرَةٍ، ثُمَّ اضْطَجَعَ تَحْتَهَا وَالْأَعْرَابُ يَنْظُرُونَ إِلَى كُلِّ مَا يَفْعَلُ. فَقَالَتْ
 الْأَعْرَابُ لِدُعُورِ، وَكَانَ سَيِّدَهَا وَأَشْجَعَهَا: قَدْ أَمَكَّنَكَ مُحَمَّدٌ وَقَدْ انْفَرَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ
 حَيْثُ إِنَّ غَوَّثَ بِأَصْحَابِهِ لَمْ يُعْثَ حَتَّى تَقْتُلَهُ، فَاخْتَارَ سَيْفًا مِنْ سِوْفِهِمْ صَارِمًا، ثُمَّ
 أَقْبَلَ مُشْتَمِلًا عَلَى السَّيْفِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ بِالسَّيْفِ مَشْهُورًا، فَقَالَ: يَا
 مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي الْيَوْمَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ، قَالَ: وَدَفَعَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ فِي صَدْرِهِ، وَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَامَ بِهِ عَلَى رَأْسِهِ،
 فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي الْيَوْمَ؟ قَالَ: لَا أَحَدًا، قَالَ: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ
 مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَا أَكْثَرُ عَلَيْكَ جَمْعًا أَبَدًا، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيْفَهُ، ثُمَّ
 أَدْبَرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَا أَحَقُّ
 بِذَلِكَ مِنْكَ. فَاتَى قَوْمَهُ، فَقَالُوا: أَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ وَقَدْ أَمَكَّنَكَ وَالسَّيْفُ فِي يَدِكَ؟
 قَالَ: وَاللَّهِ كَانَ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ أَبْيَضَ طَوِيلٍ دَفَعَ فِي صَدْرِي فَوَقَعَتْ
 لِظَهْرِي، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ مَلَكٌ وَشَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَاللَّهِ
 لَا أَكْثَرُ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ.

وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ
 أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ الْآيَةُ. وَكَانَتْ غَيْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ إِحْدَى

عَزْرَةَ لَيْلَةَ وَاسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ عَلَى الْمَدِينَةِ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^١.

معالم الغزوة

جاء في هذه الغزوة خمسة معالم، تتيح لنا متابعة الجيش النبوي من خروجه من المدينة إلى وصوله إلى موقع الغزوة، وهذا ما لا نجد في أي مصدر آخر، فرحم الله الإمام محمد بن عمر الواقدي رحمة واسعة، وجعل ما قدمه لخدمة سيرة المصطفى ﷺ في ميزان حسناته، وأن يُشَفَّعَ فينا وفيه نبيه ﷺ.

والمعالم الخمسة هي: - ذو أمر - المنقى - مضيق الخبيث - ذو القصة - الكئيب.

ذو أمر



ذو أمر
24°53'53.2"N
40°23'02.0"E

ذو أمر وادٍ يقع شرق المدينة في ديار غطفان، تغير اسمه من عهد بعيد، فلا يعرف اليوم وادٍ بهذا الاسم في تلك الجهة.

ومن أجل أن نتعرف عليه، فلا بد أن نعود إلى المصادر، لعلنا نجد فيها صفات تدل عليه، أو علامات تشير إليه.

^١ المغازي، غزوة غطفان بذي أمر



ذو أمر في المصادر

١٩٠

-عند ياقوت: أَمْرٌ: بلفظ الفعل من أمر يأمر، معرب ذو أمر:

موضع غزاه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال الواقدي: هو من ناحية النخيل، وهو بنجد من ديار غطفان وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خرج في ربيع الأول من سنة ثلاث للهجرة لجمع بلغه أنه اجتمع من محارب وغيرهم، فهرب القوم منهم إلى رؤوس الجبال، وزعيمها دعثور بن الحارث المحاربي، فعسكر المسلمون بذئ أمر.

والأمر: في الأصل الحجارة تجعل كالأعلام، قال ابن الأعرابي: الأروم واحدها إرم وهي أرفع من الصوى، والأمر أرفع من الأروم، الواحدة أمرة، قال ابو زبيد:

إن كان عثمان أمسى فوقه أمر، ... كراتب العون فوق القبة الموفي

وقال الفراء: يقال ما بها أمر أي علم، ومنه: بيني وبينك أمانة^١

قلت: أشار ياقوت - رحمه الله - هنا إلى صفة مهمة يتصف بها هذا الوادي تميزه عما حوله من أودية أو مواضع، وهي وجود أعلام من حجارة، كأنها علامات أو أمارات، أو أنصاب، فُسمي الوادي (ذو أمر) من أجل ذلك. لأن العرب تطلق على الأعلام والمواضع أسماء تدل على صفة غالبية عليها؛ فذو سمر، وذو سلم، أو ذية أو مواضع، سميت بذلك لغلبة شجر السمر والسلم فيهما، وُسمي جبل ثور بهذا الاسم لأن الجبل يشبه الثور في مظهره، وكذلك جبل ضبع، لأنه يشبه الضبع في تناثر وخشونة جلده، وهكذا..

١٩١

- نقل السمهودي عن الأسدي^٢ قوله: ذو أمر: بفتحتين، واد بطريق فيد إلى

المدينة على نحو ثلاث مراحل من المدينة (بقر) النخيل^٣.

قلت: نقلنا السمهودي في نقله السابق إلى درجة أعلى لتعرفنا على (ذو أمر)؛

فهو وادٍ على الطريق بين فيد والمدينة.

^١ معجم البلدان، رسم: أمر

^٢ "كان من أبرز من عُني بتحديد المنازل من العلماء المتقدمين، عالم يدعى أبا عبدالله محمد بن أحمد الأسدي ولا تعرف عن هذا العالم إلا ما تكلم عنه السمهودي، مورخ المدينة، فقال: (إنه من المتقدمين، يؤخذ من كتابه أنه كان في المئة الثالثة)، وقد ذكر أن له منسكاً حدد فيه أمكنة المساجد النبوية، وأورد السمهودي ذلك التحديد مفرداً في كتابه. وقد نقل القاضي عياض في شرح مسلم عند الكلام على «إهاب» عن عالم يدعى الأسدي ووصفه بأنه من مشايخه، ولا نعلم هل هو هذا أم غيره؟" (حمد الجاسر - مجلة العرب).

^٣ في الأصل (بقريّة النخيل) والصحيح ما أثبتناه.

^٤ مرجع سابق، ١٦/٤، النخيل وادٍ معروف اليوم تقع عليه مجموعة قرى، شمال الحناكية (نخل قديماً).

وطريق فيد معروف الآن بكل تفاصيله، بفضل كتاب المناسك^١، الذي نشره وحققه الشيخ حمد الجاسر-رحمه الله- وقام الشيخ عبد الله بن محمد الشايع (رحمه الله)، بتتبع هذا الطريق من فيد إلى المدينة^٢.

فما هي الأودية التي يقطعها طريق فيد عندما يقترب من النخيل؟

الأودية التي يقطعها الطريق قرب النخيل من الشرق .

طريق فيد قبل أن يصل إلى النخيل في اتجاه المدينة، يقطع وادياً عظيماً، اسمه التاريخي وادي الكديد، قال عنه صاحب المناسك، وهو يصف الطريق من السعد إلى النخيل: والكديد وادٍ به أحساء كثيرة قل ما يفارقه ماء عذب، ويقال: إن عند غريبه على دعوة مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه، وبه خيام اعراب من بني كنانة^٣.

ونقل السمهودي عن الأسدي: الكديد: بالفتح ودالين مهملتين بينهما مائة تحت ساكنة، وادٍ قرب النخيل يقطعها الطريق من فيد إلى المدينة، على ميل منه مسجد تقدم^٤.

ذو أمر غير الكديد

ونفهم من قول السمهودي نقلاً عن الأسدي، المغامرة بين الكديد وذو أمر،

^١ كتاب المناسك نُشر في البداية على أنه لإبراهيم الحربي، ثم اتضح لاحقاً أنه قد يكون لتلميذه القاضي وكيع، وأن اسم الكتاب (الطريق).

^٢ نشرته دار الملك عبد العزيز باسم (طريق الأخرجة)

^٣ المناسك، ص ٥٢٠، تحقيق: حمد الجاسر

^٤ يقصد مسجد النبي ﷺ قرب الكديد



وأن ذا أمر قبل الكديد، يقول-رحمه الله-: وذكر الأسدي هذا المسجد (مسجد الكديد) في وصف الطريق بين فيد والمدينة، فقال بعد ذكر ذي أمر: إن الكديد واد، والطريق يقطعه .

وفي هذا العصر قام الشيخ عبد الله بن محمد الشايع (رحمه الله) بتحقيق طريق فيد إلى المدينة المنورة، فلما تجاوز منزل السعد (المستجدة) وصار على مقربة من النخيل وشاهد أنواره، قال: وبالإستمرار وصلنا إلى مجرى وادٍ فحل تكثرفيه أشجار الطلح الكبيرة؛ إنه وادي الجفران، ونقطة مرورنا به على درجة ٢٥ ٠٨١٩، وخط الطول ٤٠٢٩٥٨.٣

قلت: اتضح الآن أن الوادي الذي يقع شرق النخيل، ويقطعه طريق فيد، اسمه الكديد، وهو اسم قديم له، وقد تغير اسمه اليوم، فأصبح يسمى وادي الجفران.

الأودية التي يقطعها الطريق قرب النخيل من الغرب

يقطع طريق فيد واديان يقعان غرب النخيل، هما وادي ذارة، وادي مديسيس.

-وادي ذارة: إذا تجاوزت النخيل متجهًا إلى المدينة على طريق فيد، فأول وادٍ يلقاك هو وادي ذارة، نسبة إلى حرة بهذا الاسم.

^١ يفهم من هذا القول: أن الأسدي يصف الطريق من الغرب إلى الشرق، فيكون التسلسل: ذو أمر، النخيل، الكديد
^٢ أصدره في كتاب سماه (طريق الأخرجة)
^٣ طريق الأخرجة، ص ١٦٤

وادي ذارة، وحرته باقيان على اسميهما مع تغير طفيف، فقد سماهما صاحب المناسك (وادي وحره ذروة).

يقول-رحمه الله- وعلى ثلاثة عشر ميلاً من النخيل حره، وذروة.

وذروة وادٍ، وهما حرتان متضابقتان، الطريق بينهما^١.

قلت: لم يتبق سوى وادٍ واحد يقطعه طريق فيد إلى المدينة، بين النخيل والشقرة، هو الوادي المسمى اليوم وادي مديسيس.

فهل تنطبق على هذا الوادي صفات (ذو أمر)؟

قمتُ بعدة رحلات على طريق فيد من المدينة إلى المنزل الواقع بعد النخيل، (السعد)، المسمى اليوم (المستجدة). وبعد دراسة الطريق، وتطبيق ما جاء في المصادر من وصف لوادي ذي أمر، والطريق إليه، تأكد لدي أنه هو الوادي المسمى اليوم (وادي مديسيس)^٢، لانطباق كل الصفات عليه، وأهمها:

-وادي مديسيس يمر به طريق فيد قبل النخيل للمتجه من المدينة شرقاً، فالوادي يتقاسم الماء مع وادي الشقرة، فما سال غرباً فالإلى وادي الشقرة، وما سال شرقاً فالإلى وادي مديسيس، الذي يأخذ أعلى مساقطه من جبل أشقر، الواقع على جادة طريق فيد، ويُرَى اليوم أحد أعلام الطريق أسفل هذا الجبل.

^١ مرجع سابق، ص ٥٢٢

^٢ مديسيس: حرة صغيرة سهلة المرتقى، تقع غرب الحناكية بحوالي (١٠) كم، وهي ذراع منفصل من حرة خبير (حسب ما جاء في كتاب الحرات، لهيئة المساحة الجيولوجية، ص ١٤٥)، يقطعها طريق الحناكية القديم، وكذاك الطريق السريع.



- وادي مديسيس يمر من تحت جبال عالية، تسمى اليوم (جبال كُشْر)، تتميز
 دُرَاهَا بوجود تشكيلات حجرية عجيبة، تترأى للناظر إليها كأنها أنصباب، أو
 أعلام، أو شواخص، تطل على الوادي، في منظر فريد نادر، يستحق أن يوصف به
 الوادي المار بقرب هذه الجبال، فيُسَمَّى: (ذو أمر)^١.

- يُهبط إليه من كثبان تقع بين جبال أظلم، وجبال كشر، للقادم من المدينة،
 وهذا يتسق تماماً مع قول الواقدي فَأَخَذَ بِهِ طَرِيقًا أَهْبَطَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَثِيبٍ .



- مازال يطلق اليوم على أسفل وادي مديسيس اسم (المرية)^٢، وأرى أن هذا

^١ راجع تعريف ياقوت المتقّم للأمر.

^٢ يوجد في أسفل الوادي آبار قديمة جداً (قريشية حسب عرفهم)، تسمى آبار المرية، وهي بالتأكيد ليست نسبة إلى بني مرة، فهؤلاء ديارهم بعيدة من هنا.



بقية من الاسم القديم (ذو أمر). واستبدال ياء النسبة ب(ذي، أو ذات) ، أمر درج الناس عليه من عهد بعيد؛ فقالوا لذات النصب (النصيبة)^١، ولذي مرخ (المرخية)^٢، ولذي مِراخ (المريخيات)^٣ ولذي أرطى (الأرطاوية)^٤، ولذي سلم (السلمية).. وهكذا.

- في بطن الوادي قرارة في وسط الحرة، تسمى (المحير)، يتجمع فيها سيل الوادي مع ما يأتيه من شراج الحرة من حوله، فيصبح كالغدير الواسع، ومن المرجح أن نزول الجيش النبوي كان بقربه. ولعل هذا المكان هو المقصود عند من وصف ذا أمر بأنه ماء°.

- يبعد مكان نزول الجيش النبوي عن التُّخيل حوالي (١٩) كم، على السمّت.

- محير وادي ذي أمر قريب من جبال كشر، التي امتنع فيها أعراب غطفان، فلا أستبعد أن تكون حادثة دعثور بن الحارث التي ذكرها الواقدي قد حدثت في ذلك الحيز الواقع بين الوادي والجبل.



المنقى
24°34'00.1"N
39°45'35.8"E

والمنقى جزء من الطريق الرئيس الذي يصعد الحرة فتمت

المنقى:

^١ واد في جبال قدس الأبيض.

^٢ قرية في قطر يكثر في واديه شجر المرخ.

^٣ أرض جنوب مزدلفة

^٤ بلدة معروفة شمال الزلفي.

° انظر مثلاً: السيرة النبوية لابن كثير، ٣/٣، سبل الهدى والرشاد، ١٧٦/٤



١٩٦



تسويته ورصفه حتى تستطيع الدواب، وخاصة المحملة بالأثقال عبوره بسهولة.
وهناك عدة طرق يطلق عليها المنقى، أشهرها وأهمها، المنقى الذي يخرج
من المدينة المنورة باتجاه الشرق إلى نجد والعراق، ويدعى (المنقى الشرقي)،
وهو هذا.



يقع هذا المنقى في حرة العاقول شرق مطار المدينة المنورة مباشرة، ويبعد
عن المسجد النبوي الشريف (١٨,٥) كم، على السمى. وتُعرف هذه الحرة
تاريخياً باسم (حرة هيفا) ولها ذكر في السيرة النبوية ويُعدُّها المؤرخون من معالم
المدينة المنورة المهمة، وقد اكتنفها البنيان من جهة، وتوسعة المطار من جهة
أخرى، وهذا مصداق للحديث النبوي؛ من أن بنيان المدينة سيتصل بهيفا^١.

يبدأ المنقى من بداية حرة هيفا، ويمتد بامتدادها ثم ينقطع ليبدأ من جديد في

^١ للاطلاع على تفاصيل هذه المعجزة النبوية، انظر كتاب "أودية حى المدينة" للمؤلف.

جبال السايية وحرّة ذارة، وحرّة النخيل آخذاً فيما يعرف تاريخياً بطريق فيد.

والمنقى ما زال موجوداً باديّاً للعيان كأن العمل انتهى منه بالأمس ماعدا الجزء الأول منه لأقرب للمدينة فقد طوّقه البنيان، وعلى وشك أن يتلعه، وهذا الجزء هو أهم أجزاء الطريق لِقَدَمه ولوروده في السيرة النبوية، وتعلقه بتاريخ المدينة المنورة.

ورد هذا المنقى في السيرة النبوية؛ فقد سلكه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات على الأقل؛ في غزوة ذي قرد وذي أمر وذات الرقاع، وإليه انتهى المنهزمون يوم أحد.

وعندما خالف الرماة أمر النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأدى ذلك إلى هزيمة المسلمين، انهزم بعضهم إلى المنقى. وفي ذلك يقول ابن إسحاق وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم إلى المنقى دون الأعوص .

والأعوص هو ما يعرف اليوم بالمجامع أي مكان اقتران أودية العوينة والرصيعة وخضراء والثعلة وغيرها من الشعاب التي تمر في المطار ثم تفيض في وادي قناة.

وفي مغازي موسى بن عقبة أن المجرمين من عُرينه بعد أن نفذوا جريمتهم في قتل (يسار) راعي لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمثيل به، استاقوا اللقاح محاولين الفرار بها إلى نجد فأدرکتهم السرية التي بعثها النبي صلى الله عليه



وسلم في أثرهم فوق المنقى وعادوا بهم ليلقوا جزاء ما اقترفته أيديهم.

وقد كان هذا المنقى منفذاً للحجاج والزوار القادمين للمدينة المنورة من العراق وخراسان وكل الشرق الإسلامي، كما كان معبراً للجيوش التي أرسلتها الدولة العباسية لإخماد الثورات التي قامت في المدينة ضدها، وعنده تجمع الخارجون على عثمان رضي الله عنه مطالبين بعزله، وغير ذلك من الأحداث في التاريخ القديم والحديث، كما ترنم به الشعراء شوقاً للمدينة وإلى معالمها المشهورة.

واستمر هذا المنقى في أداء دوره إلى عهد قريب، عندما انتهى عصر السفر بالسيارات وأسدل الستار عليه وأصبح أثراً ومعلماً يجب المحافظة عليه ليزكرنا بكل تلك الحقب التي مرت عليه.

وهذا المنقى التاريخي على وشك أن يصبح أثراً بعد عين، فقد وضعت علامات تحديد الأراضي في وسطه وإذا لم تبادر أمانة المدينة المنورة إلى حمايته كما فعلت في سد (الرانواء) فسوف يذهب هذا المَعْلَم إلى الأبد كما ذهب غيره في ساعة غفلة تتبعها ندامة^١.



مضيق الخبيث
24°35'00.8"N
39°46'11.6"E

مضيق الخبيث

الخبيث: تصغير الخبت، والخبت مَا اطمأنَّ مِنَ الأَرْضِ

^١ كتبت قبل سنوات في إحدى الصحف عن هذا المنقى، وناديت بحمايته، فاستجابت أمانة المدينة المنورة مشكورة للنداء، واتخذت إجراءات نأمل أن تكون كافية لحمية هذا المعلم المهم.

وَاتَّسَعَ؛ وَقِيلَ: الْحَبْتُ مَا اطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ وَعَمُصَّ، فَإِذَا خَرَجَتْ مِنْهُ، أَفْضَيْتَ
إِلَى سَعَةٍ؛ وَقِيلَ: الْحَبْتُ سَهْلٌ فِي الْحَرَّةِ^١



والخبيت الذي نحن بصدده، تنطبق عليه كل هذه الصفات، فهو أرض في
الحرّة، سهلة بيضاء مطمئنة، ليست واسعة، تهبط عليها مباشرة من منقى حرة هيفاء
(حرة العاقول)، فإذا سرت في الخبيت صار المضيق تلقاء وجهك، وهو ممّر
متضايق بين قطعتين من الحرّة، الطريق ينفذ من بينهما، وهو الطريق النجدي
العراقي.

ويبعد مضيق الخبيت عن المسجد النبوي الشريف (٥, ٢٠) كم على
السمت.

^١ لسان العرب، مادة: خبت

ولم أر من تصدى لذكر هذا الموضوع سوى الإمام محمد بن عمر الواقدي، أما الخبيث المذكور في المصادر الأخرى فهو غير هذا، فذاك في نجد في بلاد عبس وأشجع، وهو بعيد من هنا.

ذو القصة



ذو القصة
24°37'01.0"N
39°55'25.0"E

ذو القصة موضع شهير، له ذكر كثير في السيرة النبوية الشريفة، وسيرة الخلفاء من بعده، وله ارتباط وثيق بتاريخ المدينة، والأحداث التي مرت بها.

قال عنه البكري: ذو القصة: فتح أوله، وتشديد ثانيه: موضع في طريق العراق من المدينة، سمى بذلك لقصة في أرضه. والقصة الجص.

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن تقصيص القبور، أي نجصيصها.^١

وذو القصة على طريق العراق جاز على الربذة، وقد اختلف المؤرخون في المسافة بينها وبين المدينة، فقال بعضهم إنها على بريد (١٢ ميلاً)، وقال آخرون، إنها على بريدين (٢٤ ميلاً)، والصحيح هو هذا الرأي الأخير لانطباق المسافة والأوصاف عليه.

ولما كان ذو القصة موضع سريتين من السرايا النبوية، فسئول الحديث

^١ البكري، مرجع سابق، ١٠٧٦/٣

التفصيلي عنه إلى الفصل الخاص بالسرايا النبوية-إن شاء الله.



كثيب جبل أظلم

٢٠٢

كثيب أظلم



الكثيب
24°51'31.0"N
40°21'22.0"E

هذا الكثيب يعتبر من معالم الغزوة، لأهميته في الاستدلال على موقع وادي ذي أمر، وأيضاً لدوره في دقة تحديد الطريق للوصول إلي الوادي، ولأنه في جبل مازال معروفاً باسمه لم يتغير، وهو جبل أظلم.

وأظلم هذا هو الذي عناهُ كُثِيرٌ عزة بقوله:

سقى الكدر فاللعباء فالبرق فالحمى ... فلوذ الحصى من تغلمين فأظلما^١

^١ وذكره عرام باسم ظلم، والاسم الصحيح أظلم

وهناك عدة جبال باسم أظلم غير هذا. وقد أخطأ ياقوت عندما أورد هذا البيت كشاهد على أظلم آخر في أرض بني سليم.

والحقيقة أظلم الوارد في هذا البيت لبني ثعلبة من غطفان، أما أظلم سليم فهو في ناحية المعدن (معدن بني سليم)، وما زال معروفاً أيضاً.

يبدأ كتيب أظلم في التشكل عند بداية الدخول من الجهة الغربية، فيقابلك شعب واسع غطته الرمال بين صدغي جبل أظلم، ثم تستمر الرمال تغطي بقية الطريق بين أظلم، وجبال كشر، حتى الهبوط على وادي ذي أمر أو مديسيس، كما يدعى اليوم.

وصف الطريق النبوي إلى ذي أمر

يبدأ الطريق من المسجد النبوي، فيمر على صرار، ومنه إلى المنقى، بعد أن يجزع وادي قناة، ويجعل جبل أحد عن يساره، وجبل القدوم^١ عن يمينه، ويقطع أرض مطار المدينة، ثم يستد في شعيب مَعْوَة، ويسلك في المنقى حتى يعلو حرة هيفاً^٢.

بعد المنقى يهبط الطريق على الخبيت، وأمامه المضيق (مضيق الخبيت)، فينفذ منه إلى وادي العوينة، عند بئر المطلب^٣، وهو موضع التقاء وادي العوينة مع وادي الصميمة^٤، فيأخذ الطريق قبلاً حتى يخرج منه بعد مسافة قصيرة، ثم يعتدل،

^١ جبل القدوم: يسمى اليوم جبل الخزان

^٢ تسمى اليوم حرة العاقول.

^٣ يسمى اليوم بئر القراز

^٤ وادي الصميمة هو أسفل وادي الرذايا (ذو القصة)



ويسير في فجاج بين جبال ليست عالية، تسمى (جبال العوينة).

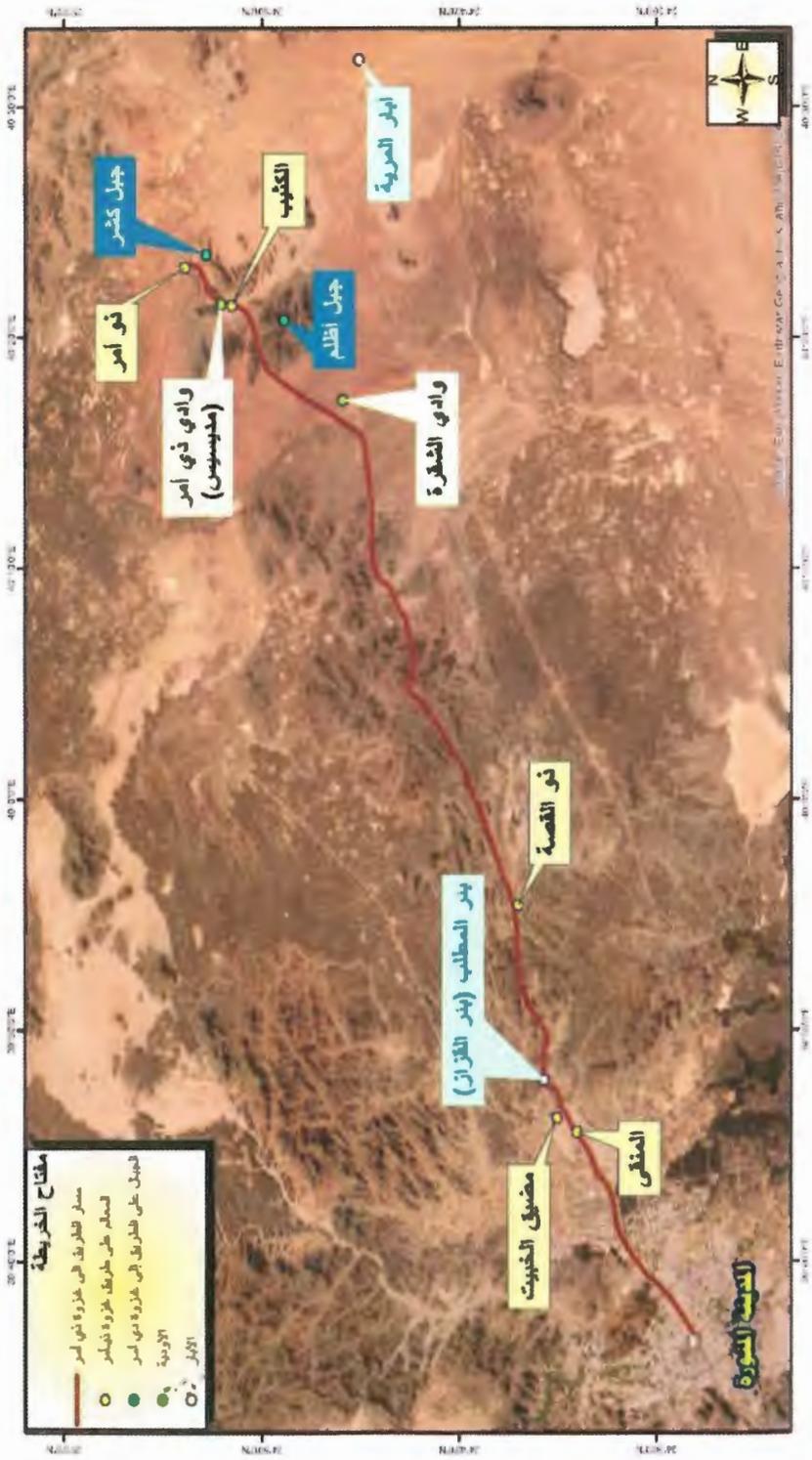
وبعد السير مسافة (٣٨) كم من المسجد النبوي الشريف، يصل الجيش
النبوي إلى الرذايا (ذو القصة).

بعد ذي القصة (الرذايا) يهبط الطريق وادي السدير فيسير فيه صعوداً حتى
أعلاه، ومنه يسلك شعباً في جبل يسمى (عَنَمَة) يُهبطه على منخفض
الطرف (الصويدرة)، وهي منزل مهم من منازل الطريق، ولا بد أن الجيش قد
استراح فيها، واستقى من بئرها.

خرج الجيش النبوي من الطرف فجعل جبال المضيبعات على يمينه،
وجبل (ذرع الحصان) على يساره، متوجهاً نحو ثنايا جبال الظويهريات، التي هبط
منها على وادي الشُقرة فجزعه، ثم جاز الكثبان الواقعة بين صدغي جبل أظلم،
وسار بين جبال كُثْر وجبل الحميمة، حتى هبط بهم الدليل وادي ذي أمر، بعد
مسير نحو ١١٠ كم من المسجد النبوي الشريف^١.



^١ يلاحظ توافق معظم مسار الطريق النبوي إلى ذي أمر مع طريق السيارات القديم إلى القصيم.
^٢ المسافة مقدرة ببرنامج جوجل إيرث.



الفصل السادس

غزوة حمراء الأسد

تعتبر غزوة حمراء الأسد امتداداً لمعركة يوم أحد. فقد غادر المشركون أرض معركة أحد بدون أن يحققوا الهدف من حربهم مع المسلمين، وقد قالوها صراحة بعد وقت قصير من انتهاء المعركة؛ فوقفوا: "يَتَلَاوُمُونَ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَمْ تَصْنَعُوا شَيْئًا، أَصَبْتُمْ شَوْكَةَ الْقَوْمِ وَحَدَّهِمْ ثُمَّ تَرَكْتُمُوهُمْ وَلَمْ تَبْتَرُوهُمْ، فَقَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ رُءُوسٌ يَجْمَعُونَ لَكُمْ"^١. وهذا اعتراف منهم بفشلهم في كسب الحرب مع المسلمين.

كانت نتيجة معركة أحد ثقيلة على المسلمين، فقد استشهد منهم قرابة السبعين، والجراح فيهم فاشية، وظهرت شماتة المنافقين، وحقّد اليهود على المسلمين، واحتمال اجترأ الأعراب من حولهم عليهم.

عاد المسلمون من أحد، وبدأوا في تضييد جراحهم، ودخل النبي ﷺ بيته، وبعد أن مسح آثار المعركة عزم على أمر يغيظ به المنافقين واليهود، ويرهب به الأعداء، ويظهر للجميع أن ما أصابهم في أحد لم يفت في عضدهم، ولم يوهن عزمهم في أخذ ثأرهم من عدوهم، وخاصة بعد أن جاءه الخبر أن قريشاً يتشاورون في الكرة على المدينة لاستئصال شأفة المسلمين والقضاء عليهم^٢.

ففي فجر اليوم التالي (الأحد) استدعى ثلة من الصحابة ممن حضروا المعركة، وأمرهم بالخروج خلف المشركين المنسحجين، فنفذوا الأمر فوراً،

^١ مغازي موسى بن عقبة، ص ١٩٣، جامعة ابن زهر-المغرب

^٢ المصدر السابق

وفيه١ أنزل الله تبارك وتعالى {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْيَةُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ}٢. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبُوكَ مِنْهُمْ: الزُّبَيْرُ، وَأَبُو بَكْرٍ، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «مَنْ يَذْهَبُ فِي إِيْرِهِمْ» فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَالزُّبَيْرُ٣.

ثُمَّ أَدْنَى مُؤَدِّنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ بِطَلَبِ الْعَدُوِّ، فَأَدْنَى مُؤَدِّنُهُ أَنْ لَا يَخْرُجَنَّ مَعَنَا أَحَدٌ إِلَّا أَحَدٌ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ. فَكَلَّمَهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَمْرَةَ بْنِ حَرَامٍ، فَأَدْنَى لَهُ فَخَرَجَ مَعَهُ، فَطَلَبَهُمْ حَتَّى بَلَغَ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ٣.

تاريخ الغزوة

اتفق المؤرخون وأصحاب السير على أن الغزوة كانت يوم الأحد، اليوم التالي لمعركة أحد، التي كانت يوم السبت بإجماع. لكنهم اختلفوا في تاريخها، تبعاً لاختلافهم في تاريخ غزوة أحد على قولين:

الأول:

قال ابن إسحاق، وتبعه جمع من المؤرخين: "وَكَانَ يَوْمٌ أُحُدٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِلنَّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ لَيْسَتْ عَشْرَةٌ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ

١ آل عمران: ١٧٢

٢ صحيح البخاري، ح ٤٠٧٧، ط ١، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فواد عبد الباقي).

٣ دلائل النبوة للبيهقي، ٣/٣١٤، مصدر سابق

سَوَّالٍ، أَدْنُ مُؤَدِّنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ بِطَلْبِ الْعَدُوِّ، فَأَدَّنَ
مُؤَدِّنُهُ أَنْ لَا يَخْرُجَنَّ مَعَنَا أَحَدٌ إِلَّا أَحَدٌ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ^١.

الثاني

قال الواقدي وابن سعد ومن تبعهما: "غزوة حمراء الأسد: وكانت يوم
الأحد لثمان خلون من شوال، على رأس اثنين وثلاثين شهرا، ودخل المدينة يوم
الجمعة وغاب خمسا"^٢.

أحداث الغزوة

اختصر ابن سعد في الطبقات أحداث الغزوة اختصاراً غير مُخَلٍّ، فقال: "ثم
غزوة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حمراء الأسد يوم الأحد لثماني ليال
خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من مهاجره. قالوا: لما انصرف
رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من أحد مساء يوم السبت بات تلك الليلة على
بابه ناس من وجوه الأنصار وبات المسلمون يداون جراحاتهم. فلما صَلَّى رسول
الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصبح يوم الأحد أمر بلالاً أن ينادي أن رسول الله
يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس. فقال جابر بن
عبد الله: إن أبي خلفني يوم أحد على أخوات لي فلم أشهد الحرب فأذن لي أن
أسير معك. فأذن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فلم يخرج معه أحد لم يشهد
القتال غيره. ودعا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بلوائه وهو معقود لم يحل



^١ السيرة النبوية، ١٠١/٢

^٢ المغازي، ٣٣٤/١، الطبقات الكبرى،

فدفعه إلى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. ويقال إلى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وشرج وهو مجروح في وجهه ومشجوج في جبهته، ورباعيته قد شظيت، وشفته السفلى قد كلمت في باطنها.

وهو متوهن منكبه الأيمن من ضربة ابن قمئة وركبته مجحوشتان. وحشد أهل العوالي ونزلوا حيث أتاهم الصريخ وركب رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فرسه وخرج النَّاسُ معه فبعث ثلاثة نفرٍ مِنْ أسلم طليعة في آثار القوم. فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد. وهي من المدينة على عشرة أميال طريق العقيق متياسرة عن ذي الحليفة إذا أخذتها في الوادي. وللقوم زجل وهم يأترون بالرجوع وصفوان بن أمية ينهاهم عن ذلك.

٢١٣

فبصروا بالرجلين فعطفوا عليهما فعلقوهما ومضوا. وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد. فدفن الرجلين في قبر واحد. وهما القرينان. وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي. خمسمائة نار حتى تُرى من المكان البعيد. وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه. فكبت الله. تبارك وتعالى. بذلك عدوهم.

فانصرف رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى المدينة فدخلها يوم الجمعة وقد غاب خمس ليال.

وكان استخلف على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم^١.

^١ يعني: ضربوا رؤوسهم بالسيف فقتلوهما.
^٢ الطبقات الكبرى، ٣٧/٢، مصدر سابق

مرور ركب بأبي سفيان

قال ابن إسحاق: مرَّ بِأَبِي سُفْيَانَ رَكْبٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟
قَالُوا: نُرِيدُ الْمَدِينَةَ؟

قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ الْمِيرَةَ، قَالَ: فَهَلْ أَنْتُمْ مُبَلَّغُونَ عَنِّي مُحَمَّدًا رِسَالَةً
أُرْسِلُكُمْ بِهَا إِلَيْهِ، وَأَحْمَلُ لَكُمْ هَذِهِ غَدًا زَبِيًّا بِعُكَاظٍ إِذَا وَافَيْتُمُوهَا؟ قَالُوا نَعَمْ، قَالَ:
فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ فَأَخْبِرُوهُ أَنَا قَدْ أَجْمَعْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ لِنَسْتَأْصِلَ بِقِيَّتِهِمْ، فَمَرَّ
الرَّكْبُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ، فَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي قَالَ
أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ
النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) .

وقيل إنها نزلت بعد غزوة بدر الصغرى

معالم الغزوة

المعلم الأهم في الغزوة هو (حمراء الأسد)، وجاء الواقدي بمعلمين، هما:
ثنية الشريد، والعصبة. نذكرهما لعلاقتهما في الدلالة على موقع (حمراء الأسد).



حمراء الأسد

٢١٥

حمراء الأسد بلفظ السَّبْع المعروف معلم اشتهر في المدينة المنورة بعد أن عسكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم التالي لغزوة أحد ليقطع خط الرجعة على المشركين إذا حدثتهم أنفسهم أن يكروا على المدينة تحت تأثير النشوة بما أصابوه من المسلمين يوم أحد.

ولتعيين هذا الموضع يحسن بنا أن نورد أقوال المؤرخين والبلدانيين من المصادر الأصلية في تحديده، وتحليل النصوص التي تعين على معرفته معرفة يقينية.

حمراء الأسد في المصادر التاريخية:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى

حَمْرَاءِ الْأَسَدِ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ^١ .

هذا التعريف مختصر جداً، لا يفيد سوى أن النبي صلى الله عليه وسلم عسكر في حمراء الأسد، وأنها تبعد عن المدينة ثمانية أميال (حوالي ١٣ كم)، بدون تحديد لجهتها، أو ذكر معالم بقربها، أو مرتبطة بها.

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد: حمراء الأسد، وهي من المدينة على عشرة أميال طريق العقيق متياسرة عن ذي الحليفة إذا أخذتها في الوادي .

هذا التعريف (المنقول عن الواقدي على الأرجح) فيه تفاصيل مهمة جداً، فحمراء الأسد:

١ - تبعد عن المدينة عشرة أميال (عند ابن إسحاق ثمانية)

٢ - على طريق العقيق السالك في الوادي أيسر المار بذي الحليفة.

وفي تاريخ ابن الأثير فخرج ليظن الكفار به قوة، وخرج معه جماعة جرحى يحملون نفوسهم وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد، وهي من المدينة على سبعة أميال، فأقام بها الاثني والثلاثاء والأربعاء

هذا التعريف يخالف ما سبقه في البعد عن المدينة ولم يزد شيئاً في التعريف بها.

وفي كتاب الجبال و الأمكنة و المياه للزمخشري حمراء الأسد: موضع

^١ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ٣١/٦، ط١، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت

معروف على ثمانية أميال من المدينة .

وعرف السهمودي حمراء الأسد، فقال: حمراء الأسد بالمد والإضافة للأسد وهو الليث موضع على ثمانية أميال من المدينة، قال الهجري: وكان بها قصور لغير واحد من قريش، قال: وهي ترى من العقيق نحو طريق مكة- أي عن يسارها، وفي شقها الأيسر منشد وفي شقها الأيمن شرقياً خاخ.

وفي التعليقات والنوادر، يقول الهجري: الحمراوات: قال: تفسير الحمراوات عن أبي محمد إبراهيم بن عبد الله بن داود الجعفري: الحمراوات أولها حمراء الأسد: وهي أجبل صغار، عن الشجرة (أي الميقات) بمقدار أربعة أميال، وبعدها حمراء بسر بثلاثة أميال من حمراء الأسد، إلا أن الخارج من الشجرة يريد مكة يلقى حمراء الأسد، ولا يلقى حمراء بسر، والمصلي بحمراء الأسد يجعل تلك على يمينه وشق قرنه الأيمن .

رحم الله أبا علي هارون بن زكريا الهجري فله دره ما أدقه في الوصف وتعيين المواضع!!! فهذا الوصف مع التحديد الذي نقله عنه السهمودي يعتبر جامعاً مانعاً في تحديد وتعيين موقع حمراء الأسد وينطبق عليه المثل العربي المشهور (قطعت جهيزة قول كل خطيب).

تستتج من هذا الوصف عند الهجري والتعريف الذي نقله عنه السهمودي

أن حمراء الأسد:

¹ (نشر وتعليق الشيخ حمد الجاسر)

١- اسم موضع، ومجموعة جبال.

٢- يبعد ثمانية أميال (حوالي ١٣ كم) عن المدينة (حسب النطاق العمراني في ذلك الزمان)

٣- في هذا الموضع آثار قصور لبعض القرشيين من أهل المدينة.

٤- في هذا الموضع جبل يمكن رؤيته، على يسار المسافر عندما يصل الميقات.

٥- في الشق الأيسر (أي الجانب الأيسر) لهذا الجبل والموضع غرباً جبل يدعى منشد.

٦- وفي الشق الأيمن شرقي هذا الجبل والموضع خاخ.

وهنا تبين أن هذا الجبل وجهه تلقاء المدينة فعن يمينه خاخ وعن يساره منشد (لأن روضة خاخ مازالت معروفة اسماً ورسمًا).

٧- حمراء الأسد يطؤها المسافر المتجه إلى مكة على طريق الفرع.

ويعرف صاحب المناسك حمراء الأسد فيقول وحمراء الأسد فوق ذي الحليفة بثلاثة أميال (حوالي ٥ كم)، يسرة عن الطريق إذا أصعدت إلى مكة وهنا حدد المسافة من الميقات إلى حمراء الأسد وجهتها ولم يصفها.

ويحددها بمعلم مشهور قريبها فيقول: خاخ: بعد الألف خاءً معجمة أيضاً، موضع بين الحرّمين ويقال له: روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة .



و عند البكري: وحمراء الأسد منتظمة بالعقيق؛ قال الزبير: كان سعد بن أبي وقاص قد اعتزل بطرف حمراء الأسد في قصر بناه، واتخذ هناك أرضاً حتى مات فيه، ودفن بالمدينة^١.

وقوله منتظمة بالعقيق فهذا الوصف منقول عن الهجري - وإن لم يصرح بذلك يدل على أنها جبال متراسة على جانب وادي العقيق، وهذا هو الطريق الفرعي (نسبة إلى وادي الفرع) إلى مكة المكرمة.

أما البعد عن المدينة فالظاهر أن الجميع ينقل عن ابن إسحاق بأنها تبعد ثمانية أميال، ما عدا ابن سعد فحددها بعشرة أميال. وجعلها غيره سبعة أميال كما عند ابن الأثير.

والصحيح هو تحديد ابن سعد، فحمراء الأسد تبعد أكثر بقليل من ستة عشر كيلاً من المدينة^٢.

نصوص أخرى تُعين على تحديد جهة حمراء الأسد:

١- كان عثمان بن عفان رضي الله عنه قد أجاز معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وهو قريب له شارك في معركة أحد، على أن يغادر المدينة بعد ثلاث وإلا أهدر دمه. وفي ذلك يقول الواقدي:

وَخَرَجَ عُثْمَانُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، وَأَقَامَ مُعَاوِيَةَ حَتَّى كَانَ

^١ توجد آثار داخل سور مقبرة في الموقع، لعلها بقايا هذا القصر.

^٢ القياس من المصلى (مسجد الغمامة)، واعتبار الميل يساوي ١٧٠٠ متراً تقريباً.

الْيَوْمِ الثَّلَاثِ فَجَلَسَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَخَرَجَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِصُدُورِ الْعَقِيقِ قَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ أَصْبَحَ قَرِيبًا فَاطْلُبُوهُ فَخَرَجَ النَّاسُ فِي
 طَلَبِهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ، فَخَرَجُوا فِي أَثَرِهِ حَتَّى يُدْرِكُوهُ فِي يَوْمِ الرَّابِعِ، وَكَانَ
 زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ أَسْرَعَا فِي طَلَبِهِ فَأَدْرَكَاهُ بِالْجَمَاءِ، فَضْرَبَهُ زَيْدُ بْنُ
 حَارِثَةَ، وَقَالَ عَمَّارٌ: إِنَّ لِي فِيهِ حَقًّا، فَرَمَاهُ عَمَّارٌ بِسَهْمٍ فَفَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى النَّبِيِّ
 ﷺ فَأَخْبَرَاهُ.

وَيُقَالُ: أُدْرِكَ بِثَنِيَّةِ الشَّرِيدِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَذَلِكَ حَيْثُ أَخْطَأَ
 الطَّرِيقَ، فَأَدْرَكَاهُ فَلَمْ يَزَالَا يَرْمِيَانِهِ بِالنَّبْلِ وَاتَّخَذَاهُ غَرَضًا حَتَّى مَاتَ .

الشاهد هنا أن معاوية أدرك في صدور العقيق، وثنية الشريد في صدر العقيق،
 فوق المحرم. و(الجماء ليست من صدور العقيق، لذلك فإن القول إنه أدرك في ثنية
 الشريد هو الراجح)، وثنية الشريد في الطريق المتجه إلى جنوب المدينة على طريق
 الفرع، فوجده الصحابيyan هناك لأنهم قريبون من المكان.

٢- شارك أبو سلمة بن عبد الأسد-رضي الله عنه- في غزوة حمراء الأسد،
 وكان يسكن العالية فسار من قباء إلى حمراء الأسد في حرة العصابة- على الطريق
 الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم في مهاجره إلى المدينة- وهي تفضي إلى
 حمراء الأسد، على الطريق الفرعي جنوب غرب المدينة، وإلى هذا يشير الواقدي
 فيقول:

شَهِدَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ أُحُدًا، وَكَانَ نَازِلًا فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ بِالْعَالِيَةِ

حِينَ تَحَوَّلَ مِنْ قِبَاءٍ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَجُرِحَ بِأَحَدٍ جُرْحًا عَلَى عَضُدِهِ فَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَجَاءَهُ الْخَبْرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَارَ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، فَكَرَبَ حِمَارًا وَخَرَجَ يُعَارِضُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى لَقِيَهُ حِينَ هَبَطَ مِنَ الْعَصْبَةِ بِالْعَقِيقِ فَسَارَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ .

٣- بعث النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من الصحابة في أثر المشركين فوجدوهم في حمراء الأسد، وهي رواية ابن سعد التي مضت معنا في مبحث (أحداث الغزوة).

وفي حمراء الأسد، يقول العلامة البلادي: حَمْرَاءُ الْأَسَدِ بِلَفْظِ مُؤَنَّثِ الْأَحْمَرِ مُضَافَةً إِلَى الْأَسَدِ. جَاءَ ذِكْرُهَا فِي حَوَادِثِ غِبِّ يَوْمِ أُحُدٍ، فَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، وَهِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ.

قُلْتُ: وَعُرِفَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ فِي تَأْرِيخِ الدَّعْوَةِ بِاسْمِ غَزْوَةِ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، وَأَوْفَاهَا ابْنُ إِسْحَاقَ مَا دَتَهَا التَّأْرِيخِيَّةُ.

وَحَمْرَاءُ الْأَسَدِ: جَبَلٌ أَحْمَرٌ جَنُوبَ الْمَدِينَةِ عَلَى (٢٠) كَيْلًا، إِذَا خَرَجْتَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ تَوُّمَ مَكَّةَ رَأَيْتَ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ جَنُوبًا، لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا مِنَ الْأَعْلَامِ سِوَى «حَمْرَاءِ نَمْلِ» الْقَرِيبَةِ مِنَ الطَّرِيقِ. وَتَقَعُ حَمْرَاءُ الْأَسَدِ عَلَى الضَّفَّةِ الْيُسْرَى لِعَقِيقِ

الْحَسَا، عَلَى الطَّرِيقِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْفَرْعِ، يَمُرُّ فِي فِيئِهَا^١. انتهى.

تعيين حمراء الأسد

النصوص السابقة أوردتها من المصادر الأصلية، وهناك غيرها لم أورها لعدم الحاجة إليها. هذه النصوص كلها تواترت بما لا يدع مجالاً للشك على أن حمراء الأسد الواردة في السيرة النبوية، هي الجبال الحمر المنتظمة على الضفة اليسرى لوادي العقيق، ويبعد جبلها الكبير الذي يرى من الميقات عن ذي الحليفة حوالي (٧ كم) وتبعد جبالها الصغيرة عنها حوالي (١٠ كم) وهذه لا ترى من الميقات (يحجبها نعف جبل عير)، ويطلق لفظ حمراء الأسد على الموضع وعلى تلك الجبال الحمر.



^١ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ١٠٥/١

ويلاحظ وجود اختلاف يسير في بُعد حمراء الأسد عن المدينة، فلعل بعضهم يقيس إلى نهاية الموضوع، وبعضهم إلى بدايته، أو أن القياس كان تقديرًا. لكن البعد الصحيح، كما قدمنا، هو ما جاء عند ابن سعد (عشرة أميال).

حدود حمراء الأسد:

بالرجوع لوصف الهجري لحمراء الأسد فنجده يذكر حدودها الشرقية والغربية. فمن الشرق خاخ (روضة خاخ) ومن الغرب منشد.

روضة خاخ معروفة بهذا الاسم إلى اليوم لا يختلف فيها اثنان، تفيض في وادي العقيق شرق حمراء الأسد مباشرة. بالضبط كما قال الهجري. أما منشد فهو جبل في الشق الأيسر من حمراء الأسد.

وإذا وقفنا ميدانيًا عند حمراء الأسد، فإن نظرنا شرقًا رأينا روضة خاخ، وإن نظرنا غربًا رأينا جبلًا فاردًا، يحدُّ الموضوع من الغرب، يدعى اليوم (الفريدة)، لا شك أنه منشد بحسب وصف الهجري.

وقد يظن البعض أن الجبل الأسود الملاصق لجبل حمراء الأسد هو منشد، وهذا ظن خاطئ؛ هذا الجبل هو (عير الصادر)، ويسمى اليوم (الأسمر)، وهو جبل يشبه جبل عير (حد الحرم) في اللون والتكوين. وقد أشار إليه السهودي بقوله: عير: بالفتح وسكون المثناة تحت آخره راء حمار الوحش، اسم للجبل الذي في قبلة المدينة شرقي العقيق، سبق في حدود الحرم، وفوقه جبل آخر يسمى باسمه،

ويقال له غير الصادر، وللأول غير الوارد^١.

مكان معسكر الجيش في حمراء الأسد

في هذا الموضع الذي حدده الهجري - رحمه الله - عسكر جيش النبي ﷺ مدة ثلاثة أيام (الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء)، وارتحل يوم الخميس، فدخل المدينة يوم الجمعة^٢.

لماذا عسكر النبي صلى الله عليه وسلم في حمراء الأسد

انتهت معركة أحد يوم السبت بخسارة ثقيلة على المسلمين، وغادر المشركون أرض المعركة مباشرة راجعين إلى مكة المكرمة. وفي اليوم التالي قرر النبي ﷺ أن يخرج في أثرهم، ليس للحاق بهم ومجالدتهم، وإنما ليقطع عليهم خط الرجعة، إذا أخذتهم نشوة النصر، وقرروا أن يكروا على المسلمين في المدينة، وهنا يكون المسلمون في انتظارهم.



٢٢٤



قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ لَمَّا انْصَرَفَ يَوْمَ أُحُدٍ، أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، لَيْسَتْ أَصْلَ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمْ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ^٣: لَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ حَرَبُوا، وَقَدْ حَسِبْنَا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ قِتَالٌ غَيْرُ الَّذِي كَانَ، فَارْجِعُوا، فَارْجِعُوا.

^١ وفاء الوفا ١١٨/٤

^٢ المغازي، ٣٣٤/١

^٣ تقدم في مبحث (أحداث الغزوة) قول ابن سعد، أن هذا النقاش كان في حمراء الأسد.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ، حِينَ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ هَمُّوا
بِالرَّجْعَةِ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سُوِّمَتْ لَهُمْ حِجَارَةٌ، لَوْ صُبَّحُوا بِهَا لَكَانُوا كَأَمْسِ
الدَّاهِبِ^١.

اختيار النبي ﷺ حمراء الأسد موقعاً ليعسكر فيه لم يكن عشوائياً، وإنما
أهدف عسكري واضح، وهو عدم السماح لجيش قريش بالعودة إلى المدينة، وهذا
لا يتأتى إلا إذا كانت قريش سلكت طريق وادي الفرع ولم تسلك الجادة العظمى
(طريق الأنبياء). لأنها لو كانت سلكتها لعسكر النبي ﷺ في موقع يستطيع اعتراضها
فيه، في حال عودتها. أما حمراء الأسد فهي تبعد جنوباً نحو ١٠ كم عن الجادة
العظمى.



٢٢٥



أما من يعسكر في حمراء الأسد فسيقطع طريق وادي الفرع على القادم إلى
المدينة، فهي في مضيق؛ من الشرق الحرة، ومن الغرب سلسلة جبلية، فلا مناص
من المرور بها.

لذلك ليس من المنطق ولا المعقول، أن يعسكر في حمراء الأسد من يريد أن
يعترض من يسير على الجادة العظمى، لذلك أرى أن ورود الروحاء، في أحداث
الغزوة لا يصح، لعدم إمكانية الجمع بين نزول قريش فيها، وهو خبر ظني، وبين
نزول النبي ﷺ في حمراء الأسد، وهو خبر يقيني متواتر.

^١ السيرة النبوية لابن هشام، ١٠٤/٢

الطريق إلى حمراء الأسد

خرج النبي ﷺ من بيته بعد أداء صلاة صبح الأحد، فدخل مسجده وصلى ركعتين، ثم ركب فرسه، وصحابته من حوله، فسار حتى وصل إلى أرض السقيا، فانتظر هناك فترة قصيرة حتى يتلاحق بقية الجيش المأذون لهم بالمشاركة في الغزوة.

قاد النبي ﷺ هذا الجيش وعددهم يقرب من ٥٦٠ مقاتلاً، فسلك في حرة الوبرة (نقب بني دينار) حتى هبط على العقيق. ثم أخذ في الطريق اليسرى المؤدية إلى ذي الحليفة (الميقات)، التي وصلها بعد مسير ٩,٥ كم تقريباً.

ومن ذي الحليفة صفق ذات الشمال، ليأخذ جانب وادي العقيق الأيمن، وهذا هو بداية الطريق الفرعي إلى مكة، وأول أعلامه حمراء الأسد على بعد حوالي ١٧ كم من المدينة المنورة.

بعض دروس ونتائج من غزوة حمراء الأسد

- أهم نتيجة هي رضوان الله تعالى على المشاركين في الغزوة، الذين استجابوا للأمر النبوي فوراً بالخروج في أثر العدو، رغم ما بهم من القرح والجراح، واستشهاد عدد كبير من إخوانهم المجاهدين، فقد كانت جائزتهم عظيمة بثناء الله تعالى عليهم في قرآن يتلى إلى يوم الدين: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ

الآن من حضر معركة أحد ٧٠٠، واستشهد منهم ٧٠، وانتدب ٧٠ طليعة للجيش، بحسب حديث البخاري المتقدم، في مبحث (سبب الغزوة).

وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ
 قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا
 اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
 رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) ^١.

- محو آثار معركة أحد النفسية عن شارك فيها. لذلك لم يسمح النبي ﷺ بالخروج إلى حمراء الأسد إلا لمن شهد أحداً.

- ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين، بقلب نتيجة معركة أحد إلى نصر للمسلمين، حينما تحدوا العدو وساروا في أثره، فلم يجرؤ على المواجهة، وتولّى بدون أن يحقق هدفه.

- كُتِبَ المنافقون واليهود، وانخذل الأعراب حول المدينة، لما رأوا المسلمين وهم في روح معنوية عالية، وعزيمة ماضية، بعدما ظنوا أن ما أصاب المسلمين يوم أحد سيُفْتَت في عضدهم، ويجعلهم فريسة سهلة للأعداء من حولهم.

- بيان أن نتيجة معركة أحد كانت بسبب مخالفة بعضهم لأمر النبي ﷺ أثناء المعركة، وأنهم متى ما استجابوا له صاروا هم الأقوياء وعدوهم هو الضعيف الهارب من المواجهة.

الفصل السابع

غزوة ذات الرقاع

٢٣١

^١ تسمى غزوة بني أنمار (البخاري)

اختلفت الروايات في تاريخ هذه الغزوة اختلافًا بينًا، وخاصة بين أهل لحديث من جهة، وأصحاب المغازي والسَّير من جهة أخرى.

فقال أهل الحديث إنها بعد خيبر، وهذه في السنة السابعة بإجماع، وحثهم في ذلك؛ الحديث المروي في صحيح البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري، عن أبي موسى الأشعري، قال: خرجنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزاة ونحزن ستة نفر بيننا بغير نعتقه، فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظفاري، وكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة (ذات الرقاع)، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا. وحدث أبو موسى بهذا ثم كره ذلك^١.

وأبو موسى الأشعري لحق بالنبي ﷺ وهو في خيبر، وكان ذلك أول قدومه مهاجرًا، ولم يحضر غزوة قبلها.

أما أصحاب المغازي، فهي عندهم في السنة الرابعة إجماعًا، وإن اختلفوا في تعيين الشهر.

قال ابن إسحاق: غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ: ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ شَهْرَ رَيْبِعِ الْآخِرِ وَبَعْضُ جُمَادَى، ثُمَّ غَزَا نَجْدًا يُرِيدُ بَنِي مُحَارِبٍ وَبَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ غَطَفَانَ^٢

^١ الجامع الصحيح، باب: غزوة ذات الرقاع
^٢ السيرة النبوية



وعند الواقدي وابن سعد ومن وافقهما: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيْلَةَ السَّبْتِ لِعَشْرِ حَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ عَلَى رَأْسِ سَبْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا. وَقَدِمَ صِرَارًا يَوْمَ الْأَحَدِ لِخَمْسٍ بَقِيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ وَغَابَ خَمْسَ عَشْرَةَ^١.

ولصعوبة رد الحديث الوارد في صحيح البخاري، فقد حاول البيهقي في الدلائل^٢، وبعض المتأخرين^٣ الجمع بين ما جاء عند أهل السير وهذا الحديث، بالقول: إن ذات الرقاع هذه ليست هي المرادة في حديث البخاري، لأسباب، تؤيدها مجريات أحداث هذه الغزوة، منها:

- هذه الغزوة سميت بهذا الاسم، نسبة إلى مرور الجيش على معلم أو موضع يسمى (ذات الرقاع)، ورد هذا في سياق حديث أورده البخاري ومسلم، عن جابر بن عبد الله، قال: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرَّقَّاعِ^٤، وهذا يدل دلالة واضحة أن ذات الرقاع موضع. وهو سبب يختلف عما ورد في الحديث.

- كلام جابر مع النبي ﷺ عن زواجه حديثاً من امرأة تلم شعث أخواته، بعد استشهاد أبيه في غزوة أحد، وعدم علم النبي ﷺ حتى أخبره جابر بذلك في هذه الغزوة، يدل على قرب زمن هذه الغزوة من غزوة أحد التي كانت في السنة الثالثة.

- البخاري رحمه الله، قال: هي بعد خيبر، كما في عنونته لباب غزوة ذات

^١ المغازي، الطبقات الكبرى، ابن حبان، الطبري..

^٢ قال: "فَيْشْبُهُ أَنْ تَكُونَ الْغَزْوَةُ الَّتِي شَهَدَهَا أَبُو مُوسَى وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو غَيْرَ هَذِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

^٣ أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني، "السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة" ٢٩٦/٣ - دار العبيكان

^٤ صحيح مسلم، ١٧٨٧/٤، دار إحياء التراث العربي- بيروت



الرقاع، إلا أنه ذكرها قبل أن يتكلم عن غزوة خيبر، لذلك استغرب الحافظ ذلك منه وقال: فلا أدري، هل تعمد ذلك تسليماً لأصحاب المغازي أنها كانت قبلها، أو أن ذلك من الرواة عنه، أو إشارة إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسماً لغزوتين^١. وفي الحقيقة أنه بعد غزوة خيبر، وعجز غطفان عن نجدة حلفائهم من اليهود، وقبلها ثلاث غزوات على قطفان؛ غزوة قرقرة الكدر مع سليم، وذو أمر، وذو قرد، بعد كل تلك الانكسارات، وعجز قبائل غطفان عن تحقيق أي نصر على المسلمين؛ بعد كل ذلك يصعب تصور أن تحاول غطفان مرة أخرى تجربة قوة وعزم المسلمين على دحر كل عدوان عليهم.

سبب الغزوة

هذه هي المرة الثالثة التي تحاول فيها بعض قبائل غطفان تنظيم جموعهم للهجوم على المدينة، بعد فشل المحاولتين السابقتين (قرقرة الكدر، ذو أمر)، وهذه المرة كان تجمّعهم في موضع يتوسط منازل معظم قبائل غطفان مثل فزارة وأشجع وأنمار وثعلبة، وطوائف من قيس.

لم يكن هذا التجمع ليمر دون علم المسلمين به، سواء عن طريق عيونهم، الذين يأتونهم بأخبار ما يستجد من تحركات أعدائهم، أو من المتعاطفين من غير المسلمين لأسبابهم الخاصة.

يخبرنا الواقدي بالسبب المباشر لاتخاذ قرار سريع بالغزوة، فيقول: قَدِمَ

^١ سيرة مغلطاي، ٢٤٥/١، هامش ٣،



قَادِمٌ بِجَلْبٍ لَهُ فَاشْتَرَى بِسُوقِ النَّبْطِ^١ وَقَالُوا: مِنْ أَيْنَ جَلَبْتَ جَلْبَكَ؟ قَالَ: جِئْتُ مِنْ
نَجْدٍ وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْمَارًا وَتَعْلَبَةَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ جُمُوعًا، وَأَرَاكُمْ هَادِينَ عَنْهُمْ.

فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ قَوْلُهُ، فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَقَالَ قَائِلٌ: كَانُوا
سَبْعِمِائَةً أَوْ ثَمَانِمِائَةً^٢.

سبب تسميتها بذات الرقاع

في سيرة ابن هشام أن سبب التسمية لِأَنَّهُمْ رَقَعُوا فِيهَا رَايَاتِهِمْ، وَيُقَالُ: ذَاتُ
الرَّقَاعِ: شَجَرَةٌ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ الرَّقَاعِ

أما إمام جغرافيا السيرة النبوية محمد بن عمر الواقدي، وقد وافقه جمع من
أئمة السيرة النبوية، والحديث الشريف، فقد قال: فَإِنَّمَا سُمِّيَتْ ذَاتُ الرَّقَاعِ، لِأَنَّهُ
جَبَلٌ فِيهِ بَقَعٌ حُمْرٌ وَسَوَادٌ وَبَيَاضٌ .

وذهب البخاري ومن وافقه من أهل الحديث وغيرهم أن سبب التسمية، ما
جاء في حديث أبي موسى الأشعري، المتقدم، أنها سميت غزوة (ذات الرقاع) لما
كنا نعصب من الخرق على أرجلنا، لما نقبت أقدامنا وسقطت أظفارنا.

وكما مر معنا، في الكلام على تاريخ الغزوة، فإن البخاري ومسلما، وغيرهما
من أصحاب السنن رووا حديث جابر بن عبد الله حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرَّقَاعِ ، هذا
دليل كافٍ على أن ذات الرقاع موضع أو معلم، وهذا يؤيد قول الواقدي، الذي

^١ سوق كان يعقد مرة في العام. انظر عنها كتاب (الرحيق المصفى في وصف طريق هجرة المصطفى ﷺ)

للمؤلف.
^٢ المغازي

سيتين من التحقيق الميداني أنه مطابق لواقع أحداث الغزوة، وهذا لا يمنع أن يكون حصل في هذه الغزوة أن نقتب أقدام الصحابة-رضي الله عنهم- وسقطت أظفارهم عقب السير على الحرة حفاةً.

التبع الميداني لأحداث الغزوة

بعد أن حدد ابن إسحاق تاريخ الغزوة، وإكمال النبي ﷺ للترتيبات والتهيؤ لها، قال: فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ نَخْلًا، وَهِيَ غَزْوَةٌ ذَاتِ الرَّقَاعِ .

ثم قال: فَلَقِيَ بِهَا جَمْعًا مِنْ غَطْفَانَ، فَتَقَارَبَ النَّاسُ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ، وَقَدْ خَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْخَوْفِ^١.

صلاة النبي ﷺ في وادي نخل

بعد أن نزل النبي ﷺ نخلاً، تراجعت أمامه أعراب غطفان، فأسندوا في وادي نخل في اتجاه النخيل، فأصعد النبي ﷺ في أعقابهم.

ونمضي نحن مع وادي نخل، نتبع أثر الجيش النبوي لنحدد المواضع التي مر بها، وحصلت فيها بعض أحداث الغزوة ومشاهدها. فمن ذلك ما أفادنا به السمهودي، نقلاً عن ابن زبالة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بنخل، تحت أثلة لرجل من أشجع من بني نعيم، في مزرعة له في وسطها نخل، وصلى

^١ السيرة النبوية

^٢ اسمها اليوم الحناكية.



تحتها، فأضّر الناس بتلك المزرعة، فقطع صاحب المزرعة تلك الأثلة.

مسجد الكديد

قال: ثم أصدع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطن نخل حتى جاوز الكديد بميل، فنزل تحت سرحة وصلّى تحتها، فموضع مسجده اليوم معروف، وأنه صلى الله عليه وسلم صلّى بالجبل من بلاد أشجع^١.



مسجد الكديد
24°59'45.8"N
40°31'37.8"E

قلت: في تتبعي لمسار الجيش النبوي في إصعاده مع وادي نخل (وادي الحناكية) عثرت -بفضل الله- على آثار (مسجد الكديد)، على مسافة ميل (بالضبط كما قال ابن زبالة) من التقاء وادي الكديد (وادي الجفران) مع وادي الحناكية.



^١ وفاء الوفا، ١٨١/٣



مسجد جبل أشجع (جبل الوشاح)
25°00'17.6"N
40°30'55.2"E

مسجد الجبل ببلاد أشجع (جبل الوشاح)

ثم بعد نحو كيلين شاهدتُ بناءً أثرياً، على جبل من جبال الحرة، وبعد الصعود إليه، وتأمله تبين أنه حصن أو قلعة أثرية من العصور الإسلامية الأولى، وفي وسط هذا الحصن مصلىّ، أرى أنه مصلىّ النبيّ صلى الله عليه وسلم، الذي صلى فيه بالجبل من بلاد أشجع، لاتفاقه مع ما جاء في رواية ابن زبالة - رحمه الله - المتقدمة.



مسجد جبل أشجع (جبل الوشاح)

وهنا أسجل الحقيقة الناصعة؛ وهي أن علماءنا المتقدمين كانوا على درجة عالية من الضبط والحرص على تتبع خطى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، بحيث إننا بعد كل هذه القرون المتطاولة نقف على حقيقة ما سطروه لنا ونراه رأى العين، فجزاهم الله خير جزائه، وأثابهم بما هو أهله، على ما قدموا من

أعمال جليلة لخدمة السيرة النبوية الشريفة، وجعلها في متناول من جاء بعدهم جيلاً
بند جيل، ما تعاقب الليل والنهار.

وصول الجيش النبوي إلى جبال ذات الرقاع

وصل الجيش النبوي إلى أعلى وادي نخل، وهو يدفع جموع الأعراب
أمامه، إلى أن تحصنوا في قمم جبال، دون النخيل، قريبة منها، فيها بقع بيض وحمرة
وسود، كأنها رقاع ملونة، لذلك سميت ذات الرقاع، وكان الفريقان قريبين من
بعضهما، فصلى النبي ﷺ صلاة الخوف بذلك الموضع.

ولندع الإمام الواقدي يخبرنا عن مسار الجيش النبوي من خروجه من
المدينة حتى وصوله إلى جبل ذات الرقاع، فقال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ السَّبْتِ
لِعَشْرِ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ عَلَى رَأْسِ سَبْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا، وَقَدِمَ صِرَارًا يَوْمَ الْأَحَدِ
لِخَمْسِ بَقَيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ وَغَابَ خَمْسَ عَشْرَةَ.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ، حَتَّى سَلَكَ عَلَى الْمَضِيقِ، ثُمَّ أَفْضَى إِلَى
وَادِي الشَّقْرَةِ فَأَقَامَ بِهِ يَوْمًا، وَبَثَّ السَّرَايَا فَرَجَعُوا إِلَيْهِ مَعَ اللَّيْلِ وَخَبَرُوهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا
أَحَدًا وَقَدْ وَطِئُوا آثَارًا حَدِيثَةً.

ثُمَّ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى أَتَى مَحَالَّهُمْ فَيَجِدُونَ الْمَحَالَ لَيْسَ
فِيهَا أَحَدٌ، وَقَدْ ذَهَبَتِ الْأَعْرَابُ إِلَى رُءُوسِ الْجِبَالِ وَهُمْ مُطَّلُونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. وَقَدْ
خَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالْمُشْرِكُونَ مِنْهُمْ قَرِيبٌ وَخَافَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُغَيَّرُوا
عَلَيْهِمْ وَهُمْ غَارُونَ. وَخَافَتِ الْأَعْرَابُ أَلَّا يَبْرَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَسْتَأْصِلَهُمْ.

وَفِيهَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْخَوْفِ.

قلت: لم يسم الواقدي المحالّ التي وطئها النبي ﷺ ولم يجد فيها الأعراب، لكن ابن سعد حددها بأنها ذات الرقاع، فقال: فمضى حتى أتى محالّهم بذات الرقاع. وهو جبل فيه بقع حمرة وسواد وبياض قريب من النخيل بين السعد والشقرة^١. فلم يجد في محالّهم أحداً^٢.

قلت: وكما ذكر الواقدي؛ فالمشركون مُطلّون من رؤوس الجبال على محالّهم أسفلها، ومحالّهم بذات الرقاع، كما قال ابن سعد.



^١ بين السعد والشقرة وصفت لموقع النخيل، يعني: (والنخيل بين السعد والشقرة).
^٢ الطبقات الكبرى، غزوة ذات الرقاع

صلاة الخوف وحادثة غورث



أبو سماعات
24°59'57.0"N
40°26'27.0"E

ونضيف إلى ما جاء في هذه المصادر الأربعة^١، حديث جابر

بن عبد الله - رضي الله عنه - الوارد في الصحاح، وكتب السنة، قال:

أَوْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرَّقَاعِ، قَالَ: كُنَّا إِذَا آتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفٌ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَلَّقٌ بِشَجَرَةٍ، فَأَخَذَ سَيْفَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْرَطَهُ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَدْنَأُنِي؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ»، قَالَ: فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْمَدَ السَّيْفَ، وَعَلَّقَهُ، قَالَ: فَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْأُخْرَى رَكَعَتَيْنِ، قَالَ: فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ، وَلِلْقَوْمِ رَكَعَتَانِ^٢

هذا الحديث الصحيح مهم، لأنه يوضح لنا أن ذات الرقاع، وهي موضع أو جبل، كانت في مرحلة تالية بعد نزول الجيش في نخل، وإصعاده في وادي نخل، حتى وصل إلى ذات الرقاع، والجيش في مرحلة إقبال على المدينة، متجهًا نحوها، وهناك لقي النبي ﷺ جمعًا من غطفان^٣، وصى النبي ﷺ صلاة الخوف، وحصلت حادثة غورث بن الحارث المحاربي^٤.

^١ المصادر الأربعة المذكورة، هي: ابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد، وابن زبالة

^٢ صحيح مسلم، ٥٧٦/١، باب صلاة الخوف

^٣ سنن أبي داود، ٤٨١/١

^٤ صرَّح بالاسم في روايات أخرى كثيرة.

ومن المرجح أن تكون حادثة غورث هذه حصلت في موضع من ذات الرقاع، كثير العضاء^١، يسمى اليوم (وادي أبو أسمرات)، وهو وادٍ لا يُثبت سوى شجر السُمُر إلى اليوم.

يؤيد ذلك الحديث الصحيح، عن جابر بن عبد الله، قال: قاتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محارب خصفة بنخل^٢، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاء، فتفرق الناس في العضاء يستظلون بالشجر، فنزل النبي - صلى الله عليه وسلم - تحت شجرة، فعلق بها سيفه ثم نام، فأرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له: غورث بن الحارث، فاستيقظ - صلى الله عليه وسلم - وعنده رجل لا يشعر به حتى قام على رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال - صلى الله عليه وسلم -: الله عزَّ وجلَّ.

فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ.

قال - صلى الله عليه وسلم -: أتشهد أن لا إله إلا الله، قال: لا. ولكني أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك.

فخلى سبيله، فذهب إلى أصحابه، فقال: جئكم من عند خير الناس^٣

^١ العضاء: الأشجار الشوكية

^٢ غزوة نخل هي ذات الرقاع، ومحارب خصفة، تمييزاً لهم عن قبائل محارب الأخرى، لأن محارباً في العرب كثيرة، مثل محارب في قریش، ومحارب في بني سليم، ومحارب في الأزدي وغيرهم.

^٣ رواه أحمد (٣/٣٦٥) والبيهقي (٣/٣٧٦) بسند صحيح، ورواه البخاري ومسلم وغيرهما بالفاظ أخرى.

مرور الجيش النبوي بالشُقْرة وصرار

ذات الرقاع قريبة من النخيل، والنخيل منزل من منازل طريق فيد بين السعد والشُقْرة، لذلك فإن السالك إلى المدينة سيأخذ هذا الطريق على الأرجح، وهذا ما فعله الجيش النبوي، فقد سلك طريقاً لاءمه مع طريق النخيل حتى نزل الشُقْرة، وهي على مرحلتين من المدينة، ثم نزل صراراً، ثم دخل المدينة.

قَالَ الْوَأَقِدِيُّ: وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا انْصَرَفْنَا رَاجِعِينَ فَكُنَّا بِالشُّقْرَةِ، قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا جَابِرُ مَا فَعَلَ دَيْنُ أَبِيكَ؟ فَقُلْتُ: عَلَيْهِ، انْتَهَرْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُجَدَّ نَخْلُهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا جَدَّدْتَ فَأَحْضِرْنِي

٢٤٣

أما نزوله في صرار فمتفق عليه بين المؤرخين والمحدثين، ولفظ البخاري: عن معاذ عن شعبة عن محارب، سمع جابر بن عبد الله: اشترى مني النبي صلى الله عليه وسلم بعيراً بوقيتين ودرهم أو درهمين فلما قدم صراراً أمر ببقرة فذبحت فأكلوا منها فلما قدم المدينة أمرني أن آتي المسجد فأصلي ركعتين ووزن لي ثمن البعير^١

معالم الغزوة

المعالم التي ذكرتها المصادر التي مرت معنا، بلغ عددها ثمانية معالم، بتحديداتها يتحدد لنا الطريق الذي سلكه الجيش النبوي للوصول إلى (ذات

الرقاع)، والعودة منها، وهي:

المضيق - وادي الشقرة - نخل - الكديد - ذات الرقاع - الشقرة - صرار.

المضيق:

هو مضيق الخبيت الذي مر معنا في غزوة ذي أمر، وهذا المضيق يعتبر ملتقى للطريق القادمة، أو المتجهة إلى نجد والعراق، فمنه يمر طريق فيد، وطريق النقرة المار بالطرف (الصويدرة)، وطريق الربذة، المار بذي القصة، للمتجه إلى نجد أو العراق، إلى غير ذلك من النواحي، شرق، وشمال شرق المدينة.

وادي الشقرة:



وادي الشقرة: بئر نفجة
24°45'24.1"N
40°17'11.1"E

قال عنه البلادي بلفظ اللون بين الحمرة والبياض: وادٍ يسيل من حرة خيبر (حرة النار) من جهاتها الجنوبية الشرقية، ثم يجتمع مع وادي الصويدرة (الطرف) فيتجهان جنوباً ثم يعدلان غرباً فيجتمعان مع وادي الحناكية في المخالط قبل قاع حضوضى بقليل، وفي قاع حضوضى يجتمع بها العقيق الشرقي، فتكوّن سيل الخنق، وفي (وادي) الشقرة قرية بهذا الاسم^١.

قلت: وادي الشقرة يجتمع مع وادي الصويدرة في المخالط، فيكونان وادياً واحداً اسمه وادي نجار، يسير جنوباً فيشق حرة هرمة حتى يفيض في وادي،

^١ معجم معالم الحجاز، ٨٤/٥، ط١ - دار مكة



المخيط (وادي ضاجع قديماً)¹.



بئر نَمَجَة في وادي الشقرة

٢٤٥

وقوله -رحمه الله العقيق الشرقي، يقصد وادي الشعبة، ولا يوجد وادٍ يسمى العقيق الشرقي.

نخل:



24°53'04.0"N
40°30'29.0"E

منزل على طريق النقرة إلى المدينة، قبل الصويدرة (الطرف)، يدعى اليوم (الحناكية)، يبعد عن المدينة ١٠٠ كم، وهو وادٍ يسيل من حرة خيبر جنوباً، فيسمى أعلاه وادي النُخيل، ثم وادي قصيبة، فإذا التقى مع وادي الجفران (الكديد)، سُمي وادي

¹ انظر كتاب "أودية حمى المدينة" للمؤلف.

الحناكية، الذي يستمر جنوباً، ماراً بشرقي جبل شدخ، وفي مسيره يجمع مياه أودية كثيرة، فيلقبها في وادي المخيط، وهذا بدوره يدفع في قاع حضوضى (قرقرة الكدر).



وادي نخل (الحناكية)

قال البكري عن نخل: على لفظ جمع نخلة لا يجري، قال يعقوب: هي قرية بوادٍ يقال له شدخ، لفزارة وأشجع وأنمار وقريش والأنصار. وقال ابن حبيب: هي لبني فزارة بن عوف، على ليلتين من المدينة. وقال السكوني: هي ماء بين القصة والثاملية، وبها ينزل المصدّق الذي يصدّق خضر محارب. وقال كثير:

وكيف ينال الحاجية ألف... بيليل ممساه وقد جاوزت نخلا

١ القصة، المقصود: "نو القصة"، والثاملية، مورد في حمى الريدة، في الطريق إلى عالية نجد.

وبنخل، ضلّ سنان بن أبي حارثة المرّي^١، فلم يوجد بعدها، قال شاعرهم:

إنّ الركاب لتبتغي ذا مرّة... بجنوب نخل إذا الشهور أهلت^٢.

يسمى أسفل وادي نخل (وادي شدخ)، نسبة إلى جبل شدخ، وهو جبل كبير
ما زال معروفًا.

ويقول ياقوت عن نخل: بالفتح ثم السكون، اسم جنس النخلة: منزل من

منازل بني ثعلبة من المدينة على مرحلتين، وقيل:

موضع بنجد من أرض غطفان مذكور في غزاة ذات الرقاع،

وقيل في شرح قول كثير:

وكيف ينال الحاجبيّة ألف... بيليل ممساه وقد جاوزت نخلا؟

نخل: منزل لبني مرّة بن عوف على ليلتين من المدينة، وقال زهير:

وإني لمهد من ثناء ومدحة... إلى ماجد تبقى لديه الفواضل

أحابي به ميتًا بنخل وأبتغي... إخاءك بالقيل الذي أنا قائل^٣.

قلت: قوله منزل لبني مرّة بن عوف الظاهر أنه أخذه من قصة ضياع والد

هرم بن سنان المري في وادي شدخ، ومدح زهير بن أبي سلمى له، فاعتقد أن هذه

ديار بني مرّة، وهي ليست كذلك، فديار بني مرّة في الحرة، نواحي فدك، وهي بعيدة

^١ والد هرم بن سنان ممدوح زهير بن أبي سلمى لدوره في إنهاء حرب داحس والغبراء.

^٢ معجم ما استعجم، رسم: نخل

^٣ معجم البلدان، رسم: نخل

من هنا.

وقال حمد الجاسر عن نخل: بطن نخل، ويعرف الآن باسم الحناكية، فيه مجموعة من القرى يقارب سكانها ألف نسمة، وتبعد عن المدينة ٩٠ كيلاً، والموضع وادٍ واسع، له روافد كثيرة، في براح من الأرض محفوف بالجبال^١ وقال البلادي عن نخل: وادٍ كثير الدوم، يأخذ سيل النُخيل - أحد روافده - ثم يدفع في وادي الخنق من الشمال.

يجتمع مع أودية كثيرة منها: وادي الشقرة، ووادي نجار، ووادي مخيط، في مكان يسمى المخالط، حيث تختلط ماؤها، ثم تدفع في الخنق^٢.

وقال أيضاً: وَنَخْلٌ: هُوَ وَادِي الْحِنَاكِيَّةِ، الْبَلَدَةُ الْوَأَقَعَةُ عَلَى مِائَةِ كَيْلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِ بُرَيْدَةَ^٣.

قلت: وادي نخل (الحناكية) يدفع في وادي المخيط، أما المخالط (المراض قديماً)، فهو موضع تختلط فيها أودية الصويدرة والشقرة، وروافدهما فقط، ولا يقربها وادي الحناكية.

^١ المناسك، ص ٥٢١، تحقيق: حمد الجاسر

^٢ معجم معالم الحجاز، ٣٧/٩.

^٣ معجم المعالم الجغرافية في المسيرة النبوية، ٢٨٧/١



الكديد



الكديد
24°58'56.9"N
40°31'59.7"E

الكديد: وادٍ عظيم، يقع شمال شرق المدينة المنورة، وهو أقل شهرة من الكديد؛ الموضع الذي بين خليص وعسفان على طريق الأنبياء، وكثيراً ما يخلط أصحاب المعاجم بين الموضعين.

والكديد الذي نحن بصدده، يسمى اليوم (وادي الجفّران)؛ وهو وادٍ كثير المياه والغدران، يهبط من أعالي خاصرة حرة خيبر الجنوبية الشرقية، فيدفع جنوباً متعرجاً في ثنايا الحرة، فترفده أودية كبار مثل وادي النساء، ووادي الكريزية، ووادي أبوغشاه، ووادي السليم، وأودية وشعاب أخرى كثيرة، فإذا وازى جبال الدبة انعطف نحوها غرباً، داخلاً بين تلك الجبال، ثم يخرج منها، وفي نهايتها

الغربية يلتقي بوادي نخل (الحناكية)، في موضع يسمى (المقرن).

وادي الكديد في المصادر

- قال الهجري: وأقرب المياه من رحران الكديد، وفيه حفار عاديّة عذبة، وهو لبني ناشرة من بني ثعلبة، ولهم هناك ماء آخر، يقال له أعوج، فيه قُلبٌ وبئر كبيرة^١.

قلت: يبعد الكديد عن رحران (وهي جبال معروفة) غرباً بشمال، نحو اثني عشر كيلاً.

وقد مر من هذا الوادي الرحالة ابن جبيرة^٢، وبعده ابن بطوطة، وسمياه (وادي العروس)^٣، ووصفه ابن جبيرة بالقول: وفي ضحوة يوم السبت الثامن لمحرم المذكور، والحادي والعشرين من شهر أبريل، كان رحيلنا من المدينة المكرمة الى العراق، قرب الله لنا المرام وسهّل علينا السبيل. واستصحبتنا منها الماء لثلاثة أيام، فنزلنا يوم الاثنين، ثالث يوم رحيلنا المذكور، بوادي العروس، فتزود الناس منها الماء، يحفرون عليه في الأرض بئراً فينبع منها ماء عذب معين يروي الأمة التي لا يحصى لها عدد من هذه المحلة مع جمالها التي تنيف على عددها، ولله القدرة سبحانه.

^١ التعليقات والنوادر، ص ١٤٠٣

^٢ في شهر محرم سنة ثمانين وخمسائة.

^٣ أما زال جزعٌ في أسفل وادي الجفران يسمى العروس.

وصعدنا من وادي العروس الى أرض نجد^١.

- وسبق أن مرّ معنا قول صاحب المناسك، وهو يصف الطريق من السعد إلى النُخيل: والكديد وادٍ به أحساء كثيرة قل ما يفارقه ماء عذب، ويقال: إن عند غريبه على دعوة مسجداً صلى فيه النبي صلى الله عليه، وبه خيام اعراب من بني كنانة^٢.

وسبق معنا، نقل السمهودي عن الأسدي: الكديد: بالفتح ودالين مهملتين بينهما مثناة تحت ساكنة، واد قرب النخيل يقطعه الطريق من فيد إلى المدينة، على ميل منه مسجد تقدم^٣.

وتقدم معنا، أنه في هذا العصر، قام الشيخ عبد الله بن محمد الشايع (رحمه الله) بتحقيق طريق فيد إلى المدينة المنورة، فلما تجاوز منزل السعد (المستجدة) وصار على مقربة من النُخيل، وشاهد أنواره، جزع وادي الجفران، وبات بقربه.

^١ رحلة ابن جبير، ١/١٦٢، دار الهلال - بيروت

^٢ المناسك، ص ٥٢٠، تحقيق: حمد الجاسر

^٣ يقصد مسجد النبي ﷺ قرب الكديد، الذي وقفنا عليه وحددناه.

^٤ أصدره في كتاب سماه (طريق الأخرجة)

^٥ أرى أنمرحمه الله- وهم عندما ظنه وادي ذي أمر، فالكديد اسم قديم لهذا الوادي.



ذات الرقاع



ذات الرقاع
25°00'44.0"N
40°28'28.0"E

ذات الرقاع جبال على يمين وادي نخل، تسمى اليوم (أم عروق)، والبعض يسميها (أم صفيح)، لأن فيها عروقاً ذات ألوان (رقاع) بيضاء وحمراء وسوداء، وفي وسط هذه الجبال سهل

واسع تجري فيه شعاب، أهمها وادي (المخروقة)، الذي يتقاسم الماء مع وادي (أبو سمارات)، ثم يخترق هذا السهل مُشرِّقاً، إلى أن يدفع في وادي نخل.

وهذا السهل الذي تحيط به هذه الجبال هي المحالّ التي وطئها الجيش النبويّ، ووجد الأعراب قد أخلوها، وهربوا إلى رؤوس الجبال المطلّة عليه، وفيه صلى النبيّ ﷺ صلاة الخوف، لقرب العدو منهم.

وهنا استعرض الجيش النبوي قوته الروحية، والمادية أمام أولئك الأعداء

¹ هذا الجزع من الوادي يسمى اليوم وادي القصيبة

بتلك الصلاة، فعرفوا حجمهم، وأنهم ليسوا نداءً لهذا الجيش المتسلح بهذه القوة
المزدوجة، وحتى لا يفكروا بمهاجمة المدينة مرة أخرى.

بعد نزوله ﷺ بذات الرقاع، ونجاح الغرض من الغزوة، قفل راجعاً إلى
المدينة، فنزل الشقرة، ثم صرار، ثم دخل المدينة.

أقوال المؤرخين في ذات الرقاع

اختلف المؤرخون في المقصود بهذه الصفة، وأجمل أبو عبيد البكري هذه
الاختلافات، فقال: اختلف العلماء في معنى تسميتها، فقال بعض أهل العلم:
التقى القوم في أسفل أكمة ذات ألوان، فهي ذات الرقاع. وقال محمد بن جرير:
ذات الرقاع من نخل. قال: والجبل الذي سميت البقعة به ذات الرقاع: هو جبل فيه
بياض وسواد. قال ابن إسحاق: ويقال: ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع.

وقيل: بل تقطعت راياتهم فرقت، فلذلك سميت ذات الرقاع. وقال غيره:
وقيل بل كانت راياتهم ملونة الرقاع^١.

وقال ياقوت، بعد أن أورد هذه الاختلافات: والأصح أنه موضع لقول
دمشور: حتى إذا كنا بذات الرقاع... وقال الواقدي: ذات الرقاع قريبة من النخيل
بين السعد والشقرة وبئر أرما، على ثلاثة أيام من المدينة، وهي (أي بئر أرما) بئر
جاهلية، وقال: إنما سميت بذات الرقاع لأنه كان في تلك الأرض بقع حمر وبيض

^١ مرجع سابق، ٦٦٤/٢

^٢ الظاهر هذا سبق قلم من ياقوت رحمه الله، فالقول لجابر بن عبد الله (رضي الله عنه) كما مر معنا في حديث البخاري.

قلت: الأرجح ما قاله الإمام الواقدي، من أن التسمية تعود لجبال فيها بقع سود، وبياض وحمرة، وهو القول الذي كشف صحته التحقيق على الأرض. ويؤيد القول بأن ذات الرقاع موضع، ما جاء في حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - المروى في الصحيح، قال: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرَّقَاعِ^٢.

الشُقْرَة

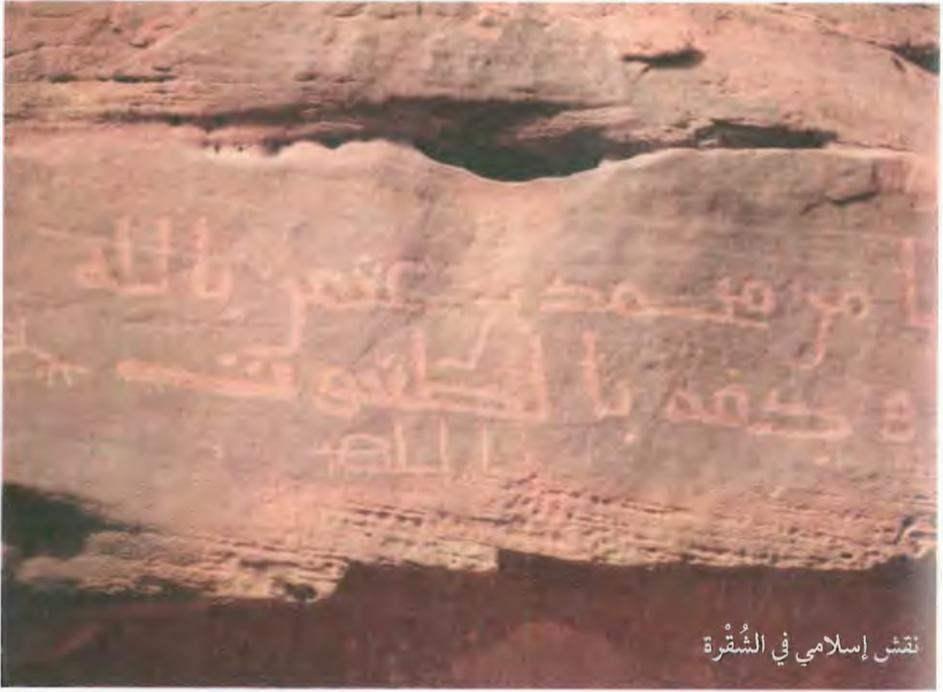


الشُقْرَة
24°55'00.9"N
40°12'20.5"E

الشُقْرَة المرحلة الثانية من المدينة المنورة على طريق فيد، وتبعد عنها نحو ثمانين كيلاً في اتجاه الشمال الشرقي، وما زالت معروفة باسمها التاريخي.

وسبب تسميتها بالشُقْرَة لغلبة اللون الأشقر^٣ على تربتها، والجبال المحيطة بواديها، وهي تقع على وادٍ باسمها ينصب من حرة خيبر ويتجه جنوباً حتى يختلط بوادي الصويدرة (الطرف قديماً)، وقد مرّ معنا الكلام عنه.

^١ معجم البلدان، رسم: الرقاع
^٢ سبق إيراده كاملاً قبل قليل
^٣ لون أحمر مائل إلى البياض



نقش إسلامي في الشُقْرة

وما زالت آثار المنزل ظاهرة إلى اليوم، يتجلى ذلك في أساسات القصور، ٢٥٥
وركامات المباني، والنقوش على الواجهات الصخرية للجبال على جانبي الوادي.
وعندما مُد خط الإسفلت الرابط بين المدينة والقصيم انحرف عنها جنوباً،
فقامت عليه قرية أسَموها (الشُقْرة)، فظن بعض الباحثين المعاصرين أنها هي
الشُقْرة التاريخية، والأمر ليس كذلك، فبينهما قرابة أحد عشر كيلاً، وقد أشار إلى
هذا الوهم الشيخ عبد الله الشايع في تحقيقه لطريق فيد إلى المدينة^١.

الشُقْرة في المصادر

قال صاحب المَناسك وبالشُقْرة قصور وحوانيت، وسوق كبير، ونخل في

^١ طريق الأخرجة، ص ص ١٨٦-١٨٧

ميمنتها، وآبار ماؤها عذب.

وعلى قدر نصف ميل (غربيها) بينها وبين النخيل آبار ماؤها غليظ^١.

وإذا خرجت منها عند أول ميل، يلقاك أفهار الحجارة التي يعمل منها

العطارون.^٢

ووصف السمهودي الشقرة بقوله: الشقرة: بالضم ثم السكون، موضع بطريق فيد، بين جبال حمر، على نحو ثمانية عشر ميلاً من النخيل، وعلى يوم من بئر السائب ويومين من المدينة، انتهى إليه بعض المنهزمين يوم أحد، كما رواه البيهقي، ومنه قطع كثير من خشب الدوم لعمارة المسجد النبوي بعد الحريق .

وتعتبر الشقرة حداً من حدود الحجاز من نجد، فعند جانبها الغربي تنقطع حرار الحجاز، وتبتدئ أرض نجد المفتوحة. وهذا الحد هو الذي أشار إليه الزبير بن بكار حينما قال وسألت سليمان بن عيَّاش السَّعْدِيَّ: لم سمِّي الحجاز حجازاً؟ قال لأنه حجز بين تهامة ونجد. قلت: فأين متناه؟ قال: ما بين بئر أبيك بالشقرة إلى أثاية العرج. فما وراء بئر أبيك فمن نجد؛ وما وراء أثاية العرج فمن تهامة.^٣



^١ الصحيح شرقيها، لأن النخيل شرق الشقرة.

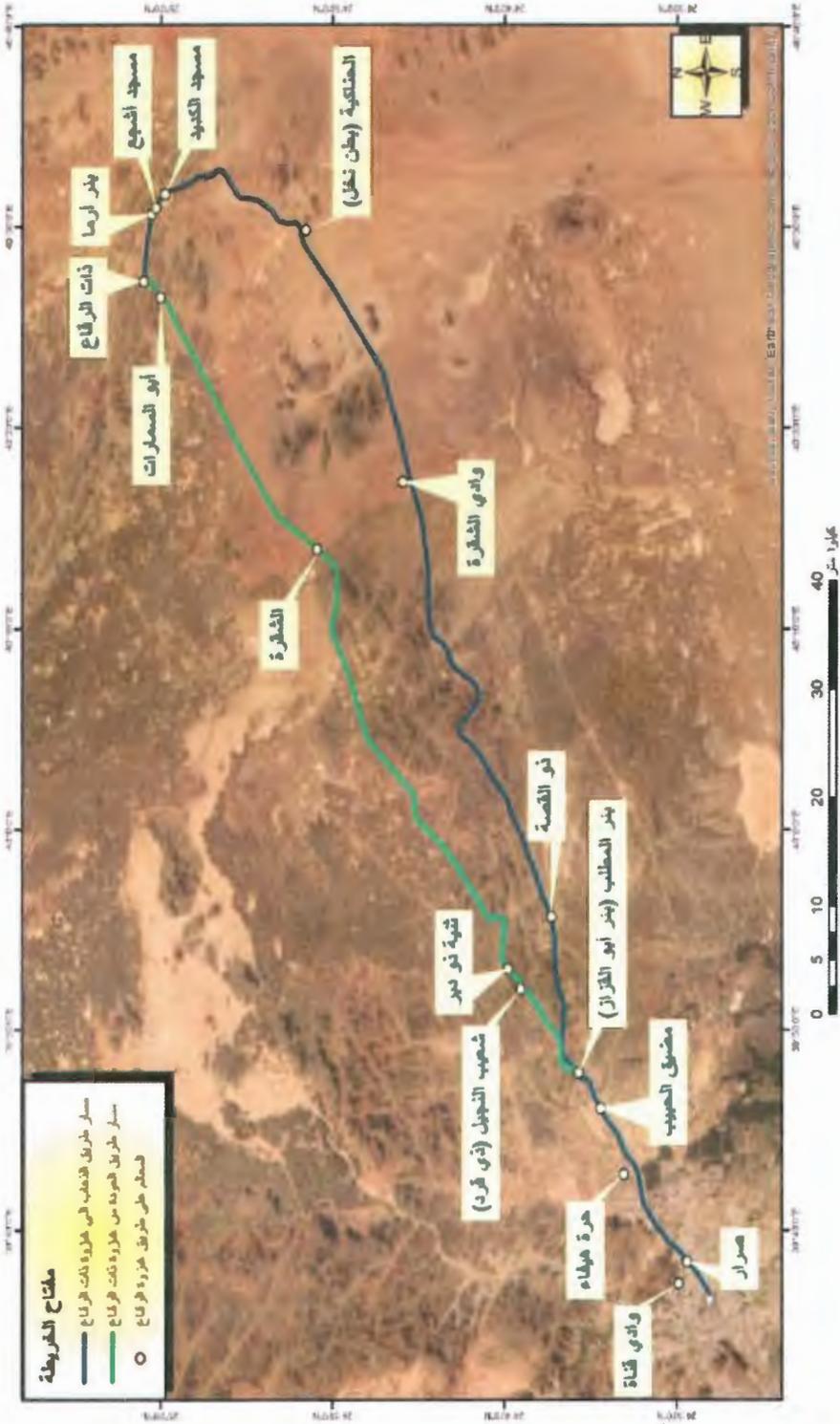
^٢ مرجع سابق، ص ٥٢٢، والأفهار جمع فُهر، وهي حجارة تملأ الكف (جمهرة اللغة)، مكورة أو بيضاوية الشكل، يستخدمها العطارون لطحن الأعشاب المستعملة في مهنتهم.

^٣ البكري، ٨٠٥/٣.



صرار

هذا الموضع يتكرر كثيراً في الغزوات والسرايا النبوية، وفي عموم الأحداث المتصلة بالجهات شرقي المدينة، وسبق الكلام عنه في معالم غزوة السوق، وغزوة قرقرة الكدر، وذو أمر.



ملتحاق الخريطة

- مسار طريق الذهب إلى عزرة ذات القراع
- مسار طريق الحمرة من عزرة ذات القراع
- فصل على طريق عزرة قراع

وصف الطريق النبوي إلى ذات الرقاع والعودة منها

مسار الطريق من المسجد النبوي إلى وادي الشقرة، متطابق مع المسير النبوي إلى (ذي أمر)، إلا أنه في غزوة ذات الرقاع نص الواقدي على أنه نزل في وادي الشقرة، وأقام به يوماً، وأرسل منه طلائع استكشافية تأتيه بأخبار وتحركات العدو.

ويوجد اليوم في وادي الشقرة، على قارعة الطريق، بئر قديمة جداً (قريشية) تدعى (نَفْجَة)¹، ربما كان نزول الجيش النبوي عليها، ومنها بث السرايا، وعادوا فأخبروا النبي ﷺ بأنهم شاهدوا آثاراً حديثة، مما يدل على قرب العدو، ووجوب أخذ الحيطة والحذر، والتعجيل بمباغتته.

٢٥٩

ارتحل الجيش النبوي من مكانه في وادي الشقرة تحت جنح الظلام، وسار جاعلاً جبل ضبع عن يمينه وجبل ظلم عن يساره، ثم جزع وادي مديسيس (وادي ذي أمر) فأخذ طريقاً في حرة مديسيس أهبطه على وادي نخل، وهذا هو الطريق التاريخي بين الصويدرة (الطرف) والحناكية (نخل)، الذي كانت تسلكه القوافل من قديم، ويعتبر جزءاً من الطريق العراقي (درب زبيدة)، واستمر استخدامه إلى اليوم مع تغير طفيف.

من نخل إلى ذات الرقاع

كان نزول الجيش النبوي نخلًا مفاجأة لجموع غطفان فارتبكوا، وكانت

¹ سبقَت الإشارة إليها في بحث معالم الغزوة

تحركاتهم غير منسقة، في البداية اقتربوا من المسلمين كثيراً حتى أن النبي ﷺ صلى بالمسلمين صلاة الخوف، ثم تراجع غطفان أمام ضغط الجيش النبوي، فاتجهوا شمالاً ساندين في وادي نخل (الحناكية)، والجيش النبوي في أثرهم يدفعهم أمامه، وفي أثناء ذلك مر الجيش النبوي على المقرن (التقاء وادي الجفران مع الحناكية)^١، ثم أسند في وادي نخل^٢، ونزل عند الجبل من بلاد أشجع، حيث يوجد مصلى أرجح أنه المسجد النبوي الذي سبقت الإشارة إليه باسم مسجد جبل الوشاح.

بئر أرما



بئر أرما
25°00'33.5"N
40°30'37.6"E

وبقرب هذا الجبل والمصلى النبوي، آثار من عصر موغل في القدم، من ضمنها ضفيرة من حجارة ضخمة ممتدة على شاطئ وادي نخل الأيمن، طولها نحو خمسة أكيال، وجدار من الحجر البازلتي الضخم، وهرم عالٍ مركوم، وبجانب هذه الآثار بئر جاهلية^٣، أرى أنها هي بئر (أرما) التي قال عنها الواقدي إنها قريبة من ذات الرقاع^٤.

^١ سبق أن ذكرنا أن الجفران هو وادي الكديد.

^٢ يسمى هذا الجزع من وادي نخل (وادي القصيبة)، وفيه مسجد الكديد الذي سبقت الإشارة إليه.

^٣ تسمى هذه البئر اليوم بئر سعد بن فهد العلوي العوفي الحربي.

^٤ معجم البلدان، ٥٦/٣.



ومن هذا الموضع الذي وصفنا، انعطف الجيش النبوي ذات اليسار فأخذ في وادي يسمى اليوم (المخروقة) حتى نزل السهل الذي تحيط به جبال الحمراء وأم عروق وهي ذات الرقاع، وعلى رؤوسها تحصنت الأعراب.

طريق العودة

استمر الجيش النبوي في مسار عودته إلى المدينة، فسلك على وادي (أبو اسمارات)، وقد تقدم معنا أن الجيش نزل فيه، ثم جزع وادي ذارة، وأخذ في حرّتها، في طريق يجمعه مع طريق فيد عند جبل (أشقرّ)، ومنه هبط على الشقرة فنزلها وبات فيها.



متنق حرة ذارة



٢٦٢



بعد أن استراح الجيش النبوي من عناء السير في حرة ذارة، استعد للمسير، فأمامه حرة دثير، وجبال السايبية الوعرة، ويخفف من وعورة هذا الطريق أنه طريق (دولي)، إذا صح التعبير، فهو أحد طرق التجارة الرئيسة الرابطة بين المدينة (يثرب) وشمال شرق الجزيرة العربية، والعراق، وما صاقت تلك الجهات، ولذلك فقد كانت العجادة تُنقى إذا مرت على الحرار، وبدون ذلك فإنه يصعب على الإبل - وخاصة المحملة - السير عليها.

خرج الجيش النبوي من الشقرة، وصعد حرة دثير، وسار في أرض تتناوب بين الوعورة والسهولة، جاعلاً جبال مغيرزات عن يساره وحرة الحزم عن يمينه حتى هبط وادي السايبية، فجعل جبل شباع عن يساره، ثم خرج من الوادي ميمماً

شطر شعب ذي قرد حيث الماء فنزل عليه^١.

في اليوم التالي ارتحل الجيش النبوي، وهم في أشد الشوق لرؤية المدينة؛ معالمها ونخيلها، وكل ما يتعلق بها، فحذروا وادي العوينة، الذي أسلمهم لوادي قناة، فجزعوه ثم نزلوا صراراً، وباتوا فيه، ومن الغد أمر النبي ﷺ بذبح بقرة فأكلوا منها، وأقاموا في المنزل حتى المساء، ثم دخلوا المدينة.

أهم نتائج الغزوة

- حققت هذه الحملة العسكرية أهم أهدافها، وهو إرهاب قبائل غطفان وارعايم، بنقل المعركة إلى ديارهم.

- كانت سبباً لتشريع صلاة الخوف^٢، ونزول قوله تعالى: وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا^٣.

- إظهار قوة المسلمين العسكرية والروحية، بانتظام صفوفهم وهم يؤدون واجباتهم الدينية، ولا يشغلهم عنها قرب العدو وتربصه بهم، وهذا الترتيب وهذه

^١ أشار الحاكم في الإكليل إلى ذلك (انظر غزوة ذي قرد)

^٢ هذا عند أصحاب المغازي والسير، الذين يرون أن غزوة ذات الرقاع كانت في السنة الرابعة، متقدمة على غزوة الحديبية، وغزوة ذي قرد، الوارد فيهما تأدية صلاة الخوف.

^٣ الآية ١٠٢ سورة النساء

الصلاة لا يعرفها أولئك الأعراب، وهذا قد يؤدي إلى أن يتساءل بعضهم عن مغزى هذا الترتيب وهذه الصلاة، ويكون ذلك باباً لدخولهم في الإسلام.

-قبائل غطفان القاطنين شرق وشمال شرق المدينة هي القبيلة العربية الوحيدة المحيطة بالمدينة التي كان يخشاها المسلمون، وقد ساهمت هذه الغزوة في الحد من هذا التهديد إلى حد بعيد، وإن لم تلغه تماماً، كما سيأتي معنا في غزوة ذي قرد.



^١ سيظهر لنا ذلك جلياً في أحداث غزوة الغابة.

الفصل الثامن

غزوة المريسيع (بني المصطلق)

ابنو المصطلق - بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وكسر اللام وقاف في الآخر، بطن من خزاعة من الأزد من القحطانية وهم بنو المصطلق واسمه خزيمة بن سعد بن عمرو، وهو ابن لحيى واسمه ربيعة بن حارثة ابن مزيقيا (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب).
والمريسيع اسم بئر سنتحدث عنها في مبحث معالم الغزوة.

تعتبر غزوة المريسيع من أكثر الغزوات أحداثاً، (من نتائجها إسلام كامل قبيلة بني المصطلق) وفيها دلالة واضحة على أن المسلمين لا يتسامحون مع من يحاول الاعتداء عليهم، وتآليب الأعداء وجمع الجموع لغزوهم، وسينالون منه، حتى لو كانت داره نائية عنهم، كما هو الحال في منزل بني المصطلق الذي يبعد عن المدينة حوالي ٣٠٠ كيلاً.

سبب الغزوة

اتفقت المصادر على أن السبب المباشر هو ما جاءت به الأخبار من أن زعيم بني المصطلق الحارث بن أبي ضرار ينوي السير إلى المدينة بمن أطاعه من العرب لغزو المسلمين في عقر دارهم، والظاهر أنه يريد بذلك أن يجعل له شأنًا بين العرب، وخاصة عند قريش؛ وقد كان حليفهم يوم أحد، وأن ينال من المسلمين ما لم تستطعه قريش ذلك اليوم.

يقول الواقدي عن بني المصطلق: **وَكَانَ رَأْسُهُمْ وَسَيِّدُهُمُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضَرَّارٍ، وَكَانَ قَدْ سَارَ فِي قَوْمِهِ وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَرَبِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاذْبَعُوا خَيْلاً وَسِلَاحًا وَتَهَيَّئُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجَعَلَتِ الرِّكْبَانُ تَقْدُمُ مِنْ نَاحِيَّتِهِمْ فَيُخْبِرُونَ بِمَسِيرِهِمْ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ^١.**

ولم يخرج ابن إسحاق وبقية أهل السير عما جاء عند الواقدي.

بعثُ بريدة بن الحُصيب إلى بني المصطلق

ومن أجل أن يتأكد مما بلغه عن بني المصطلق، وحتى لا يأخذهم بالظنَّة، فقد بعث النبي ﷺ إليهم بريدة بن الحُصيب-رضي الله عنه- ليأتيه بالخبر اليقين. فاستأذنه بريدة أن يقول أموراً غير صحيحة، ليكشف نواياهم الحقيقية، وما ائتمروا به، فسار إليهم، وقابل زعيمهم؛ الحارث بن أبي ضرار فسأله الحارث: من الرجل؟ قال: رجل منكم قدمت لما بلغني عن جمعكم لهذا الرجل، فأسير في قومي ومن أطاعني، فتكون يدنا واحدة، حتى نستأصله، فازداد فرح القوم بانضمام قوة جديدة إلى قوتهم، فقال له الحارث: فنحن على ذلك فعجل علينا، قال بريدة: أركب الآن فأتيكم بجمع كثيف من قومي ومن أطاعني فسروا بذلك منه، فرجع سريعاً إلى المدينة، وأخبر النبي ﷺ بأن ما بلغه عنهم كان صحيحاً. عند ذلك تجهز النبي ﷺ وصحابته لحربهم، ونقل المعركة إلى ديارهم، وهذه استراتيجية الدفاعية، وهي مباغته العدو، وعدم إعطائه فرصة لاستكمال عدته في مهاجمة المسلمين في المدينة.

تاريخ الغزوة

اختلف المؤرخون في تاريخ هذه الغزوة على قولين:

الأول: قال به ابن إسحاق، فقد قال-عقب غزوة ذي قرد فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بني المصطلق

من خزاعة في شعبان سنة ست^١.

وتبع ابن إسحاق في هذا القول جمع من المؤرخين؛ منهم: ابن حزم، وابن عبد البر، والطبري، وابن العربي، وابن الأثير وابن خلدون، وغيرهم.

الثاني: قول الواقدي، فقد قال: فِي سَنَةِ خَمْسٍ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِلْيَلْتَيْنِ خَلْتَا مِنْ شَعْبَانَ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ لِهِلالِ رَمَضَانَ وَغَابَ شَهْرًا إِلَّا لَيْلَتَيْنِ .

وهو قول موسى بن عقبة، وابن سعد، وابن قتيبة، والبلاذري، والحاكم في الإكليل، والحافظ ابن حجر، والبيهقي في الدلائل، وجمع من المؤرخين المتقدمين والمتأخرين، ويشبه أن يكون هذا القول هو قول الجمهور، لقوة أدلتهم، وأهمها الرواية الواردة في الصحيحين من اشتراك سعد بن معاذ-رضي الله عنه- في الغزوة، وهو قد استشهد عقب غزوة الخندق مباشرة، وهي في آخر السنة الخامسة باتفاق.

وقد ناقش الحافظ ابن حجر تاريخ نزول آية الحجاب؛ وهو أحد أدلة القول الأول، ورجح أنها نزلت في السنة الثالثة، أو في ذي القعدة من السنة الرابعة^٢.

أحداث الغزوة كما جاءت في المصادر

سنورد أحداث الغزوة باختصار، متخذين نص الواقدي كمرجع رئيسي، مع

^١ المسيرة النبوية

^٢ فتح الباري، ٤٣٠/٧، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩

إضافات من مصادر أخرى مثل السمهودي والهجري، وغيرهما، لأن الحديث عنها مبسوط في كتب السيرة النبوية، والأحاديث الشريفة، والتفصيل قد الإمكان في معالم الغزوة، حتى يمكن للقارئ اليوم أن يتتبع الجيش النبوي من خروجه من المدينة حتى عودته إليها، مع الاجتهاد في تحديد المواضع التي حصلت فيها الأحداث، وقد أعاننا على ذلك إمام السيرة النبوية الجغرافية محمد بن عمر الواقدي (رحمه الله).

الخروج من المدينة

خرج النبي ﷺ والمسلمون، ومعهم جمع كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قبل هذه، يبدو أنهم رأوا كثرة جيش المسلمين، وأنهم مستعدون لعدوهم، فطمعوا أن ينالوا مغانم كثيرة بدون مخاطرة كبيرة.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَبْعِ مِائَةٍ^١.

سار النبي ﷺ حَتَّى سَلَكَ عَلَى الْخَلَائِقِ فَنَزَلَ بِهَا، فَأَتَى يَوْمَئِذٍ بَرَجًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيْنَ أَهْلُكَ؟ قَالَ: بِالرُّوحَاءِ. قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: إِيَّاكَ جِئْتُ لِأُؤْمِنَ بِكَ وَأَشْهَدُ أَنَّ مَا جِئْتُ بِهِ الْحَقُّ، وَأُقَاتِلُ مَعَكَ عَدُوَّكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْإِسْلَامِ.

^١ دلالة النبوة للبيهقي، ٤/٤٤

الصلاة في كهف أعشار

بعد استراحة في الخلائق والمبيت بها، وهي المرحلة الأولى من المدينة، ارتحل النبي ﷺ وسار حتى نزل في وادي أعشار، وصلى في كهف أعشار.

روي الزبير بن بكار عن أبي بكر بن الحجاج وسليمان بن عاصم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم، في غزوة بني المصطلق نزل في كهف أعشار وصلى فيه^١.

النزول ببقعاء

سار النبي ﷺ في وادي أعشار، وبعد مرحلتين من المدينة نزل ببقعاء.

وفي بقاء أرسل النبي ﷺ رسالة قوية وحازمة إلى بني المصطلق فتت في عضدهم، وفرقت الأحلاف من حولهم، وبثت الرعب في قلوبهم؛ فقد لقي المسلمون، وهم في بقاء جاسوساً للمشركين فألقوا القبض عليه، فاتضح أنه خطر على المسلمين، ويمكن أن يكشف تحركات الجيش وخطة المعركة التي أعدوها ضد بني المصطلق، فعرض عليه الإسلام وأن يكف شره فأبى فقتل باعتباره أحد الأعداء المقاتلين.

وبإعدام هذا الجاسوس، وترك الخبر يصل إلى بني المصطلق، نستطيع أن نؤكد أن المعركة قد انتهت قبل أن تبدأ، فقد انهارت معنوياتهم، وتيقنوا أنهم لا قبل لهم بهذا الجيش المصمم على هزيمتهم. فَكَانَتْ جُورِيَّةٌ بِنْتُ الْحَارِثِ تَقُولُ: بَعْدَ

^١ وفاء الوفا، ١٧٧/٣



أَنْ أَسْلَمْتُ، جَاءَنَا خَبْرُهُ وَمَقْتَلُهُ وَمَسِيرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ،
فَسِيءَ أَبِي وَمَنْ مَعَهُ وَخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا، وَتَفَرَّقَ عَنْهُمْ مَنْ كَانَ قَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ مِنْ
أَفْنَاءِ الْعَرَبِ، فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ سِوَاهُمْ. ١

وفي بقعاء قابل النبي ﷺ مسعود بن هنيذة؛ دليله في الهجرة من العرج إلى
المدينة.

يسوق الواقدي ما جرى في هذه المقابلة بسنده نقلاً عن ابن مسعود،
فيقول: حَدَّثَنِي ابْنُ مَسْعُودِ بْنِ هُنَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِبُقْعَاءَ،
فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا مَسْعُودُ؟ فَقُلْتُ: جِئْتُ لِأَنْ أَسْلَمَ عَلَيْكَ وَقَدْ أَعْتَقَنِي أَبُو تَمِيمٍ.
قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ، أَيْنَ تَرَكْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: تَرَكْتُهُمْ بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِالْخَذَوَاتِ
وَالنَّاسُ صَالِحُونَ وَقَدْ رَغِبَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ وَكَثُرَ حَوْلَنَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ الَّذِي هَدَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: مَسْعُودُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَأَيْتَنِي أَمْسِ وَأَلْقَيْتَ
رَجُلًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَدَعَوْتَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَرَعَّبْتَهُ فِيهِ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
لِإِسْلَامِهِ عَلَى يَدَيْكَ كَانَ خَيْرًا لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ، ثُمَّ قَالَ: كُنْ
مَعَنَا حَتَّى نَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُنْفِلَنَا اللَّهُ أَمْوَالَهُمْ .

قَالَ: فَسِرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى غَنِمَهُ اللَّهُ أَمْوَالَهُمْ وَذَرَارِيَّهُمْ، فَأَعْطَانِي
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةً مِنْ إِبِلٍ وَقِطْعَةً مِنْ غَنَمٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَقْدِرُ أَنْ
أَسُوقَ الْإِبِلَ وَمَعِيَ الْغَنَمُ؟ اجْعَلْهَا غَنَمًا كُلَّهَا أَوْ إِبِلًا كُلَّهَا، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ
قَالَ: أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: تَجْعَلُهَا إِبِلًا، قَالَ: أَعْطَاهُ عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ قَالَ:

فَأُعْطِيَتْهَا. فَيَقَالُ لَهُ: قَارِعَهُ مِنَ الْمَالِ، أَوْ مِنَ الْخُمْسِ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، فَرَجَعْتُ
إِلَى أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا زِلْنَا فِي خَيْرٍ مِنْهَا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا^١.

من بقعاء إلى المريسيع

ارتحل النبي ﷺ من بقعاء، وسلك على حرة الحجاز، في طريق يوصله
مباشرة إلى المريسيع؛ موقع تجمع القوم من بني المصطلق المتمثلين على غزو
المدينة.

وبعد مسير أربعة أيام انتهى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُرَيْسِيْعِ، وَهُوَ الْمَاءُ فَزَلَهُ
وَضُرِبَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُبَّةٌ مِنْ أَدَمٍ وَمَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ عَائِشَةُ وَأُمُّ سَلَمَةَ..

ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَنَادَى فِي النَّاسِ:
قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَمَنَعُوا بِهَا أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ. فَفَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَبَوْا
فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَمَى رَجُلٌ مِنْهُمْ بِسَهْمٍ فَرَمَى الْمُسْلِمُونَ سَاعَةً بِالنَّبْلِ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَحْمِلُوا، فَحَمَلُوا حَمَلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَمَا أَفَلَتْ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ
وَقُتِلَ عَشْرَةٌ مِنْهُمْ وَأَسِرَ سَائِرُهُمْ.

وَسَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالذَّرِيَّةَ وَغَنِمَتِ النَّعْمُ، وَالشَّاءُ وَمَا قُتِلَ
أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَكَانَ أَبُو قَتَادَةَ يُحَدِّثُ قَالَ: حَمَلَ لِيَاءَ
الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانُ ذُو الشَّفْرَةِ فَلَمْ تَكُنْ لِي نَاهِيَةً حَتَّى شَدَدْتُ عَلَيْهِ، وَكَانَ

الأحداث على ماء المريسيع

كان من الأساليب العسكرية للنبي ﷺ أنه إذا نزل بأرض عدو وانتصر عليه، أن يبقى في ساحتهم ثلاثة أيام بعد المعركة، ثم يغادر. لذلك بقي النبي ﷺ نازلاً على ماء المريسيع حتى تنقضي الأيام الثلاثة، ويتم ترتيب الجيش وتهيئته للعودة إلى المدينة، وخلال هذه المدة حصلت أحداث أهمها حدثان لهما أهمية كبرى، هما:

الأول: زواج النبي ﷺ من أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار-

رضي الله عنها.

٢٧٥

تقول أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: كَانَتْ جُوَيْرِيَةٌ جَارِيَةً حُلْوَةً لَا يَكَادُ يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا ذَهَبَتْ بِنَفْسِهِ فَبَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ عِنْدِي، وَنَحْنُ عَلَى الْمَاءِ إِذْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ جُوَيْرِيَةٌ تَسْأَلُهُ فِي كِتَابَتِهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتَهَا، فَكَّرِهُتْ دُخُولَهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا جُوَيْرِيَةٌ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضَرَّارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ أَصَابْنَا مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ عَلِمْتُ، وَوَقَعْتُ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَابْنِ عَمِّ لِي، فَتَخَلَّصَنِي مِنْ ابْنِ عَمِّهِ بِنَخْلَاتٍ لَهُ بِالْمَدِينَةِ، فَكَاتَبَنِي ثَابِتٌ عَلَى مَا لَا طَاقَةَ لِي بِهِ، وَلَا يَدَانَ، وَمَا أَكْرَهَنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا

أَنِّي رَجَوْتُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، فَأَعِنِّي فِي مَكَاتِبَتِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أُوَدِّي عَنْكَ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ، قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ فَعَلْتُ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ ثَابِتٍ فَطَلَبَهَا مِنْهُ، فَقَالَ ثَابِتٌ: هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي وَأُمِّي، فَأَدَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا كَانَ عَلَيْهَا مِنْ كِتَابَتَيْهَا، وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا^١.

وكان لهذا الزواج صدى واسع بين المسلمين وبركة عظيمة على قوم السيدة جويرية، فعندما علم المسلمون بهذا الزواج، قالوا: أَصْهَارُ النَّبِيِّ ﷺ فَأَعْتَقُوا مَا بِيَدِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ السَّبْيِ.

تقول عائشة (رضي الله عنها): فَأَعْتَقَ مَائَةَ أَهْلِ بَيْتِ بَتْرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهَا، فَلَا أَعْلَمُ امْرَأَةً أَعْظَمَ بَرَكَهَ عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا.

الحدث الثاني: إرجاف المنافقين؛ وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول؛ رأس منافقي أهل المدينة. فبسبب حادثة عرضية صغيرة؛ خلاف بين اثنين من الصحابة على أولوية السقاء من بئر المريسيع؛ أحدهما كان محسوباً على المهجرين، هو جَهْجَاهُ بْنُ سَعِيدِ الْغِفَارِيِّ^١، والآخر كان حليفاً في بني سالم من الخزرج، هو سِنَانُ بْنُ وَبَرِ الْجُهَنِيِّ^٢، تطور الخلاف إلى شجار بسيط، فصاح

^١ المغازي، غزوة المريسيع

^٢ جهجاه بن سعيد: وقيل ابن قيس، وقيل ابن مسعود الغفاري. شهد بيعة الرضوان بالحديبية. وعاش جهجاه إلى خلافة عثمان، فروى البواردي من طريق الوليد بن مسلم عن مالك وغيره عن نافع عن ابن عمر، قال: قدم جهجاه الغفاري إلى عثمان وهو على المنبر، فأخذ عصاه فكسرها. فما حال على جهجاه الحول حتى أرسل الله في يده الأكلة فمات منها". الإصابة.

^٣ سنان بن وبرة الجهني ويقال: وبرة. له حديث في غزوة المريسيع، قال: "كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَرَبِيِّعِ غَزْوَةَ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَكَانَ شِعَارُهُمْ: يَا مَنْصُورُ، أَمِثْ أَمِثْ، أَخْرَجَهُ ابْنُ مَنْدَةَ وَأَبُو نُعَيْمٍ". أسد الغابة



جهجاه: ياللمهاجرين!، وصاح سنان: يالأنصار!، فسمعها المنافقون فطاروا بها، وأرجفوا وبثوا الإشاعات العنصرية البغيضة في العسكر، حتى قال كبيرهم عبد الله بن أبيّ مقولته الخبيثة: لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ^١.

وقد حاول الخبيث عبد الله بن أبيّ التنصل من مقولته هذه، فنزل القرءان مكذباً لمحاولته البائسة هذه، ومؤكداً أنه تفوه بها.

لكن الله كبتهم، ولم ينالوا مرادهم، فعندما سمع النبي ﷺ ما تفوه به الصحابيان، ورأى بعض الناس يتداولون ما يبثه المنافقون، والشيطان حريص على إشاعة البغضاء، والفرقة بين المسلمين، توجه إليهم، فقال: مَا بَالَ دَعَايَ الْجَاهِلِيَّةِ . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ . فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ^٢.

التعجيل في العودة من المريسيع

عندما رأى النبي ﷺ انشغال الناس بالخوض في مقولة عبد الله بن أبيّ، وما جرى بين الصحابيين عند بئر المريسيع، رأى من الحكمة أن يشغلهم عن الحديث في كل ذلك بالتأهب للمسير، فأمر عمر بن الخطاب أن يؤذن بالرحيل، وفي وقت ليس من المعتاد أن يرحل فيه لَمْ يَشْعُرْ أَهْلُ الْعَسْكَرِ إِلَّا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ طَلَعَ عَلَى رَاحِلَتِهِ الْقُصُوءَ وَكَانُوا فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَكَانَ لَا يَرُوحُ حَتَّى يُبْرَدَ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا جَاءَهُ

^١ سورة المنافقون

^٢ الكسع: ضرب يد أو رجل على دبر شيء. كتاب (العين)

^٣ سنن الترمذي، ٤١٧/٥، ط٢، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر

خَبَرُ ابْنِ أَبِي رَحْلٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ١.

يقول ابن إسحاق: ثُمَّ مَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى أَمَسَى، وَلَيْلَتَهُمْ حَتَّى أَصْبَحَ، وَصَدَرَ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى آذَتْهُمْ الشَّمْسُ، ثُمَّ نَزَلَ بِالنَّاسِ، فَلَمْ يَلْبُثُوا أَنْ وَجَدُوا مَسَّ الْأَرْضِ فَوَقَعُوا نِيَامًا، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَشْغَلَ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي. ثُمَّ رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ، وَسَلَكَ الْحِجَازَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى مَاءٍ بِالْحِجَازِ فُوقَ النَّبِيعِ، يُقَالُ لَهُ: بَقْعَاءُ. ٢.

قلت: وبقعاء هذه هي المنزل الذي نزله النبي ﷺ في ذهابه، وقابل عنده مسعود بن هنيذة، وأعدم جاسوس بني المصطلق.

والمسافة التقديرية بين بقعاء والمريسيح حوالي ١٥٠ كم، تقطع في أربعة أيام، للجيش أو الراكب غير المجدد، حسب طبيعة الأرض، وهي هنا أرض خشنة بركانية، لذلك سيكون السير فيها وئيداً.

وقد شاهدنا الآن أن العودة كانت في ظروف مختلفة، فقد كان الجيش يسير بأقصى سرعة، مع تقليل فترة الراحة، لذلك فإن من المرجح أنهم وصلوا بقعاء في ثلاثة أيام، وهي من نواحي المدينة، وعليها يحمل قول ابن كثير في تفسير سورة (المنافقين)، وفي السيرة النبوية لابن كثير، أنهم صَبَّحُوا الْمَدِينَةَ فِي ثَلَاثٍ ٣، فالوصول إلى المدينة من المريسيح في ثلاث ليالي غير ممكن، فالمسافة بينهما

١ المغازي

٢ السيرة النبوية

٣ تفسير ابن كثير، ١٣٢/٨، ط٢، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع



٢٧٠ كم تقريباً، تحتاج إلى خمسة أيام على الأقل من السير الحثيث.

أحداث في بقعاء

بعد ثلاثة أيام من السير المنهك على قفا حرة الحجاز الكبرى، فلما تجاوزها، وهبط الأرض اللينة، وفي مكان يعتبر من نواحي المدينة، وهو وادي النقيع، اختار منزلاً مناسباً لنزول الجيش في بقعاء.

وفي هذا المنزل ذو الشعاب الكثيرة سرح الجيش ظهره، ودوابه، وما كان قد غنمه من بني المصطلق، وما كادوا أن يشعروا بشيء من الراحة من عناء السفر، حتى هبَّت على الناس رِيحٌ شديدةٌ آذَتْهُمْ وَتَخَوَّفُوهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَخَافُوهَا، فَإِنَّمَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عَظَمَاءِ الْكُفَّارِ. فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ وَجَدُوا رِفَاعَةَ بِنَ زَيْدِ بْنِ التَّابُوتِ، أَحَدَ بَنِي قَيْنِقَاعَ، وَكَانَ عَظِيمًا مِنْ عَظَمَاءِ يَهُودَ، وَكَهْفًا لِلْمُنَافِقِينَ، مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ^١.

وروى الواقدي بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: فَحَدَّثَنِي خَارِجَةُ بِنُ الْحَارِثِ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَتْ الرِّيحُ يَوْمَئِذٍ أَشَدَّ مَا كَانَتْ قَطُّ إِلَى أَنْ زَالَتْ الشَّمْسُ، ثُمَّ سَكَنْتْ آخِرَ النَّهَارِ، قَالَ جَابِرٌ: فَسَأَلْتُ حِينَ قَدِمْتُ قَبْلَ أَنْ أَدْخَلَ بَيْتِي: مَنْ مَاتَ؟ فَقَالَ: زَيْدُ ابْنِ رِفَاعَةَ بْنِ التَّابُوتِ، وَذَكَرَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَنَّهُمْ وَجَدُوا مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ حَتَّى دُفِنَ عَدُوُّ اللَّهِ فَسَكَنْتِ الرِّيحُ^٢.

^١ تسمى في المصادر حرة بني سليم، لأن أغلب بطون بني سليم ينتشرون في هذه الحرة.

^٢ السيرة النبوية

^٣ المغازي

معجزة نبوية أخرى

وقد شهد هذا الموضوع معجزة أخرى من معجزاته ﷺ: فقد روى ابن إسحاق والبيهقي وأبو نعيم عن موسى بن عقبة، وعروة وابن إسحاق عن محمد بن عمر عن ابن رومان وعاصم بن عمر بن قتادة واللفظ لابن عمر قالوا: فقدت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء من بين الإبل، فجعل المسلمون يطلبونها في كل وجه، فقال زيد بن اللصيت، وكان منافقا وهو في جماعة من الأنصار، منهم عباد بن بشر بن وقش، وسلمة بن سلامة بن وقش، وأسيد بن حضير، فقال: أين يذهب هؤلاء في كل وجه؟ قالوا: يطلبون ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضلّت، قال: أفلا يخبره الله بمكانها؟ فأنكر عليه القوم، فقالوا: قاتلك الله، يا عدو الله، نافقت. ثم أقبل عليه أسيد بن حضير فقال: والله لولا أني لا أدري ما يوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك لأنفذت خصيتك بالرّمح يا عدو الله فلم خرجت معنا وهذا في نفسك؟ قال: خرجت لأطلب من عرض الدنيا، ولعمري إن محمدا ليخبرنا بأعظم من شأن الناقة، يخبرنا عن أمر السماء. ووقعوا به جميعا، وقالوا: والله لا يكون منك سبيل أبداً، ولا يظننا وإياك ظلّ أبداً، ولو علمنا ما في نفسك ما صحبتنا ساعة من نهار، فوثب هارباً منهم أن يقعوا به، ونبذوا متاعه، فعمد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس معه فرارا من أصحابه متعوّذاً به، وقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما قال من السماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق يسمع: «إن رجلا من المنافقين شمت أن ضلّت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ألا يخبره الله بمكانها؟»، فلعمري إن محمداً ليخبرنا



بأعظم من شأن الناقة» ، ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى، وأن الله تعالى قد أخبرني بمكانها، وإنما في هذا الشعب مقابلكم، قد تعلق زمامها بشجرة، فاعمدوا نحوها، نذهبوا فأتوا بها من حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما نظر المنافق إليها سقط في يده، فقام سريعاً إلى رفقاءه الذين كانوا معه، فإذا رحله منبوذ، وإذا هم جلوس لم يقيم رجل منهم من مجلسه، فقالوا له حين دنا: لا تدن منا! فقال: أكلمكم، فدنا فقال: أنشدكم الله - وفي لفظ: أذكركم الله - هل أتى أحد منكم محمداً فأخبره بالذي قلت؟ قالوا: لا، والله، ولا قمنا من مجلسنا، قال: فإني قد وجدت عند القوم ما تكلمت به، وتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه قد أتى بناقته، وقال: إني قد كنت في شك من شأن محمد، فأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكأنني لم أسلم إلا اليوم. قالوا: فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك. فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستغفر له، واعترف بذنبه^١.

النبي ﷺ يحمي النقيع

لم تحدد لنا المصادر مدة بقاء النبي ﷺ نازلاً في بقعاء، لكنها لا شك أطول من المعتاد، بسبب ما لاقاه الجيش من الاجهاد، والتعب، بسبب السير الطويل وعدم تمكنه من فترات الراحة المعتادة، لذلك من المرجح أنهم بقوا في هذا المنزل يومين أو ثلاثة، حصلت فيها تلك الأحداث التي ذكرناها.

^١ وفي غزوة تبوك حصلت حادثة مثل هذه.

ارتحل الجيش من بقعاء، وبعد ساعات معدودة نزل وادي النقيع، يقول الواقدي: لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّقِيعِ مُنْصَرَفَهُ مِنَ الْمُرَيْسِيعِ وَرَأَى سَعَةً وَكَلَاءً وَعُدُرًا كَثِيرَةً تَتَنَاحَسُ وَخُبْرٌ بِمَرَاءَتِهِ، وَبَرَاءَتِهِ فَسَأَلَ عَنْ الْمَاءِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا صِفْنَا قُلْتَ الْمِيَاهُ وَذَهَبَتِ الْعُدُرُ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ أَنْ يَحْفَرَ بئرًا، وَأَمَرَ بِالنَّقِيعِ أَنْ يُحْمَى، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ بِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ الْمُزَنِّيُّ، فَقَالَ بِلَالٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَمْ أَحْمَى مِنْهُ؟ قَالَ: أَقِمِ رَجُلًا صَيِّتًا إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ - يَعْنِي مُقْمِلًا - فَحَيْثُ انْتَهَى صَوْتُهُ فَاحْمِهِ لِخَيْلِ الْمُسْلِمِينَ وَإِبِلِهِمُ الَّتِي يَغْزُونَ عَلَيْهَا. قَالَ بِلَالٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ مَا كَانَ مِنْ سَوَائِمِ الْمُسْلِمِينَ؟ فَقَالَ: لَا يَدْخُلُهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ الْمَرْأَةَ وَالرَّجُلَ الضَّعِيفَ تَكُونُ لَهُ الْمَاشِيَةُ الْيَسِيرَةَ وَهُوَ يَضْعَفُ عَنِ التَّحْوَلِ؟ قَالَ: دَعُهُ يِرْعَى، فَلَمَّا كَانَ زَمَانُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَمَاهُ عَلَى مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَمَاهُ، ثُمَّ كَانَ عُمَرُ فَكَثُرَتْ بِهِ الْخَيْلُ وَكَانَ عُمَانُ فَحَمَاهُ أَيْضًا، وَسَبَقَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ بَيْنَ الْخَيْلِ وَبَيْنَ الْإِبِلِ فَسَبَقَتِ الْقُصَوَاءُ الْإِبِلَ وَسَبَقَ فَرَسُهُ - وَكَانَ مَعَهُ فَرَسَانِ لِرِزَارٍ وَآخَرُ يُقَالُ لَهُ: الظَّرْبُ - فَسَبَقَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الظَّرْبِ، وَكَانَ الَّذِي سَبَقَ عَلَيْهِ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ، وَالَّذِي سَبَقَ عَلَى نَاقَتِهِ بِلَالٌ.

النبي ﷺ يسابق عائشة



مكان السباق
23°49'38.0"N
39°42'02.4"E

لم يتأخر النبي ﷺ في وادي النقيع، فبعد أن حماه، واستعمل عليه من يحرسه، ارتحل مبرداً، وقبل مغيب الشمس وصلوا إلى مكان مناسب للسباق، عندها التفت ﷺ إلى عائشة ومازحها فدعاها

إلى السباق.

تروي لنا عائشة نتيجة هذا السباق، فتقول: **ثُمَّ إِنَّا سِرْنَا مَعَ الْعَسْكَرِ حَتَّى إِذَا نَزَلْنَا مَوْضِعًا دَمِثًا طَيِّبًا ذَا أَرَكَ قَالَ: يَا عَائِشَةُ هَلْ لَكَ فِي السَّبَاقِ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَتَحَزَمْتُ بِشِابِي وَفَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَبَقْنَا فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: هَذِهِ بَيْتُكَ السَّبَقَةِ الَّتِي كُنْتُ سَبَقْتِنِي، وَكَانَ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِ أَبِي وَمَعِيَ شَيْءٌ فَقَالَ: هَلَمَّيْهِ فَأَبَيْتَ فَسَعَيْتَ وَسَعَى عَلَى أَثَرِي فَسَبَقْتَهُ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ بَعْدَ أَنْ ضُرِبَ الْحِجَابُ^١.**

الصلاة في الضيقة (مضيق هلوان)

بعد السباق النبوي مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - والذي من المرجح أنه كان في موقع أئمة ابن الزبير^٢ - سار الجيش في وادي ذات الحمامات حتى خرج منه إلى وادي هلوان عبر مضيق في أعلى الوادي، وبعد الخروج من هذا المضيق نزل النبي ﷺ لاستراحة قصيرة، وأداء الصلاة.

^١ المغازي.

قلت: وفي مسند أحمد من حديث هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْنِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: «تَعَالَى حَتَّى أَسَاقِكَ» فَسَاقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبُنْتُ وَنَيْبْتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَى حَتَّى أَسَاقِكَ» فَسَاقْتُهُ، فَسَبَقْتِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ بَيْتُكَ».

قلت: السباق الذي سبقها فيه هو هذا، والسباق الذي سبقته فيه كان في غزوة بدر الآخرة. ورد في مشكل الآثار لابي عوانة الإسفراييني من حديث أبي سلمة: أن الغزوة هي بدر الآخرة، وأن السباق كان في الأثيل، ولكن يبدو أنه حصل انقلاب في الرواية من "سبقته" إلى "فسبقني". والله أعلم.

^٢ تسمى اليوم البيمة، وموقعها قديماً كان على الطريق بين النقيع والعقيق.

الصلاة في مسجد الضيقة

روى ابن زباله عن أبي بكر بن الحجاج وسليمان بن عاصم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد في الضيقة مخرجه من ذات حماط^١.

حديث الإفك

سار النبي ﷺ بالجيش حتى نزل في مكان قريب من المدينة؛ أقل من مرحلتين، وهناك نزلوا معرّسين^٢، وقبل الفجر بقليل آذنوا بالرحيل، وليس بينهم وبين المدينة سوى منزل واحد، وهنا وقعت حادثة عظيمة، هي حديث الإفك، وهي الحادثة التي شهدت الطعن في شرف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وتمت مكافأتها على صبرها وابتلائها بان أنزل الله آيات براءتها تتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.



ولندع عائشة -رضي الله عنها- تخبرنا بما حدث، فتقول: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفْرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَرْوَاجِهِ، فَأَيُّهِنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا أُنزِلَ الْحِجَابُ، فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنزَلُ فِيهِ، فَسَرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَل، دَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ

^١ وفاء الوفا

^٢ التعريس: النزول آخر الليل

حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى
 رَحْلِي، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عَقْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ
 عَقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرْحَلُونِي، فَاحْتَمَلُوا
 هُودَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أُرْكَبُ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ
 النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ،
 فَلَمْ يَسْتَكْرِ الْقَوْمُ خِيفَةَ الْهُودَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ،
 نَبَعْتُوا الْجَمَلَ فَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عَقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ
 وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتِمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ
 سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي، غَلَبَتْني عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ
 صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السَّلْمِيِّ ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي،
 فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي، وَكَانَ رَأَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ
 بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلَا
 سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، وَهُوَ حَتَّى أَنَاخَ رَاِحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا،
 فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَاَنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ
 الظَّهِيرَةِ وَهُمْ نَزُولٌ، قَالَتْ: فَهَلَّكَ مَنْ هَلَّكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الْإِفْكِ عَبْدُ اللَّهِ
 بْنُ أَبِي ابْنِ سُلُولٍ^١.

^١ صحيح البخاري، باب حديث الإفك.



موقع ضياع العقد:



مكان ضياع عقد عائشة

23°58'22.0"N

39°37'48.0"E

حدث خلط بين ضياع عقد عائشة رضي الله عنها في هذه الغزوة، وهو السبب في حديث الإفك، وبين ضياعه في غزوة أخرى بعد ذلك وكان سبباً في نزول آية التيمم.

فعائشة رضي الله عنها ضاع عقدها مرتين؛ مرة هنا في طريق النقيع ومرة أخرى في طريق الأنبياء عند ذات الجيش، وكلا الحادثتين قرب المدينة.

روى الطبراني وغيره عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان قال أهل الإفك ما قالوا فخرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أخرى فسقط أيضاً عقدي حتى حبس الناس على التماسه فقال لي أبو بكر:

يا بنية في كل سفرة تكونين عناء وبلاء على الناس، فأنزل الله الرخصة في التيمم،
فقال أبو بكر: إنك لما علمتُ مباركة^١.

ويؤيد هذا التباين والتغاير وانهما حادثان منفصلتان حديث عائشة رضي الله
عنها الآخر: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا
كنا بالبيداء، أو بذات الجيش، انقطع عقد لي، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى
أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صلى الله
عليه وسلم، والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، قالت عائشة: فجاء أبو بكر
ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي، قد نام، فقال: حبست
رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فقالت
عائشة: فعاتبني أبو بكر، فقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي،
فلا يمنعني من التحرك، إلا مكان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم على
فخذي، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله
تبارك وتعالى آية التيمم، فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر،
قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فوجدنا العقد تحته^٢.

وهذا يكون مكان نزول آية التيمم قد تم تحديده بشكل واضح لا لبس فيه،
أما مكان ضياع عقد عائشة المسبب لحديث الإفك فلم يحدد بذات الوضوح.

^١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، ٤/٤، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

^٢ صحيح البخاري، باب التيمم

وبتأمل حديث عائشة ودراسة الطريق في رجوع النبي ﷺ من غزوة بني المصطلق استنتجت أن الجيش قد عرس في المنزل ما قبل الأخير من منازل الطريق إلى المدينة، وهذا المنزل هو وادي هلوان (المرباط)، في موضع إحدائياته (٣٧، ٣٩، ٥٨، ٢٣)، واستمر هذا المكان منزلاً لقوافل الحجاج والمسافرين على هذا الطريق إلى أن انتهى عصر قوافل الإبل، وجاءت السيارات^١.

قلت: بعد أن التحقت عائشة-رضي الله عنها- بالجيش، في مكان نزوله للاستراحة عند الظهيرة، ويُعتقد، أن هذا المنزل هو الخلائق، أو ما يطلق عليه اليوم (أبيار الماشي)، وفي العشي ارتحل الجيش وسار حتى نزل ذا الحليفة، وبات بها.

عبد الله يمنع أباه المنافق عبد الله بن أبي من دخول المدينة

بعد أن بات الجيش في ذي الحليفة، واتجهوا لدخول المدينة، وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي-رضي الله عنه- على باب المدينة (ثنية المدرج)، واستل سيفه، وهو ينتظر مرور أبيه المنافق

عبد الله بن أبي، فَلَمَّا جَاءَ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَالَ لَهُ: وَرَأَيْكَ. فَقَالَ: مَا لَكَ؟ وَيْلَكَ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تَجُوزُ مِنْ هَاهُنَا حَتَّى يَأْذَنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ الْعَزِيزُ وَأَنْتَ الذَّلِيلُ. فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَكَانَ إِنَّمَا يَسِيرُ سَاقَةً فَشَكَاَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنَهُ، فَقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا حَتَّى تَأْذَنَ لَهُ. فَأْذَنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَمَا إِذْ أْذِنَ لَكَ رَسُولُ

^١ وادي الفرع تاريخ وحضارة، محمد بن صالح البليشهي، ص ٣٤



اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجُزَّ الْأَنَاءُ.

وفي السيرة النبوية لابن كثير، فإن عبد الله بن أبي وقف لأبيه عند مضيق

المدينة.

وباب المدينة ومضيق المدينة وثنية المدينة كلها بمعنى واحد، وهي الثنية

أو النقب الذي يهبط منه إلى العقيق، أو يصعد منه إلى المدينة وتسمى أيضاً ثنية

الحوض، وثنية المُدرِّج، واسمها اليوم (طلعة عروة).

ثم دخل الجيش المظفر المدينة.

معالم الغزوة

أوردت المصادر ثمانية معالم ذكرت في هذه الغزوة، وهي:

١- الخلائق ٢- كهف أعشار ٣- الضيقة ٤- ذات الحماط ٥- النقيع ٦-

بقعاء ٧- الحجاز ٨- المريسيع.

الخلائق



الخلائق
24°11'57.0"N
39°32'50.0"E

(أبيار الماشي) هو الاسم المتداول اليوم لما كان يسمى

خلائق ابن أبي أحمد، وابن أبي أحمد هو: عبد الله بن أبي أحمد بن

جحش ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وحنكه، وولاه



والخلائق في اللغة: الآبار الحديثة الحفر.^٢

وقد كانت وما زالت مشهورة بمزارعها، ونقل الهجري أن فيها مزارع ونخلاً
وقصوراً لقوم من آل الزبير وآل عمر وآل أبي أحمد.^٣

وكانت الخلائق عبارة عن مقاطعة صغيرة يديرها عبد الله بن أبي أحمد، ثم
ذريته من بعده، حتى صارت تسمى خلائق الأحمديين.^٤

^١ وفاء الوفاء ص ١٠٦٦ تحقيق محي الدين

^٢ لسان العرب، مادة خلق

^٣ التعليقات والنوادر ص ١٤٤٠

^٤ معجم البلدان، ٢٠٩٣/٥

حدود خلائق الأحمديين (أبيار الماشي)

يحدها من الجنوب نعف مياسر (يسمى اليوم السناف)، ونعف مياسر حدده
ياقوت بدقة فقال: نعف مياسر: قال ابن السكيت عن بعضهم النعف هاهنا ما بين
الدوداء وبين المدينة وهو حد خلائق الأحمديين.

فجبل السناف اليوم نعف من جبل أسقف الكبير الواقع في جنوبه الشرقي،
وهو الحد الطبيعي لأبيار الماشي من الجنوب، وهو كما قال ابن السكيت بين
المدينة والدوداء

ونعف مياسر هذا غير ذاك الوارد في قول كثير:

نظرتُ وقد حالت بلا كُثْ دونهم ... وبُطنانُ وادي برمّة وظهورُها

إلى طُعْنٍ بالنعفِ نَعْفٍ مياسِرٍ ... حدثها تواليها ومارت صُدورُها

نعف مياسر هذا في وادي الجزل قرب وادي القرى^١.

ويحد الخلائق من الشمال الجثجاثة، التي هي صدقة عبد الله بن حمزة

الزبيري^٢

وحدودها من الغرب جبال ضبع والمسمى، ومن الشرق حرة ميطان.

هذه هي الحدود الطبيعية للخلائق في القرن الأول الهجري عندما كانت

^١ معجم البلدان، رسم، مياسر

^٢ التعليقات والنوادر، ص ١٤٤١

تحت سلطة آل أبي أحمد (الأحمديون).

وتعتبر أبيار الماشي اليوم ضاحية من ضواحي المدينة، وقد خططتها أمانة المدينة المنورة لتجعل منها ضاحية على الطراز الحديث.

الخلائق (أبيار الماشي) في التاريخ:

تشرفت الخلائق بمرور النبي صلى الله عليه وسلم بها في طريق هجرته الميمونة^١.

وقال السمهودي الخلائق جمع خليقة وهي خليقة عبد الله بن أبي أحمد بن جحش بها مزارع وقصور ونخيل لغير واحد من آل الزبير وآل أبي أحمد يمرّ بها سيل العقيق قاله الهجري .

وقال عنها أيضاً هي معروفة اليوم في درب المشيان، وهي خليقة عبد الله المذكورة^٢

قلت: وقد خلط بعض المؤرخين المتقدمين بين الخلائق هذه، وبين خلائق أخرى في وادي الضبوعة غرب المدينة، فهذه غير تلك، وكلتاهما وردتا في السيرة النبوية العطرة.

وأبيار الماشي سميت بذلك لأنها على طريق المشاة، المسافرين بين المدينة

^١ انظر كتاب "الرحيق المصفى في وصف طريق هجرة المصطفى ﷺ" للمؤلف.

^٢ وفاء الوفا ج ٤، ص ٢٦٢، تحقيق السامرائي

ومكة على أقدامهم، وهي أول المنازل للخارج من المدينة^١، ولأن أبيار الماشي على طريق الغائر، وهو أقصر الطرق إلى مكة، وفيها عدد من الآبار يمكن للمسافرين أن يتزودوا بالماء منها في رحلتهم الطويلة إلى مكة، وقد سماه السمهودي (درب المشيان)^٢.

ويوجد في أبيار الماشي مبنى محصّن مطلي بالجبص، واضح أنه من بناء الدولة العثمانية، ظن بعض الباحثين أنه قصر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، الذي اعتزل فيه الفتنة الكبرى، ولكن الصحيح أن هذا الحصن أنشئ سنة ١٢٨٩هـ وكان معداً لمرابطة قوات تركية، لحماية هذا الطريق، وهو طريق رئيسي يربط بين المدينة المنورة وقراها الجنوبية وصولاً إلى مكة المكرمة^٣.



٢٩٣



ورابطت في هذه الحصن قوات تركية أرسلها القائد فخري باشا إلى أبيار الماشي لصد هجوم قوات الشريف، إبان حربه على الأتراك في خضم الحرب العالمية الأولى^٤.

والأمر الآخر، أن سعداً رضي الله عنه اعتزل في موضع اسمه قلّهي حسب ما جاء في المصادر^٥، وقلّهي في الجانب الشرقي لحرّة بني سليم (حرّة الحجاز

^١ وادي الفرع تاريخ وحضارة، محمد بن صالح البليهسي، ص ٣٤

^٢ وفاء الوفا ج ٤ ص ٢٦٢، تحقيق السامرائي

^٣ أنشئ هذا الحصن من قبل محافظ المدينة العثماني أيوب بيك (وثيقة إنشاء القلعة نشرها أ.د. هشام بن محمد علي ابن حسن عجيمي في مدونته)

^٤ مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، العدد ٧، ص ١٠١

^٥ جمهرة نسب قریش وأخبارها، الزبير بن بكار، ج ٢، ص ٥٣٣، إشراف حمد الجاسر

العظيمة)^١، وأبيار الماشي في جانبها الغربي (شتان بين مشرق ومغرب)^٢.

مسجد كهف أعشار



كهف أعشار
24°02'10.7"N
39°34'38.4"E

أعشار وادٍ قصير يرفد وادي العقيق من جانبه الأيسر، ومازال معروفاً باسمه إلى اليوم، ويعتبر هذا الوادي أحد شعاب جبل أسقف^٣، وكهف أعشار تجويف في هذا الجبل على جانب الوادي الأيمن، على قارعة الطريق.



وادي أعشار في المصادر

قال ياقوت: **أَعْشَارٌ**: بالشين المعجمة: موضع في عقيق المدينة، قال

^١ رسالة عرام، حد الحجاز

^٢ ولمزيد من التفاصيل عن الخلائق، انظر كتاب "أودية حصى المدينة" للمؤلف.

^٣ أسقف: جبل يحف العقيق من الغرب مازال معروفاً باسمه. قال في وفاء الوفا" أسقف: جبل بطرف رابوع، وشاهده خاخ"، ورا بوع أحد أشهر غدران العقيق.

الشاعر:

ظللت بأعشار لعينيك واشل، ... على الصدر من ماء الشؤون يسيل^١

ووصفه السهمودي بقوله: من أودية العقيق، وتقدم نزوله صلى الله عليه وسلم بكهف أعشار وصلاته فيه.

وذكره الزبير بن بكار في أودية العقيق التي تأتيه من الغرب بقوله-فيما نقله لنا السهمودي: .. ثم هلوان، ثم قريفات^٢، ثم الساهبة^٣، ثم أعشار، وتقدم في حديث نزوله صلى الله عليه وسلم بكهف أعشار وصلاته فيه، ثم ريم..

ولأن وادي أعشار حلقة مهمة في الطريق الفرعي إلى مكة المكرمة، فقد جاء ذكره في مناوشات الكر والفر بين الأتراك وجنود الشريف حسين في ثورته على العثمانيين. فقد تجمع بعض رجال القبائل المواليين للشريف، بعد تراجعهم من أبيار الماشي، في شعب رابوغ، وبحيرة مجز، وشعب أعشار، ينتظرون الفرصة للانقضاض على الحامية التركية في المدينة المنورة.

وهذا الوادي أخذ أهميته من أمرين:

أولاً: أن فيه (كهف أعشار)، كهفٌ صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى بني المصطلق، ويُرجح أن ذلك كان في ذهابه إلى المريسيع، لأنه في

^١ معجم البلدان، ٢٢١/١

^٢ في الأصل فريقات، والصحيح ما أثبتناه، وهي شعاب وجبال معروفة

^٣ في الأصل الساهية، والصحيح ما أثبتناه، وهي أرض سهلة مستوية يأخذها الطريق

في الأصل: رابغ=رابوغ، معجز=مجز، الإعصار=أعشار. مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، عدد

العودة مرّ به في الغلس، فلا يحتاج أن يستظل بالكهف عن الشمس. والله أعلم.

ثانياً: هذا الوادي مسلك رئيس على الطريق المؤدي إلى النقيع ووادي الفرع، أو إلى المسالك الآخذة على حرة الحجاز، وأحد هذه المسالك سلكها النبي ﷺ في هذه الغزوة.

وكهف أعشار هذا وقفت عليه وحددت مكانه، وقد مرّ الطريق السريع إلى مكة على وادي أعشار، ويمكن مشاهدة الكهف من على الطريق السريع على يسار المتجه إلى مكة.



الضيقة
23°57'13.3"N
39°37'16.4"E

مسجد الضيقة (مضيق هلوان)

الضيقة: مضيق في أعلى وادي هلوان، المسمى اليوم وادي المرابط.

فوادي المرابط تاريخياً هو وادي هلوان. وهذا الوادي أحد روافد العقيق الكبار وذكره المؤرخون في أودية العقيق التي تصب فيه.

قال السمهودي نقلاً عن الزبير بن بكار وهو يعدد الأودية التي ترفد العقيق: ثم هلوان، ثم قريفات، ثم الساهبة، ثم أعشار

وقال ابن شبة في وصف مجرى العقيق: ... ثم يذهب السيل مشرقاً فيصب على رواوتين ليعترضهما يساراً ويدفع عليه واد يقال له: هلوان، ثم يستجمعن



٢٩٦



فيلقاهن بوادي ريم^(١).

فوادي هلوان أحد روافد العقيق التي تأتيه من الغرب فتفيض فيه أمام العشيرة وهذه هي صفة وادي المرباط الآن. أما هلوان المعروف اليوم فقد سُمي به رافد صغير من روافد وادي المرباط.

ووادي هلوان (المرباط) وادٍ ضيق كثير التعرجات وخاصة في أعلاه ويمتاز بكثرة الملازم التي تمسك ماء المطر لفترة طويلة ولذلك كانت القوافل تفضل السير فيه رغم ضيقه ووعورة أعلاه.

وقبل الدخول إلى الوادي يوجد مضيق يسمى الضيقة تعتبر رأس الوادي، وبعده براح من الأرض على شكل دائرة صغيرة يوجد فيها بئر قديمة، وفي هذا المكان مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم معدود في المساجد التي بُنيت على طرق غزواته صلى الله عليه وسلم، عُرف باسم (مسجد الضيقة).

وقوله مخرجه عن ذات الحماط ... دليل على أن صلاته ﷺ كانت في رجوعه من المريسيح، وبعد أن سلك وادي ذات الحماط وخرج منه إلى الضيقة وهي رأس وادي هلوان صلى في هذا المكان وبني له فيه مسجد. وهذا المسجد عفت آثاره ولا يوجد في المكان سوى بعض الركامات غير المميزة.

(١) تاريخ المدينة لابن شبة ج ١، ص ١٦٦.



ذات الحماط
23°53'25.0"N
39°38'35.0"E

ذات الحماط

ذات الحماط (ويدعى اليوم الحماط بإسقاط ذات)، وهو واد قصير لا يتجاوز طوله ٥, ٨ كم، يعتبر رأسه مقسم للماء؛ فما سال شمالاً فإلى هلوان (المرباط) ثم العقيق، وما سال جنوباً فإلى وادي اليتمة.

وذات الحماط من الأودية الرافدة لوادي اليتمة والذي بدوره يرفد النقيع، والنقيع هو صدر العقيق؛ ولذلك ذكره الزبير بن بكار مع الأتمة^١ فقال: ثم الأتمة؛ أتمة عبد الله بن الزبير، ثم ذات الحماط ثم هلوان، ثم قريقات، ثم الساهبة، ثم أعشار، وتقدم في حديث نزوله بكهف أعشار وصلاته فيه^٢.

ووادي ذات الحماط تكتنفه جبال غير عالية الارتفاع تسمى محلياً جبال السنيان، والوادي كثير الحجارة، وخاصة في أعلاه، وأشجاره كثيرة ولا مياه فيه، وينتهي الوادي في قاع يسمى قاع الحماط عند جبل صغير يدعى القافلة. وقاع الحماط أرض واسعة خصبة كثيرة المياه والمزروعات؛ لأنها ملتقى وادي الأتمة مع الحماط مع وادي نبغ وتتجه نحوها شعاب كثيرة قادمة من الجبال المحيطة بها، وهذا الموضع هي ما كان يعرف بأتمة عبد الله بن الزبير.



^١ الحماط التين الجبلي. والحماط: شجر من ثبات جبال السراة، وقيل: هو الأفاني إذا يبس، قال أبو حنيفة: هو مثل الصليان، إلا أنه خشن المس، الواجدة منها حماطة. ابن سيده، (المحكم والمحيط الأعظم).

^٢ الأتمة هو اللفظ القديم للموضع المعروف اليوم باسم اليتمة.

^٣ وفاء الوفا

وادي وحمى النقيع^١

النقيع صيغة فعيل من النقع، قال أبو عبيد عن الأصمعي: النَّقَاع واحدُها نَقَع، وهي الأرض الحرة الطين الطيبة التي لا حزون فيها ولا ارتفاع ولا انهباط، وقال: والقاع مثله. وقال غيره: النقاع: قيعان الأرض^٢.



وفي أساس البلاغة: نَقَع الماء في بطن الوادي، واستنقع: ثبت واجتمع، ووردوا مستنقعات الماء ومناقعها، واستنقعتُ النهر: مكثتُ فيه أتبرّد، وأنقع الدواء وغيره في الماء وهو النقوع، والنقيع والمنقع والمنقعة: ما ينقع فيه من تمر ونحوه^٣. وللنقع في اللغة معان أخرى كثيرة منها أنه: يقال للنقع: الغبار كما في بيت حسان بن ثابت يخاطب قريشاً ويمدح النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة:

^١ للاطلاع على كل ما يتعلق بالنقيع وحمى النقيع، ينظر كتاب "أحساء المدينة" للمؤلف.

^٢ تهذيب اللغة، مادة نقع.

^٣ أساس البلاغة للزمخشري، مادة نقع.

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء^(١)

والنقع أيضاً شراب يتخذ من الزبيب من غير طبخ، وأيضاً تقال للبر كثرية الماء، وجمعه أنقعة^(٢)، والنقع شوك تأكله الإبل يسمى شوك الإبل، فإذا يبس سُمِّي نقيعاً^(٣).

وللنقع معانٍ أخرى غير هذه كثيرة ليس هنا موضع استقصائها.

ومن جماع هذه المعاني اللغوية لكلمة النقع، يتبين سبب إطلاق هذا اللفظ على هذا الوادي فهو كما قال السمهودي: كل موضع يستنقع فيه الماء وبه سُمِّي هذا الوادي^(٤) أي وادي النقع.



-
- (١) السيرة النبوية لابن كثير (فتح مكة).
 - (٢) المحيط في اللغة (نقع).
 - (٣) معجم معالم الحجاز ج ٩ ص ٨٦.
 - (٤) وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٨٣.



جبل برام (عمرة)

موقع وادي النقيع



النقيع، عند فهير برام
23°40'17.2"N
39°47'05.8"E

وادي النقيع صدر وادي العقيق الوادي المبارك ومنه يستمد معظم مياهه؛ ويقع جنوب المدينة على بعد ١٠٠ كم، وطوله من أعلاه عند جبل برام إلى منتهاه عند حضير (النقيعة) يبلغ ٢٦,٥ كم، وما زال معروفاً باسمه، ومعظم معالمه لم تتغير أسماؤها، قال عنه ابن شبة: واد كثير الدر وهو من المدينة على أربعة برد^١ في

^١ اعتقد أنها كلمة محرفة، صحتها السدر، الشجر المعروف، وما زال كثيراً في الوادي إلى اليوم.
^٢ البريد=١٢ ميلاً، والميل ١٧٠٠ متراً تقريباً

والطريق إلى وادي الفرع يمر بوادي النقيع، وكذلك من أراد سلوك طرق الحجاز (حرة الحجاز الكبرى).

حمى النقيع ومسجد مقمل

حمى النبي ﷺ جزءاً من وادي النقيع حدده لنا الزبير بن بكار، فقال: إنه صلى الله عليه وسلم صلى في موضع مسجده على مقمل^٢ ثم أشار بيده إلى ما بينه وبين يلبن^٣ من قاع النقيع، وقال: محمى الأفراس تغدو وتروح في سبيل الله، ومد رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقارب بينهما ولم يضمها وحماها، واستعمل عليه جد أبي الحليس، فقال: يا رسول الله لدي النساء وليس معي غناء، قال فقم بهن معك، فاردد ما جاء من الحرة في الحرة، واردد ما جاء من الصحرة في الصحرة

(١) خلاصة الوفاء ج ٢ ص ١٨٩ .

^٢ قال الهجري: مقمل: جبل أحمر أفطح، بين برام والوتدة، شارع في غربى النقيع. وروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف على مقمل، وصلى عليه، فمسجده هناك". قلت (المؤلف): يعرف اليوم هذا الجبيل باسم الحزينة، وأثار المسجد باقية عليه.

^٣ أشهر غدران العقيق وربما كان أكبرها، ولكنه الآن قد رُدم جزء كبير منه لإنشاء جسر من جسور الطريق السريع إلى مكة.

^٤ قطعة صغيرة من حجارة الحرة تحف النقيع من الغرب تسمى اليوم "السحيرة".

^٥ وفاء الوفاء، ٣/٢٢٠ .



مسجد مُتَمَلِّ

بقعاء



بقعاء، عند المصلى
23°35'08.7"N
39°45'52.3"E

بقعاء وقد يقال نقعاء، براح من الأرض، تجري فيه بعض الشعاب، يطؤه من يسير على الطريق بين النقيع ووادي الفرع، يدعى اليوم الشفية (ثنية عمق قديماً)، ومنه يهبط إلى وادي الفرع.

وقد كانت بقعاء أو نقعاء (الشفية) منزلاً للمسافرين على هذا الطريق منذ القدم إلى أن انتهى عصر السفر على الدواب.

وقد نزل النبي ﷺ بقعاء (الشفية)، واستراح فيها بعض الوقت، ويوجد اليوم أثر، عبارة عن مصلى بدون محراب، مربع الشكل، طول ضلعه ٣ أمتار بارتفاع متر

ونصف تقريباً، مبني بالحجارة غير المطابقة وبدون مونة (ملاط)، وفي قبلته حجر منقوش عليه كتابة يُقرأ منها بشكل واضح كلمة (محمد)، وهذا المكان لم يذكره المؤرخون في جملة ما ذكروا من مساجد النبي ﷺ التي بنيت في طرق غزواته، فلعل هذا الموقع استدراك على ما فاتهم. ومن المتواتر عند أهل هذه الديار أن هذا الأثر يسمى (المصلّى) وقد ورثوا هذا الاسم عن آبائهم وأجدادهم ولا يعرفون سبب التسمية، وهم طبعاً لا يعرفون أن هذا المكان كان منزلاً من منازل النبي ﷺ في ذهابه ورجوعه من غزوة بني المصطلق (المريسيع).

وقد حدد المؤرخون موضع بقعاء أو نقعاء هذه، ففي السيرة أنها فوق النقيع أي فوق النقيع مباشرة، وقال السمهودي: نقعاء: كحمراء بالعين المهملة، موضع خلف حمى النقيع من ديار مزينة، نزله النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق، وهو من أودية العقيق^١



^١ هو في الحقيقة من أودية النقيع، ولكن بما أن النقيع صدر العقيق، فيمكن أن ينسب إلى العقيق تجوزاً.



وحدها ياقوت يمثل هذا، وفي معجم ما استعجم: قال ابن السكيت:
النقعاء: هي خلف المدينة ، وفي كتاب نصر الإسكندري: موضع خلف المدينة
فوق النقيع من ديار مزينة، وكانت طريق رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق .

ونشير هنا إلى أنه قد وقع خلط بين ثلاثة مواضع كل منها تدعى بقعاء، فأولاً
بقعاء هذه التي فوق النقيع، بعض المصادر ذكرتها باسم نقعاء، والموضع الثاني
شرق المدينة على بعد ٣٥ كم كان يدعى بقعاء أو ذا القصة، وعنده ودّع أبو بكر
الصديق جيوش المسلمين الخارجين لقتال المرتدين، والموضع الثالث في بلاد
طيء قرب حائل وهي المدينة أو المحافظة التي تدعى اليوم بقعاء التابعة لمنطقة
حائل.

الحجاز في اللغة مأخوذ من حجزت بين القوم حجزاً إذا فرقت بينهم.

وسميت الحجاز حجازاً لأنها حجزت بين نجد والسراة.

وقال الأصمعي: سميت الحجاز لأنها احتجزت بالحرار الخمس^١.

والحجاز حجازان:

حجاز المدينة: وهو ما حجزته الحرار، والحرار الحجازة: هي خيط من حجارة سوداء، تمتد من الجنوب إلى الشمال في سلسلة متتابعة، فتتسع حيناً، وتضيق أحياناً في مواضع.

وهي من الجنوب مما يلي مكة إلى المدينة شمالاً فتبوك: حرّة بني سليم، فحرة واقم، فحرة ليلي، فحرة سُوران، فحرة النار، وهي أطولها مسافة^٢.

الحجاز الأسود: وهو ما حجزته الجبال، وهي: سراة شنوءة^٣.

وحرة بني سليم (جزء من حجاز المدينة) هي المقصودة في قول ابن إسحاق وسلك الحجاز في قفوله ﷺ من المريسيع.

^١ جمهرة اللغة، مادة: حجز

^٢ هذه هي الحرار الخمسة المعنية في قول الأصمعي أعلاه، وحرة النار ليست أطول الحرار مسافة، بل أطولها حرة بني سليم.

^٣ بكر بن عبد الله أبو زيد، (خصائص جزيرة العرب)، الطبعة الثانية: ١٤٢١.



طرق ومسالك حرة الحجاز

والطرق والمسالك على هذه الحرة كثيرة جداً، ذكر بعضها الزبير بن بكار، في حديثه عن صدقة محمد بن عباد بن عبد الله بن الزبير^١ في (ثمرة)^٢، فقال: خرج محمد بن عباد يريد صدقته بثمرة^٣، فعرض له ثلاث طرق، فقال له بعض من معه: أيها تحب أن تسلك؟ فأشار إلى طريق منها فقال: ما اسم هذه الطريق؟ قالوا: الحشرج. فكرهها وقال: ما اسم هذه الأخرى؟ قالوا: المُدخلة. فكرهها وقال: ما اسم هذه الثالثة؟ قالوا: نعم. فكرهها وقال: مروا بي من أسفل إستارة. فلم يكن يمر إلى صدقته بثمرة إلا من أسفل إستارة، وذلك أبعد بكثير^٤.

فهذه أسماء ثلاث طرق على الحرة بين وادي الفرع ووادي ثمرة.

٣٠٧

طريق الخريطة ودرب الزائر

وهناك طريق رئيسة من طرق الحرة بين مكة والمدينة تسمى قديماً (الخريطة)، ينطبق وصفها على ما يطلق عليه اليوم (درب الزائر).

وصف عرام بن الأصبع السلمي طريق (الخريطة)، للسالك على عسفان،

^١ محمد بن عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي: الأسدي المدني أخو يحيى رأى ابن الزبير ويروي عن أبيه عن عائشة وعن أسماء ابنة أبي بكر، روى عنه ابن المبارك وطلق بن غنام والزبير بن حريث وغيرهم: وقال الزبير: كان شيخ بني عباد وسيدهم له قدر وشرف وقد خرج له أبو داود وذكر في التهذيب وتاريخ البخاري وابن أبي حاتم. (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي)

^٢ أرى أن موضع هذه الصدقة هو الحصينية القديمة، لأنها أنسب مكان للاستصلاح الزراعي في وادي ثمرة لتوفر الماء، والتربة، وقرب الموقع من الطرق الرئيسية بين مكة والمدينة.

^٣ في الأصل (ثمرة)، والصحيح ما أثبتناه، وثمره وادٍ عظيم من أودية حرة الحجاز يشقها في حرة نزة من أعلاها إلى أسفلها، فإذا وصل كُلتية سُمي وادي كُلتية، ويستمر حتى يفيض في البحر، شمالي بلدة صعبر.

^٤ جمهرة نسب قريش، ٧٤/١، مطبعة المدني.

^٥ لتفاصيل أكثر عن درب الزائر المار بوادي حجر، انظر كتاب "وادي حجر" لعبد المحسن ابن طما الأسلمي.

وذلك عند حديثه عن أحد جبال السراة، أعلى وادي إستارة، بقوله: وهو (أي جبل الشراة) جبل شامخ مرتفع في السماء من دون عسفان تأوي إليه القروذ ينبت النّبع والقرظ والشوحط، وهو لبني ليث خاصة ولبني ظفر من سليم، وهو عن يسار عسفان وبه عقبة تذهب إلى ناحية الحجاز لمن سلك عسفان يقال لها الخريطة مصعدة مرتفعة جدًا، والخريطة تلي الشراة، جبل صلد لا ينبت شيئًا، ثمّ تطلع من الشراة على ساية، وبه ١ قرى كثيرة، فأعلاها قرية يقال لها الفارع بها نخل كثير وسكانها من أفناء الناس ومياها عيون تجري، فقر تحت الأرض فقر كلها ٢. انتهى باختصار.

وطريق الزائر لمن سلك الطريق من مكة فوق عسفان، فسيمر على هدى الشام، ثم البرزة، فالكامل فمهايع، ثم الحنو، فأعالي مرخ، ثم إستارة والسليم، حيث يلتقي مع الطريق القادم من عسفان، ومن هناك يأخذهم الدرب إلى الفارع، ثم يسلمهم إلى وادي حجر (السائرة قديمًا)، وهنا التقى درب الزائر مع الطريق النبوي إلى المريسيع، وستحدث عن هذا الجزء في مبحث قادم- إن شاء الله.

دروب أخرى من دروب الحرة (تسمى طريق التهمة)

١. درب العرْقُوب: يقع جنوب وادي حجر، وكان الطريق الذي يمر به السائر إلى مكة أو الزائر إلى المدينة المنورة، مرورًا بوادي حجر.
٢. درب حُشِيرمة: يقع جنوب شرق حجر، وهو من الطرق القديمة التي

١ الظاهر الضمير يعود على جبل الشراة، لأن الفارع في علو تلك الجبال.

٢ عرام بن الأصبح السلمي، أسماء جبال تهامة وسكانها، ص ٣٤، تحقيق عبد السلام هارون، ط ١، ١٣٧٣ للهجرة

تسلکها القوافل أو المترجل من حجر إلى قرى وادي أزن (الموارید) وحرّة القرا شرقاً. وهي الآن طريق مزفلتة تربط بين حجر وطريق الهجرة السريع.

٣. درب ظبية: وجمعها ظباء يقع شرق وادي حجر، وهو طريق وعر يسلكه المترجل من حجر إلى الحمنة، وهو الآن طريق وعر غير مزفلت.

٤. درب يسوم: يقع شمال شرق حجر، وهو طريق تسلكه القوافل من وادي حجر مروراً بمغيسل ثم يتجه إلى حرّة القرا شرقاً.

٥. درب البعصوص: يقع شمال شرق مغيسل، وهو طريق تسلكه القوافل من وادي حجر مروراً بوادي مغيسل، ثم يتجه شمال شرق إلى حرة القرا، ومنها إلى السوارقية شرقاً.

٦. درب المنصى: يقع جنوب غرب حجر، وهو طريق تسلكه القوافل من حجر مروراً بوادي مغينية ومنها إلى الساحل الغربي، وأيضاً من وادي حجر إلى وادي ندا جنوباً، ثم إلى النقوى، ومنها إلى المقرح، ثم إلى الحصينية، ثم إلى كلبية ومنها إلى الساحل غرباً. (جزء من هذا الطريق هو الطريق النبوي في المسير إلى المريسيب والعودة منه)

٧. درب العويدي: درب قديم كانت تسلكه القوافل بين مكة والمدينة موازياً لطريق الزائر من الشرق ويخترق حرّة القرا ويمر ببئر العويدي.

وهناك طرق أخرى تمر من خلال وادي حجر غرباً وتتجه إلى منطقة تسمى المحطة، وهي استراحة للقوافل، ومنها إلى استراحة أخرى تسمى العقلة للقوافل





المريسيع
22°22'53.0"N
39°21'11.0"E

المريسيع^٢

٣١٠

المريسيع اسم بئر^٣ لقبيلة بني المصطلق من خزاعة، وهو موضع الغزوة.

ولمعرفة مكان المريسيع علينا أن نحدد ديار خزاعة، وخاصة بني المصطلق منهم.

ومعروف أن فروع قبيلة خزاعة تنتشر في أواسط الأودية التهامية بين الحرمين، من وادي الضبوعة غرب المدينة المنورة حتى وادي شهد، جنوب مكة^٤.

^١ مدونة بندر بن حسين الزبالي الحربي (مدونة الكترونية تهتم بتاريخ وادي حجر)
^٢ المريسيع: بالضم ثم الفتح، وياء ساكنة ثم سين مهملة مكسورة، وياء أخرى، وآخره عين مهملة في الأشهر ورواه بعضهم بالغين معجمة، كأنه تصغير المرسوع، وهو الذي انسلقت عينه من السهر (ياقوت).
^٣ البئر غير معروفة العين اليوم، قال عنها الواقدي أنها ظنون؛ أي يُظن أن بها ماء ولا يكون
^٤ عبد الله الحمياتي، أطلس فجر الإسلام (مخطوط)

فأعالي الأودية التهامية لمزينة، وسليم، وهذيل، وأواسطها لخزاعة، فإذا ساحلت فهي لكنانة.

قال البلادي: فديارُ خَزَاعَةَ تَبْدَأُ مِنْ عَرَبِيِّ مَكَّةَ إِلَى الْجَنُوبِ مُمْتَدَّةً شَمَالًا عَلَى عُسْفَانَ وَتَمَّ جُزْءٌ مِنْ أَمَجٍ فَقَدِيدٍ، ثُمَّ جُزْءٌ مِنْهَا قُرْبَ الْفُرْعِ، وَهِيَ مُجَزَّاءٌ غَيْرٌ مُتَّصِلَةٌ، فِي مَسَافَةٍ طُولُهَا قَرَابَةُ (٣٠٠) كَيْلٍ وَشَرِيطٍ ضَيِّقٍ فِي الْعَرْضِ يَدْخُلُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَجْزَائِهِ ضَمْنِ دِيَارِ كِنَانَةَ^١.

وبتطبيق ما سبق على وادي قديد؛ نجد أن هذا الوادي الطويل (١٢٠ كم)، يبدأ من قرا الحرة، فيسمى أعلاه استارة (وهو لبني سليم) إلى أن يخرج من بين الجبال والحرار، ويتفرق سيله (يذهب قديداً)^٢، ومن هنا يسمى قديداً (إذا تجاوز الحُميمة)^٣، صار لبني المصطلق ثم أسفل ذلك لبني كعب (قوم أم معبد) وكلاهما من خزاعة، فإذا جعل الجبال والحرار وراءه وساحل، وجرى في الخبت، صار لبني مدلج من كنانة (قوم سراقه بن مالك).

تحديد موضع المريسيع

وصفت المصادر موضع المريسيع وصفاً واضحاً يتفق مع ما هو معروف من منازل قبيلة بني المصطلق.

^١ البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ٦٤/١

^٢ وسئل كثير فقيل له: لم سمي قديد قديداً؟ ففكر ساعة ثم قال: ذهب سيله قديداً. (معجم البلدان)

^٣ قارة (جبل بركاني أسود) يفترق عنها وادي قديد في مضيقه، غرب البحول (البلادي). والحد المعروف اليوم بين قديد واستارة هو الظبية (معجم معالم الحجاز ٩/٦)، ولكنه قديماً كان أسفل من ذلك، فقد كانت البخترية تعتبر من استارة.

وقد جمعتُ عدداً من الأدلة والقرائن التي تؤكد أن المريسيق في قديد، لأنني رأيت بعض المتأخرين ممن اغترّب بوجود موضع باسم مقارب له في أعلى وادي استارة يدعى (المريصيع). وهذا الموقع لا يجمعه مع المريسيق (موضع الغزوة) سوى تقارب الاسم. وتشابه أسماء المواضع من الأمور المعروفة للجميع، وقد ألف أصحاب المعاجم مثل ياقوت والحازمي وغيرهم كتباً في هذا الباب.

وسأعرض هنا أهم تلك الأدلة والقرائن التي توضح بجلاء أن المريسيق في قديد، ونحاول تحديد موضع الغزوة منه.

١- صرّح ابن إسحاق بأن المريسيق في وادي قديد، فقال: **المُرَيْسِيقُ: مِنْ نَاحِيَةِ قَدِيدٍ إِلَى السَّاحِلِ**، أي أنه قريب من الساحل، ولكنه لا يصل إليه، فهو ما زال بين الجبال، لأن ساحل قديد الموالي للبحر لقبيلة بني مدلج من كنانة، وفوقهم منازل بني حرام من بني كعب من خزاعة، عند ثنية المشلل.

واتفق مع ابن إسحاق على هذا التحديد كلُّ من جاء بعده من المؤرخين وأصحاب المعاجم البلدانية واللغوية.

٢- ويؤيد الدليل السابق ما جاء في سياق تفسير ابن كثير لسورة المنافقين من أن النبي ﷺ عندما هم بالرجوع من المريسيق هجرّ بالناس، فسار يومه وليلته والغد حتى متع النهار؛ ثم نزل ثم هجرّ بالناس مثلها حتى صبّح المدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل^١.

^١ تفسير ابن كثير، ١٣١/٨ المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

قلت: قوله: سارها من قفا المشلل هذا قول واضح بأن موضع الغزوة عند المشلل، وهي: حرة يُهبط منها على قديد، تسمى اليوم (القديدية).

٣- الدليل الثالث يعزز، ويؤكد الدليلين السابقين، وهي رواية ابن أبي حاتم، رَحِمَهُ اللهُ، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَزِيزِ الْأَيْلِيِّ، حَدَّثَنَا سَلَامَةُ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَعَمْرَو بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ أَخْبَرَاهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا غَزْوَةَ الْمُرَيْسِيِّعِ، وَهِيَ الَّتِي هَدَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا مَنَاةَ الطَّاغِيَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ قَفَا الْمُشَلَّلِ وَبَيْنَ الْبَحْرِ^١.

هذه الرواية - وإن كانت هناك رواية أخرى تخالفها- تدل على إمكانية حدوث ذلك لقرب الموضع من مناة الطاغية، وموقعه معروف، بَيْنَ قَفَا الْمُشَلَّلِ وَبَيْنَ الْبَحْرِ.

٣١٣

٤- بنو المصطلق حلفاء في بني مدلج^٢، وبنو مدلج فرع صغير من كنانة، له منزلان مذكوران في قديد وينبع. وبنو المصطلق حلفاء لهذا القسم الموجود في قديد^٣، مما يدل على تقارب المنزلين، وأن كلتا القبيلتين متجاورتان في قديد. الأدلة السابقة تضافرت على أن المريسيع في قديد بلا شك، ولنحاول الآن تحديد موضع المريسيع من قديد.

١ - بيتدى الوادي المسمى قديداً إذا تجاوز الحُميمة، لأن البخرية، وهي فوقها بقليل كانت تعتبر من استارة، وهي ضيعة قديمة، المرجح أنها تعود إلى

^١ د. محمد بن محمد عواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، ص ٤٤٦

^٢ الطبقات الكبرى لابن سعد

^٣ لأن بني المصطلق لا علاقة لهم بنواحي ينبع.

أحفاد أبي البختری بن هاشم الأسدي القرشي. فقد أورد الزبير بن بكار في الجمهرة أن ولد عبد الكریم بن طلحة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأسود بن أبي البختری بأستارة، عرض من أعراض المدينة^١.

وضیعة أخرى مازالت معروفة باسمها، هي: المفترضة، مذكورة أيضاً في استارة^٢.

هاتان الضیعتان تعتبران اليوم من قديد، ولكنهما تاريخياً من استارة.

٢- المریسيع شرق الجادة العظمى المارة في قديد، وليس على الجادة، يعني في اتجاه منازل بني المصطلق، لأن الجهة الغربية من الجادة منازل بني مدح، ولهذا جاء عن الواقدي أنه مضى إلى المریسيع فنظر إليه^٣، فلو كان على قارعة الطريق لما احتاج أن يمضي إليه، فهو أمامه.

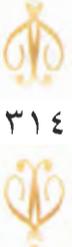
٣- في الدولة العباسية الأولى أصبح المریسيع وما حوله ضياعاً زراعية بعد أن تفجرت من حوله العيون، وصار سراة قريش يتخذون فيه المزارع والضياع. ومن وجوه قريش الذين كانت لهم ضیعة في المریسيع الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام حسب ما جاء في جمهرة نسب قريش^٤، وستكون هذه الضیعة في موضع مناسب لإقامة منشأة سكنية زراعية، وذلك لا يكون إلا على الخيوف (جوانب الأودية)

^١ جمهرة نسب قريش، ٤٥٨/١، منشورات دار اليمامة، بإشراف: حمد الجاسر.

^٢ جمهرة نسب قريش، ٦٨١/٢

^٣ تاريخ بغداد، مرجع سابق

^٤ جمهرة نسب قريش، ١٥٦/١، منشورات دار اليمامة.



٤- نستطيع الآن أن نحدد موضع المريسيع، فهو بين الحميمة شرقاً، وبين خيف يصلح أن يكون موضعاً لضيعة غرباً، قبل أن يصبح الوادي في بسيط من الأرض، حيث تتهدد ساكنيه السيول باستمرار، ولا يصلح لإقامة منشآت سكنية زراعية.

٥- بتطبيق التحليل السابق على أرض الواقع اليوم، نستطيع أن نقول -بشيء من الثقة- أن موضع المريسيع الذي غزاه النبي ﷺ هو ما يعرف اليوم بالخيف (قرية دوقة)، على الجانب الأيسر لوادي قديد.

علاقة المريسيع بوادي الفرع

يعتبر وادي الفرع أوسع وأكبر توابع المدينة وأعراضها الواقعة إلى الجنوب منها.

قال عنه ابن الفقيه: "فأما أعراض المدينة فأضحما الفرع وبه منزل الوالي وبه مسجد صلى به النبي (صلى الله عليه وسلم)".^١

ويتبع الفرع جهات كثيرة جنوب المدينة من بينها وادي قديد.

قال البكري: "والفرع: من أشرف ولايات المدينة، وذلك أن فيه مساجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، نزلها مرارا، وأقطع فيها لغفار وأسلم قطائع، وصاحبها يجبي اثني عشر منبرا:

منبر بالفرع، ومنبر بمضيقها، على أربعة فراسخ منها، يعرف بمضيق الفرع،

^١ البلدان، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥)، ٨٤/١



ومنبر بالسوارقية، وبساية، وبرهاط، وبعمق الزرع، وبالجحفة، وبالعرج وبالسقيا، وبالابواء، وبقديد، وبعسفان، وبإستارة. هذه كلها من عمل الفرع".^١

لهذا عندما تحدث المتقدمون عن المريسيع باعتباره في قديد، وقدروا المسافة بينه وبين الفرع لم يحسنوا التقدير، ربما لأن معظمهم لم ير تلك المواضع، أولم تصله المعلومة بشكل صحيح.

قال ابن سعد: "بَلْمُصْطَلِقٍ مِنْ خُزَاعَةَ وَهُمْ مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي مُدَلِجٍ وَكَانُوا يَنْزِلُونَ عَلَى بَثْرِ لَهُمْ يُقَالُ لَهَا الْمُرَيْسِيْعُ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفُرْعِ نَحْوُ مِنْ يَوْمٍ"، وأخذ بهذا القول قوم كثيرون.

أما الحافظ القسطلاني فقال: "هو ماء لبني خزاعة، بينه وبين الفرع يومان"^٢ لكن العجيب أن الواقدي شاهد المريسيع ولم يصف لنا موقعه، بل اكتفى بالقول: "إِنَّ بَلْمُصْطَلِقَ مِنْ خُزَاعَةَ كَانُوا يَنْزِلُونَ نَاحِيَةَ الْفُرْعِ"، ولعله قال هذا على اعتبار أن قديداً من توابع الفرع.

وقد أغرب ياقوت حين قال: "وبين الفرع والمريسيع ساعة من نهار"، وتابعه على هذا القول خلق كثير.

لكن ربما حصل هنا سقط في عبارة ياقوت، وأن صحتها "وبين طريق الفرع والمريسيع ساعة من نهار".

^١ معجم ما استعجم، رسم: الفرع

^٢ الطبقات

^٣ المواهب اللدنية، ٢٧٨/١

^٤ المغازي



والتصحيح جاء من المسعودي، حيث قال "كانوا على ماء لهم يعرف
بالمريسيع بطريق الفرع"^١

وهذا صحيح فالطريق من المريسيع (قرب قرية دوقة) إلى وادي الفرع يأخذ
في وادي الدقيقة، ثم في ثنية الرغامة على قفا المشلل، والدقيقة قريب من المريسيع،
وقد يُقدَّر الوصول إليه بساعة من نهار.

المسافة بين المريسيع والفرع

البعد بين المريسيع وأعلى وادي الفرع على الطريق الذي سلكه النبي ﷺ
١٥٠ كم تقريباً، أما على الجادة الرئيسية لطريق الفرع الذي يشترك مع الجادة
العظمى قرب الأبواء فهو نحو ١٥٠ كم للوصول إلى (أبوضباع)؛ أسفل وادي
الفرع، و١٩٤ تقريباً للوصول إلى أعلاه^٢.

هذه المسافات تدلنا على أمرين:

- أن الطريق الذي سلكه النبي ﷺ من المريسيع إلى المدينة هو أقصر الطرق
بينهما.

- أن الوصول إلى أعلى وادي الفرع قرب بقعاء استغرق ثلاثة أيام على أقل
تقدير.

^١ التنبيه والإشراف، أبو الحسن على بن الحسين بن علي المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، ذكر السنة الخامسة من
الهجرة.

^٢ المسافات محسوبة ببرنامج جوجل إيرث





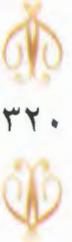
ثنية الرغامة

وصف الطريق النبوي من المريسيع إلى المدينة

بعد الانتصار على بني المصطلق، أراد النبي ﷺ البقاء في عرصتهم ثلاثة أيام، كما هو ديدنه في كل انتصار، لتقييم نتائج المعركة، وحصر الفيء، واختيار الطريقة المناسبة لتوزيعه على المقاتلين، ومن ثم المغادرة، لكن حصل في هذه الغزوة ما لم يكن في الحسبان؛ وهي مقولة المنافق عبد الله بن أبي بن سلول الخبيثة، فقطع النبي ﷺ مقامه ثلاثة أيام المعهودة في المريسيع وأمر بالرحيل في الهاجرة، فأسند في وادي قديد لمسافة ٥ كم، ثم تياسر فأخذ على ثنية الرغامة^١، وهي على قفا المشلل، فهبط منها على وادي دوران، فيجزعه مُشَمِلاً، جاعلاً حرة المشلل

^١ ثنية على قفا المشلل، تفصل بينها وبين حرة الشواطئ (البلادي)

(القديدية) خلفه، مبتعداً عن الساحل إلى أن يدخل بين جبال فرسان عبر وادي مريخ أفيصّعد فيه. ومن هنا بدأ السير في حرة الحجاز ثلاثة أيام للوصول إلى بقعاء.



٣٢٠

التقاء الطريق النبوي مع طريق المنصبي

أخذ الجيش في اتجاه أعلى وادي ملح، جاعلاً جبل فرسان الشامخ عن يساره، ثم ينحدر في وادي ملح، ومنه إلى وادي ثمرة، ويستد فيه إلى أن يصل إلى ملتقاء مع وادي ضمرك، ووادي الرغلية، وهنا يلتقي الطريق النبوي مع الطريق

١ وادي مريخ



معلومات
39.801211
39.801211

معلومات
39.801211
39.801211

المسمى (طريق المنصى)، والذي نرى أنه هو الطريق الذي سلكه النبي ﷺ للوصول إلى وادي حجر (السائرة قديماً)، في طريقه إلى المدينة.

بعد أن يصل الطريق إلى ملتقى تلك الأودية يأخذ في وادي الرعلية إلى موضع منه يسمى (ريع الرعلية) فيصعده ثم يأخذ ذات اليمين في حرة مستوية (حرة الرويضة) مسافة ٥ كم تقريباً.



ريع الركبانية

فيهبط منها إلى محطة (الركبانية) في وادي مري، ومنها يسند في الوادي إلى المقرح، ومنه يهبط وادي اللُخيب، فينحدر فيه مقدار ٦ كم تقريباً، ثم ينحرف ذات اليمين جاعلاً جبل اللُخيب إلى اليمين، ميمماً وادي التَّقوى ثم وادي ندا فيجزعه،

ثم وادي الدرعاء، إلى أن يهبط وادي الشقة، فيصعد فيه إلى ريع المنصى (المسمى الطريق باسمه)، فيهبط منه ويسير قليلاً في وادي يناعم، إلى أن يتيامن في شعيب الخريص، بين جبلي قهيب شمالاً، و(أبو صبير) جنوباً ثم يحدّر وادي عكاظ، ثم في مجمع الأودية التي تقع فيها اليوم بلدة حجر، ومنها يصعد الطريق في وادي حجر حتى التقائه مع وادي خوّان، ومن هناك يصعد في ريع (مقروع) في اتجاه وادي خضرة^١، الذي يجرعه الطريق في موضع تكثر فيه المياه والأشجار والنباتات.

النبي ﷺ يغير اسم الوادي إلى خضرة



وادي خضرة
23°06'32.3"N
39°42'12.0"E

وادي خضرة وادٍ لمزينة، كان اسمه قبل أن يمر به النبي ﷺ (عفرة)، ولما كان هذا الوادي على طريق الحجاز فقد مر به النبي ﷺ في ذهابه وفي قفوله من المريسيع، فعندما رآه، ورأى مياهه الجارية، فالظاهر أن أرضه كانت لا تنبت، فسأل عن اسمه ف قيل له اسمه (عفرة)، وكان النبي ﷺ يحب الفأل الحسن ولا يتطير، فسماه خضرة.

ففي صحيح ابن حبان وغيره: "عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِأَرْضٍ تُسَمَّى: عَدْرَةَ فَسَمَاهَا: خَضْرَةَ"^٢.

وغدرة وردت في روايات أخرى، عفرة، وعفرة، والظاهر أن أقربها للصحة

عفرة.

^١ وادي خضرة

^٢ التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان. تعليق الشيخ الألباني: (صحيح)



قلت: والعُفْرة: قال الخطابي: في "معالم السنن": "وأما العفرة، فهي نعت للأرض التي لا تنبت شيئاً، أخذت من العفرة، وهي لون الأرض، فسماها خضرة على معنى التفاؤل لتخضر وتمرع"^١.

وسبحان الله! فقد اكتسى هذا الوادي بالخضرة والمياه الجارية من بين كل أودية الحجاز القاحلة إلى يوم الناس هذا.

بعد خضرة يستمر الطريق مشملاً مع ميل إلى الشرق، فيجزع شعيب الوجيهة، ثم يسير في حرة بين وادي علدا عن يمينه ووادي مرّ عن شماله إلى أن يصل قرب البرياء^٢ فينعطف شمالاً عدلاً فيجزع وادي الأكحل، ثم يصير في أرض سهلة تسمى الفيفا إلى أن يهبط وادي الفرع، ثم يأخذ فيه يساراً إلى أن يلقاه وادي

^١ معالم السنن، ١٢٨/٤، ط١، الناشر: المطبعة العلمية - حلب
^٢ أكيمة مشهورة. وردت عند الهجري، تعتبر من علامات الطريق.

العطشان من اليمين^١ فيأخذه صعوداً إلى أعلاه عند ثنية شاقّة تدعى اليوم (الشُفِيّة)، وكانت تسمى (عَمَق)^٢، وعندها ينتهي الغور، ويبدأ الجَلْس، وبعد الهبوط من ثنية الشفية (عمق)، تباعدت الجبال والحرار وانبسطت الأرض نسبياً، وهنا وبعد أكثر من ١٥٠ كم حط الجيش النبوي رحاله وسرّح ظهره، بعد ثلاثة أيام من السير الحثيث المتواصل المنهك للإنسان والدواب، فكان لا بد من استراحة محارب في هذا المكان المناسب (بقعاء)، الذي نزله النبي ﷺ في ذهابه، وفي إيابه.

من بقعاء إلى المدينة

استراح الجيش في بقعاء مدة لم تحدها المصادر، ولكنها قد لا تتجاوز يومين أو ثلاثة، وحدثت فيها الأحداث التي سردناها في أحداث الغزوة.

أمر النبي ﷺ بالرحيل بعد هذه الاستراحة المستحقة، والمرجح أن ذلك كان ليلاً^٣، والمدينة ليست بعيدة، والطريق إليها من بقعاء سهل، فأمامهم وادي النقيع على مقربة من بقعاء، فهي كما قالوا "فُويق النقيع"^٤.

أخذ الطريق على وادي النقيع، جاعلاً جبل برام (عبود) ومجرى وادي النقيع عن يمينه، فلما اعترضه وادي ضاف جزعه، ثم صعد ثنية سهلة تسمى (نبغ)، وهي

^١ مفرق وادي العطشان

^٢ لمعرفة تفاصيل أوسع عن عمق، انظر كتاب "احياء المدينة" للمؤلف.



مركز البحوث
الاسلامية
بجامعة القاهرة

^٣ لأنهم صلوا الصبح في النقيع، كما سبق معنا في أحداث الغزوة.

^٤ تبعد عن الواتدة، المسمى اليوم برام أقل من ٣ كم



رأس وادٍ يأخذه الطريق مشملاً، في أرض بيضاء لينة تنبت الأراك، تسمى الميشانية، وأرى أنها هي المكان الذي حصل فيه السباق بين النبي ﷺ وعائشة ؓ.

يصل الطريق إلى قاع الحماط (ذات الحماط)، وبعد أن يجزع وادي اليتمة (أئمة ابن الزبير)، يصعد الطريق في وادي ذات الحماط، وهو وادٍ قصير وفي أعلاه مضيق، يُهبط منه إلى وادي هلوان (المرباط، اليوم).

نزل الجيش النبوي ليلاً للاستراحة في أسفل وادي هلوان، بعد أن اجتاز منحدرات الوادي ومضائقه، واختار فسحة من الأرض مشجرة للتعريس¹.

وقبل الفجر أؤذن بالرحيل، وكانت أم المؤمنين عائشة ؓ في حاجة لها خارج المعسكر، فلم تنتبه له، وغادر العسكر بدونها، وهنا حصلت حادثة الإفك وقد مرت معنا.

بعد وادي هلوان سار الطريق مشملاً في الساهبة (أرض مستوية)، ثم دخل في وادي أعشار، وخرج منه ليصعد ريعاً في جبل السناف (نعف مياسر قديماً)، ويهبط منه في ريم، ثم يسير في وادي العقيق حتى أبيار الماشي (الخلاتق)، وانتصف النهار واشتد الحر، وهنا نزل الجيش للاستراحة، ولحقت بهم عائشة -رضي الله عنها، يقودها صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه.

عند العشي ارتحل الجيش وسار مشملاً جاعلاً وادي العقيق على يمينه، جازعاً بعضاً من روافده مثل؛ أنفة، وشعاب الجثجائة، ومراخ، ومرّ بحمراء الأسد

¹ التعريس: النزول منتصف الليل لاستراحة قصيرة، ثم المغادرة قبل الفجر.

على يساره عن قرب، ومنها تيامن ليدخل في وادي العقيق ويصعد منه في شعب
الناصفة، وهنا يصبح الطريق يسير في جزع الحسا من العقيق حتى يهبط من ثنية
الشريد، على موضع مسجد المعرس. وهناك بات النبي ﷺ وأمر ألا يدخل أحد
المدينة على أهله ليلاً.

وفي صباح اليوم التالي توجه الجيش إلى المدينة فدخلها عن طريق ثنية
الحوض (المدرج)، ثم الهبوط من الحرة عبر نقب بني دينار، والوصول إلى
المدينة.



٣٢٦



الفصل التاسع

غزوة الخندق (الأحزاب)

سبب الغزوة

بعد فشل قريش في تحقيق ما كانت ترجوه من موقعة أحد، من القضاء على شوكة المسلمين في المدينة، وتحرير طريق تجارتهم إلى الشام من تهديد المسلمين باعتراضهم لها، رأوا أن لا بد من القضاء المبرم على المسلمين في المدينة، ولأن ذلك الأمر ليس في وسعهم بمفردهم، فسعت إلى جمع ما استطاعوا جمعه من أحابيشهم، ومن أفناء العرب، المعروفين بمنأوتهم للمسلمين، مثل سليم، وغطفان، وأسد، وغيرهم.

ساعد قريشا على هذا التخطيط، وجمع هذه الجموع اثنان من رؤوس اليهود من بني النضير، هما: حبي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق.

يقول ابن سعد في الطبقات " قالوا: لما أجلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بني النضير ساروا إلى خيبر. فخرج نفر من أشرافهم ووجههم إلى مكة فألبوا قريشا ودعوهم إلى الخروج إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعاهدوهم وجامعوهم على قتاله ووعدوهم لذلك موعدا. ثم خرجوا من عندهم فأتوا غطفان وسليما ففارقوهم على مثل ذلك. وتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف. وعقدوا اللواء في دار الندوة وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة. وقادوا معهم ثلاثمائة فرس. وكان معهم ألف وخمسمائة بعير.

وخرجوا يقودهم أبو سفيان بن حرب بن أمية ووافتهم بنو سليم بمر



الظهران. وهم سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية. وهو أبو أبي الأعرور السلمي الذي كان مع معاوية بصفين. وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي. وخرجت فزارة فأوعبت. وهم ألف يقودهم عيينة بن حصن.

وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن ربيعة. وخرجت بنو ميرة وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف. وخرج معهم غيرهم.. فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق ممن ذكر من القبائل عشرة آلاف. وهم الأحزاب^١.

إخبار النبي ﷺ بتحرك جيش قريش

حينما أتمت قريش استعداداتها، خرجت بجموعها مع أحابيشها، ومن تبعها من كنانة، وغيرهم، متجهين نحو المدينة، شاهد هذا الجمع العرمرم بعض رجال خزاعة، فخرجوا سراعاً إلى المدينة.

قال الواقدي في المغازي: " فَلَمَّا فَصَلَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، خَرَجَ رَكْبٌ مِنْ خُزَاعَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ بِفُضُولِ قُرَيْشٍ، فَسَارُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَرْبَعًا^٢."

موقع تمرکز المشركين حول المدينة

قال ابن إسحاق "أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياال من رومة، بين

^١ المغازي، غزوة الأحزاب

^٢ غزوة الخندق

الْجُرْفِ وَزَعَابَةَ، فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيْشِهِمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ، وَأَقْبَلَتْ عَطْفَانُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، حَتَّى نَزَلُوا بِذَنْبِ نَقْمَى^١، إِلَى جَانِبِ أُحُدٍ. وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ حَتَّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى سَلْعٍ، فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَضْرَبَ هُنَالِكَ عَسْكَرَهُ وَالْخَنْدَقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ"^٢.

تاريخ الغزوة

عند ابن إسحاق، في شوال سنة خمس، بدون تحديد اليوم، ووافقه الواقدي في السنة، واختلف معه في الشهر، فعنده، أنها في الثامن من ذي القعدة^٤.

الشخصيات المؤثرة في أحداث الغزوة

الأشخاص الذين كان لهم دور محوري في أحداث الغزوة، هم:

١ - سلمان الفارسي (رضي الله عنه).

سلمان الفارسي: (٣٦ - ٠٠٠ هـ = ٦٥٦ - ٠٠٠ م) من مقدمي الصحابة، كان يسمى نفسه سلمان الإسلام. أصله من مجوس أذربيجان. عاش عمراً طويلاً، واختلفوا فيما كان يسمى به في بلاده. وقالوا: نشأ في قرية جيان، ورحل إلى الشام، فالموصل، فنصيبين، فعمورية، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود، وقصد بلاد

^١ موقعه اليوم (حي الأزهرى)

^٢ موقعه اليوم ملتقى طريق العيون مع طريق الأمير نايف (طريق الخواجات)

^٣ السيرة النبوية لابن هشام

^٤ السيرة النبوية لابن هشام، مغازي الواقدي.



العرب، فلقية ركب من بني كلب فاستخدموه، ثم استعبدوه وباعوه، فاشتراه رجل من قريظة فجاء به إلى المدينة.

وعلم سلمان بخبر الإسلام، فقصده النبي صلى الله عليه وسلم بقاء وسمع كلامه، ولازمه أياماً. وأبى أن (يتحرر) بالإسلام، فأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه. فأظهر إسلامه. وكان قويّ الجسم، صحيح الرأي، عالماً بالشرائع وغيرها. وهو الذي دلّ المسلمين على حفر الخندق، في غزوة الأحزاب، حتى اختلف عليه المهاجرون والأنصار، كلاهما يقول: سلمان منا، فقال رسول الله: سلمان منّا أهل البيت! وسئل عنه عليّ فقال: امرؤ منا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، علم العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر، وكان بحراً لا ينزف. وجُعِلَ أميراً على المدائن، فأقام فيها إلى أن توفي.

يعتبر سلمان الفارسي الشخصية الأولى المؤثرة في الغزوة، فعندما بدأ النبي ﷺ يستشير أصحابه في كيفية إعداد الخطة الدفاعية عن المدينة، تعددت آراؤهم، وجاء دور سلمان، فقال: " يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا إِذْ كُنَّا بِأَرْضِ فَارِسَ وَتَخَوَّفْنَا الْخَيْلَ خَنَدَقْنَا عَلَيْنَا، فَهَلْ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ نُخَنِّدَقَ؟ فَأَعْجَبَ رَأْيُ سَلْمَانَ الْمُسْلِمِينَ"، وبدأوا العمل فوراً.

٢- نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودِ الْأَشْجَعِيِّ الْغَطَفَانِيِّ

نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ: (٠٠٠ - نحو ٣٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٥٠ م)

نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي: صحابي. من ذوي العقل الراجح. قدم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سرّاً أيام الخندق واجتماع الأحزاب، فأسلم، وكتب إسلامه، وعاد إلى الأحزاب المجتمعة لقتال المسلمين، فألقى الفتنة بين قبائل قريظة وغطفان وقريش، في حديث طويل، ففرقوا، فكان نعيم، بعد ذلك، يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سره. وسكن المدينة. وكان رسول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى "ابن ذي اللحية" كما في الاستيعاب. ومات في خلافة عثمان. وقيل: قتل يوم "الجمل" قبل قدوم عليّ إلى البصرة^١.

دور نعيم بن مسعود (رضي الله عنه) جوهرى في التعجيل بإنهاء حصار الأحزاب للمسلمين.

٣- أبو سفيان بن حرب (رضي الله عنه)

أبو سُفْيَان: (٥٧ ق هـ - ٣١ هـ = ٥٦٧ - ٦٥٢ م)

صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: صحابي، من سادات قريش في الجاهلية. وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية. كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره: قاد قريشاً وكنانة يوم أحد ويوم الخندق لقتال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسلم يوم فتح مكة (سنة ٨ هـ). وأبلى بعد إسلامه البلاء الحسن. وشهد حنيناً والطائف، ففقت عينه يوم الطائف ثم فقت إسلامه البلاء الحسن. وشهد حنيناً والطائف، ففقت عينه يوم الطائف ثم فقت

الأخرى يوم اليرموك، فعمي. كان من الشجعان الأبطال، قال المسيب: فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل يقول: يا نصر الله اقترب. قال: فنظرت، فإذا هو أبو سفيان، تحت راية ابنه يزيد. ولما توفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أبو سفيان عامله على نجران. ثم أتى الشام، وتوفي بالمدينة، وقيل بالشام¹.

كان أبو سفيان هو القائد العام للأحزاب، يآتمر الجميع بأوامره، وقد أمرهم بالهجوم على المسلمين أثناء الحصار. ويعتبر هذا الهجوم، وما نتج عنه من إصابات، هو أعنف المناوشات التي حصلت أثناء الحصار، كما أن أمره للأحزاب بأن يفكوا الحصار، كان سبباً مباشراً في إنهائه.

٤- حيي بن أخطب النضري (لعنه الله)

حيي بن أخطب النضري اليهودي (..._٥٥)، رأس من رؤوس أعداء الله ورسوله، وأحد زعماء بني النضير، وكان دوره محورياً، في تحزيب الأحزاب، وإغرائهم بغزو المدينة.

فبعد أن أجلى النبي ﷺ بني النضير من المدينة إلى خيبر، بسبب خيانتهم، وتآمرهم على اغتيال النبي ﷺ، ترأس حيي وفداً إلى قريش يغريهم بغزو المدينة، وأنه سوف يجعل بني قريظة تنقض عهدها مع المسلمين، وافتاهم بأنهم على الحق، وأن المسلمين على الباطل، فأنزل الله تعالى فيه " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِجَابِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى

مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا^١.

ثم جال في بلاد العرب يؤلبهم على غزو المدينة، وجعل لغطفان محصول تمر خبير لسنة.

وبعد أن رأى أن مهمته قد نجحت، بقبول الأحزاب إلى ما دعاهم إليه، ذهب إلى رئيس بني قريظة في المدينة، وما زال به حتى نقض عهده مع المسلمين، وأعلن عداوتهم، واستعداده لمهاجمة المسلمين، وجعلهم في كمامشة، بين بني قريظة من فوقهم، والأحزاب من تحتهم.

دخل حبي مع بني قريظة في حصونهم، وبعد استسلامهم، نال ما يستحق، فقتل مع مقاتلة بني قريظة.

معالم غزوة الخندق

١- راتج ٢- ذباب ٣- المذاد ٤- جبل بني عبيد ٥- أجم الشيخين ٦-

جبل سلع

^١ سورة النساء، الآية ٥١



جمع لنا الإمام الواقدي معظم معالم الغزوة في عبارة قصيرة، فقال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ فَرَسًا لَهُ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَارْتَادَ مَوْضِعًا يَنْزِلُهُ، فَكَانَ أَعْجَبَ الْمَنَازِلِ إِلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ سَلْعًا خَلْفَ ظَهْرِهِ وَيُخْنَدِقَ مِنَ الْمَدَادِ إِلَى دُبَابٍ إِلَى رَاتِجٍ^١.

وفي موضع آخر، يقول: وَكَانَ الْخُنْدُقُ مَا بَيْنَ جَبَلِ بَنِي عُبَيْدٍ بِحُرَيْبٍ إِلَى رَاتِجٍ، فَكَانَ لِلْمُهَاجِرِينَ مِنَ دُبَابٍ إِلَى رَاتِجٍ، وَكَانَ لِلْأَنْصَارِ مَا بَيْنَ دُبَابٍ إِلَى حُرَيْبٍ، فَهَذَا الَّذِي حَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ، وَشَبَّكُوا الْمَدِينَةَ

^١ المغازي، غزوة الخندق

بِالْبُيَّانِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَهِيَ كَالْحِصْنِ. ^١

ووافقهُ ابنُ سعدٍ في هذا التَّحْدِيدِ. ^٢

وفي روايةٍ للطَّبْرِيِّ، قال: حدَّثنا كثيرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ عوفِ المِزَنِيِّ قال حدَّثني أبي عن أبيه قال خطَّ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخَنْدُقَ عامَ الأَحْزَابِ مِنْ أَجْمِ الشَّيْخِينَ طرفِ بني حارِثَةَ حتَّى بَلَغَ المِذَادَ .
والحدِيثُ بِنَفْسِ الإسْنَادِ، عندَ البِيهَقِيِّ: مِنْ أَجْمِ السَّمْرِ ، بَدَلًا مِنْ أَجْمِ الشَّيْخِينَ .

وكلا الروايَتينِ لم يأتيا على ذكرِ ذبابٍ ، الذي سَنَرَى لاحِقًا أَنَّهُ مَحْوَرٌ فِي أَحْدَاثِ حَفْرِ الخَنْدُقِ، لَكِنِ الظَّاهِرُ أَنَّ المَقْصُودَ فِي الروايَتينِ طرفا الخَنْدُقِ .

راتج

عَرَّفَ السَّمْهُودِيُّ راتِجًا بقولِهِ أَطْمَ سَمِيَتْ بِهِ النَّاحِيَةُ، وَكَانَ لِيَهُودَ، ثُمَّ صَارَ لِبَنِي العِجْذَمَاءِ ثُمَّ صَارَ لِأَهْلِ راتِجِ حلفاءِ بني عبدِ الأشْهَلِ .

وقال في موضعٍ آخَرَ وسيأتي لراتِجِ ذَكَرَ فِي تَرْجُمَةِ الخَنْدُقِ، وَمِنْهُ يُؤْخَذُ أَنَّهُ كَانَ فِي شَرْقِيِّ ذَبَابِ الَّذِي عَلَيْهِ مَسْجِدُ الرَايَةِ جَانِحًا إِلَى جِهَةِ الشَّامِ، وَبَعْدَهُ فِي المَشْرِقِ مَنْزِلُ بني عبدِ الأشْهَلِ .

يفهَمُ مِنْ هَذَا التَّعْرِيفِ لراتِجِ (و هو أَوْضَحُ تَعْرِيفٍ وَصَلَ إلينا)، أَنَّ راتِجًا

^١ المِزَنِيِّ السَّابِقِ ٤٥٠/٢

^٢ الطَّبَقَاتِ الكُبْرَى، غَزْوَةُ الأَحْزَابِ



بقعة واسعة تشمل معظم الجزء الشمالي و الغربي من حي (المصانع)، ابتداءً من وقف الداودية، و الجهة الواقعة شماله بما فيها موقع (التلّيس)¹، حيث يقع قريباً منه (أطم راتج)، الذي سُميت كل الناحية باسمه.



ذباب (القرين التحتاني)

عرّفه البكري بقوله " اسم جبل بجبانة المدينة، أسفل من ثنية المدينة"²
وأكد السمهودي هذا الوصف، بعد كلام طويل، بقوله: " وقد رأيت لذباب
ذكرا في أماكن كثيرة جداً، وكلها متفقة على وصفه بما يدل على أنه الجبل الذي

¹ كلمة تركية، تعني مركز الاتصالات، والموقع كان مقراً للاتصال الهاتفي مع الأستانة، في زمن الدولة العثمانية.
² معجم ما استعجم، رسم: ذباب

عليه مسجد الراية، بحيث زال الشك عندي في ذلك"^١.

وجبل ذباب، ومسجد الراية مازالا باقيين، معروفان لدى العامة، ويسمى

جبل ذباب في عصرنا (القرين التحتاني)^٢.

وقد مر الخندق من تحت جبل ذباب مباشرة.

في رواية عند ابن سعد من حديث عمرو بن عوف (رضي الله عنه)، قال:

فَدَخَلْتُ أَنَا وَسَلْمَانُ وَحَدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَنُعْمَانُ بْنُ مُقَرَّرِ الْمُزَنِيِّ وَسِتَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ

تَحْتَ أَصْلِ ذُبَابٍ فَضَرَبْنَا حَتَّى بَلَّغْنَا النَّدَى^٣.

المذاد

قال السهودي في الوفاء "المذاد: بالفتح ثم ذال معجمة وآخره مهملة من

«ذاده» إذا طرده، اسم أطم لبني حرام من بني سلمة غربي مسجد الفتح، به سميت

الناحية، وعنده مزرعة تسمى بالمذاد.."

ويقول في موضع آخر: "ومنازل بني حرام بالقاع في غربي مساجد الفتح

ووادي بطحان عند جبل بني عبيد".

وقال في الخلاصة: "وهذه ناحية من الخندق لا كله، إذ يتلخص مما رواه

الطبراني والبيهقي وابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم خط الخندق من أجم

^١ وفاء الوفاء، رسم: مسجد الراية

^٢ ويسمى جبل ثنية الوداع القرين الفوقاني.

^٣ تصحيف، صحتها الندى، كما هي عند البيهقي، وكما يفهم من السياق.

^٤ وفاء الوفاء، مسجد بني حرام



الشيخين طرف بني حارثة خلف بني عبد الأشهل أي في طرف الحرّة الشرقية حتى إذا بلغ المذاد، طرف منازل بني سلمة مما يلي مساجد الفتوح وجبل بني عبيد وهناك الحرّة الغربية"^١.

وفي أخبار المدينة لابن زبالة "ونزل بنو سلمة بن سعد بن علي بن شاردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأكبر ما بين مسجد القبليتين إلى المذاد أطم بني حرام في سند تلك الحرّة، وكانت دارهم هذه تسمى خربي قال ابن زبالة: فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلحة)"^٢.

قلت: لعل الصواب "صُلحة" وهو ما رجحه السمهودي^٣.

بتنزيل هذه المعلومات على الأرض، نجد أن المذاد أطم في النهاية الشمالية لمنزل بني حرام على الطرف الشمالي للحرّة الغربية، قرب جبل بني عبيد، وقد كساها الآن العمران، واختفت تمامًا عن العيان.

^١ خلاصة الوفاء، بأخبار دار المصطفى، ج ٢ ص ٦٠٨، تحقيق د. محمد الأمين محمد محمود الجكني، المدينة المنورة

^٢ ١٧٦/١، ط١، مركز بحوث ودراسات المدينة

^٣ وفاء الوفاء، ١٥٩/١، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت



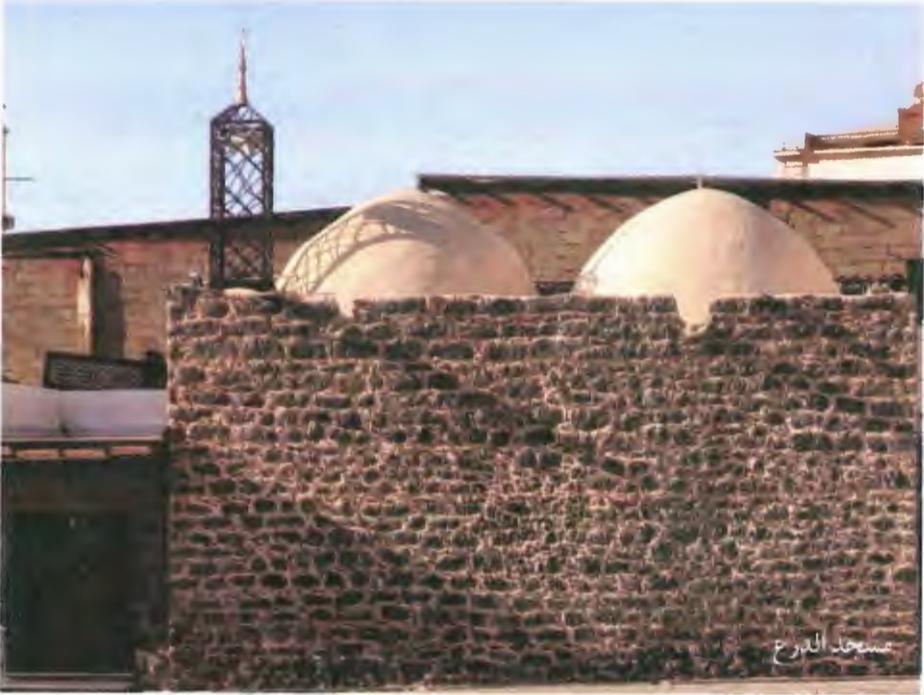
جبل بني عبيد

٣٤٢

نقل السمهودي عن ابن زبالة، قوله: منازل بني عبيد من بني سلمة، كانت عند الجبل الذي يقال له جبل الدويخل جبل بني عبيد، وذلك قرب منازل بني حرام في الغرب، والقاصد إلى مسجد القبليتين من جهة مساجد الفتح يمر بمنازلهما.

قلت: جبل بني عبيد يعرف اليوم بجبل (فتّة)، وهو كما قال السمهودي، وغيره في نهاية الحرة الغربية، من الجهة الشمالية، مع ميل يسير إلى الشرق، يفصل بينه وبين الحرة فج، كان هو الطريق لمن يسلك إلى بئر عثمان (بئر رومة)، قادمًا من بطحان، وهذا الفج في أرض لبني عبيد من بني سلمة تسمى الخربة، وفيها مسجدهم الذي صلى فيه النبي ﷺ مراراً.

^١ وفاء الوفاء، رسم: مسجد الخربة



مسجد الدرع

أجم الشيخين

نقل السمهودي قول ابن زبالة: "وكان لبعض من هناك من اليهود الأطمأن اللذان يقال لهما الشيخان بفضائهما المسجد الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى أحد".

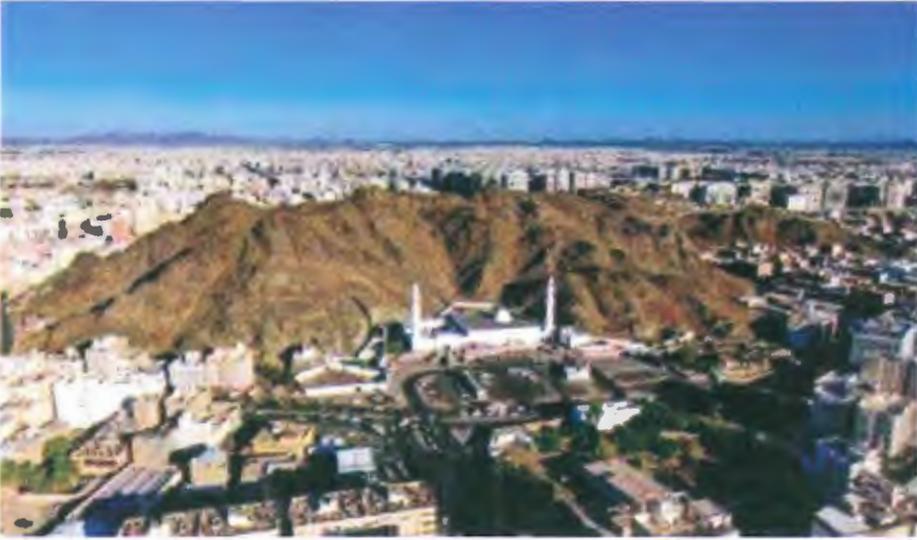
قلت: هذا المسجد مازال معروفاً، تقام فيه الصلوات، يسمى اليوم مسجد(الدرع)^١

وروى الطبراني بسند لا بأس به عن عمرو بن عوف المزني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق من أجم الشيخين طرف بني حارثة حتى بلغ

^١ لأن النبي ﷺ ليس درعه فيه عند توجهه إلى أحد.

وفي زمن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "لَمَّا كَانَ عَامَ الرَّمَادَةِ تَجَلَّبَتِ الْعَرَبُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ.. فَقَدِمُوا الْمَدِينَةَ.. وَكَانَ الْأَعْرَابُ حُلُولًا فِيمَا بَيْنَ رَأْسِ الثَّنِيَّةِ إِلَى رَاتِجٍ إِلَى بَنِي حَارِثَةَ إِلَى عَبْدِ الْأَشْهَلِ إِلَى الْبَقِيعِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ".^١

نفهم مما سبق أن راتجًا، وبني حارثة متجاوران، وأن أجم الشيخين في طرف منازل بني حارثة من الناحية الجنوبية، أي إنهما على تماس مع راتج.



جبل سلع

جبل سلع أقرب الجبال للمسجد النبوي الشريف، لا يبعد عنه الآن سوى

٣٠٠ مترًا.

^١ سبل الهدى والرشاد، ج ٤ ص ٣٦٥، ط ١، دار الكتب العلمية-بيروت

^٢ المقصود: ثنية الوداع الشمالية

^٣ الطبقات الكبرى، ٢/٢٤١، ط ١، دار الكتب العلمية-بيروت

ويتكون جبل سلع من الصخور النارية المتحولة ذات اللون الأحمر الداكن، كما يحتوي على صخور البازلت، وبعض الصخور الرسوبية عند منخفض الشعب الشمالي^١.

يبلغ طول جبل سلع حوالي ١٠٠٠ متراً وأقصى عرض له حوالي ٨٥٠ متراً، وأقصر عرض حوالي ٢٥٠ متراً، وارتفاع الجبل ٦٦٠ متراً فوق سطح البحر. والصور الفضائية للجبل تظهره على شكل نجم البحر^٢ لوجود عدة شعاب تكتنفه من جميع الجهات.

أهم أحداث الغزوة

١ - حفر الخندق

أهم أحداث الغزوة هو حفر الخندق، حفره المسلمون في الجهة الشمالية للمدينة، لأنها هي الجهة المكشوفة لجيش العدو، إن أراد سوءاً لأهل المدينة، أما بقية الجهات الثلاث الأخرى فهي محصنة بالحرار، وداخل المدينة مشبك بالبنيان كالحصن، بالإضافة إلى الآطام، والحصون المتناثرة بين المزارع، والبيوت. اتفقت المصادر على أن طرف الخندق يبدأ شرقاً من راتج (أجم الشبخين)، وينتهي غرباً عند أطم المذاد (قرب جبل بني عبيد)، ويمر تحت جبل ذباب.

^١ الكعكي، معالم المدينة المنورة ص ٣٠٢

^٢ حيوان من الرخويات

وأرى أنه لا تعارض بين من قال: إنه بدأ من راتج، أو من قال: إنه بدأ من أجم الشيخين، فالمعنى على الأرض سواء؛ راتج، وأطم الشيخين^١ متجاوران إلى حد التماس، وبالتالي فكلا القولين صحيحان.

محددات الخندق

حينما أراد المسلمون حفر الخندق، لا بد أنهم وضعوا في حسابهم أن الوقت المتاح لهم قصير، فالمشركون سيدهمونهم خلال أيام قليلة، وهم في فصل بارد، وأدوات الحفر لديهم قليلة، إلى غير ذلك من الظروف الصعبة، لذلك، سيأخذون في اعتبارهم العوامل التالية:

- أن يكون الخندق في أقصر مسافة مناسبة بين طرفي الحرتين.

- أن يكون الخندق مستقيماً، قدر الإمكان، ليقبل الجهد والوقت اللازمين للحفر.

- أن تكون أبعاد الخندق (الطول-العرض-العمق) بالقدر اللازم فقط لأداء المهمة، لأن الزيادة على ذلك مضيعة للجهد والوقت الثمينين، فليس عندهم فائض منهما يضيّعونه.

أبعاد الخندق

لم تحدد لنا المصادر الأصلية المتقدمة أبعاد الخندق، فقد اكتفت بذكر

^١ مع ملاحظة أن هناك مسافة بين أطم الشيخين ومسجد الشيخين (مسجد الدرع)، لأن المسجد في فضائهما حسب ما تقدم معنا.



المواضع التي يبدأ منها، وينتهي إليها. والتحديد الموجود اليوم في الكتب هو من اجتهاد العلماء والباحثين المتأخرين.

طول الخندق

اتفقت المصادر على أن النبي ﷺ قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، وكان عدد من باشر حفر الخندق ألف رجل، حسب ما جاء في خبر وليمة جابر بن عبد الله، وهم الذين دعاهم النبي ﷺ بقوله "يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سوراً فحي هلا بكم"،^١

وإن كان هناك زيادة على هذا العدد من أصحاب الأعدار فهي أعداد قليلة، لأنهم كانوا حريصين جداً على المشاركة، وعدم الاستئذان إلا للضرورة.

أما العدد الكلي للصحابة الذين شاركوا في المجهود الحربي للغزوة فقد بلغ ثلاثة آلاف رجل.^٢

ولا يسوغ اعتبار أن كل هذا العدد سيقوم بالحفر، فكما هو معهود في كل العمليات العسكرية، هناك توزيع للمهام، فالرجال الأقوياء، الأصحاء، يتولون الحفر، وكبار السن وضعاف البنية، وصغار السن يتولون نقل التراب، ورص الحجارة، وجلب الماء، والطعام، وغير ذلك من المهام الكثيرة اللازمة لإنجاح العمل في أسرع وقت ممكن.

^١ المعجم الكبير للطبراني، المستدرک علی الصحیحین للحاکم، دلائل النبوة للبيهقي

^٢ صحيح البخاري، ح ٤١٠٢

^٣ ابن إسحاق، دلائل النبوة للبيهقي، الطبقات الكبرى لابن سعد، والطبري، وغيرهم.

بموجب المعلومات، والتحليل السابق، وبعملية حسابية بسيطة:

طول الخندق: ١٠ (رجال) × ٤٠ × (ذراعاً) × ١٠٠ = ٤٠٠٠ ذراع

الذراع بالمقاييس الحديثة = ٢, ٤٦ سم.

فيكون طول الخندق = $٢ \times ٤٦, ٢ \times ٤٠٠٠ = ١٠٠ \div ٤٦, ٢ = ١٨٤٨$ متراً، قد يصل إلى الألفين، إذا وضعنا في الحساب وجود متغيين قلة، عن وليمة جابر بن عبد الله (رضي الله عنه).

وبتطبيق هذا الحساب على الأرض، بمد خط شبه مستقيم بين نقطة تماس راتج مع الشيخين، مروراً بأصل جبل ذباب، إلى المذاد على طرف الحرة الغربية (حرة بني سلمة)، قرب جبل بني عبيد (جبل فته)، نجد أنه ينطبق تماماً (١٨٥٠ - ٢٠٠٠) متر.

عمق الخندق

لم تورد المصادر مقدار عمق الخندق صراحة، ولكن، جاءت إشارة عند الواقدي يمكن أن يستشف منها هذا العمق.

يقول (رحمه الله): "حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ مَبِشَّرٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: لَقَدْ كُنْتُ أَرَى سَلْمَانَ يَوْمَئِذٍ، وَقَدْ جَعَلُوا لَهُ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ طُولًا وَخَمْسًا فِي الْأَرْضِ، فَمَا تَحَيَّنْتَهُ حَتَّى فَرَعَّ وَحَدَّهُ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ".

قوله " وَخَمْسًا فِي الْأَرْضِ " فيه دلالة أكيدة على أن العمق وصل خمسة أذرع (٣١, ٢ متراً)، وهو عمق كافٍ، إذا عرفنا أن متوسط ارتفاع الخيل حتى الظهر حوالي (٥, ١ متراً)، ويضاف إليه التراب الخارج من الحفر؛ فقد كانوا يجعلونه على هيئة ساتر ترابي (عَقْمٌ) مما يليهم، ويجعلون عليه الحجارة، وكانت سلاحاً مهماً في المعركة، ويُقدَّر ارتفاع الردم على شفير الخندق حوالي ثلاثة أذرع (متر ونصف تقريباً)، على طول الخندق.

لذلك أرجح أن إجمالي عمق الخندق =

$$٥ (أذرع) \times ٢, ٤٦ (سم) \div ١٠٠ = ١٠, ٩٢ + ٢, ٥ = ١٣, ٤٢ متراً.$$

عرض الخندق

لم تسعفنا المصادر، التي اطلعتُ عليها، بما يمكن الاستنتاج منه مقدار عرض الخندق، ولم يتبق أماننا سوى سؤال أهل الخبرة بشؤون الخيل عن أطول مسافة طولية تستطيع الخيل أن تظفرها.

سألتُ بعض من لهم معرفة بسلالات الخيل العربية، مثل مركز الملك عبد العزيز للخيل العربية الأصيلة، والدكتور عيد اليحي^٢، وبعض ساسة الخيل في المدينة المنورة والدخول على بعض المواقع الإلكترونية، فظهر لي أن السلالة المعروفة بالحمدانيات هي أفضل السلالات المعدة للحروب في ذلك الزمن،

^١ عقم، كلمة دارجة، لعل لها أصلاً، قال الكسائي: رَجِمَ مَعْقُومَةً، أي مسدودة لا تلد. وهذا هو معنى العقم عند العامة اليوم، أي أنه بمعنى المسد.

^٢ د. عيد بن عبد الكريم اليحي باحث أنثروبولوجي، وخبير بشؤون الخيل، يقدم برنامج على خطى العرب في قناة العربية.



وأنها- في المتوسط- لا تستطيع أن تقفز طولياً أكثر من ثلاثة أمتار، أي: ستة أذرع ونصف.

فإذا أخذنا في الاعتبار أن الخيل بطبعها تهاب القفز من فوق الحفر، مثل الخنادق أو الآبار الواسعة الفم، ومع وجود العقم على شفير الخندق بارتفاع متر ونصف تقريباً، ممّا سيزيد من صعوبة قفز المسافة المذكورة، الأمر الذي يجعلنا نرجح أن عرض الخندق كان في المتوسط في حدود سبعة أذرع (٢٣, ٣) متر، تزيد في بعض المواقع أو تنقص بنسبة قليلة حسب سهولة الحفر أو صعوبته. والله أعلم.

وصف مسار الخندق

الخندق الذي حفره النبي ﷺ وصحابته الأبرار، قد عفا، وذهبت آثاره منذ القرن الأول الهجري، فلم يره، أو يصفه أحد من المحدثين، أو أصحاب السير.

جاء في الدرّة الثمينة لابن النجار: "والخندق اليوم باقٍ، وفيه قناة تأتي من عين بقاء إلى النخل الذي بأسفل المدينة بالسيح حوالي مسجد الفتح، وفي الخندق نخلٌ قد انطم أكثره وتهدمت حيطانه".^١

قلت: قول ابن النجار هذا لا يصف خندق النبي ﷺ، ربما كان يصف جزءاً من خندق أهل المدينة، الذي تحصنوا به زمن يزيد بن معاوية، أو لعله- رحمه الله- كان واهماً، وهذا أرجح عندي، وأن ما شاهده ليس خندقاً، بل مجرى ماء في وادي بطحان عليه مزارع سقطت حيطانها.

^١ الدرّة الثمينة، الباب العاشر في ذكر حفر النبي ﷺ الخندق حول المدينة

وقد أشار إلى هذا الإمام السمهودي، فاعتبر أن ما شاهده الحافظ ابن النجار ما هو إلا مجرى العين التي عملها معاوية بن أبي سفيان أسفل جبل بني عبيد، فقال رحمه الله: " وهذه العين لعلها التي ذكر ابن النجار أنها تأتي إلى النخل الذي بأسفل المدينة حوالي مسجد الفتح، يعني في غريبه، ويعرف ذلك الموضع بالسّيح - بالسين المهملة والمثناة التحتية - كما قال المطري، والله أعلم".^١

وسأحاول تطبيق المعلومات التي وفرتها لنا المصادر لتعيين مسار الخندق، بحسب المعطيات التي مرّت معنا، من أقوال المؤرخين، والمحدثين، ومن مشاهداتي الميدانية، حيث إنني نشأتُ بين معالم أرض الخندق، وشاهدتُ كثيراً منها قبل أن تزول، أو يكسوها العمران.

بداية الخندق



بداية الخندق
24°29'10.0"N
39°36'28.0"E

نبدأ من حيث بدأ الواقدي، وغيره؛ من الجهة الشرقية، حيث

بدأ الخندق من نتوء في الحرة، أرجح أنه قريب جداً من النهاية

الشمالية لمنزلة راتج، والبداية الجنوبية لمنزلة الشيخين، ومكانه اليوم، قرب تقاطع طريق سيد الشهداء مع الدائري الأوسط (طريق الأمير عبد المجيد).

يأخذ مسار الخندق خطأً مستقيماً في اتجاه الغرب مع ميل يسير إلى

الجنوب،^٢ حتى الوصول إلى أسفل سفح جبل ذباب الشمالي، في موضع يسمى

^١ وفاء الوفا، ١/١٦٠.

^٢ أهم معلم يمر به الخندق في هذه الناحية، التلسيس (موقع أثري عثماني) فينصّفه، وبعده يقطع شارع العيون، ثم أسفل جبل الراية، خلف مبنى (مركز تدريب و تاهيل العاملين)، التابع لأمانة المدينة المنورة.

تاريخياً (الشوط)، وهو جزء من منزلة أوسع اسمها (الجبانة)، لها ذكر كثير في تاريخ المدينة، وهنا ينتهي الجزء الأول من الخندق الذي وُكِّل به المهاجرون، ومسافته (٦٨٠) متراً، وبدأ الجزء الثاني - وهو الأطول - الذي تكفل به الأنصار، وحلفاؤهم.



المسافة ذباب
24°28'58.4"N
39°36'09.1"E

الخندق تحت جبل ذباب (الراية)

وحيثما بدأ الأنصار، وحلفاؤهم بالحفر في أسفل جبل ذباب، واجهتهم مشكلة؛ فعندما وصل الحفر إلى عمق أكثر من متر بقليل ظهرت لهم صخرة بيضاء صلدة، لا تعمل فيها أدواتهم البسيطة، فطلبوا المساعدة من النبي ﷺ.

ولندع أحد حلفاء الأنصار من مزينة، ممن شارك في حفر الخندق، يخبرنا بتفاصيل الحادثة:

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ (رضي الله عنه): .. فَدَخَلْتُ أَنَا وَسَلْمَانُ وَحَدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَنُعْمَانُ بْنُ مُقَرَّرِ الْمُرَنْبِيِّ وَسِتَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَحْتَ أَصْلِ ذُبَابٍ، فَضَرَبْنَا حَتَّى بَلَّغْنَا النَّدَى^١، فَأَخْرَجَ اللَّهُ صَخْرَةً بَيْضَاءَ مَرُوءَةً مِنْ بَطْنِ الْخَنْدَقِ فَكَسَرْتُ حَدِيدَنَا وَشَقَّتْ عَلَيْنَا، فَقُلْتُ لِسَلْمَانَ: ازِقْ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ ضَارِبٌ عَلَيْهِ قَبَّةً تُرْكِيَّةً. فَرَفَى إِلَيْهِ سَلْمَانُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَخْرَةٌ بَيْضَاءُ خَرَجَتْ

^١ عمرو بن عوف المرزبي: هو عمرو بن عوف بن زيد بن مليحة، قديم الإسلام، يقال: إنه قدم مع النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، ويقال: إن أول مشاهدته الخندق، وكان أحد البكاءين الذين قال الله تعالى فيهم: تَوَلَّوْا وَأَعْيُبُهُمْ نَقِيضٌ مِّنَ الدَّمَعِ ... ٩: ٩٢ الآية.

له منزل بالمدينة، ولا يعرف حي من العرب لهم مجالس بالمدينة غير مزينة. (الاستيعاب)

^٢ كلمة مصحفة، صحتها: الثدي، أي: حتى وصلنا بالحفر إلى مستوى الثدي.

مِنْ بَطْنِ الْخَنْدَقِ فَكَسَرَتْ حَدِيدَنَا وَشَقَّتْ عَلَيْنَا فِيمَا أَنْ نَعْدِلَ عَنْهَا وَالْمَعْدِلُ قَرِيبٌ
أَوْ تَأْمُرْنَا بِهَا بِأَمْرِكَ فَإِنَّا لَا نُحِبُّ أَنْ نُجَاوِزَ خَطِّكَ. فَقَالَ: أَرِنِي مِعْوَلَكَ يَا سَلْمَانَ.
فَقَبَضَ مِعْوَلَهُ ثُمَّ هَبَطَ عَلَيْنَا فَكُنَّا عَلَى شُقَّةِ الْخَنْدَقِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - فَتَنَحَّى، فَضْرَبَ ضَرْبَةً صَدَعَهَا وَبَرَقَ مِنْهَا بَرْقَةٌ أَضَاءَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا. فَكَبَّرَ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَكْبِيرَ فَتْحٍ.

فَكَبَّرْنَا. ثُمَّ ضْرَبَ الثَّانِيَةَ فَبَرَقَ مِنْهَا بَرْقَةٌ أَضَاءَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَتَّى كَانَ مِصْبَاحًا
فِي جَوْفِ بَيْتِ مُظَلِّمٍ. فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَكْبِيرَ فَتْحٍ فَكَبَّرْنَا.
ثُمَّ ضْرَبَ الثَّلَاثَةَ فَكَسَرَهَا، وَبَرَقَ مِنْهَا بَرْقَةٌ أَضَاءَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا فَكَبَّرَ تَكْبِيرَ فَتْحٍ
فَكَبَّرْنَا. ثُمَّ رَفَعِي حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مَقْعَدِ سَلْمَانَ قَالَ سَلْمَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ
شَيْئًا مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ. فَالْتَمَعْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. بِأَيِّنَا أَنْتَ
وَأُمَّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. رَأَيْنَاكَ تَضْرِبُ فَخَرَجَ بَرَقٌ كَالْمَوْجِ فَتَكَبَّرَ فَتَكَبَّرَ لَا تَرَى ضِيَاءً
غَيْرَ ذَلِكَ.

قَالَ: صَدَقْتُمْ. ضْرَبْتُ ضَرْبَتِي الْأُولَى فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ فَأَضَاءَ لِي مِنْهَا قُصُورُ
الْحِيرَةِ وَمَدَائِنُ كِسْرَى كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ وَأَخْبَرَنِي جِبْرَائِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ
عَلَيْهَا. ثُمَّ ضْرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّانِيَةَ فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ أَضَاءَ لِي مَعَهَا قُصُورُ الْحُمْرِ مِنْ
أَرْضِ الرُّومِ كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ. وَأَخْبَرَنِي جِبْرَائِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا. ثُمَّ
ضْرَبْتُ الثَّلَاثَةَ فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ أَضَاءَ لِي مَعَهَا قُصُورُ صَنْعَاءَ كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ
وَأَخْبَرَنِي جِبْرَائِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا يُبَلِّغُهُمُ النَّصْرَ فَأَبْشَرُوا. يُرَدُّدَهَا ثَلَاثًا.

فَاسْتَبَشَرَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا: مَوْعُودٌ صَادِقٌ بَارٌّ، وَعَدْنَا النَّصْرَ بَعْدَ الْحَضْرِ

وَالْفُتُوحَ . فَتَرَاءُوا الْأَحْزَابَ . فَقَالَ اللَّهُ : «وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا . مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ»^١ .

كانت هذه بداية لسلسلة من المعجزات النبوية، التي توالى في أيام الغزوة، في أثناء الحفر، وبعده.



الخدق مع بطحان
24°28'55.8"N
39°35'40.4"E

ومن أسفل جبل ذباب^٢، أخذ المسار اتجاه الغرب العدل، في خط مستقيم، لمسافة (١٠٧٠) متراً، ماراً في أرض شمال جبل سلع، تدعى تاريخياً (حُسيكة)، ثم يتقاطع مع مجرى وادي بطحان، في مكان يفترش فيه سيل الوادي، ويسيح، لذلك سُمي المكان تاريخياً، (السيح).

نهاية الخندق



المدلة بطحان الخندق
24°28'56.0"N
39°35'21.0"E

بعد أن يتجاوز الخندق سيح بطحان، يستمر قليلاً في نفس الاتجاه، مبتعداً عن جبل بني عبيد الصغير، لوجود أرض حجرية يصعب حفرها، وهنا يدخل أرضاً زراعية لبني حرام، تدعى تاريخياً (القاع)، ومنها يعدل إلى الشمال قليلاً، فيستمر لمسافة (٣٣٠) متراً تقريباً، متجهاً إلى طرف حرة بني سلمة (الحرّة الغربية)، حيث ينتصب أطم

^١ الأحزاب: ٢٢-٢٣ . إلى آخر الآية.

^٢ في مساره من هنا، يقطع الخندق شارع الإمام أبي حنيفة النعمان، ثم قصرأ لأحد رجال الأعمال، كانت أرضه في السابق مزرعة مشهورة لأحد أعيان المدينة، ثم يقطع طريق سلطنة، فيدخل أرضاً يسميها العامة (مخطط جمل الليل)، نسبة إلى عائلة معروفة من أهل المدينة، فإذا تجاوز شارع سبعة المساجد دخل الخندق سيح وادي بطحان، وطريق الأمير عبد المجيد في مجرى الوادي، الذي عملت له قناة خرسانية تحت الطريق، ثم يدخل الخندق حياً بسميه العامة (حي الكردي)، يستمر فيه حتى يلتصق بسند الحرّة، شمال مسجد الأمانة بحوالي مئة متر.

خندق آخري في المدينة

في أواخر عام ثلاث وستين للهجرة، أرسل يزيد بن معاوية جيشاً لقتال أهل المدينة، بقيادة (مسرف) بن عقبة المُرِّي.

قال الواقدي: "إن القوم لما قربوا تشاور أهل المدينة في الخندق خندق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وشكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية؛ وعملوا في الخندق خمسة عشر يوماً، وكان لقريش ما بين راتج إلى مسجد الأحزاب، والأنصار ما بين مسجد الأحزاب إلى بني سلمة، وللموالي ما بين راتج إلى بني عبد الأشهل"^١

٣٥٥

هذا هو خندق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بزيادة ما حفره الموالي، وهو الذي ذكرته المصادر التي مرت معنا.

لكن الواقدي، وابن سعد ذكرا أن بني عبد الأشهل، وبني دينار حفرا حول منازلهما خندقاً آخر، لذلك استغرق الحفر خمسة عشر يوماً، وواضح أن هذه الزيادة حصلت عام موقعة الحرة، وليس في غزوة الخندق، الذي تطلب حفره ستة أيام فقط.

وقد أكد الواقدي هذا بقوله "وَحَدَّثَنِي أَفْلَحُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَ الْخَنْدَقُ الَّذِي خَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا بَيْنَ جَبَلِ بَنِي عُبَيْدٍ إِلَى رَاتِجٍ وَهَذَا

أَثَبْتُ الْأَحَادِيثَ عِنْدَنَا^١.



مسجد الراية

٣٥٦

موقع إدارة الغزوة

أدار النبي ﷺ عمليات حفر الخندق من أعلى جبل ذباب، حيث أقيمت له قبة أعلى الجبل يشرف منها على كامل السهل الذي يمر فيه الخندق. وبعد انتهاء الحفر، ووصول الأحزاب، وبدء الحصار، نقل النبي ﷺ مركز عملياته إلى طرف جبل سلع الغربي، في مواجهة جيش قريش، وحلفائهم، وأحابيشهم.

^١ المغازي، غزوة الخندق

معجزة تكثير الطعام

في أثناء حفر الخندق، دعا جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)، وهو من بني حرام، ومنزله ومزرعته عند المداد، قرية جداً من مسار الخندق، دعا النبي ﷺ إلى طعام قليل، لما شاهده من علامات الجوع على جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول جابر (رضي الله عنه): "لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأَنْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجْتَ إِلَيَّ جَرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، وَفَرَعْتُ إِلَى فَرَاعِي، وَقَطَعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِمَنْ مَعَهُ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحْنَا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفِّرْ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا، فَحَيِّ هَلَا بِكُمْ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْبِزَنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى آجِيءَ». فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتَ، فَأَخْرَجْتَ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَيَّ بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ خَابِرَةَ فَلْتَخْبِزْ مَعِي، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا» وَهُمُ أَلْفٌ، فَأَقْسِمَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا

حَتَّى تَرْكُوهُ وَانْحَرِفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لِيُخْبِرُ كَمَا هُوَ"¹



مساجد الفتح

هي مساجد في أحد شعاب جبل سلع الغربية، عددها في هذا الشعب ستة، ولا شك أن بعض الصحابة كانوا مرابطين فيه أثناء الغزوة، فُسِّمِي بعضها بأسماء بعض كبار الصحابة، أما المسجد الذي على قطعة من جبل سلع فهو المكان الذي كان يشرف منه النبي ﷺ على المعركة.

وقد عمّر هذه المساجد عمر بن عبد العزيز في أثناء ولايته على المدينة بين

عامي (٨٧-٩١هـ)².

¹ صحيح البخاري، ح ٤١٠٢

² أخبار المدينة ابن شبة (٧٤/١)

وقد تحدث المؤرخون عن هذه المساجد، نورد بعضاً منه باختصار:

مسجد الفتح (مسجد الأحزاب):

وهو على قطعة من الجبل مرتفعة، لذلك يسمى المسجد الأعلى، وبنائه اليوم تركي من عهد السلطان عبد المجيد الأول عام ١٢٦٦ من الهجرة. وسمي مسجد الفتح لأن النبي ﷺ دعا على الأحزاب فيه فاستجاب الله دعاءه، فانخذل المشركون وباؤوا بالخسران.

فعن جابر بن عبد الله قال " إن النبي - صلى الله عليه وسلم - دعا في مسجد الفتح ثلاثاً، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فعرف البشر في وجهه، قال جابر: فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة".

قال الهيثمي: رواه أحمد والبخاري ورجال أحمد ثقات وقال المنذري: رواه أحمد والبخاري وغيرهما وإسناد أحمد جيد، وحسنه الألباني.

مسجد سلمان الفارسي (رضي الله عنه):

أسفل مسجد الفتح من جهة الجنوب، قريب منه جداً.

وجاء عند ابن شبة وغيره أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى في هذا المكان أثناء غزوة الخندق، كما روى عن الحارث بن فضل (أن النبي - صلى الله

عليه وسلم - بدأ فصلى أسفل من الجبل يوم الأحزاب ثم صعد فدعا على الجبل)
وعن معاوية بن عبد الله ((أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى في
المسجد الذي بأصل مسجد الفتح).

قال صالح لمعي^١: يرجح أن يكون هذا المسجد قد بني في عهد عمر بن عبد
العزیز، عند بنائه لمسجد الفتح^٢.

مسجد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):

يعرف عند الناس اليوم بمسجد أبي بكر الصديق، وقد كانت تقام فيه
الصلوات، حتى عام ١٤١٤ من الهجرة، حيث تم هدمه لإعادة بنائه، لكن لم يتيسر
ذلك.

مسجد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

ويعرف اليوم بمسجد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حيث إن مكان
مسجد أبي بكر الوارد في المصادر يتطابق مع موقع المسجد المسمى حالياً باسم
علي بن أبي طالب^٢.

أما المسجدان الباقيان الموجودان في هذا الشعب فهما مسجد عمر بن
الخطاب رضي الله عنه، ومسجد سعد بن معاذ، رضي الله عنه (ويسمى أيضاً

^١ د. صالح لمعي مصطفي أحد خبراء العمارة وترميم المباني التراثية المعاصرين، شارك في دراسة عمارة
المسجد النبوي وله مؤلفات كثيرة منها: المدينة المنورة؛ تطورها العمراني وتراثها.

^٢ المساجد الأثرية، محمد إلياس عبد الغني ص ١١٧، مركز البحوث
^٣ المدينة المنورة تطورها العمراني ص ١٩٢، ١٩٣ صالح لمعي مصطفي



مسجد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام)، فهذان المسجدان قد أضيفا بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري، حيث ظهر على الخريطة المساحية المصرية الصادرة عام ١٩٤٦ من الميلاد.^١

أما اشتهاؤها بالمساجد السبعة فلعل ذلك "بعد أن أعيد بناء مسجد بني حرام الأثري في امتداد ساحة جبل سلع في الجهة الجنوبية من المساجد الستة.

وذلك في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري. ويؤكد ذلك أن هذه المساجد كلها كانت تبدو للناظر واضحة في هذه الساحة قبل أن يحول العمران بين مسجد بني حرام والمساجد الستة"^٢.

وهناك من يجعل المسجد السابع مسجد القبليتين، لاشتراكه مع المساجد الستة الأخرى في منظور بصري واحد، والله أعلم.

مواجهات ومبارزة

كانت كل التقربات العسكرية، عبارة عن مناوشات، بسبب وجود الخندق، الذي حال بين حصول مواجهة مباشرة غير متكافئة بين القوتين، سواء في التسليح، أو عدد الأفراد، وعندما استطاع بعض فرسان قريش اقتحام الخندق، من مكان ضيق، قرب جبل بني عبيد؛ بسبب صعوبة الحفر في أرض حجرية، تصدى لهم علي بن أبي طالب، و الزبير بن العوام (رضي الله عنهما)، فجندلوا فارسين، وفر

^١ مصلحة المساحة المصرية سنة ١٩٤٦ (٢٩٣/٤٦) (٨٤/٩٧)

^٢ المساجد الأثرية، محمد إلياس عبد الغني ج ١ ص ١١٢ مركز البحوث

وكان من نتيجة هذه المناوشات، استشهاد ستة شهداء، وعلى رأسهم سعد

بن معاذ (رضي الله عنه).

مدة الحصار

يروى ابن سعد بسنده عن سعيد بن المسيّب، قال: "حَاصَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُشْرِكُونَ فِي الْخَنْدَقِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً"^٢.

رفع الحصار

كان نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) الدور الأساسي في بث الفرقة، وإشاعة نية الخيانة بين الأحزاب، من جهة، وبني قريظة من جهة أخرى، مما فتّ في عضدهم، وأهبط معنوياتهم، ثم جاءتهم الطامة الكبرى؛ وهي الريح التي أرسلها الله تعالى عليهم يوم السبت، استجابة لدعاء نبيه ﷺ عليهم يوم الأربعاء، فاقتلعت خيامهم، وكفأت قدورهم، وأطفأت نيرانهم، وأعمت بالتراب أبصارهم، فانقلبوا خاسرين خائبين، وأنزل الله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا"^٣ وعاد النبي ﷺ والمسلمون في صبيحة الغد إلى منازلهم، ظافرين، مؤيدين

^١ انظر تفاصيل هذه المبارزة في كتب السيرة.

^٢ الطبقات الكبرى (٥٦/٢)

^٣ سورة الأحزاب، الآية ٩



بنصر الله" وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا^١.

من أهم نتائج الغزوة

من أهم نتائج موقعة الخندق، أن قریشاً، وحلفاءها، وأحابيشها علموا علم اليقين أنهم لا يستطيعون القضاء على المسلمين، وأن محاولة غزوهم المدينة محكوم عليها بالفشل الذريع، وقد علمنا هذا من قول النبي ﷺ "لن يغزوكم المشركون بعد اليوم"^٢.

وكان الأمر كما قال ﷺ.



^١ سورة الأحزاب الآية ٢٥

^٢ دلائل النبوة للبيهقي، باب التاريخ لغزوة الخندق.

الفصل العاشر

غزوة ذي قَرَد (الغابة)



غزوة ذي قرد، وتسمى أيضاً (غزوة الغابة)^١، تعتبر غزوة مفصلية في مجابهة المسلمين لأعدائهم من قبائل غطفان، الواقعة ديارهم شمال وشمال شرق المدينة المنورة، الذين ناصبوا المسلمين العداء، وحاولوا عدة مرات الهجوم على المدينة، وحالفوا قريشاً وحزبوا الأحزاب معهم، وكانوا ردءً لليهود ضد المسلمين، لذلك كانت غطفان هي القبيلة الوحيدة حول المدينة التي غزاها النبي ﷺ أربع مرات، وأرسل إليها ست سرايا.

وغزوة ذي قرد هي الغزوة الرابعة على غطفان، وقبلها ثلاث غزوات سبق الحديث عنها^٢.

كانت هذه الغزوة آخر مواجهة عسكرية بين المسلمين وقبائل غطفان، وهدأت بعدها الجبهة الشرقية تماماً، ولم تجرؤ بعدها تلك القبائل على مهاجمة المدينة، أو حتى محاولة ذلك.

تاريخ الغزوة

عند المحدثين

اتفق المحدثون على أنها كانت في الأيام الأخيرة من شهر ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة، بعد الحديبية، ومستندهم في ذلك ما جاء في الصحيح:

بَابُ غَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ: وَهِيَ الْغَزْوَةُ الَّتِي أَغَارُوا عَلَى لِقَاحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

^١ سُميت الغزوة بذي قرد، نسبةً إلى الموقع الذي انتهت عنده أحداث الغزوة، وسُميت بالغابة للموقع الذي بدأت منه الأحداث.

^٢ غزوة قرقرة الكدر، ذي أمر، ذات الرقاع

قَبْلَ خَيْبَرَ بِثَلَاثٍ^١، وجاء مثله في الحديث الطويل الذي رواه إياس بن سلمة بن الأكواع عن أبيه في صحيح مسلم: فَوَاللَّهِ، مَا لَبِثْنَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ (أي بعد الرجوع من غزوة ذي قرد) حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^٢.

وعلق الحافظ ابن حجر العسقلاني، رحمه الله، في فتح الباري، على حديث إياس بن سلمة: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ شَارِحُ مُسْلِمٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَاعِ لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ السِّيَرِ أَنَّ غَزْوَةَ ذِي قَرْدٍ كَانَتْ قَبْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ فَيَكُونُ مَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ سَلْمَةَ مِنْ وَهَمٍ بَعْضُ الرَّوَاةِ^٣.

أما المؤرخون وأصحاب السِّير فقد اتفقوا مع أصحاب الحديث في السِّنة، ثم اختلفوا معهم في الشهر.

عند المؤرخين وأصحاب السِّير

أجمع المؤرخون وأصحاب السِّير على أنها كانت قبل غزوة الحديبية، فعند ابن إسحاق ومن وافقه أنها بعد غزوة بني لحيان مباشرة، وهذه عنده كانت في جمادى الأولى.

قال ابن إسحاق، بعد إirاده غزوة لحيان: ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَلَمْ يُقَمْ بِهَا إِلَّا لَيَالِي قَلِيلٍ، حَتَّى أَغَارَ عَيْبَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ، فِي خَيْلٍ مِنْ غَطَفَانَ عَلَى لِقَاحٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

^١ صحيح البخاري (باب غزوة ذي قرد)

^٢ صحيح مسلم (باب غزوة ذي قرد)

^٣ فتح الباري، ٤٦٠/٧، دار المعرفة بيروت

وعند الواقدي، أنها كانت في ربيع الآخر.

قال في المغازي حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَغَارَ عَيْتَةُ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ لِثَلَاثِ خَلْوَانَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ سِتِّ .

أما ابن سعد فقال إنها في ربيع الأول، وهذه من المواضع القليلة التي خالف فيها شيخه الواقدي.

قال في الطبقات ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْغَابَةَ وَهِيَ عَلَى بَرِيدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ طَرِيقَ الشَّامِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتِّ مِنْ مَهَاجِرِهِ^٢. ولم يخرج بقية المؤرخين عن هذه الأقوال.

سبب الغزوة

يوجد عدة مواقع حول المدينة تعتبر مسارح لإبل أهل المدينة، مثل ذي الجدر^٣، والجماء^٤، وحرّة هيفاء^٥، وشوران^٦، وغيرها، ومن بين هذه المواقع (الغابة)، وكانت فيها لقاء^٧ للنبي ﷺ، ولبعض أهل المدينة حينما أغار عليها

^١ سيرة ابن هشام، غزوة ذي قرد

^٢ الطبقات الكبرى، غزوة الغابة

^٣ جنوب قباء. لمعرفة المزيد عنه، انظر "أودية حمى المدينة" للمؤلف.

^٤ معروفة غربي المدينة،

^٥ شرقي المدينة، تسمى اليوم حرّة العاقول

^٦ أقصى الحرّة الشرقية

^٧ اللَّقْحَةُ: النَّاقَةُ الْحَلُوبُ، (كتاب العين)



أربعون خيلاً من غطفان يقودهم عبد الرحمن بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، فقتلوا الراعي واستاقوا لقاح النبي ﷺ ولم يسعفهم الوقت للبحث عن بقية اللقاح والإبل الأخرى الموجودة في الموقع.

قال في الطبقات كانت لقاح رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهي عشرون لقحة ترعى بالغابة. وكان أَبُو ذَرٍّ فِيهَا. فَأَغَارَ عَلَيْهِمُ (عيينة بن حصن) ليلة الأربعاء في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أَبِي ذَرٍّ .

قلت: المغير على اللقاح ابنه عبد الرحمن، أما عيينة فقد جاء مدداً لهم بعد ذلك في أثناء المطاردة، حسب ما جاء عند ابن سعد نفسه، في سياق ذكره لتفاصيل الغارة.

أهم الأشخاص المؤثرين في الغزوة

برز في هذه الغزوة شخصيتان مؤثرتان، كان لهما دور محوري في أحداثها، هاتان الشخصيتان هما:

١- سلمة بن الأكوع الأسلمي، فقد كان أحد أبطال المسلمين في هذه الغزوة، وكان دوره حاسماً في استرداد اللقاح، وإنهاك الغزاة، وعودتهم خائبين، بعد أن فقدوا عدداً من فرسانهم، ولم ينالوا خيراً.

٢- عيينة بن حصن الفزاري، فهو المخطط للإغارة على المدينة، والقائد الذي يأترون بأمره، ولولا أمره لهم لم تكن الغارة لتتم.

ولعل من المناسب أن نتعرف على هاتي الشخصيتين:

أولاً: سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه): هو سلمة بن عمرو بن سنان بن الأكوع الأسلمي الخزاعي، والظاهر أن إسلامه قديم فهو ممن بايعوا تحت الشجرة، وعمره حوالي اثنتين وعشرين سنة، غزا مع النبي ﷺ سبع غزوات منها الحديبية وخيبر وحنين.

وكان من نجباء الصحابة وشجعانهم وعدائهم. كان يسابق الخيل فيسبقها وينطلق على قدميه كأنه السبع، وساهم في استعادة لقاح النبي ﷺ في غزوة الغابة، ومرة أخرى في استعادتها ممن سلبها من رجال عرينة.

وبايع سلمة النبي ﷺ يوم الحديبية ثلاث مرات، مرة في أول الناس ومرة في وسطهم ومرة في آخرهم بطلب من النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه خصوصية له رضي الله عنه.

وفي مختصر تاريخ دمشق قال: (قال عبد الرحمن بن رزين: أتينا سلمة بن الأكوع بالربذة فأخرج إلينا يداً ضخمة كأنها خف بعير فقال: بايعت رسول الله ﷺ بيدي هذه فأخذنا يده فقبلناها، وقال: أردفني رسول الله ﷺ مراراً ومسح على وجهي مراراً واستغفر لي مراراً عدد ما في يدي من الأصابع).

وفي البخاري لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة وتزوج هناك امرأة وولدت له أولاداً.

مكث سلمة بن الأكوع في الربذة ما يقارب ثلاثين سنة، وهو أكثر الصحابة



مكثاً في الربذة، وقبل أن يموت بليالٍ رجع إلى المدينة، ومات بها سنة ٥٦٤هـ.

ثانياً:

عيننة بن حصن الفزاري: هو عيننة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، زعيم كافة قبائل غطفان، فالُّ بدر هم شيوخ غطفان، وكان جده حذيفة بن بدر يقال له في الجاهلية ربُّ معدٍّ لشرفه وسؤدده.

وحذيفة جد عيننة هو أحد أقطاب حرب داحس والغبراء، ومقتله يوم الهبأة على يد قيس بن زهير العبسي أدى إلى جلاء قبيلة عبس عن ديارها، لعظم ما ارتكبه في حق هذا الزعيم.

كان عيننة من الجرارين^١، وخاض حروباً كثيرة في الجاهلية، وعندما جاء الإسلام حاربه بكل ما يستطيع؛ حالف قريشاً في الأحزاب، وحاول مناصرة يهود خيبر، وكان يحرض قبائل غطفان على غزو المدينة.

وقبيل غزوة الغابة طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرعى هو وقومه فيما بين التعلمين^٢ وبطن نخل (الحناكية)، وعندما أراد الرجوع إلى أرضه هاجم المدينة وحاول استلاب سرحها في الغابة.

أسلم قبيل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم، ارتد فيمن ارتد من الأعراب، وقاتل مع طليحة الأسدي، وأخذ أسيراً إلى المدينة، وعاد مسلماً، فعفى عنه أبو

^١ تعني: الذين يقودون عشرة آلاف فارس

^٢ جبلان تسمى اليوم عزلانات

بكر الصديق رضي الله عنه. وله مواقف كثيرة مع النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين تدل على جفائه وغلظ طبعه.

توفي في ديار قومه في الجَناب^١ في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه.

أحداث الغزوة

نقلت أحداث الغزوة باختصار من: كتاب المغازي لإمام السيرة النبوية الشريفة الجغرافية، محمد بن عمر الواقدي، وكتبه محمد بن سعد، ومن صحيح الإمام مسلم^٢، رحمهم الله، ومن المصادر المعتمدة الأخرى مثل سيرة ابن إسحاق:

نقل الواقدي بسنده، عن سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه)، قال: أَعَارَ عِيْنَةُ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ لثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنْ رِبْعِ الْأَخْرِ سَنَةً سِتَّ وَغَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَلَبِهِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَعَبْنَا خَمْسَ لَيَالٍ وَرَجَعْنَا لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ^٣.

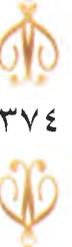
قَالُوا: كَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشْرِينَ لِقْحَةً، وَكَانَتْ تَرَعَى الْبَيْضَاءَ وَدُونَ الْبَيْضَاءِ، فَأَجْدَبَ مَا هُنَاكَ فَقَرَّبُوهَا إِلَى الْعَابَةِ، تُصِيبُ مِنْ أَثْلِهَا وَطَرَفَائِهَا وَتَعْدُو فِي الشَّجَرِ.

يَقُولُ سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ: غَدَوْتُ أُرِيدُ الْعَابَةَ لِلِقَاحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَأَنْ أُبْلِغَهُ لَبْنَهَا، حَتَّى أَلْقَى غَلَامًا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَانَ فِي إِبْلِ لِعَبْدِ

^١ تسمى اليوم الجهراء، بين خيبر وتيماء.

^٢ صحيح مسلم، باب غزوة ذي قرد وغيرها، ح ١٨٠٧

^٣ هذه رواية الواقدي عن عبد العزيز بن عتبة بن سلمة بن الأكوع، عن إياس بن سلمة، عن أبيه.



الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَأَخْطَطُوا مَكَانَهَا وَاهْتَدَوْا إِلَى لِقَاحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ لِقَاحَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَغَارَ عَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَيْنَةَ ابْنُ حِصْنٍ فِي أَرْبَعِينَ فَارِسًا.

قَالَ سَلَمَةُ: فَأَحْضَرْتُ فَرَسِي رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى وَافَيْتُ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوُدَاعِ فَصَرَخْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: يَا صَبَاحَهُ ثَلَاثًا، أَسْمِعْ مَنْ بَيْنَ لَابَتَيْهَا.

ونودي يومئذ: يا خيل الله اركبي، وكان أول ما نودي بها.

ونظر(سلمة) إِلَى بَعْضِ خِيُولِهِمْ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَى رِجْلَيْهِ يَعْذُو لِيَسْبِقَ الْخَيْلَ مِثْلَ السَّبْعِ، قَالَ سَلَمَةُ: حَتَّى لَحِقْتُ الْقَوْمَ فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ، وَأَقُولُ حِينَ أَرْمِي خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ فَتَكَرَّرَ عَلَيَّ خَيْلٌ مِنْ خَيْلِهِمْ، فَإِذَا وُجِّهَتْ نَحْوِي انْطَلَقْتُ هَارِبًا فَاسْبِقُهَا، وَأَعْمِدُ إِلَى الْمَكَانِ الْمُعُورِ، فَأَشْرِفُ عَلَيْهِ وَأَرْمِي بِالنَّبْلِ إِذَا امْكَنَنِي الرَّمِي وَأَقُولُ:

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمَ يَوْمَ الرَّضْعِ

فَمَا زِلْتُ أَكَاْفِحُهُمْ فَإِذَا كُنْتُ فِي الشَّجَرَةِ أَحْدَقْتَهُمْ بِالنَّبْلِ! وَإِذَا تَضَايَقَتِ الثَّنَايَا عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَرَمَيْتَهُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَمَا زَالَ ذَلِكَ شَأْنِي وَشَأْنَهُمْ أَتْبَعُهُمْ وَأُرْتَجِزُ، حَتَّى إِذَا امْتَدَّ الضَّحَى أَتَاهُمْ عَيْنَةُ بْنُ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ مَدَدًا لَهُمْ،^٢ وَهُمْ فِي ثَنِيَّةِ ضَيْقَةَ، ثُمَّ عَلَوْتَهُمْ وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ فَأَنَا فَوْقَهُمْ، قَالَ عَيْنَةُ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى؟ قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرَحِ مَا فَارَقْنَا بِسِحْرِ حَتَّى الْآنَ وَأَخَذَ كُلُّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا وَجَعَلَهُ وَرَاءَ

^١ هذه العبارة جاءت عند ابن إسحاق

^٢ الطبقات

ظهره، فقال عيينة: لولا أن هَذَا يرى أن وراءه طلبا لقد ترككم، فَيَكْرُونَ عَلَيَّ
فَأَعْجِزُهُمْ هَرَبًا.

ثم إني خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار أصحاب النبي، صلى
الله عليه وسلم، شيئاً ويميلون إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد، فأرادوا أن يشربوا
منه فأبصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه وأسندوا في الثنية ثنية ذي دبر وغربت
الشمس^١.

وَكَانَ مُحْرِرُ بْنُ نُضْلَةَ حَلِيفًا فِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَلَمَّا نَادَى الصَّرِيحُ: الْفَرْعَ
الْفَرْعَ كَانَ فَرَسٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، يُقَالُ لَهُ: ذُو اللَّمَّةِ مَرْبُوطًا فِي الْحَائِطِ، فَلَمَّا
سَمِعَ صَاهِلَةَ الْخَيْلِ صَهَلَ وَجَالَ فِي الْحَائِطِ فِي شَطْنِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّسَاءُ: هَلْ لَكَ يَا
مُحْرِرُ فِي هَذَا الْفَرَسِ، فَإِنَّهُ كَمَا تَرَى صَنِيعٌ جَامٌّ تَرَكْبُهُ فَتَلْحَقُ اللَّوَاءُ؟ وَهُوَ يَرَى رَايَةَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَرَّ بِهَا الْعُقَابُ يَحْمِلُهَا سَعْدُ بْنُ زَيْدِ الْأَشْهَلِيِّ.

فَخَرَجَ فَجَزَعَ وَقَطَعَ وَادِي فَنَاءَ فَسَبَقَ الْمِقْدَادَ، فَيَدْرِكُ الْقَوْمَ بَهِيقًا (الصحيح
بهيفا) فَاسْتَوْقَفَهُمْ فَوْقُوا، فَطَاعَنَهُمْ سَاعَةً بِالرَّمْحِ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ مَسْعَدَةٌ فَطَعَنَهُ
بِالرَّمْحِ فَقَتَلَهُ.

وعن أم عامر بنت يزيد بن السكن الأشهلية، قالت: كنت ممن حصص محرراً
على اللخوق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله إنا لفي أطمنا ننظر إلى رهبج
الغبار إذ أقبل ذو اللمة فرس محمد بن مسلمة، حتى انتهى إلى آريه، فقلت: أصيب

وَاللَّهِ فَحَمَلْنَا عَلَى الْفَرَسِ رَجُلًا مِنْ الْحَيِّ فَقُلْنَا: أَطَّلَعَ لَنَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَصَابَهُ إِلَّا خَيْرٌ، ثُمَّ ارْجِعْ إِلَيْنَا سَرِيعًا.

فَخَرَجَ مُحْضِرًا حَتَّى لَحِقَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِيَقًا (بهيفًا) فِي النَّاسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَأَخْبَرَنَا بِسَلَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيُّ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّرْحِ أَتَانَا الصَّرِيخُ فَأَنَا فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَأَلْبَسُ دِرْعِي وَأَخَذْتُ سِلَاحِي، وَأَسْتَوِي عَلَى فَرَسٍ لِي جَامٍ حِصَانٍ يُقَالُ لَهُ: النَّجْلُ فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ الدَّرْعُ وَالْمِغْفَرُ لَا أَرَى إِلَّا عَيْنَيْهِ وَالْخَيْلَ تَعْدُو قَبْلَ قَنَاءَةٍ، فَانْتَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ امْضِ قَدْ اسْتَعْمَلْتَكِ عَلَى الْخَيْلِ حَتَّى أَلْحَقَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ويختم سلمة بن الأكوع المشهد فيقول: وَلَحِقَنِي عَامِرٌ (عم سلمة) بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ^١، فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَيْتُهُمْ عَنْهُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكُلَّ رُوحٍ وَبُرْدَةٍ وَإِذَا بِلَالٌ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ كَيْدِهَا وَسَنَامِهَا - قَالَ - قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ خَلِينِي فَانْتَخِبُ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَاتَّبِعُ الْقَوْمَ فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ - قَالَ - فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ فَقَالَ « يَا سَلْمَةُ أَتَرَكَ

^١ العجيب أن هذا الوادي الذي تناول فيه سلمة السطيحة، يسمى اليوم وادي السطيح أو السطيحة.

كُنْتَ فَاعِلًا». قُلْتُ نَعَمْ وَالَّذِي أَكْرَمَكَ. فَقَالَ «إِنَّهُمْ الْآنَ لَيُقْرُونَ فِي أَرْضِ غَطَفَانَ».

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «خَيْرُ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ وَخَيْرُ رَجَالِنَا سَلَمَةُ». قَالَ ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- سَهْمَيْنِ: سَهْمُ الْفَارِسِ وَسَهْمُ الرَّاجِلِ فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَرَاءَهُ عَلَى الْعُضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

معالم الغزوة

في ثنايا الرواية السابقة للغزوة، المستخلصة من المصادر لأصلية للسيرة النبوية الشريفة، وردت معالم مكانية؛ معرفة مواضعها الحقيقية مهم لفهم أحداث الغزوة بشكل صحيح، وتصورها تصوراً مطابقاً للواقع الفعلي على الأرض، وبالتالي يمكن تصحيح ما يكون في تلك الروايات من خلل، مصدره عدم معرفة بعض الرواة لجغرافية الأرض التي جرت فيها أحداث الغزوة، لبعدهم عن أرض الحجاز، فيعمدون إلى الاجتهاد، أو النقل عن الآخرين، مما قد يعرضهم لمجانبة الصواب.

ومن أجل معرفة ما جرى، معرفةً صحيحةً دقيقةً، في هذه الغزوة الهامة في مفاصلة المسلمين مع أعدائهم من غطفان، نذكر أهم المعالم الجغرافية الواردة في الغزوة، وهي:

الغابة - البيضاء - ثنية الوداع - منازل بني عبد الأشهل - قناة - هيفا - ذو

قرد - ثنية ذي دبر.





الغابة السقلى

الغابة



24°34'48.0"N
39°35'07.0"E

الغابة: تقع شمال المدينة على بعد ١١ كم من المسجد

النبي الشريف، وتدعى اليوم (الخُلَيْل)، وهي سافلة المدينة

وتفيض فيها كل أودية المدينة مشكلة مساحة واسعة من الأراضي

الرطبة، وأنواع من الشجر الكثيف الملتف، ويزدرع على أطرافها شتى أنواع

المزروعات نظراً لتوفر الماء، وقد كانت هذه صفتها إلى عهد قريب قبل أن يجتاح

التصحّر البلاد، ومنع تدفق السيول بإقامة السدود في أعالي الأودية، ورغم ذلك

مازالت تحتوي على كثير من المساحات المزروعة بالنخيل، والبرسيم، وأنواع

أخرى من المزروعات المناسبة لتربتها ومائها.

قال ياقوت: الغابة الجمع من الناس، والغابة الشجر الملتف الذي ليس بمرتوب^١ لاحتطاب الناس ومنافعهم: وهو موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة، وهو المذكور في حديث السباق: من الغابة إلى موضع كذا ومن أثل الغابة، وفي تركة الزبير، اشتراها بمائة وسبعين ألفا وبيعت في تركته بألف ألف وستمائة ألف، وقد صحفه بعضهم فقال الغاية، وقال الواقدي:

الغابة بريد من المدينة على طريق الشام^٢.

والغابة عند البكري: وبالغابة أموال كثيرة: عين أبي زياد، والنخل التي هي حقوق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وثرمد مال كان للزبير، باعه عبد الله ابنه في دين أبيه، ثم صار للوليد بن يزيد.

صنع المنبر النبوي من الغابة

ومن الغابة صنع المنبر النبوي، روى الإمام البخاري في الصحيح، قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: أَتَى رَجُلًا إِلَى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى فُلَانَةَ، امْرَأَةٍ قَدْ سَمَّاهَا سَهْلًا: «أَنْ مُرِّي غُلَامَكَ النَّجَّارَ، يَعْمَلُ لِي أَعْوَادًا، أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ»، فَأَمَرْتُهُ يَعْمَلُهَا مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا، فَأَرْسَلْتُ إِلَى رَسُولِ

^١ كلمة غير مفهومة. لعلها بمرتوى، يعني تسقى من المطر ولا يرويها الإنسان.

^٢ معجم البلدان، رسم: الغابة

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَوُضِعَتْ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ^١

ومن الغابة كان يُجرى سباق الخيل المضمرة إلى ثنية الوداع.

والغابة في العهد النبوي، والعهد الإسلامي المبكر، كانت أهم أماكن الرعي

والزراعة بالمدينة.

قال السمهودي: (والغابة في أسفل سافلة المدينة، لا يختلف فيه اثنان، وهي

مغيض مياه أوديتها)^٢.

وقال الهجري: ثم تفضي يعني سيول المدينة إلى سافلة المدينة وعين

الصورين بالغابة.

وهي معروفة اليوم في سافلة المدينة، وكان بها أملاك لأهلها استولى عليها

الخراب.

وروى الزبير بن بكار عن عبيد الله بن الحسن العلوي قال: قال معاوية بن

أبي سفيان لعبد الرحمن بن أبي أحمد بن جحش، وكان وكيله بضياعه بالمدينة،

يعني أودية اشتراها واعتملها، فلبث، ثم جاء فقال: قد وجدت لك أودية بجهة،

قال: قل، قال: البلدة^٣، قال:

لا حاجة لي بها، قال: النخيل^٤، قال: لا حاجة لي به، قال: دعان^٥، قال: لا

^١ الجامع الصحيح، باب النجار

^٢ وفاء الوفا، ١٢٢/٤

^٣ تسمى اليوم البليد ناحية ينبع النخل

^٤ ما زالت معروفة، مجموعة قرى شمال الحناكية قريبة منها.

^٥ واد بين ينبع النخل ويدر، يدعى اليوم وادي الفقير

حاجة لي به، قال: الغابة، قال: اشترها لي، فقال له ابن أبي أحمد: ذكرت لك أودية لا تعرفها فكرهتها، وذكرت لك وادياً لا تعرفه فقلت اشتره، فقال: ذكرت البلدة فبلدة عليّ (رضي الله عنه)، والنخيل وكان مصغراً ودعان فنهاني عن نفسه والغابة فدلّنتني على كثرة مائها^١. انتهى باختصار

البيضاء



البيضاء
24°39'25.0"N
39°28'31.0"E

وتطلق اليوم على دارة واسعة تحفها جبال شاهقة، تقع شمالي الغابة، تتاخم أطرافها الجنوبية حدود الغابة، تبعد عن المسجد النبوي حوالي (١٨) كم، تتخللها أودية وشعاب تتجه جنوباً وغرباً، تفيض جميعها في وادي الحمض (إضم)، وقد جعلتها أمانة المدينة المنورة متنزهاً برياً لأهل المدينة.

والبيضاء اسم قديم لهذه الجبال وشعابها، كانت تدعى تاريخياً (بيضاء أشجع)، نسبة إلى قبيلة أشجع المعروفة، إحدى قبائل غطفان، ذلك أن ما وراء الغابة شمالاً إلى خير، كله من ديار هذه القبيلة.

^١ وفاء الوفا، رسم: الغابة



البيضاء (أبا الجود)

قال الشريف علي بن وهاس: صرّار: وادٍ غربي المدينة يسيل من أودية
البيضاء، بيضاء أشجع، والبيضاء جبل شاهق قريب من ذي خشب^١.

وقول الشرف عليّ أن (صرار وادٍ غربي المدينة) مما تفرد به، ولم أر من
أصحاب معاجم الأمكنة من ذكر صرّاراً في هذه الجهة غيره، فلعله أحد الأودية
الغربية التي تسيل من جبال البيضاء ناحية المندسة (ذي خشب).

وصرّار المشهور المعروف قرب المدينة، هو أطم صرّار في الحرة الشرقية،
وما زالت بقاياها مشاهدة.

وقال الشيخ عاتق البلادي عن البيضاء جبلة بيضاء ضخمة شمال المدينة
في ديار ولد محمد من حرب، يمر طريق المدينة إلى الشام قربها على (٤٥) كيلاً،

^١ الأمكنة والجبال والمياه، ص ١٦١، دار عمّار - الأردن

وهي أضخم جبال تلك المنطقة، تراها من مسافات بعيدة، ويقال إن فيها الوعول والنمور إلى اليوم. ومعظم مياه جبل البيضاء في وادي ألتمة، أحد روافد إضم من الشرق^١.

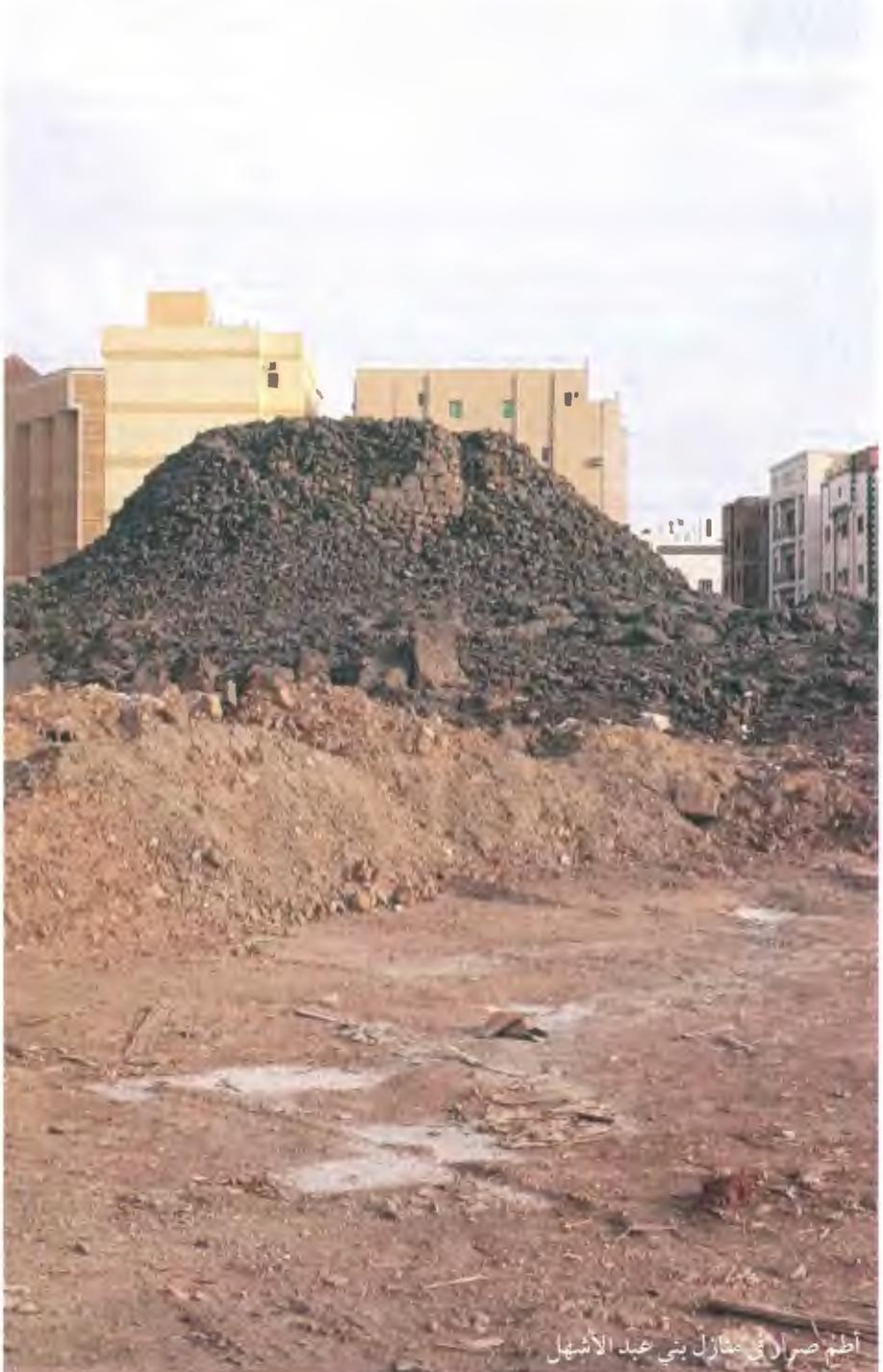
ثنية الوداع

سيتم الحديث بتفصيل - إن شاء الله - عن ثنية الوداع عند الكلام على مسيره ﷺ إلى خيبر، فيُنظر هناك.



٣٨٤





منازل بني عبد الأشهل



منازل بني عبد الأشهل
24°29'07.8"N
39°38'33.8"E

بنو عبد الأشهل أحد فروع قبائل الأوس الكبيرة، وهم بنو عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس، ومنازلهم تشمل أعالي الحرة الشرقية، بما فيها ناحية العريض، وتمتد من حرة دشم شمال شرق البقيع، حتى الأطراف الشرقية لراتج (حي المصانع) والشيخين (حي الدرع)، وكان إخوانهم بنو حارثة يساكنونهم جزءاً من الحرة الشرقية، ناحية العريض، وكان لهم أطم صرار، لكن حصلت حرب بني القبيلتين قبل الإسلام، فجلت بنو حارثة إلى خيبر ثم عادت بعد سنة، وأبوا أن ينزلوا في منزلهم الأول مع بني عبد الأشهل، فتحولوا إلى منازلهم التي جاء الإسلام وهم فيها، وهي أطراف الحرة الشرقية الشمالية (بثرب)، والغربية (الشيخين)¹.

ووجود أطم صرار في منازل بني عبد الأشهل يدل على أن منازلهم يمر بها الطريق النجدي العراقي، وقد جري تبيان ذلك وتفصيله عند الكلام عن الغزوات التي كانت شرق المدينة.

وقد حدد السمهودي منازل بني عبد الأشهل، مصححاً ما ذهب إليه المطري، فقال: فنزل بنو عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأصغر وبنو حارثة بن الحارث بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة فكلاهما من الأوس دار بني عبد الأشهل قبلي دار بني ظفر مع طرف الحرة

¹ أخبار المدينة لابن زباله، ١٧٥/١، مركز بحوث ودراسات المدينة.

الشرقية، قاله المطري، والذي يظهر لي أن منازلهم كانت قريبة من منازل بني ظفر في شاميها وتمتد إلى الحرة المعروفة اليوم بدشم وما حولها، بل سيأتي في ترجمة الخندق ما يقتضي أن منازلهم كانت بالقرب من الشيخين. وابتنى بنو عبد الأشهل أطمًا يقال له «واقم» وبه سميت الناحية واقمًا، وكان لحضير بن سماك، وله يقول شاعرهم:

نحن بنينا واقمًا بالحرة... بلازب الطين وبالأصرة .

قناة (وادي قناة)



قناة
24°29'57.8"N
39°39'11.2"E

وادي قناة من الأودية الفحول التي تتجه نحو الحجاز قادمة

من عالية نجد، ورتبته عالية في التصنيف الجيولوجي (المرتبة

السادسة)^١، وهو أكبر وادٍ يدخل المدينة، بل هو أكبر وأطول الأودية القادمة من نجد إلى الحجاز، واسمه اليوم عند أهل المدينة (سيل سيدنا حمزة).

والقناة لغة: آبار تحفر ويُخرق تحت الأرض بعضها إلى بعض، ويجري فيها

الماء حتى يظهر على وجه الأرض، كالنهر^٢.

وقال الفيروزآبادي قنّاءة: وادٍ بالمدينة، وهو أحد أوديتها الثلاثة^٣، عليه

حَرْتُ ومال بين أحد والمدينة^٤.

^١ الأودية الداخلة إلى حرم المدينة، د. محمود النعلان ص ١

^٢ المغام المطابة للفيروز آبادي، ص ٣٥١.

^٣ يقصد العقيق وبطحان

^٤ المغام المطابة، ج ١ ص ٣٦ الناشر مركز بحوث وتاريخ المدينة



أما أفضل من وصف وادي قناة في المصادر، فهو أبو الحسن المدائني^١، فيما نقله عنه البلاذري^٢، قال: وأخبرني أبو الحسن المدائني قال: قناة واد يأتي من الطائف ويصب إلى الأرحضية وقرقرة الكدر، ثم يأتي سد معاوية، ثم يمر على طرف القدوم، ويصب في أصل قبور الشهداء بأحد^٣.

^١ أبو الحسن علي بن محمد المدائني، العلامة الأخباري، كان عجباً في معرفة السر والمغازي، والأنساب، وأيام العرب، مصلاً فيما ينقله، عالي الإسناد. توفي سنة ٢٢٤هـ. تاريخ بغداد ٥٤/١٢.

^٢ أحمد بن يحيى البلاذري، المؤرخ، والأديب، له (فتوح البلدان)، جالس الخليفة المتوكل، واختلط آخر عمره. توفي بعد ٢٧٠هـ. سير أعلام النبلاء ١٦/١٣، قوات الوفيات ١٥٥/١٠، الوافي بالوفيات ٢٣٩/٨.

^٣ فتوح البلدان ج ١ ص ٢٢.

٤ لمزيد من التفاصيل عن وادي قناة، ومجمل أودية المدينة، انظر (أودية حمي المدينة) للمؤلف.

قلت: هذا وصف مطابق للواقع تماماً، ما عدا قوله يأتي من الطائف ،
فوادي قناة لا علاقة له بسيول الطائف، وتحوّل بينه وبين الوصول إلى المدينة
قيعان وسباخ وحرار وجبال؛ بل يأتي من حزوم تسمى المقاسم، في عالية نجد،
شمال الدفينة، بين مهد الذهب وعفيف!

وبهذا يكون الخارج من المدينة على الطريق النجدي العراقي لا بد له أن
يجزّع (يقطع) وادي قناة، فلا مندوحة له عنه.



هيفا



هيفا
24°35'20.0"N
39°47'24.0"E

هيفا: حرة تقع شمال شرق المدينة قريبة منها؛ شرق مطار

المدينة المنورة مباشرة، وتعتبر النهايات الشمالية لحره الحجاز

الكبرى (حرة بني سليم)، وتسمى اليوم حرة العاقول، يخترقها منقى الطريق النجدي العراقي، وعليها طريق السيارات القديم إلى القصيم والرياض.

وهيّا وردت مصحفة تصحيفاً يسيراً عند الواقدي؛ بزيادة نقطة على الفاء فأصبحت قافاً، ولكنها جاءت صحيحة عند ابن سعد، في سياق حديثه عن سرية أبي عبيدة إلى ذي القصة، فقال: وأجمعوا (يعني: بعض قبائل غطفان) أن يغيروا على سرح المدينة. وهو يرعى هييفا موضع على سبعة أميال من المدينة^١.

ووصف صاحب المناسك هيفاً بأنها حرة في أصلها بئر المطلب^٢، على طريق الحاج؛

وأجمل السمهودي ما قيل عن هذه الحرة، فقال: هيفاء: بمثناة تحت وفاء، موضع على ميل من بئر المطلب، وفي سرية أبي عبيدة إلى ذي القصة أن سرح المدينة كانت ترعى هييفا على سبعة أميال من المدينة.

وهيّا جاءت مصحفة تصحيفاً أشد من ذلك في حديث أبي هريرة، الذي رواه ابن زبالة: ليوشكن الدين أن ينزوي إلى هذين المسجدين، ويوشكن أن يتشاحوا على موضع الوتد بالجمي كشح أحدكم أن ينقص من داره إلى جانب المسجد، وليوشكن أن يبلغ بنيانهم يهيقا^٣.

^١ الطبقات الكبرى، سرية أبي عبيدة إلى ذي القصة.

^٢ رسمها بزيادة همزة (هيفاء)

^٣ يسمى اليوم بئر القزاز، أو بئر الكعكي، وهذا أيضاً قول حمد الجاسر (تحقيق المغنم المطابة، ص ٤٩)

^٤ المقصود الحاج العراقي

^٥ المغنم المطابة في معالم طابة للفيروزآبادي، ٣٢٤/١، الناشر: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة



قال السمهودي: يهيق: موضع قرب المدينة، قال المجد: لم أر من تعرض له، وفي الحديث: ليوشكن أن يبلغ بنيانهم يهيقا ، يعني: أهل المدينة.

قلت (القول للسمهودي): ولعل الحديث بهيفا، بباء الجر، والمراد هيفا المتقدمة في الهاء. ^١ انتهى.

قلت: هو كما قال السيد السمهودي: (يهيقا) هذه تصحيف (بهيفا). وقد تحقق ما جاء في الحديث في زماننا، فقد بلغ بنيان المدينة حرة هيفا (حرة العاقول)، بل تجاوزها، ويعتبر هذا الحديث من دلائل النبوة^٢.



ذو قرد^٣

ذو قرد: ماء في شعب جبل يدعى (ذو قرد)، إليه انتهى النبي

ﷺ وصحابته في مطاردة المغيرين على لقاحه في الغابة.

في قراءتنا لكتب السيرة النبوية، والأحاديث الشريفة، بما فيها صحيحا البخاري ومسلم، يتأكد لنا أن لقاح النبي ﷺ كانت ترعى بالغابة، فسُميت الغزوة (غزوة الغابة) لهذا السبب.

ومن متابعة سير أحداث الغزوة يتضح أنها انتهت عند ماء ذي قرد، حيث نزل

^١ وفاء الوفاء، رسم: يهيق

^٢ وقد كتبت مقالاً في صحيفة الوطن الغراء، عن حرة هيفا، أوضحت فيه سبب هذا اللبس (انظر كتاب أحماء المدينة للمؤلف)، ص ٩١ وما بعدها.

^٣ القرد: وهو ما تساقط من الصوف والوبر وبه سُمي (ذو قرد): وهو موضع قريب من المدينة كانت به غزوة. (المغرب في ترتيب المعرب). وفي القاموس "القرد، محرّكة: ما تَمَعَطَ من الوبر والصوف.

النبي ﷺ، ومكث عنده يوماً وليلة، صلى فيها صلاة الخوف، ومن أجل هذا سُميت الغزوة أيضاً (غزوة ذي قرد).



ذو قرد

أما ما جاء في الصحيحين من أن اللقاح كانت ترعى بزدي قرد فهو وهم واضح من أحد الرواة، وإلى هذا أشار القاضي عياض في مشارق الأنوار، فقال: (ذو قرد) بفتح القاف والراء ماء على نحو يوم من المدينة مما يلي بلاد غطفان، بيانه في الحديث، وجاء في حديث قتيبة في الصحيحين أن فيه كان سرح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي أغارت عليه غطفان، وهو غلط، إنما كانت الغارة والسرح بالغابة قرب المدينة، وإنما ذو قرد حيث انتهى المسلمون آخر النهار في طلب العدو وبه باتوا ومنه انصرفوا، فسُميت به الغزوة، كذا بيته في حديث سلمة بن الأكوع الطويل وفي السير وفي آخر حديث قتيبة في كتاب مسلم

بِنَفْسِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْوَهْمِ فِيمَا ذَكَرَ أَوَّلَهُ، مِنْ قَوْلِهِ: فَلَحِقَهُمْ بِذِي قَرْدٍ وَهِيَ زِيَادَةٌ عِنْدَ بَعْضِ رُوَاةِ مُسْلِمٍ وَكَيْسَتْ عِنْدَ جَمِيعِهِمْ وَلَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ^١.

وفي كتاب (الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول) لابن معصوم المدني^٢ وَذُو قَرْدٍ، كَسَبَبٍ وَعُنُقٍ وَزُفْرٍ، وَالْأَشْهُرُ أَوْ الصَّوَابُ الْأَوَّلُ: مَاءٌ عَلَى لَيْلَةٍ أَوْ لَيْلَتَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ خَيْبَرَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْتَهَى إِلَيْهِ لَمَّا خَرَجَ فِي طَلَبِ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ حِينَ أَغَارَ عَلَى لِقَاحِهِ بِالْغَابَةِ وَصَلَّى بِالْمُسْلِمِينَ صَلَاةَ الْخَوْفِ. وَقَوْلُ الْفَيْرُوزَابَادِيِّ: ذُو قَرْدٍ: مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ أَغَارُوا بِهِ عَلَى لِقَاحِ رَسُولِ اللَّهِ فَغَزَاهُمْ، غَلَطٌ؛ فَإِنَّ اللَّقَاحَ لَمْ تَكُنْ بِذِي قَرْدٍ وَإِنَّمَا كَانَتْ بِالْغَابَةِ قَرَبَ الْمَدِينَةِ، وَلِذَلِكَ سَمَّيْتَ الْغَزْوَةَ بِغَزْوَةِ الْغَابَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا أَنْتَهَى الطَّلَبُ إِلَى ذِي قَرْدٍ سَمَّيْتَ الْغَزْوَةَ أَيْضًا بِهِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا فِي الْحَدِيثِ: (وَلَحِقَهُمْ بِذِي قَرْدٍ) لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْخُذُوا اللَّقَاحَ وَيُقِيمُوا بِمَكَانِهِمْ حَتَّى لَحِقَ بِهِمُ الطَّلَبُ^٣.

موقع ذي قرد

لم يُعَيَّنْ أصحابُ المغازي الكبار الأوائل؛ أمثال الواقدي، وابن إسحاق، والزهري، وعروة بن الزبير، وغيرهم - حسب علمي - مكانَ ماء وشعب وجبل ذي قرد، أو حتى جهته، وهذا قد يدل على أن مكانه وجهته معلومة لدى الناس في

^١ مشارق الأنوار على صحيح الآثار، ١/٢٧٥، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت

^٢ علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني المدني المولود بالمدينة المنورة سنة ١٠٥٢ هـ، ويتصل نسبه بزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ب (ست وعشرين واسطة)، اشتغل بالعلم في المدينة، ثم هاجر إلى حيدر أباد الهند سنة ١٠٦٨ هـ وأقام هناك ثماني وأربعين سنة، أعطي فيها مناصب عسكرية، فلقب بـ (خان)، ثم استعفى وحج بيت الله الحرام، وورد أصفهان سنة ١١١٧ هـ ثم حل بشيراز مدرسا إلى أن توفي بها سنة ١١١٨ هـ، أو سنة ١١٢٠ هـ. (تذليل سلافة العصر، تحقيق السيد هادي باليل الموسوي)

^٣ الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول، ١٦٩/٦، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

زمنهم، فلم يروا ضرورة تحديد المكان، لأن ذلك من نافلة القول عندهم، ولعل هذا هو السبب الرئيسي في خفاء مكان كثير من المعالم، بعدما تعاقبت الأجيال، وتغيرت أسماء المواضع.

وأول مصدر متقدم حدد بالاسم جهة ذي قرد- حسب ما بين أيدينا من المصادر- هو محمد بن سعد بن منيع^(ت ٢٣٠هـ)، تلميذ وكاتب الإمام محمد بن عمر الواقدي؛ فعند حديثه عن غزوة ذي قرد، ومطاردة سلمة بن الأكوع للغزاة، قال: حتى انتهى بهم إلى ذي قرد. وهي ناحية خيبر مما يلي المستناخ^٢، واتبعه على هذا القول كل من جاء بعده.

وفي عصرنا هذا ترسخت هذه المعلومة وأصبحت حقيقة؛ يقول بها الشيخ حمد الجاسر، والجمعية الجغرافية السعودية، ومعظم الباحثين المعاصرين، وأكد لهم ذلك الشيخ عاتق البلادي (رحمه الله)، عندما تجول قبل خمسين عاماً في وادي نغمي، شمال المدينة، وكتب ما دار بينه وبين أحد فتيان بني رشيد، أهل تلك الديار اليوم، فقال: قَرْدٌ (ذو .) بِالْقَافِ وَالرَّاءِ وَآخِرُهُ دَالٌّ مُهْمَلَةٌ، وَبِالتَّحْرِيكِ: جَاءَ ذِكْرُهُ فِي غَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ، حِينَ أَعَارَ عَيْيَنُهُ بِنُ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ عَلَى لِقَاحِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْغَابَةِ.

قُلْتُ (القول للبلادي): قَرْدٌ: جَبَلٌ أَسْوَدٌ بِأَعْلَى وَادِي النَّقْمَى، شَمَالِ شَرْقِيِّ

^١ ابن سعد (١٦٨ - ٢٣٠ هـ = ٧٨٤ - ٨٤٥ م): محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم، أبو عبد الله: مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث. ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي فيها. وصحب الواقدي المؤرخ، زماناً، فكتب له وروى عنه، وعرف بكتّاب الواقدي. قال الخطيب في تاريخ بغداد: محمد بن سعد عنده من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته. أشهر كتبه (طبقات الصحابة - ط) اثنا عشر جزءاً، يعرف بطبقات ابن سعد. الأعلام للزركلي
^٢ الطبقات الكبرى، غزوة الغابة



الْمَدِينَةِ عَلَى قُرَابَةِ (٣٥) كَيْلًا، فِي دِيَارِ بَنِي رَشِيدٍ مِنْ هَتِيمٍ، كَذَا أَشَارَ إِلَيْهِ غُلَامٌ
وَجَدْتَهُ فِي وَادِي النَّقْمَى، عِنْدَ مَصَبِّ وَادِي (مَنَاءَ) ٢.

ومحمد بن سعد (رحمه الله)، على جلاله مكانته العلمية، واعتباره مصدراً
أساسياً من مصادر السيرة النبوية والتاريخ، والتراجم، وغير ذلك من الفنون
العلمية، لم يكن من أهل المدينة أو الحجاز عامة، فقد ولد في البصرة، وتوفي في
بغداد، ولذلك فهو على غير معرفة شخصية بجغرافية المدينة، وما حولها من
معالم، وتحديد وجهه موقع ذي قرد أرى أنه اجتهد منه، يخالف الروايات التي
جاءت عنه نفسه، التي يفهم منها أن ذا قرد ليس على طريق خير^٢، ومخالف أيضاً
لرواية شيخه الواقدي، الذي هو من أهل المدينة، وعالم بمواضع السيرة منها، كما
حدّث هو عن نفسه، يقول: ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا
مولي لهم إلا سألته هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل، فإذا
أعلمني مضيت إلى الموضع فأعابنه، ولقد مضيت إلى المريسي فظنرت إليها، وما
علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعابنه ٣.

ومن يكن هذا شأنه، فحريٌّ به أن يقدم قوله على غيره، وقد جاء في روايته أن
راية رسول الله ﷺ مرت في منازل بني عبد الأشهل (حرة واقم)، متجهة إلى وادي
قناة، وحرة هيفا، ومن يصل إلى حرة هيفا، ويقطع وادي قناة فلن تكون وجهته

١ لعله خطأ مطبعي. صحته ممنة، واد يفيض في نقمى، يأتيه من الشمال الغربي.

٢ معجم المعالم الجغرافية في المييزة النبوية، ص ٢٥٠

٣ سنورد تلك الروايات في موضعها بعد قليل

٤ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ٩/٤، ط١، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت

ناحية خيبر، بل ناحية نخل (الحناكية)، والنُّخيل، أيّ؛ الطريق النجدي العراقي

وأرى أن ما دعا ابن سعد إلى ذلك الاجتهاد أمور، منها:

- أن الغزاة استاقوا اللقاح من الغابة، وهي شمال المدينة في طريق خيبر.

- أن الغزاة من فزارة، وزعيمهم عيينة ابن بدر الفزاري، وهؤلاء ديارهم شمال، وشمال شرق خيبر، فاعتبر -رحمه الله- أن من الطبيعي أن يكون قدومهم وفرارهم إلى جهة ديارهم.

- ارتبطت منازل غطفان بغزوة خيبر، ولذلك سيكون الظن أن كل من أراد السير إلى ديارهم فعليه أن يتجه ناحية خيبر.

البحث عن ذي قرد

للبحث عن موقع ذي قرد، فقد زاوجت بين ما وصلت إليه يداي من النصوص الواردة في المصادر الأصلية عن هذه الغزوة ومعالمها، وبين العمل الميداني، والغرض هو محاولة تطبيق تلك النصوص على أرض الواقع.

فقبل أكثر من عشرين عاماً، قمت بجولات لا أحصي عددها في وادي نقي، بدءاً من أسفله عند الخليل (الغابة) إلى أعلاه، شاملاً روافده (الصهوة، صهوان، مهلهل، مذيال)، وغيرها، سائلاً كل من ألقاه من أهل تلك الديار، عن جبل (قرد). وعلى رأس أولئك المسؤولين، الشيخ ابن رجوة، أحد شيوخ بني رشيد في تلك الناحية، الذي أخبرني أنه من أهل هذا الوادي منذ أربعة أجيال،



ويعرف ديار بني رشيد بين المدينة وخيبر تمام المعرفة، وأنه لم يسمع قط بجبل أو شعب أو ماء اسمه (قرد)، وعندها أيقنت أن هذا الاسم غير معروف في وادي نغمي، وأن ما أخبر به الفتى الرشيدي الشيخ عاتق غير صحيح البتة. وقبل عدة سنوات قام الشيخ عبد الله بن محمد الشايع (رحمه الله) بمحاولة مماثلة للعثور على جبل، وماء ذي قرد في وادي نغمي، فعاد بلا طائل^١.

فعدت إلى النصوص أتأملها، وإلى الجولات الميدانية حول المدينة لأرى أي جهة، وأي معلم أو معالم تنطبق عليها أحداث غزوة ذي قرد.

وبعد كثير من التأمل والبحث الميداني تأكد لدي أن جبل وشعب وماء ذي قرد لا يقع شمال المدينة على طريق خيبر، وإنما في شمالها الشرقي على طريق النخيل؛ الطريق النجدي العراقي (طريق فيد)، وعندني على هذا أدلة، وقرائن، وبراهين.

نبدأ بالأدلة أولاً، ثم القرائن، ثم البرهان الميداني.

الأدلة على أن (ذو قرد) على الطريق النجدي العراقي (طريق

فيد):

الدليل الأول: هو ما نقله ابن سعد عن محمد بن عمر الواقدي، يقول:
أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَجْدَبْتُ بِلَادُ
أَلِ بَدْرِ بْنِ عَمْرِو حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْ مَالِهِمْ إِلَّا الشَّرِيدُ أَوْ ذُكِرَتْ لَهُ سَحَابَةٌ وَقَعَتْ

^١ مواضع بعض الغزوات والسرايا النبوية، ص ٧٧ وما بعدها

بِتَغْلَمِينَ^١ إِلَى بَطْنِ نَخْلٍ، فَسَارَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فِي آلِ بَدْرِ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ بَيْتٍ حَتَّى
 أَشْرَفَ عَلَى بَطْنِ نَخْلٍ، ثُمَّ هَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، فَوَرَدَ الْمَدِينَةَ
 فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَبْعُدْ وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِ، وَقَالَ:
 إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَذْئِبَ مِنْ جِوَارِكِ، فَوَادِعِنِ، فَوَادِعُهُ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ لَا يُغَيِّرُ أَحَدٌ مِنْ
 الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا يُغَيِّرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. فَلَمَّا انْقَضَتِ الْمُدَّةُ
 انْصَرَفَ عَيْنَةُ وَقَوْمُهُ إِلَى بِلَادِهِمْ، قَدْ أَسْمَنُوا وَالْبَنُو، وَسَمَّنَ الْحَافِرُ مِنَ الصَّلِيَّانِ،
 وَأَعْجَبَهُمْ مِرَاةُ الْبَلَدِ، فَأَعَارَ عَيْنَةُ بِذَلِكَ الْحَافِرِ عَلَى لِقَاحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 الَّتِي كَانَتْ بِالْغَابَةِ، فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ: مَا جَزَيْتَ مُحَمَّدًا أَسْمَنَتْ فِي بِلَادِهِ،
 ثُمَّ غَزَوْتَهُ، قَالَ: هُوَ مَا تَرَى .

ماذا تعني هذه الرواية؟ : تعني؛ أن عيينة بن حصن وقومه الغزاة، أغاروا على

اللقاح قادمين من تغلمين وما حوله إلى بطن نخل.

والتغلمان يحدد مكانهما ابن سعد نفسه بقوله: وتغلمين من الأمراض على
 ميلين. والأمراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة على طريق الربذة^٢.

والربذة كما يعلم الجميع شرق المدينة، والطريق إليها لا علاقة له البتة،
 بطريق خبير.

نستنتج مما سبق، أن المغيرين من غطفان بقيادة عيينة بن حصن وأبنائه،
 أغاروا على اللقاح في الغابة قادمين من شمال شرق المدينة من نواحي الحناكية

^١ جبلان يطلق عليهما اليوم غزلانات، بين الصويدرة والحناكية

^٢ سبق القول إنها الحناكية

^٣ الطبقات، ٤٨/٢، ط ١، دار الكتب العلمية- بيروت.

وليس من نواحي خيبر.

الدليل الثاني

هذا الدليل - وهو من فقرتين - نسوقه للتدليل على أن عودة الغزاة كانت على نفس الطريق الذي جاؤوا منه، وهو الطريق بين المدينة ونواحي الحناكية، والنُّخيل (الطريق النجدي العراقي):

أولاً: جاء في صحيح مسلم وفي الطبقات الكبرى لابن سعد، أن قائد الغزاة هو عبد الرحمن بن عيينة ابن بدر الفزاري، وأنهم بعد أن استاقوا اللقاح، وأثناء مطاردة سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه) لهم، في طريق عودتهم، خرج كمين كان قد خلفه الغزاة وراءهم، يبدو أنها خطة عسكرية لهم، يقول ابن سعد: حَتَّى إِذَا امْتَدَّ الضُّحَى أَتَاهُمْ عَيْنَةُ بْنُ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ مَدَدًا لَهُمْ. وَهُمْ فِي ثَنِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ . ويستمر سلمة في مطاردتهم، وَيَعْرِضُونَ إِلَى شَعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ ذُو قَرْدٍ. فَأَرَادُوا أَنْ يَشْرَبُوا مِنْهُ فَأَبْصَرُوا نَبِيَّ أَعْدُوِّ وَرَاءَهُمْ فَعَطَفُوا عَنْهُ .

قلت: هذه الرواية صريحة في أن عيينة بن بدر لقي الغزاة الذين استاقوا اللقاح ببعض الطريق في رجوعهم، وهو قطعاً كان مشاركاً في الغزو، وقادماً معهم من جهات التغلمين وبطن نخل، وخلفوه وراءهم رداءً لهم، وفي هذا دليل واضح على أنهم عادوا من حيث أتوا؛ يعني: من نواحي الحناكية والنُّخيل، وتلك الجهات، ولا علاقة لطريق خيبر بكل أحداث هذه المطاردة.

¹ في صحيح مسلم فلان بن بدر الفزاري، وصرح ابن سعد باسمه

ثانياً: أكدت المعالم الواردة في رواية الواقدي لأحداث الغزوة، رواية صحيح مسلم وابن سعد بأن الغزاة اتجهوا شمالاً شرقياً ناحية بطن نخل (الحناكية)، والنُّخيل، بمعنى؛ أنهم أخذوا الطريق النجدي العراقي (طريق فيد).

تقول رواية الواقدي: إِنْ مُحْرَزَ بْنَ نَضْلَةَ وَكَانَ حَلِيفًا فِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، رَأَى رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْعُقَابَ) قَدْ مَرَّ بِهَا يَحْمِلُهَا سَعْدُ بْنُ زَيْدِ الْأَشْهَلِيِّ، فَخَرَجَ، فَجَزَعَ وَقَطَعَ وَاوْدِي قَنَاةَ فَسَبَقَ الْمِقْدَادَ، فَيُدْرِكُ الْقَوْمَ بَهَيْفًا.

قلت: ما ورد عند الواقدي صريحاً بأن المطاردة كانت في اتجاه الطريق النجدي العراقي لما يلي:

- منازل بني عبد الأشهل حسب ما سبق بيانه، في الحرة الشرقية على الطريق النجدي العراقي، ورؤية محرز بن نضلة لراية رسول الله صلى الله عليه وسلم تمر من أمامه، دليل واضح على اتجاه الطريق الذي يسير عليه المسلمون المطاردون للغزوة، وهو الطريق الشرقي ولا طريق سواه.

- إدراك محرز بن نضلة للقوم في حرة هيفا، بعد أن قطع وادي قناة، لا يدع مجالاً للشك أن الغزاة كانوا في طريقهم إلى الجهة التي جاؤوا منها، وهي كما قدمنا، نواحي بطن نخل (الحناكية)، وما حولها.

الدليل الثالث

هذا الدليل أرى أنه حاسم، وأعتبره (نصاً في المسألة!)، كما يقول الفقهاء.



جاء في كتاب (الإكليل) ^١ في السيرة النبوية للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، فيما نقله عنه الحافظ العلامة بدر الدين العيني، في (عمدة القارئ شرح صحيح البخاري)، ونقله عن الحاكم أيضاً الإمام ابن حجر العسقلاني، في فتح الباري، وغيرهما من الأئمة، قالوا:

وفي (الإكليل) للحاكم؛ باب غزوة ذي قرد، قال أبو عبد الله: هذه الغزوة ^٢ هي الثالثة لذي قرد فإن الأولى سرية زيد بن حارثة في جمادي الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة، والثانية: خرج فيها سيدنا رسول الله ﷺ بنفسه إلى فزارة، وهي على رأس (تسعة)؛ وأربعين شهراً من الهجرة، وهذه الثالثة التي أغار فيها عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ فخرج أبو قتادة وابن الأكوع في طلبها وذلك في سنة ست من الهجرة °.

^١ كتاب الإكليل في السيرة النبوية الشريفة، من الكتب الثمينة المفقودة. نسأل الله تعالى أن يبسر العثور عليه، لعلنا نجد فيه ما يلقي الضوء على كثير من المسائل التي مازالت غامضة.

^٢ الحاكم النيسابوري (٣٢١ - ٤٠٥ هـ = ٩٣٣ - ١٠١٤ م): محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البتيع، أبو عبد الله: من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. مولده ووفاته في نيسابور. رحل إلى العراق سنة ٣٤١ هـ وحج، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ. وولي قضاء نيسابور سنة ٣٥٩ ثم قلد قضاء جرجان، فامتنع. وكان ينفذ في الرسائل إلى ملوك بني بويه، فيحسن السفارة بينهم وبين السامانيين. وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقمه. صنف كتباً كثيرة جداً، قال ابن عساكر: وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء. منها (تاريخ نيسابور - خ) قال فيه السبكي: وهو عندي من أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة ومن نظره عرف تفنن الرجل في العلوم جميعها، و (المستدرک على الصحيحين - ط) أربع مجلدات، و (الإكليل) و (المدخل - ط) في أصول الحديث، و (تراجم الشيوخ) و (الصحيح) في الحديث، و (فضائل الشافعي) و (تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم - خ) و (معرفة أصول الحديث وعلومه وكتبه) المطبوع باسم (معرفة علوم الحديث). الأعلام للزركلي.

^٣ وغزاه هنا بمعنى وصل إليه، ونزل عنده. فالرسول ﷺ في غزوة ذي قرد لم يغزأ أحداً فيه، وإنما سار حتى نزل ذي قرد، وكذلك فعل في المرة السابقة، وفي سرية زيد بن حارثة مثل ذلك، نزلوا عند ذلك الماء لأنه في طريقهم؛ (طريق فيد).

^٤ الصحيح سبعة وأربعين شهراً (فلعل ما هنا تصحيف)، وهو تاريخ غزوة ذات الرقاع عند الواقدي، وهذا يعني أيضاً أن هذا النزول كان في السنة الرابعة للهجرة، وهو قول جميع أصحاب المغازي والسير.

^٥ عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، الحافظ بدر الدين العيني، ٢٨٦/١٤، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

قلت: هذه الرواية المنقولة عن كتاب الإكليل للحاكم وضعت النقاط على الحروف (كما يقولون)؛ فذو قرد نزله النبي ﷺ مرتين، ونزله قبله زيد بن حارثة - رضي الله عنه - مرة واحدة:

النزول الأول لذي قرد:

كان من نصيب زيد بن حارثة (رضي الله عنه)، في السنة الثالثة للهجرة، وهي سريته إلى (الْقَرْدَة)¹، قال الواقدي: **ثُمَّ سَرِيَّةُ الْقَرْدَةِ، أَمِيرُهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَّةٍ وَعِشْرِينَ شَهْرًا**².

قلت: ماء القردة يقع على الطريق النجدي العراقي، بين الحاجر (البعاث)، وبين سميراء³.

النزول الثاني لذي قرد:

نزله النبي ﷺ في غزوة قبيلة فزارة من غطفان، وقد غزاهم في السنة الرابعة للهجرة، باتفاق أئمة أهل السُّيَر، وهي غزوة ذات الرقاع، ومعلوم أنها كانت إلى نخل (الحناكية)، وما حولها، وسبق أن فصلنا ما جرى في تلك الغزوة، مع وصف الطريق النبوي إليها والعودة منها، وأن العودة كانت على طريق فيد، وهو يمر بالشُّقْرة، وبينها وبين المدينة مرحلتان.

¹ ماء أسفل مياه الثلبوت بنجد في الرمة، لبني نعام، قاله: (نصر الإسكندري)، والثلبوت وإد يسمى اليوم الشعبة، وبني نعام من قبيلة أسد.

² المغازي.

³ مواضع بعض الغزوات والسرائيا النبوية للشيخ عبد الله بن محمد الشايع، ص ١٦٣، وما بعدها.



وعندما قام النبي ﷺ من الشقرة، نزل على ماء ذي قرد، وهو على مرحلة من المدينة، وهذا هو النزول الأول للنبي ﷺ على ماء ذي قرد.

النزول الثالث لذي قرد:

كان في السنة السادسة للهجرة، وهي هذه؛ غزوة ذي قرد، نزله ﷺ في ختام مطاردته للغزاة من قبيلة فزارة من غطفان.

قرائن على أن ذي قرد ليس على طريق خيبر:

وهناك قرائن لمن يتأمل، ويقف ميدانياً على المعالم التي وردت في الغزوة، تجعله يصل إلى نفس النتيجة السابقة، وهي أن الغزاة لم يتجهوا شمالاً ناحية خيبر، وأنهم قبل أن يقوموا بالغزو كانوا شمال شرق المدينة قرييين منها، ومن هذه القرائن:

- أن سلمة بن الأكوع أبصر خيل الغزاة بعد انجلاء الظلام، ولو كانوا اتجهوا شمالاً فغير ممكن مشاهدتهم، لأنهم حينئذ يكون قد غيبهم بطن وادي نقي، وجبال الحفيا.

- لو كانوا اتجهوا شمالاً لكان من المتعذر على سلمة أن يلحق بهم والمسافة بينهم حوالي ١٥ كم وهو على رجليه وهم على الخيل.

- في غزوة بني لحيان، وهي قبل غزوة ذي قرد بقليل، أبدي المسلمون تخوفهم من أن تغير عليهم غطفان، لعلمهم أن عينته وقومه قرييون جداً منهم (بين

الطرف وبطن نخل)، لا تفصلهم عن المدينة إلا مرحلة واحدة تقريبا، فقالت الأنصار: إن المدينة خالية منا، وقد بعدنا عنها، ولا نأمن عدونا يخالفنا إليها، فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على كل نقب من أنقابها ملكا يحميها بأمر الله عز وجل. ثم قفل حينئذ، فما هو إلا أن نزل المسلمون المدينة وبقوا ليالي، وأغار عليهم عيينة بن حصن في بني عبد الله بن غطفان، فاكتسبوا لقاحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها رجل من بني غفار وامرأة، فقتلوا الغفاري، وحملوا المرأة واللقاح^١.



البرهان الميداني على موقع ذي قرد



٤٠٥

بعد أن جمعت كل ما استطعت جمعه من أدلة وقرائن من المصادر التاريخية والحديثية، وتحليلها، ودراستها نظرياً، وبعد أن تأكد لدي الموقع الصحيح لماء ذي قرد، والوجهة الصحيحة التي توجه إليها النبي ﷺ، وصحابته الكرام في مطاردتهم للغزاة من فزارة؛ فقد عزمت على إثبات ذلك بالبرهان العملي الميداني، فوليت وجهي تجاه الطريق النجدي العراقي، في أثر الجيش النبوي، متتبعاً نفس المعالم الواردة في رواية الواقدي؛ من المسجد النبوي، ثم منازل بني عبد الأشهل (العريض)، ثم قاطعاً وادي قناة، ثم حرة هيفا (حرة العاقول)، ثم الهبوط في وادي العوينة، ومنه يساراً في وادي المنقى^١، وهذا هو (طريق فيد)، الذي سيمر ببئر

^١ وهذه تسمية حديثة، أفاد بعض أهل تلك الناحية أنها تعود إلى تنقية الطريق لمروور بغال إبراهيم باشا وهي تجر المدافع، في طريقه لغزو نجد.

السائب، ثم بعد مرحلة يمر بالشقرة، ثم النخيل.

وفي وادي المنقي، وعلى يسار الذهاب شعبٌ قصير، يسمى (شعب النجيل)^١، في أعلاه وشل^٢ ومهارييس تخزين الماء فترة طويلة، إذا انقطع ماء الوشل. هذا الشعب تنطبق عليه كل صفات ماء ذي قرد، أحصيتُ منها:

- أنه على طريق فيد^٣، الطريق المؤدي إلى الشقرة، والنخيل، وما حول ذلك من جهات، وهو الطريق الذي ثبت بالدليل أنهم سلكوه.

- يبعد عن المدينة قرابة مرحلة (٣٦) كم، أي نحو بريدين، وهذا هو التعريف القياسي للمرحلة.

- فيه ماء دائم، وكان إلى أقل من خمسين سنة دائم الجريان، ولا يتوقف إلا في سنوات المحل الشديد، وهذه رواية جمع من أهل وادي العوينة، من العلوات من الصواعد من قبيلة حرب.

- وجود الماء في أعلى الشعب، وعلى من أراد أن يشرب منه أن يعدل إليه ويخرج عن الطريق، وهذا يتفق تماماً مع مشهد سلمة بن الأكوع والغزاة، الذي صورته رواية صحيح مسلم وغيره، بقوله: (حَتَّى يَعْدِلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شَعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ ذَوْ قَرْدٍ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عَطَاشٌ قَالَ فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ فَحَلَيْتُهُمْ عَنْهُ يَعْنِي أَجَلِيَّتُهُمْ عَنْهُ فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً قَالَ وَيَخْرُجُونَ فَيَسْتَدُونَ فِي

^١ النجيل، تصغير نجل، وهو: التُّرُّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ وَمِنَ الْوَادِي وَهُوَ الْمَاءُ الْمُسْتَقْبَعُ، وَمِنْهُ حَدِيثُ الْمَدِينَةِ: وَكَانَ وَادِيهَا يَجْرِي نَجْلاً. تاج العروس، مادة (نجل)
^٢ الوشل، مُحَرَّكَةٌ: الْمَاءُ الْقَلِيلُ يَتَحَلَّبُ مِنْ جَبَلٍ أَوْ صَخْرَةٍ يَقَطُرُ مِنْهُ قَلِيلاً قَلِيلاً (وَلَا يَتَّصِلُ قَطْرُهُ، أَوْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ (إِلَّا مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ)، وَالْجَمْعُ: {أَوْشَالٌ.
^٣ مَرَّ الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّابَعُ مِنَ وَادِي الْمَنْقَى، فِي تَحْقِيقِهِ لَطَرِيقِ فَيْدٍ. كِتَابُ طَرِيقِ الْأَخْرَجَةِ، ص ٢٠٧

- بَعْدَ نَحْوِ ٤٠٠ مِترٍ مِنْ فَمِ الشَّعْبِ يَصْعَدُ الطَّرِيقُ فِي ثُنْيَةٍ تُسَمَّى الْيَوْمَ (رِيحِ الْمُنْقَى)، لَا أَشْكُ أَنَّهَا الثُّنْيَةُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي صَحِيحِ مُسَلِمٍ، وَسَمَّاها ابنُ سَعْدٍ (ثُنْيَةُ ذِي دَبْرٍ)^١.

نَخْلَصُ مِنْ هَذِهِ الْأَدْلَةِ، وَالْقَرَائِنِ، وَالْبَرَاهِينِ إِلَى نَتِيجَةٍ، أَرَى أَنَّهَا كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ، وَهِيَ أَنَّ جَبَلَ وَشَعْبٍ وَمَاءِ ذِي قَرْدٍ يَقَعُ عَلَى مَرِحَلَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ، عَلَى الطَّرِيقِ النَّجْدِيِّ الْعِرَاقِيِّ (طَرِيقِ فَيْدِ)

^١ اسم هذه الثنية تعرض لعدة تصحيفات في المصادر الحديثية، فقليل لها ثنية ذي نثر (مسند أحمد)، وذي الدثير (مستخرج أبي عوانه)، وذي ثبير (صحيح ابن حبان)، وذي بنر (مصنف ابن أبي شيبة)، وقيل غير ذلك.

وصف الطريق إلى ذي قرد

في غزوة ذي قرد (غزوة الغابة)، كان الانطلاق والوصول إلى ماء ذي قرد من ثلاث نقاط؛ الأولى من المسجد النبوي الشريف، في جيش من الصحابة قوامه خمسمئة، ما بين فارس، وراكب، وراجل، يقوده الرسول صلى الله عليه وسلم، والثانية من ثنية الوداع بطلها سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، والثالثة من الغابة الدنيا وهم الغزاة من غطفان بقيادة عبد الرحمن بن عيينة الفزاري.

وصف الطريق من المسجد النبوي إلى ذي قرد

يمر على ديار بني معاوية، جنوب مسجد الإجابة، ثم يصعد الحرة الشرقية (حرة واقم)، حتى يأتي صراراً (منازل بني عبد الأشهل)، ثم يهبط منها فيجزع وادي قناة، ومنه يمر بين جبل القدوم (جبل الخزان)، وجبل أحد، ومن هناك يستقيم الطريق حتى يدخل المنقى في حرة هيفا، ويهبط منها في الخبيت، ثم المضيق، ثم الهبوط في وادي العوينة، فيأخذه صُعداً لمسافة حوالي ٧ كم، وهنا يخرج الطريق من وادي العوينة يساراً ليدخل في وادي المنقى، وبعد مسير أكثر من كيلو متر واحد بقليل في هذا الوادي، يكون جبل وشعب وماء ذي قرد على يسار المسند في الوادي.

وصف طريق سلمة بن الأكوع إلى ذي قرد

عندما صعد سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه- ثنية الوداع ورأى بقية خيل

المغيرين متجهة إلى جهة حرة هيفا، ليأخذوا الطريق النجدي العراقي، تنكب قوسه وسهامه، وانطلق يعدو كالسبع، فهبط من ثنية الوداع على راتج (حي المصانع)، ثم منازل بني عبد الأشهل (جنوبي حي السحمان)، ثم الجوانية، ثم أخذ في الجادة، حتى عارضهم قبل أن يصعدوا حرة هيفا، فصار يناوشهم، ليعطل هروبهم فيلحقهم المسلمون، ويرميهم، فإذا أصاب أحدهم قال: خُذْهَا!

وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ... وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ!

واستمر سلمة في ملاحقة القوم، فإذا عطفوا عليه الخيل هرب منهم فلم يستطيعوا اللحاق به، فإذا ولوا كرّ عليهم فيرميهم، حتى وصلوا شعب ذي قرد، فلما رأوه وراءهم تابعوا طريقهم حتى صعدوا ثنية ذي دبر (ريع المنقى)، فلاحقهم حتى صعد الثنية وهو يرميهم.

٤١٠

وصف طريق المغيرين من الغابة إلى ذي قرد

استاق المغيرون من غطفان اللقاح من الغابة الدنيا. ووصلوا إلى الطريق الذي قدموا منها؛ عليهم أن يسلكوا فجاً بين جبل أحد وجبل وعيرة يسمى (المفّهق)، وهو جزء من الطريق المسمى اليوم طريق الأمير نايف. قال عنه البلادي فج شمال المدينة، بين أحد ووعيرة، أخذته طريق تلبُّ أحداً من الشمال فلا تمر المدينة^٢.

^١ ويقال العليا، والمعنى واحد.

^٢ معجم معالم الحجاز، ٢٢١/٨، ط١- دار مكة،

فلما تجاوز المغيرون هذا الفج، لاءموا الجادة، وهناك عارضهم سلمة، وبدأت المطاردة.

نتائج الغزوة

تعتبر غزوة الغابة غزوة ذي قرد من الغزوات المفصلية في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ضد أعدائهم المشركين المتربصين بهم الدوائر، وخاصة قبائل غطفان الواقعة ديارها في شمال وشمال شرق المدينة المنورة، فعندما غزا عيينة بن حصن الفزاري، وولده عبد الرحمن ضاحيةً من ضواحي المدينة (الغابة)، واستلب لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان قصده أن يغير على مكان تجمع إبل المسلمين ولقاحهم؛ أولاً: للتأثير على معنوياتهم، بإضعاف مجهودهم الحربي (لأن الإبل هي العمود الفقري لأي جيش في ذلك الوقت)، وثانياً: لاختبار مدى استعدادهم لصد العدوان.

لكن المسلمين أبدوا استعداداً كاملاً لدحر العدو، وجعله يندم على فعلته، وتكبد خسائر في الأرواح، ولم ينل طائلاً من عدوانه، وطاردهم المسلمون إلى أن وصلوا إلى ماء ذي قرد وأطلقوا في أثرهم صيحة الحرب التي لازالت تتردد حتى الآن يا خيل الله اركبي، وكان أول ما نودي بها في هذه الغزوة^١.

وقد كان من نتائج هذه الغزوة أن أمّنت المدينة شر أعدائها من غطفان القاطنين شمال وشمال شرق المدينة، فلم يغزها عدو من تلك الجهة بعدها، إلى

^١ الطبقات الكبرى، غزوة الغابة

أن دخلت القبائل كلها في دين الله أفواجاً، فله الحمد من قبل ومن بعد.



الفصل الحادي عشر

غزوة الحديبية

حفلت السنة الخامسة للهجرة النبوية الميمونة بأحداث جسيمة، كاد بعضها أن يعصف بالمدينة وأهلها مثل غزوة الأحزاب، وهددت بعض القبائل المحيطة بالمدينة، وحتى البعيدة عنها بغزو المدينة ونهبها، وقد تعامل النبي ﷺ مع هذه التهديدات بجدية، فكان ينقل المعركة إلى أرض العدو، فيغزوهم بنفسه الكريمة، فيقضي على مصدر التهديد، مثل بني المصطلق وبني ثعلبة وأنمار من غطفان، وليكون في ذلك أيضاً عبرة لغيرهم من الأعداء المتربصين، المنتهزين لأي فرصة للنيل من المسلمين، ولو كانوا في أطراف بعيدة عن المدينة مثل دومة الجندل^١.

فلما حلت السنة السادسة، أقام النبي ﷺ في المدينة، وأرسل البعوث والسرايا إلى القبائل من حوله، حتى تميزت هذه السنة بقلّة الغزوات وكثرة السرايا والبعوث؛ حتى بلغت اثنتي عشرة سرية.

وكانت خاتمة هذه السنة غزوة الحديبية؛ العمرة الأولى للنبي ﷺ منذ هجرته الميمونة.

سبب الغزوة

ذكر المفسرون سبب نزول قوله تعالى " لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ.." أن النبي ﷺ، قال: " إني قد رأيتُ أنكم ستدخلون المسجد الحرام مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ. فلما نزل بالحديبية ولم يدخل ذلك العام طعن

^١ موضع معروف غزاه النبي ﷺ سنة ٥ للهجرة.

المنافقون في ذلك، فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) فقرأ حتى بلغ (وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ) إني لم أره يدخلها هذا العام، وليكونن ذلك".^١

وهذا السبب ذكره أيضاً الإمام الواقدي، فقال: "كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتِ، وَحَلَّقَ رَأْسَهُ، وَأَخَذَ مِفْتَاحَ الْبَيْتِ، وَعَرَّفَ مَعَ الْمُعَرِّفِينَ، فَاسْتَنْفَرَ أَصْحَابَهُ إِلَى الْعُمْرَةِ، فَأَسْرَعُوا وَنَهَيْتُوا لِلْخُرُوجِ".^٢

قال ابن إسحاق: "وَاسْتَنْفَرَ الْعَرَبَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي مِنَ الْأَعْرَابِ لِيَخْرُجُوا مَعَهُ، وَهُوَ يَخْشَى مِنْ قُرَيْشِ الَّذِي صَنَعُوا، أَنْ يَعْضُوا لَهُ بِحَرْبٍ أَوْ يَصُدُّوهُ عَنِ الْبَيْتِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ لَحِقَ بِهِ مِنَ الْعَرَبِ، وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ لِيَأْمَنَ النَّاسُ مِنْ حَرْبِهِ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ إِنَّمَا خَرَجَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ وَمُعْظَمًا لَهُ".^٣

تاريخ الغزوة

اتفق أصحاب السير والمحدثون أنها في شهر ذي القعدة سنة ست للهجرة.

قال النووي: "وقد أجمع المحدثون وأصحاب السير على أن الحديبية

^١ تفسير الطبري

^٢ يعني الصعود إلى عرفة.

^٣ المغازي، غزوة الحديبية

^٤ السيرة النبوية، ٣٠٩/٢

كانت سنة ست من الهجرة في ذي القعدة^١

وحدد الواقدي تاريخها بالضبط، فقال: "وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِهِلالِ ذِي الْقَعْدَةِ".

أحداث الغزوة

سنورد أحداث الغزوة (مختصرة) بالاستناد إلى رواية الواقدي، وابن إسحاق، وغيرهما، خاصة أنهما عمادا علماء السيرة النبوية الشريفة، وكل من جاء بعدهما فهو عالة عليهما؛ وبالأخص الإمام الواقدي، فإن روايته لأحداث الغزوة جاءت متناسقة متماسكة، لا خلل فيها، وتتفق مع ما رواه أهل الحديث حول أحداث الغزوة، وتميز الواقدي بأنه يرويها بأسلوب المؤرخ الذي يراعي تناسق الأحداث وتتابعها الزمني.



الخروج من المدينة والإحرام من ذي الحليفة

قبل الخروج إلى مكة أمر النبي ﷺ بسر بن سفيان الكعبي الخزاعي أن يبتاع له الهدى، فابتاع له سبعين بدنة، وفي يوم خروجه أرسلها مع ناجية بن جندب الأسلمي إلى ذي الحليفة، وهناك أحرم بالنسك، وأشعر هديه، وكذلك فعل من معه من الصحابة، والراجع أن عددهم كان ألفاً وأربع مئة.

وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَرِّ بْنِ سُفْيَانَ مِنْ ذِي الْحَلِيفَةِ فَأَرْسَلَهُ

^١ المجموع شرح المذهب ٧٨٧.

عَيْنًا لَهُ، وَقَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ بَلَغَهَا أَنِّي أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَخَبَّرَ لِي خَبْرَهُمْ، ثُمَّ الْقَنَى بِمَا
يَكُونُ مِنْهُمْ^١.

الطريق إلى الحديبية

أَحْرَمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ ذِي الْحَلِيفَةِ، " وَأَحْرَمَ عَامَّةَ الْمُسْلِمِينَ بِإِحْرَامِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ
لَمْ يُحْرَمِ إِلَّا مِنَ الْجُحْفَةِ، وَسَلَكَ طَرِيقَ الْبَيْدَاءِ ".

قلت: هذا يعني أنه اختار السير مع طريق الأنبياء، لذلك ستكون مراحل
الطريق هي نفسها التي مرت معنا في غزوة بدر إلى المنصرف (المسيجد).

لذلك نجد الواقدي يقول: " وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ
أَصْبَحَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ بِمَلَلٍ، فَرَأَى مِنْ مَلَلٍ وَتَعَشَّى بِالسِّيَالَةِ، ثُمَّ أَصْبَحَ بِالرُّوحَاءِ، فَلَقِيَ
بِهَا أَصْرَامًا^٢ مِنْ بَنِي نَهْدٍ^٣، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَامْتَنَعُوا، فَتَرَكَهُمْ وَشَأْنَهُمْ، وَلَمْ
يَقْبَلْ مِنْهُمْ هَدِيَّةً أَهْدَوْهَا لَهُ لَشُرْكِهِمْ.

بين الروحاء والأبواء

عندما كان النبي ﷺ في الروحاء جاءه الخبر " بَأَنَّ عَدُوًّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِوَادِي
عَيْقَةَ يُخَشَى مِنْهُمْ أَنْ يَقْصِدُوا غِرَّتَهُ فَجَهَّزَ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ إِلَى
جَهْتِهِمْ لِيَأْمَنَ سَرَّهُمْ فَلَمَّا آمَنُوا ذَلِكَ لَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ وَأَصْحَابُهُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

^١ المغازي. هو (بشر) عند ابن إسحاق، وعند جمهور أهل التراجم.

^٢ أصرام: جمع صرمة، وهي الجماعة. (القاموس المحيط، ج ٤، ص ١٣٩).

^٣ بنو نهد - بطن من قضاة من القحطانية، وهم بنو نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة
(نهاية الأرب)

وَسَلَّمَ فَأَحْرَمُوا إِلَّا هُوَ فَاسْتَمَرَ هُوَ حَلَالًا^١



الوصول إلى الأبواء

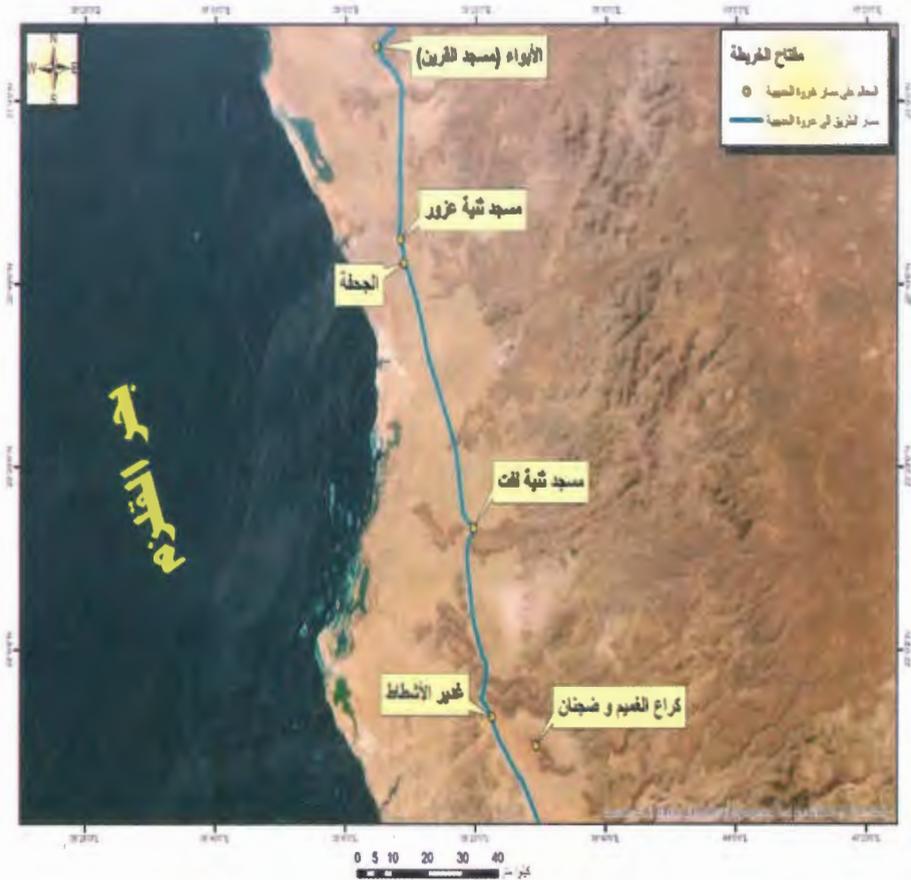
ولما وصل النبي ﷺ إلى الأبواء، لقي هناك أبا قتادة وكان قد صاد حماراً وحشياً في طريقه بين غيقة والأبواء، وقدم للنبي ﷺ جزءاً منه فتناوله، لأن أبا قتادة كان غير مُحَرَّم، عندما صاد الحمار الوحشي، ولم يعاونه أحد من المحرمين على صيده.

وفي الأبواء، عندما رأى النبي ﷺ كَعْبَ بْنَ عَجْرَةَ يتأذى من هوامٍ في رأسه أمره

^١ فتح الباري، ٢٣/٤، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩

أن يحلق رأسه، قال: وَنَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ: "فَفِدْيَةُ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ".
فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَذْبَحَ شَاةً، أَوْ أَصُومَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعَمَ
سِتَّةَ مَسَاكِينَ، كُلَّ مِسْكِينٍ مُدِّيْنٍ «أَيَّ ذَلِكَ فَعَلْتَ أَجْزَأُكَ»^١.

وصل النبي ﷺ الجحفة فلم يجد فيها ماءً، فأرسل الروايا إلى الخرار فاستقوا
منه، ثم واصل السير حتى بلغ عسفان، وتجاوزها بقليل، ثم حطَّ في غدير
الأشطاط.



^١ المغازي، قيل إن هذا حصل في الحديبية

المواجهة بين المسلمين وقريش وحلفائها

عندما عزم النبي ﷺ على العمرة وهو في المدينة وتناقل الناس ذلك، وعلمت به قريش، فأجمعت أمرها على منع المسلمين من دخول مكة، وقالوا: "يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْنَا فِي جُنُودِهِ مُعْتَمِرًا، فَتَسْمَعَ بِهِ الْعَرَبُ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا عَنُودٌ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنَ الْحَرْبِ مَا بَيْنَنَا! وَاللَّهِ، لَا كَانَ هَذَا أَبَدًا وَمِنَّا عَيْنٌ تَطْرَفُ، فَارْتَأَوْا رَأْيَكُمْ! فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ، وَجَعَلُوهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ ذَوِي رَأْيِهِمْ - صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسَهَيْلِ بْنِ عَمْرِو، وَعِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ - فَقَالَ صَفْوَانُ: مَا كُنَّا لِنَقْطَعَ أَمْرًا حَتَّى نَشَاوِرَكُمْ، نَرَى أَنْ نَقْدِمَ مَائَتِي فَارِسٍ إِلَى كُرَاعِ الْغَمِيمِ وَنَسْتَعْمِلَ عَلَيْهَا رَجُلًا جَلْدًا. فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: نَعَمْ مَا رَأَيْتَ! فَقَدَّمُوا عَلَى خَيْلِهِمْ عِكْرِمَةَ ابْنَ أَبِي جَهْلٍ - وَيُقَالُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ - وَاسْتَنْفَرَتْ قُرَيْشٌ مِنْ أَطَاعِهَا مِنَ الْأَحَابِيشِ، وَأَجْلَبَتْ ثَقِيفٌ مَعَهُمْ، وَقَدَّمُوا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي الْخَيْلِ، وَوَضَعُوا الْعُيُونَ عَلَى الْجِبَالِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ وَرَزٌ^١، وَكَانَتْ عُيُونُهُمْ عَشْرَةَ رِجَالٍ قَامَ عَلَيْهِمُ الْحَكْمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِالصَّوْتِ: فَعَلَّ مُحَمَّدٌ كَذَا وَكَذَا! حَتَّى يَنْتَهِي ذَلِكَ إِلَى قُرَيْشٍ بِبَلَدِحِ. وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ إِلَى بَلَدِحٍ فَضَرَبُوا بِهَا الْقِبَابَ وَالْأَبْنِيَةَ، وَخَرَجُوا بِالنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ فَعَسَكُرُوا هُنَاكَ"^٢.



^١ لعله الجبل المسمى اليوم شرقان، فهو الجبل المواجه لجيش المسلمين، ويكشف تحركاتهم.

^٢ المغازي

مشاورة النبي ﷺ لأصحابه في غدير الأَشطاط

ورجع بشر بن سفيان الكعبي الخزاعي من مكة^١، وقد علم خبر القوم، فلقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على غدير الأَشطاط وأخبره الخبر.

فجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس، فإن أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام، وهم وافرون وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، والله إني لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله له حتى يظهره الله، أو تنفرد هذه السالفة"^٢

واستشار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، وبعد المداولة أخذ برأي أبي بكر الصديق-رضي الله عنه، وهو التوجه السلمي إلى البيت الحرام للعمرة، والمجاهدة في سبيل ذلك.

جاء في صحيح البخاري، أن النبي ﷺ خاطب أصحابه عند غدير الأَشطاط، فقال: "أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرُونَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّوَنَا عَنِ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ"، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ، لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهَ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ.

^١ وهو الذي أرسله من المدينة ليقابله قبل الوصول إلى مكة، ليأتيه بأخبار قريش.

^٢ السيرة النبوية، غزوة الحديبية

قال: «امضوا على اسم الله»^١.

خالد بن الوليد على خيل قريش عند كراع الغميم

وَدَنَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خَيْلِهِ حَتَّى نَظَرَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَفَّ خَيْلَهُ فِيمَا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، وَهُمْ فِي مَائَتِي فَارِسٍ، وَأَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبَادَ بْنَ بَشِيرٍ فَتَقَدَّمَ فِي خَيْلِهِ فَقَامَ بِإِرَائِهِ فَصَفَّ أَصْحَابَهُ.

وحانت صلاة العصر، فصلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الخوف، على الصفة المذكورة في الصحاح.

قلت: وجود خالد بن الوليد عند كراع الغميم؛ وهو على الجادة العظمى، لم يدع للنبي ﷺ سوى خيارين، إما ان يصطدم مع خالد وفرسانه، وهي معركة لا يريدوها، وإما أن يتحاشاه، ويسلك طريقاً آخر يدخل منه إلى مكة من غير الطريق الرئيسي المعهود، فاختر النبي ﷺ الخيار الثاني، لأنه؛ أولاً: لم يأت لقتال، ثانياً: كان يتجنب قتال قريش ما أمكنه ذلك، فقد كان بهم رحيمًا.^٢

^١ الجامع الصحيح، باب غزوة الحديبية
^٢ المعجم الكبير للطبراني



الانعطاف إلى ثنية ذات الحنظل وثنية المرار

هذا الجزء من أحداث الغزوة هو أهم أجزائها فيما يتعلق بأحد أهم أهداف هذا الكتاب؛ وهو محاولة تعيين المواضع الواردة في الغزوات والسرايا، التي كانت محل إشكال وعدم وضوح عند المؤرخين الأوائل، أو الباحثين المتأخرين، وفي هذه الغزوة بالتحديد فإن ثنية ذات الحنظل ينطبق عليها هذا الأمر، أما ثنية المرار فقد أصبحت معروفة الموضع اليوم، وإن كان حصل خلط بينها وبين ثنية ذات الحنظل عند بعض المؤرخين، فبعضهم جعلها ثنية واحدة، لكن الإمام الواقدي أوضح لنا بجلاء مسير النبي ﷺ من غدير الأشطاط، إلى ثنية ذات الحنظل، ثم إلى ثنية المرار، إلى أن نزل الحديدية.

الطريق إلى ثنية ذات الحنظل

يقول الواقدي - رحمه الله " فلما أمسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تَيَامُنُوا فِي هَذَا الْعَصَلِ، فَإِنَّ عُيُونَ قُرَيْشٍ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ أَوْ بَضْجَانَانَ، فَأَيُّكُمْ يَعْرِفُ ثَنِيَّةَ ذَاتِ الْحَنْظَلِ؟ فَقَالَ بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ الْأَسْلَمِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ عَالِمٌ بِهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَسْلُكُ أَمَامَنَا - فَأَخَذَ بِهِ بُرَيْدَةُ فِي الْعَصَلِ قَبْلَ جِبَالِ سُرَاوَعٍ قَبْلَ الْمَغْرَبِ، فَسَارَ قَلِيلًا تَنْكِبَةَ الْحَجَارَةِ وَتَعَلَّقَهُ الشَّجَرُ، وَحَارَ حَتَّى كَانَتْ لَمْ يَعْرِفْهَا قَطًّا. قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَسْأَلُهَا فِي الْجُمُعَةِ مَرًّا. فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَوَجَّهَ قَالَ: ازْكَبْ! فَرَكِبْتُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ رَجُلٌ يَدُلُّنَا عَلَى طَرِيقِ ذَاتِ الْحَنْظَلِ؟ فَتَزَلَّ حَمْرَةٌ بِنُ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذْلكَ. فَسَارَ قَلِيلًا ثُمَّ سَقَطَ فِي خَمَرِ الشَّجَرِ، فَلَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ازْكَبْ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَدُلُّنَا عَلَى طَرِيقِ ذَاتِ الْحَنْظَلِ؟ فَتَزَلَّ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ نَهْمٍ الْأَسْلَمِيِّ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذْلكَ. فَقَالَ: انْطَلِقْ أَمَامَنَا. فَانْطَلَقَ عَمْرُو أَمَامَهُمْ حَتَّى نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الثَّنِيَّةِ فَقَالَ: هَذِهِ ثَنِيَّةُ ذَاتِ الْحَنْظَلِ؟ فَقَالَ عَمْرُو: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى رَأْسِهَا تَحَدَّرَ بِهِ. قَالَ عَمْرُو: وَاللَّهِ إِنْ كَانَ لِيَهْمُنِي نَفْسِي وَجَدِّي، إِنَّمَا كَانَتْ مِثْلَ الشَّرَاكِ، فَاتَّسَعَتْ لِي حَتَّى بَرَزْتُ وَكَانَتْ مَحَجَّةً لَاحِبَةً. وَلَقَدْ كَانَ النَّفَرُ يَسِيرُونَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ جَمِيعًا مُعْطِفِينَ مِنْ سَعَتِهَا يَتَحَدَّثُونَ، وَأَضَاءَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى كَانَا فِي



^١ هُوَ شَجَرٌ يُشْبِهُ الذَّقْلَى تَأْكُلُهُ الْإِبِلُ وَتَشْرَبُ عَلَيْهِ الْمَاءَ كُلَّ يَوْمٍ، وَقِيلَ: هُوَ خَمْضٌ يَنْبُثُ عَلَى الْمِيَاهِ، وَالْجَمْعُ عَصَلٌ (لسان العرب).
قلت: مازال هذا النبات معروفاً بهذا الاسم إلى اليوم.

فَمَرَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِثْلُ هَذِهِ الشَّيْءِ
اللَّيْلَةَ إِلَّا مِثْلَ الْبَابِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَجُوزُ هَذِهِ الشَّيْءَ أَحَدٌ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ
لَهُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: وَكَانَ أَخِي لِأُمِّي قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ، قَالَ:
فَوَقَفْتُ عَلَى الشَّيْءِ فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِلنَّاسِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لَا يَجُوزُ هَذِهِ الشَّيْءَ
أَحَدٌ إِلَّا غُفِرَ لَهُ». فَجَعَلَ النَّاسُ يُسْرِعُونَ حَتَّى جَاَزَ أَخِي فِي آخِرِ النَّاسِ، وَفَرِقْتُ أَنْ
يُصْبِحَ قَبْلَ أَنْ نَجُوزَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَزَلَ: مَنْ كَانَ مَعَهُ ثَقُلٌ فَلْيُصْطَخِعْ.

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَإِنَّمَا مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَقُلٌ - الثَّقَلُ: الدَّقِيقُ - وَإِنَّمَا
كَانَ عَامَّةُ زَادِنَا التَّمَرِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَخَافُ مِنْ قُرَيْشٍ أَنْ تَرَانَا. فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُمْ لَنْ يَرَوْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ سَيُعِينُكُمْ عَلَيْهِمْ. فَأَوْقَدُوا النَّيْرَانَ،
وَاصْطَخِعَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْطَخِعَ. فَلَقَدْ أَوْقَدُوا أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِائَةِ نَارٍ. فَلَمَّا أَصْبَحْنَا
صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ غَفَرَ
اللَّهُ لِلرَّكْبِ أَجْمَعِينَ إِلَّا رُوَيْكِبًا وَاحِدًا عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ، التَّقَّتْ عَلَيْهِ رِجَالُ الْقَوْمِ
لَيْسَ مِنْهُمْ.

فَطُلِبَ فِي الْعَسْكَرِ وَهُوَ يُظَنَّ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا بِهِ نَاحِيَةً إِلَى دَرَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ مِنْ
أَهْلِ سَيْفِ الْبَحْرِ، فَقِيلَ لِسَعِيدٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ سَعِيدٌ: وَيَحْكُ! اذْهَبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَغْفِرُ لَكَ! قَالَ: بَعِيرِي وَاللَّهِ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي - وَإِذَا هُوَ قَدْ أَضَلَّ بَعِيرًا لَهُ يَتَّبِعُ الْعَسْكَرَ يَتَوَصَّلُ بِهِمْ وَيَطْلُبُ بَعِيرَهُ - وَإِنَّهُ لَفِي عَسْكَرِكُمْ، فَأَدُّوا إِلَيَّ بَعِيرِي. فَقَالَ سَعِيدٌ: تَحَوَّلَ عَنِّي لَا حَيَاكَ اللَّهُ! أَلَا لَا أَرَى قُرْبِي إِلَّا دَاهِيَةً وَمَا أَشْعُرُ بِهِ! فَانْطَلَقَ الْأَعْرَابِيُّ يَطْلُبُ بَعِيرَهُ بَعْدَ أَنْ اسْتَبْرَأَ الْعَسْكَرَ، فَبَيْنَا هُوَ فِي جِبَالِ سُرَاوَعٍ إِذْ زَلَقَتْ نَعْلُهُ فَتَرَدَّى فَمَاتَ، فَمَا عَلِمَ بِهِ حَتَّى أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ^١.

رواية الإمام الواقدي هذه جاءت بصيغة أشمل وأوضح مما جاء في حديثين صحيحين؛ الأول منهما رواه البزار، والأخر رواه الإمام مسلم:

وقال البزار حدثنا إسحاق بن بهلول الأنباري حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بعسفان قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن عيون المشركين الآن على ضجنان، فأیکم يعرف طريق ذات الحنظل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمسى: هل من رجل ينزل فيسعى بين يدي الركاب؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله، فنزل فجعلت الحجارة تنكبه والشجر يتعلق بثيابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اركب، ثم نزل آخر فجعلت الحجارة تنكبه والشجر يتعلق بثيابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اركب، ثم وقعنا على الطريق حتى سرنا في ثنية يقال لها ذات الحنظل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما مثل هذه الثنية إلا

كمثل الباب الذي دخل فيه بنو إسرائيل قيل لهم: {ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ}، فجعل الناس يجوزون، وكان آخر من جاز قتادة بن النعمان في آخر القوم قال: فجعل الناس يركب بعضهم بعضاً حتى تلاحقنا، قال: فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلنا".

وذكر الهيثمي الحديث ثم قال: "رواه البزار ورجاله ثقات".^١

وروى الإمام مسلم جزءاً من هذا الحديث، بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يصعد الثانية ثنية الممرار، فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل". قال: فكان أول من صعدها خيلنا خيل بني الخزرج، ثم تمام الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر"، فأتيناه فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم، قال: وكان رجل ينشد ضالة له".

وأخرجه عن يحيى بن حبيب الحارثي عن خالد بن الحارث عن قررة به وفيه: "وإذا هو أعرابي ينشد ضاله له".^٢

قلت: ويلاحظ هنا، في حديث مسلم، أنه سمى ثنية ذات الحنظل (ثنية الممرار)، وثنية الممرار هي التي بركت عندها القصواء ولم تتجاوزها، لأنها على حد من حدود الحرم، وقد حبسها حابس الفيل عن دخول الحرم كما جاء في الحديث،

^١ سورة البقرة، الآية ٥٨

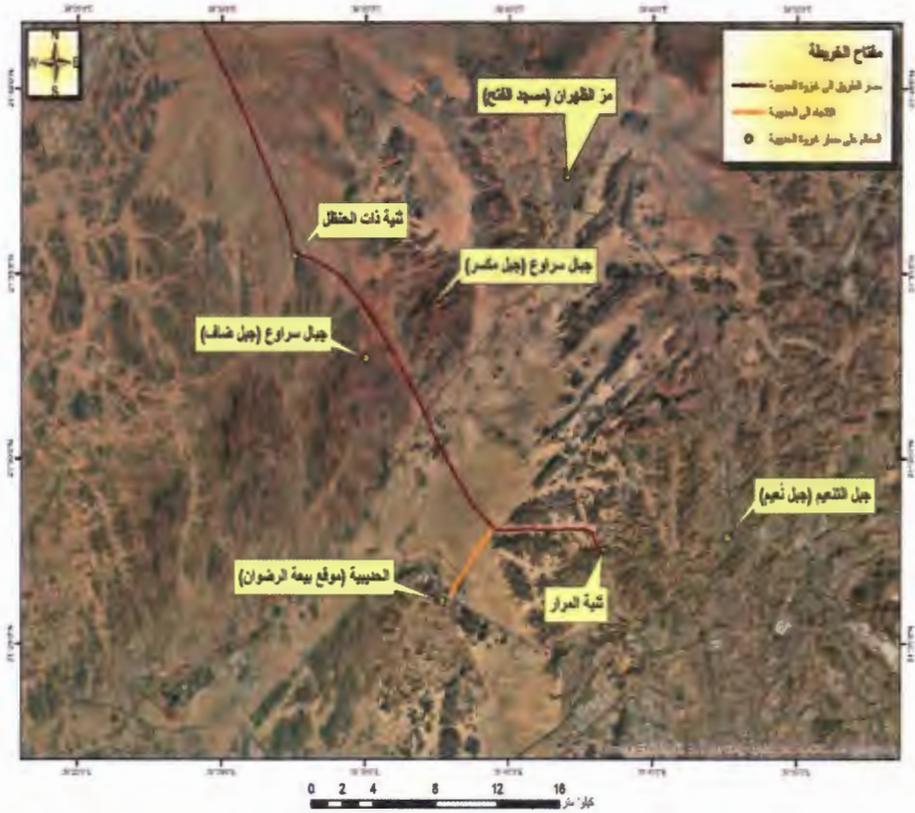
^٢ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٤٤/٦، مكتبة القدسي، القاهرة: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤

^٣ صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين

وسنأتي على ذكر ذلك بعد قليل، بينما هنا في هذه الثنية جازوها ونزلوا منها.

ولعل من أسباب الخلط بين الثنيتين أن اسماهما لهما معنى واحد؛ فالمرار

هو الحنظل^١.



الطريق إلى ثنية المرار والحديبية

رواية الواقدي

بعد أن نزل النبي ﷺ وصحابته الكرام من ثنية ذات الحنظل حطوا رحالهم،

^١ الحنظل: الشَّجَرُ المُرُّ، لسان العرب

وصلوا صلاة الفجر، واصطنعوا واصطبحوها، ونالوا قسطاً من الراحة، بعدها استأنفوا المسير، ووجهتهم ثنية تهبطهم على مكة المكرمة من أسفلها.

يقول الواقدي: "وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ الْحُدَيْبِيَّةِ وَقَعَتْ يَدُ رَاحِلَتِهِ عَلَى ثَنِيَّةٍ تُهْبِطُهُ عَلَى غَائِطِ الْقَوْمِ، فَبَرَكَتْ رَاحِلَتُهُ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: حَلْ! حَلْ! فَابْتَأْنُ أَنْ تَتَّبِعَتْ فَقَالُوا: خَلَّاتُ الْقُصُوءَاءُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهَا مَا خَلَّاتُ، وَلَا هُوَ لَهَا بِعَادَةٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ. أَمَا وَاللَّهِ لَا يَسْأَلُونَنِي الْيَوْمَ خُطَّةً فِي تَعْظِيمِ حُرْمَةِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتَهُمْ إِيَّاهَا.

ثُمَّ زَجَرْنَاهَا فَقَامَتْ، فَوَلَّى رَاجِعًا عَوْدَهُ عَلَى بَدْيِهِ حَتَّى نَزَلَ بِالنَّاسِ عَلَى ثَمَدٍ مِنْ ثِمَادِ الْحُدَيْبِيَّةِ ظَنُونَ قَلِيلِ الْمَاءِ، يُتَبَرَّضُ مَأْوُهُ تَبَرَّضًا، فَاشْتَكَى النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلَّةَ الْمَاءِ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَأَمَرَ بِهِ فَعُرِّزَ فِي الثَّمَدِ، فَجَاشَتْ لَهُمْ بِالرَّوَاءِ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ بِعَطْنٍ. قَالَ: وَإِنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ بِأَنْبِيَتِهِمْ جُلُوسًا عَلَى شَفِيرِ الْبَيْرِ".^١

رواية ابن إسحاق

هذه الثنية التي لم يصرح الواقدي باسمها هي ثنية من ثنايا الحرم، يهبط منها على أسفل مكة، على وادي بلدح (حيث معسكر قريش)، وقد صرح باسمها ابن إسحاق، فقال: "فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنية المزار بركت ناقته فقالت الناس: خَلَّاتُ النَّاقَةُ، قَالَ: مَا خَلَّاتُ وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ

حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنِ مَكَّةَ. لَا تَدْعُونِي قُرَيْشُ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ يَسْأَلُونَنِي فِيهَا صَلَاةَ الرَّحْمِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا. ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: انزِلُوا، قِيلَ لَهُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا بِالْوَادِي مَاءٌ نَنْزِلُ عَلَيْهِ، فَأَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَأَعْطَاهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَنَزَلَ بِهِ فِي قَلْبٍ مِنْ تِلْكَ الْقُلُوبِ. فَعَرَّزَهُ فِي جَوْفِهِ، فَجَاشَ بِالرَّوَاءِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ عَنْهُ بَعْطَنًا^١.

ونلاحظ هنا أن رواية الواقدي أوضح، وأكثر اتساقاً مع الحدث، فالنبي ﷺ لم يهبط من الثنية صوب الحرم، ولم ينزل عندها، والوصول إلى الحديبية يحتم عليه أن يعود أدراجه، ويأخذ طريقاً إليها من خارج الحرم، وهذا ما أشار إليه الواقدي.

ما جرى في الحديبية

سنعرض للأحداث التي جرت في الحديبية باختصار، ونكتفي بموجز للأحداث الرئيسية، وندع التفاصيل غير المؤثرة في أحداث الغزوة، فهي معروفة ومبسوطة في كتب الحديث والسيرة النبوية الشريفة.

الموقف الآن في الحديبية كالتالي: النبي ﷺ وصحابته الأبرار في أسفل وادي بلدح، وقريش في أعلى الوادي، وقد استولت على مصادر الماء فيه، ولكن الله تعالى أكرم نبيه بمعجزة انبساط الماء من تلك البئر الجافة، فأصبح المكان قابلاً للإقامة فيه، وبذلك قويَّ الموقف التفاوضي للمسلمين أمام المشركين.

^١ السيرة النبوية



المشركون يختبرون استعداد المسلمين

رأت قريش أن المسلمين نزلوا في تلك البقعة الجرداء الخالية من الماء، فأرسلوا مجموعة من الرجال يستطلعون لهم الأخبار، ويتهزون فرصة غفلة من المسلمين لينالوا منهم، ومن رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك: أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم فأخذهم سلماً فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيكُمْ عَنْهُمْ بِيْطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} ^١.

٤٣٣

وأخرجه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن حماد به نحوه، إلا أن عنده: "من جبال التنعيم عند صلاة الفجر" ^٢.

وأرسل النبي ﷺ خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخُرَاعِيَّ، إلى قريش يخبرهم بما جاء من أجله، فلم يستمعوا إليه وكادوا يقتلونه.

بعد هذه الحوادث، وأحداث أخرى مشابهة، استعمل المسلمون الحرب النفسية ضد قريش، بأن جعلوا أحد أهم حلفائهم يضغط عليهم ليقبلوا التفاوض مع المسلمين.

^١ سورة الفتح الآية: ٢٤.

^٢ صحيح مسلم، كتاب الجهاد.

^٣ سنن أبي داود، باب في المن على الأسير بغير فداء.

قال ابن إسحاق: "ثُمَّ بَعَثُوا إِلَيْهِ الْحُلَيْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ أَوْ ابْنَ زَبَّانَ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَ الْأَحَابِيثِ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ، فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ، فَلَمَّا رَأَى الْهَدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عُرْضِ الْوَادِي فِي فَلَانِدِهِ، وَقَدْ أَكَلَ أَوْبَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحَلِّهِ، رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِعْظَامًا لِمَا رَأَى، فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ. قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: اجْلِسْ، فَإِنَّمَا أَنْتَ أَعْرَابِيٌّ لَا عِلْمَ لَكَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: أَنَّ الْحُلَيْسَ غَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا عَلَيَّ هَذَا حَالْفُنَاكُمْ، وَلَا عَلَيَّ هَذَا عَاقِدُنَاكُمْ.

أَيُّدُّ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ مَنْ جَاءَ مُعْظَمًا لَهُ! وَالَّذِي نَفْسُ الْحُلَيْسِ بِيَدِهِ، لَتُخَلَّنَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ، أَوْ لَا نَفْرَنَ بِالْأَحَابِيثِ نَفْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ. قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: مَهْ، كُفَّ عَنَّا يَا حُلَيْسُ حَتَّى نَأْخُذَ لِنَفْسِنَا مَا تَرْضَى بِهِ".

بدأت قريش تنظر إلى الصلح بصورة جدية، وصارت الرسل تختلف بينهم وبين المسلمين.

فأرسل النبي ﷺ عثمان بن عفان - رضي الله عنه، وقال له: "أخبرهم أننا لم نأت لِقِتَالٍ، وَإِنَّمَا جِئْنَا عُمَارًا وَادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْتِيَ رِجَالًا بِمَكَّةَ مُؤْمِنِينَ وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتٍ فَيَدْخُلَ عَلَيْهِمْ وَيُبَشِّرَهُمْ بِالْفَتْحِ وَيُخْبِرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ



وَشَيْكَ أَنْ يُظْهِرَ دِينَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى لَا يُسْتَحْفَى فِيهَا بِالْإِيمَانِ تَثْبِيثًا يُثْبِتُهُمْ.

فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَمَرَّ عَلَى قُرَيْشٍ بِلَدْحٍ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ. أَيْنَ؟،
فَقَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْكُمْ لِأَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ -
وَالِىَ الْإِسْلَامِ، وَيُخْبِرُكُمْ أَنَّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالٍ وَإِنَّمَا جِئْنَا عُمَارًا، فَدَعَاهُمْ عُثْمَانُ كَمَا
أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا:

قَدْ سَمِعْنَا مَا تَقُولُ فَاذْهَبْ لِحَاجَتِكَ، وَقَامَ إِلَيْهِ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ،
فَرَحَّبَ بِهِ، وَأَسْرَجَ فَرَسَهُ، فَحَمَلَ عُثْمَانُ عَلَى الْفَرَسِ فَأَجَارَهُ وَرَدَّاهُ أَبَانُ، حَتَّى جَاءَ
مَكَّةَ^١

بيعة الرضوان

٤٣٥

تأخر عثمان في العودة إلى رسول الله ﷺ بجواب قريش، حتى سرت إشاعة
أن عثمان قد قُتل، هنا تغير موقف النبي ﷺ من ملاينة قريش وطلب السماح له
بالعمرة إلى إعلان الحرب عليها، وعقد مجلساً حريباً تحت شجرة (سمرة) دعا
إليه أصحابه للبيعة على النصر أو الموت.

يقول ابن إسحاق: " فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ: لَا نَبْرُحُ حَتَّى نُنَاجِرَ الْقَوْمَ، فَدَعَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ. فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ،
فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَوْتِ، وَكَانَ

^١ دلالات النبوة للبيهقي

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُبَايَعْنَا عَلَى الْمَوْتِ،
وَلَكِنْ بَايَعَنَا عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ^١.

فتبادر المسلمون إلى البيعة، حتى صار لا يُدرى على وجه اليقين من أول
من بايع^٢، وما ذلك إلا لسرعة وكثرة الأيدي الممدودة للمبايعة، ويدل على شدة
الزحام ما جاء عند الواقدي: "قَالَتْ أُمُّ عُمَارَةَ: وَالرَّسُلُ تَخْتَلِفُ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ، فَمَرَّ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فِي مَنْزِلِنَا.
قَالَتْ: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُ حَاجَةً فَإِذَا هُوَ قَدْ بَلَغَهُ أَنَّ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ
قُتِلَ، فَجَلَسَ فِي رِحَالِنَا ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِالْبَيْعَةِ. قَالَتْ: فَأَقْبَلَ النَّاسُ يُبَايِعُونَهُ
فِي رِحَالِنَا حَتَّى تَدَارَكَ النَّاسُ، فَمَا بَقِيَ لَنَا مَتَاعٌ إِلَّا وَطِئَ!"^٣

قريش تذعن للصالح

كان مشهد البيعة مفزعاً لمن شاهده من رسل قريش، الذين كانوا حضوراً،
ويرفضون طلب المسلمين بأن يسمحوا لهم بدخول مكة للعمرة، ولكن عندما
شاهدوا ما جرى، نكصوا على أعقابهم سراعاً إلى قومهم، ونصحوهم بالتفاوض
الجددي مع المسلمين، وبطريقة تحفظ لقريش ماء الوجه أمام العرب بصفتها حامية
للحرم، ولا يدخله أحد إلا بإذنها.

يقول البيهقي في دلائل النبوة: "ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

^١ السيرة النبوية

^٢ قيل هو أبو سنان بن وهب، وقيل سلمة بن الأكوع

^٣ المغازي



البيعة ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالبيعة فاخرجوا على اسم الله، فبايعوا فثاب المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة، فبايعوه على ألا يفروا أبداً، فرعبهم الله فأرسلوا من كانوا ارتهنوا من المسلمين، ودعوا إلى المoadعة والصلح".

وفد قريش للصلح

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: ثُمَّ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، أَخَا بَنِي عَامِرِ ابْنِ لُؤَيٍّ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا لَهُ: ائْتِ مُحَمَّدًا فَصَالِحْهُ، وَلَا يَكُنْ فِي صُلْحِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ عَنَّا عَامَهُ هَذَا، فَوَاللَّهِ لَا تُحَدِّثُ الْعَرَبُ عَنَّا أَنَّهُ دَخَلَهَا عَلَيْنَا عَنوةً أَبَدًا. فَأَتَاهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلًا، قَالَ: قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ. فَلَمَّا انْتَهَى سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَلَّمَ فَأَطَالَ الْكَلَامَ، وَتَرَجَعَا، ثُمَّ جَرَى بَيْنَهُمَا الصُّلْحُ^١.

شروط الصلح

ذكر ابن إسحاق شروط الصلح، فقال: "دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ

^١ يقصد قريشاً
^٢ السيرة النبوية

عَبَدَ اللهُ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، اضْطَلَّحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ وَيَكْفُ بِغُضُّهُنَّ عَنْ بَعْضٍ، عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيَّهِ رَدُّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً، وَأَنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ، وَأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ فَتَوَاتَبَتْ خُرَاعَةٌ فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ، وَتَوَاتَبَتْ بَنُو بَكْرٍ، فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ، وَأَنَّكَ تَرْجِعُ عِنَّا عَامَكَ هَذَا، فَلَا تَدْخُلُ عَلَيْنَا مَكَّةَ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَامٌ قَابِلٍ، خَرَجْنَا عَنْكَ فَدَخَلْتَهَا بِأَصْحَابِكَ، فَأَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا، مَعَكَ سِلَاحُ الرَّايِبِ، السُّيُوفُ فِي الْقُرْبِ، لَا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِهَا.

فَلَمَّا فَرَّغَ (رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ الْكِتَابِ أَشْهَدَ عَلَى الصُّلْحِ رِجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرِجَالًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَمَحْمُودُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَمِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَكَتَبَ، وَكَانَ هُوَ كَاتِبَ الصَّحِيفَةِ^١.

قبل النبي ﷺ شروط قريش، التي ظاهرها اجحاف بالمسلمين، برأ بقسمه عندما بركت ناقته عند ثنية المرار، فأقسم: "والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها". فالرسول ﷺ قبل شروطهم، لأن عدم قبولها يعني القتال في الحرم، وهو يريد تجنب هذا بكل الوسائل، ويعلم يقيناً أن

^١ المرجع السابق

الله ناصره، ولن يضيعه، وأن الزمن يعمل لصالحه، فالإسلام ينتشر في السلم
أضعاف انتشاره في الحرب.

النبي ﷺ يتحلل من إحرامه وينحر هديه

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الصُّلْحِ قَدِمَ إِلَى هَدْيِهِ فَنَحَرَهُ، ثُمَّ جَلَسَ فَحَلَقَ
رَأْسَهُ، وَكَانَ الَّذِي حَلَقَهُ، فِيمَا بَلَغَنِي، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ خِرَاشُ بِنِ أُمَيَّةَ بْنِ الْفَضْلِ
الْخُزَاعِيِّ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَحَرَ وَحَلَقَ تَوَائِبُوا
يَنْحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ".

بحلقه النبي ﷺ رأسه، يكون بذلك قد أكمل نسكه، واحتسبت عمرة تامة،
أداءً وأجرًا.

٤٣٩

جاء في صحيح البخاري: ^١ عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْبَرَهُ قَالَ: "
اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عُمَرٍ، كُلُّهُنَّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، إِلَّا الَّتِي
كَانَتْ مَعَ حَجَّتِهِ: عُمَرَةٌ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَعُمَرَةٌ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فِي ذِي
الْقَعْدَةِ، وَعُمَرَةٌ مِنَ الْجِعْرَانَةِ، حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَعُمَرَةٌ مَعَ
حَجَّتِهِ "

العودة من الحديبية

مكث النبي ﷺ في الحديبية قريباً من عشرين ليلة، وبعد انتهاء الغرض من

مقامه هناك، كرّ راجعاً إلى المدينة، وسلك طريقاً أوصله مباشرة إلى مر الظهران، ومنه استقام به الطريق على المحجة. قال الواقدي: "فَلَمَّا أَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ نَزَلَ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ ثُمَّ نَزَلَ عُسْفَانَ"^١.

معجزة تكثير الطعام

أورد معجزة تكثير الطعام في العودة من الحديبية، جمعٌ من أهل الحديث والسيرة النبوية الشريفة؛ ففي حديث ابن عباس أن ذلك حصل في مرّ، وعند الواقدي في عسفان^٢.

أخرج البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن ابن عباس قال: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مرّاً في صلح قريش - قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله لو انتحرننا من ظهورنا فأكلنا لحومها وشحومها وحسوننا من المرق، أصبحنا غداً إذا غدونا عليهم وبنّا جمام"، قال: "لا، ولكن إيتوني بما فضل من أزوادكم فبسطوا أنطاعاً، ثم صبوا عليها فضول ما فضل من أزوادهم فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة"، فأكلوا حتى تضلعوا شبعاً ثم لففوا فضول ما فضل من أزوادهم في جربهم".

والأظهر أن هذا حصل في عسفان، لأن مر الظهران قريب من الحديبية، فليس هناك وقت أو مسافة كافية ليحصل لهم هذا السغب. والله أعلم.

^١ المغازي

^٢ يعني مر الظهران

^٣ المغازي، ٥٨٣/٢



نزول سورة الفتح

لما كان اليوم الثاني من خروجهم من الحديبية، وأثناء مسيرهم بين مر الظهران وعسفان، لم يرع الناس إلا منادياً ينادي " أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْآنٌ"، فهرع الجميع إلى النبي ﷺ، ليستمعوا إلى ما أنزل، فإذا هو بشارة لهم، برضى الله تعالى عنهم، وبالفتح المبين، والوعد بالخيرات في قابل الأيام.

أخرج أبو داود وغيره من أصحاب السنن، والحاكم وقال هذا حديث كبير صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي " قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباغر، فقال بعض الناس لبعض: ما بال الناس؟ قالوا: أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجنا مع الناس نوجف، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفاً على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع عليه الناس قرأ عليهم: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا}، فقال رجل: يا رسول الله أفتح هو؟ قال: "نعم والذي نفسي بيده إنه لفتح".^١

عند الواقدي أن ذلك كان بضجنان؛ وكراع الغميم جزء من حرة ضجنان.

النبي ﷺ يستغفر لمن يرقى جبلاً

لما وصل الجيش النبوي إلى خليص، وهو المنزل التالي بعد عسفان بات فيه، ولأن هذا المنزل قريب من بني لحيان، وهي القبيلة المحاربة للمسلمين، وضعت جائزة لمن يرقى جبلاً مطلقاً على المعسكر لحراسته، بأن يستغفر له النبي

^١ المستدرک علی الصحیحین، ١٤٣/٢، دار الکتب العلمیة - بیروت ط ١، ١٤١١

ﷺ. يذكر سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه) عودتهم من الحديبية فيقول: "ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَزَلْنَا مَنزِلًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي لَحْيَانَ جَبَلٌ وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ فَاسْتَعْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لِمَنْ رَفَى هَذَا الْجَبَلَ اللَّيْلَةَ كَأَنَّهُ طَلِيعَةٌ لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَأَصْحَابِهِ - قَالَ سَلَمَةُ - فَفَرَّقْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا".^١

هذا الجبل يغلب على الظن أنه جمدان للأسباب التالية:

أولاً: أن بني لحيان أهل غران، هم اللذين غزاهم النبي ﷺ لفعلتهم القبيحة عندما قتلوا القراء وسلموا خبيباً لقريش، وجبل جمدان يشرف على وادي غران من الشمال الغربي.

ثانياً: مكان نزول الجيش أسفل الدف، في مكان منخفض من وادي أمج، وهذا يجعلهم مكشوفين للجهة الجنوبية حيث المشركون من لحيان، وقد يفاجئونهم بالهجوم ليلاً وهم نيام.

النزول في الإثاية

مرّ النبي ﷺ بالسقيا، ونزل ليلاً الإثاية، وصلى فيها في الهزيع الأخير من الليل.

يقول جابر بن عبد الله (رضي الله عنه): "عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالسُّقْيَا قَالَ مُعَاذٌ: مَنْ يَسْقِينَا فِي أُسْقِينَتِنَا؟ قَالَ: فَخَرَجَتْ مَعِي فَتَيَانٍ مَعِيَ حَتَّى آتَيْنَا الْإِثَايَةَ، فَاسْقَيْنَا

^١ صحيح مسلم، باب غزوة ذي قرد وغيرها

وَاسْتَقَيْنَا، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ عَتَمَةٍ مِنَ اللَّيْلِ إِذَا رَجُلٌ يُنَازِعُهُ بِعَيْرِهِ الْمَاءَ، قَالَ: فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَأَخَذْتُ رَاحِلَتَهُ فَأَنَحْتُهَا، قَالَ: فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى الْعِشَاءَ وَأَنَا عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً^١.

واصل النبي وصحابته الكرام سيرهم على الجادة العظمى (طريق الأنبياء) حتى دخلوا المدينة بعد مضي شهر ونصف على خروجهم، حسب ما جاء عند ابن عائد: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام في غزوته هذه شهراً ونصفاً"^٢.

معالم الغزوة

أوردت المصادر التي مرت معنا عشرين معلماً، هي على الترتيب من المدينة إلى الحديبية، والعودة منها:

- ١- ذو الحليفة ٢- البيداء ٣- ملل ٤- السيادة ٥- الروحاء ٦- غيقة ٧- الأبواء
- ٨- الجحفة ٩- عسفان ١٠- غدير الأشطاط ١١- كراع الغميم وضجنان ١٢ جبال سراوع ١٣- ثنية ذات الحنظل ١٤- مر الظهران ١٥- ١٦- ثنية المرار ١٧-
- الحديبية ١٨- جبال التنعيم ١٩- السقيا ٢٠- الإثاية.

أما المعالم من ذي الحليفة إلى الروحاء- فقد جرى التعريف بها عند الكلام في (غزوة بدر)، فلترجع هناك.

^١ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، للحافظ ابن حجر ٤٣٤/١٧، ط١، دار العاصمة للنشر والتوزيع - دار الغيث للنشر والتوزيع
^٢ عيون الأثر، غزوة الحديبية





23°40'42.9"N
38°56'S1.0"E

غيقة وادٍ من أودية تهامة، تنحدر أعاليه من سفوح جبل صبح (ثافل الأكبر) الشرقية، فتسيل مُشملةً، فيسمى هذا الجزء وادي النظيم (العرج)، ثم ينعطف مغرباً، فيسمى وادي الملف، فإذا التقى مع شعبة الخائع اليماني سُمي غيقة حتى يدفع في البحر، وترفده أودية كثيرة تأتيه من وجه ثافل الغربي، ومن جبل كراش وجبال ظبية والنصيلة، وترفده شعاب وأودية أهمها وادي المعرج.^١

قال ياقوت: " غيقة خبت في ساحل بحر الجار فيه أودية ولها شعبتان إحداهما ترجع فيها والأخرى في ليليل وهو بوادي الصفراء^٢، قال ابن السكيت: غيقة حساء على شاطئ البحر فوق العذبية".

قلت: هناك مواضع أخرى تسمى غيقة غير هذه، إحداها جبل في ديار غطفان في حرة خيبر شمال شرق المدينة، ما زال معروفاً.

^١ ينحدر من أحد رؤوس جبل صبح يسمى جبل المنصير.

^٢ تهامة الحرمين، عبد الخالق القريري ص ١٣٤

^٣ الشعبتان هما الجائع اليماني ويرجع في غيقة، والخائع الشمالي ويرجع في وادي الصفراء.





الأبواء



الأبواء، عند مسجد النبي
21°00'03.2"04
39°04'40.1"E

من أشهر المنازل على الجادة العظمى (طريق الأنبياء)، وهي بعد السقيا، وقبل الجحفة للمصعد إلى مكة.

تسمى الأبواء اليوم (الخُرَيْبَة)، وتقع بعد التقاء وادي الفرع مع وادي القاحة، اللذان يشكل التقاءهما وادي الأبواء. والأبواء كانت قديماً من منازل أسلم، وأرضها خصبة، وتتميز بوفرة المياه، لوقوعها في ملتقى واديين عظيمين، يحتلبان مياه أشمخ سلسلة جبلية بين مكة والمدينة هما قدس وآرة.

واشتهرت الأبواء في السيرة النبوية بأنها موقع أول غزوة غزاها الرسول صلى

الله عليه وسلم، وبوجود مسجد نبوي مازال معروفاً يسمى (مسجد القرين)

كما اشتهرت بوجود قبر السيدة آمنة بنت وهب، أم نبينا ﷺ، لكن لا يُعرف موضع قبرها على وجه التحقيق^١.

وصف الأبوء يا قوت بقوله: "الأبوء: بالفتح ثم السكون وواو وألف ممدودة، قال قوم: سمّي بذلك لما فيه من الوباء، ولو كان كذلك لقليل الأوباء، إلا أن يكون مقلوبا. وقال ثابت بن أبي ثابت اللغوي: سميت الأبوء لتبوء السيول بها وهذا أحسن. وقال غيره: الأبوء فعلاء، من الأبوّة، أو أفعال، كأنه جمع بوّ، وهو الجلد الذي يحشى ترأمة الناقة فتدرّ عليه إذا مات ولدها، أو جمع بوى، وهو السواء، إلا أن تسمية الأشياء بالمفرد ليكون مساويا لما سمّي به، أولى، ألا ترى أنا نحتال لعرفات وأذرعان، مع أن أكثر أسماء البلدان مؤنثة، ففعلاء أشبه به مع أنك لو جعلته جمعا لاحتجت إلى تقدير واحده.

وسئل كثير الشاعر: لم سميت الأبوء أبوء؟

فقال: لأنهم تبوؤوا بها منزلاً. والأبوء قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً^٢.

وقال عنها البلادي: "الأبوء على زنة جمع بوّ: ترددت في السيرة، وجاء ذكرها في غزوة ودان، وهي غزوة الأبوء.

^١ يوجد موضع على رأس تلعة يُدعى أنه قبرها، لكن لا يوجد دليل أو قرينة تدل على صحة ذلك.
^٢ معجم البلدان

وَالْأَبْوَاءُ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْحِجَازِ التَّهَامِيَّةِ، كَثِيرُ الْمِيَاهِ وَالزَّرْعِ، يَلْتَقِي فِيهِ وَادِيَا
الْفَرْعِ وَالْقَاحَةَ فَيَتَكَوَّنُ مِنَ التِّقَائِهِمَا وَادِي الْأَبْوَاءِ، كَتَكَوَّنَ وَادِي مَرِّ الظُّهْرَانِ مِنَ
التِّقَاءِ النَّخْلَتَيْنِ، وَيَنْحَدِرُ وَادِي الْأَبْوَاءِ إِلَى الْبَحْرِ جَاعِلًا أَنْقَاضَ وَدَّانَ عَلَى يَسَارِهِ،
وَتَمَّ طَرِيقٌ إِلَى هَرَشَى، وَيَمُرُّ بِبَلَدَةِ مَسْتُورَةَ ثُمَّ يُبْحِرُ.

الجحففة



الجحففة
22°42'15.9"N
39°08'51.2"E

أشهر المنازل على الجادة العظمى، حتى قيل " ليس بين
المدينة ومكة منزل يستقل بالعمارة والاهل جميع السنة الا

الجحففة"، وبينها وبين مكة المكرمة أربع مراحل^١، وتبعد عن ميناء رابع اليوم
حوالي خمسة عشر كيلاً شرقاً، وهي مهل الحاج لأهل الشام ومصر، ومن جاء
على طريقهما.

وغدير خم المشهور قريب منها، ويعتبر جزءاً منها، ولذلك دعا النبي ﷺ أن
تنقل حمى المدينة إلى الجحففة، وفي بعض ألقاظ الحديث إلى غدير خم.

وفي حوالي منتصف القرن الخامس الهجري، ونتيجة لاختلال الأمن على
الطريق الأعظم، وجفاف الجحففة^٢، تحولت الجادة عنها إلى رابع على سيف
البحر، فهجرت الجحففة، وصار الحجاج يحرمون من رابع.

ويوجد في الجحففة آثار بنيان قديم من عصور متقدمة، منها حصن من الفترة

^١ المسالك والممالك، للإصطخري، ص ٢٠، دار صادر - بيروت

^٢ هي: قديد، ثم عسفان، ثم مر الظهران، ثم مكة

^٣ بسبب تحول سيل وادي مرّ عنيب عنها إلى وادي رابع.

العباسية، يسميه العامة (قصر علياء).

وصف ياقوت الجحفة بقوله: "بالضم ثم السكون، والفاء: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمرّوا على المدينة، فإن مرّوا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة، وكان اسمها مهيعة، وإنما سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام، وهي الآن خراب، وبينها وبين ساحل الجار نحو ثلاث مراحل، وبينها وبين أقرب موضع من البحر ستة أميال، وبينها وبين المدينة ست مراحل، وبينها وبين غدير خمّ ميلان، وقال السكري: الجحفة على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة، والجحفة أول الغور إلى مكة"^١

ووصفها البلادي بقوله: "كَانَتْ الْجُحْفَةُ مَدِينَةً عَامِرَةً وَمَحَطَّةً مِنْ مَحَطَّاتِ الْحَاجِّ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ، ثُمَّ تَقَهَّقَرَتْ فِي زَمَنِ لَمْ نَسْتَطِعْ تَحْدِيدَهُ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَبْلَ الْقَرْنِ السَّادِسِ، وَتُوجَدُ الْيَوْمَ آثَارُهَا شَرْقَ مَدِينَةِ رَابِعٍ بِحَوَالِي (٢٢) كَيْلًا، إِذَا خَرَجْتَ مِنْ رَابِعٍ تَوُّمَ مَكَّةَ كَانَتْ إِلَى يَسَارِكَ حَوْزُ السَّهْلِ مِنَ الْجَبَلِ، وَقَدْ بَنَتْ الْحُكُومَةُ السُّعُودِيَّةُ مَسْجِدًا هُنَاكَ يَزُورُهُ بَعْضُ الْحُجَّاجِ"^٢.

عسفان

المرحلة الثانية للخارج من مكة، قال عنها الإدريسي "عسفان حصن بينه

^١ معجم البلدان

^٢ معجم المعالم الواردة في السيرة النبوية



وبين البحر نحو من عشرة أميال وبه آبار ماء عذبة ويسكنه قوم من جهينة^١.

وقوله " قوم من جهينة" لعله سبق قلم أو تصحيف، لأن صاحب المناسك، وهو عالم بالطريق، قال عنها " عسفان لبني المصطلق من خزاعة"، وهذا أقرب للصحة، لأن هذه الأجزاء من أودية تهامة منازل لقبائل من خزاعة، وديار جهينة بعيدة عنها.

وقال عنها البكري أنها كثيرة الآبار والحياض.

وعسفان نزلها النبي ﷺ مراراً، وحصلت فيها معجزة تكثير الطعام في عودة الجيش النبوي من غزوة الحديبية، ولها ذكر كثير في السيرة النبوية، وفي التاريخ الإسلامي المتعلق بالحرمين. واشتهرت عسفان بوجود بئر يسمى بئر التفلة، يُزعم أن النبي ﷺ تفل فيه. وأقدم من رأيت ذكر ذلك، هو شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ).

قال -رحمه الله: " بئر عسفان: ماؤها يستشفى به. قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها. قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما: كنا نغسل المريض منها، فيعافى. وقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم توضعاً منها^٢. والله أعلم بصحة ذلك.

وعسفان اليوم مدينة عامرة، فيها كل مقومات المدن الحديثة.

^١ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، للإدريسي، ١/١٤١، ط١، عالم الكتب - بيروت

^٢ المناسك وأماكن طرق الحج، ص ٤٦٣، تحقيق: حمد الجاسر

^٣ المستطرف في كل فن مستظرف، ١/٣٨٥، ط١، الناشر: عالم الكتب - بيروت



العبر التخطاط
21°52'36.89N
39°22'27.8E

الغَدِيرُ: بفتح أوله، وكسر ثانيه، وأصله من غادرت الشيء إذا تركته، وهو فعيل بمعنى مفعول كأن السيل غادره في موضعه فصار كل ماء غودر من ماء المطر في مستنقع صغيرا كان أو كبيرا غير أنه لا يبقى إلى القيظ سمي غديراً^١.

وغدير الأشطاط جاء ذكره في حديث الهجرة، حين لقي النبي ﷺ بريدة بن الحصيب عند الغميم^٢، وورد مرة أخرى في مسير النبي ﷺ إلى مكة في عام الفتح، بحسب ما جاء عند الواقدي: "وَجَاءَتْهُ أَسْلَمٌ وَهُوَ بَغْدِيرِ الْأَشْطَاطِ؛ جَاءَ بِهِمْ بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ أَسْلَمٌ وَهَذِهِ مَحَالِّهَا، وَقَدْ هَاجَرَ إِلَيْكَ مَنْ هَاجَرَ مِنْهَا وَيَقِي قَوْمٌ مِنْهُمْ فِي مَوَاشِيهِمْ وَمَعَاشِهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْتُمْ مُهَاجِرُونَ حَيْثُ كُنْتُمْ"^٣.

وغدير الأشطاط حدد مكانه بالضبط الهجري، فقال: "سألت أبا محمد إبراهيم بن عبد الله بن داود بن محمد بن جعفر ابن إبراهيم الجعفري. عن غدير الأشطاط، من حديث بريدة الأسلمي، حين قال له النبي - صلى الله عليه وسلم - أين تركت أهلك؟ قال: بغدير الأشطاط.

قال: هو بملتقى الطريقين، من عُسْفَانَ للخارج إلى مَكَّةَ على يمينك بمقدار

^١ معجم البلدان، ١٨٨/٤

^٢ رجحت أنه غميم ذهبان، بحسب ما ظهر لي من ادلة وقرائن

^٣ المغازي

ميلين (٤, ٣ كم)، ورُبما اجتمع فيه الماء، وليس ثَمَّ غديرٌ غيرُهُ ويذكرُهُ ابنُ ذي الرِّقياتِ في شعره كثيراً^١.

قلت: وقوله "بملتقى الطريقين"، الطريقان هما: الطريق الساحلي الذي سلكه أبو سفيان عندما ساحل بالعيير في غزوة بدر، فلصق بالبحر، حتى إذا حاذى عسفان سَنَدَ مع واديهما (وادي الغولاء) حتى لاقى الجادة العظمى فوق عسفان بمقدار ميلين، وهنا يكون غدير الأشطاط على يمين السالك على الجادة العظمى.

ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب (المناسك، وأماكن طرق الحج): "وبعسفان آبار كثيرة، وعلى ميل منها عين لولد جعفر بن سليمان، وبها بركة في آخر عسفان، وغدير الأشطاط على ميلين ونصف (٢٥, ٤ كم) من عسفان"^٢

٤٥١

قلت: غدير الأشطاط لا يعرف اليوم بهذا الاسم، لكن تحديد الهجري، وصاحب المناسك^٣ واضح، وبالوقوف على طبيعة الأرض التي يجري فيها وادي الصغو، وهو الوادي الذي لا شك أن الغدير فيه حسب التحديد السابق. والغدران عادة تكون في مكان منخفض عما حولها؛ وبالتجول والتأمل في المكان وما حوله، فقد ترجح عندي أنه في موضع منخفض عما حوله قد دفنته الرمال قرب مفيض وادي غرب^٤ في الصغو.

هذا الموضع تنطبق عليه الأوصاف والمسافات التي وردت في المصادر

^١ التعليقات والنوادر، ص ١٣١٦، بترتيب: حمد الجاسر

^٢ المناسك وأماكن طرق الحج، ص ٤٦٣، تحقيق: حمد الجاسر

^٣ الاختلاف بينهما في ضبط المسافة من عسفان إلى الغدير، لعله يعود إلى حساب المسافة من بداية عسفان من جهتها الشمالية في رواية صاحب المناسك، وحسابها من نهايتها الجنوبية عند الهجري.

^٤ غرب حرة ينحدر منها وإد يسمى باسمها.

لذلك الغدير التاريخي^١.



كراع الغميم وضئان
21°49'31.0"N
39°29'17.0"E

كراع الغميم

حدده البلادي بدقة، فقال الغَمِيم: بفتح الغين، وكسر الميم، ثم ياء مثناة من تحت، وميم: مكان كان يعرف بكراع الغَمِيم، وهو نعف منقاد من حرة ضجنان يغشاه الرمل، ولذا فقد سمي اليوم برقاء الغميم، والبرقاء والأبرق: مرتفع تختلط فيه الحجارة بالرمل.

تبعد برقاء الغميم أو كراع الغميم ٦٤ كيلاً من مكة على طريق المدينة، يراها من يسير على هذا الطريق يمينه. وتبعد عن عسفان ١٦ كيلاً، في طريق مكة^٢.

قلت: لكن رغم كل هذا الوضوح في تعيين هذا المعلم، نجد أن بعض أقدم المصادر مثل البكري في كتابه معجم ما استعجم وَهَم في تحديد الموقع، والظاهر أنه هو مصدر الوهم الذي نقله بعض من جاء بعده^٣.



جبال سراوع، جبل صاف
21°32'09.0"N
39°34'23.0"E

جبال سراوع

سراوع جمع سروعة، والسَّرْوَعَة كما في القاموس: "النَّبْكَةُ العظيمةُ من الرَّمْلِ، وَيُجْمَعُ سَرَوَعَاتُ وَسَرَاوِعُ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ أَنَّهُ

^١ يقول بعض كبار السن من أهل عسفان أنهم يسمون هذا المكان من الوادي (الغدير)

^٢ معالم مكة التاريخية والأثرية ج ١ ص ٢٠٥ - دار مكة للنشر

^٣ قال البكري إن الغميم بين رابع وعسفان

قَالَ لَمَّا لَقِيَهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: هَلُمَّ هَاهُنَا، فَأَخَذَ بِهِمْ بَيْنَ سَرْوَعَتَيْنِ وَمَالَ بِهِمْ عَن سَنَنِ
الطَّرِيقِ نَقَلَهُ الْهَرَوِيُّ، وَفَسَّرَهُ الْأَزْهَرِيُّ (بقوله): وَسَرْوَعَةٌ: جَبَلٌ بِتِهَامَةَ، نَقَلَهُمَا
الصَّاعَانِيُّ^١.

ويقول البلادي "سراوع: كأنه جمع سروعة، وهي عين بمر الظهران شمال
الحُدَيْبِيَّةِ عَلَى سَفْحِ جَبَلِ ضَافٍ مِنَ الشَّرْقِ، اِنْدَثَرَتْ فِيهَا اِنْدَثَرَ مِنْ عَيُونِ مَر
الظهران في السبعينات من هذا القرن، وذكر ياقوت أنها كانت عيناً بأسفل مر
الظهران لبني الدئل بن بكر من كنانة، وكان جبل ضاف المشرف عليها ينسب إليها
فيقال جبل سَرْوَعَة، وهي على الضفة اليمنى للوادي.

قال قيس بن ذريح الكناني:

عفا سرف من أهله فسراوعُ ... فوادي قُديد فالتلاع الدوافعُ

فغَيْقَةَ فالأخْيَافُ أخْيَافٌ ظَبِيَّةٌ^٢ ... بها من لبينى مخرف ومرابع

قلت: قوله -رحمه الله" وكان جبل ضاف المشرف عليها ينسب إليها فيقال
جبل سَرْوَعَة" لعل العكس أقرب للصواب، أي أن العين منسوبة للجبل؛ لأن
سروعة (جبل بتهامة)، فسروعة اسم أو صفة لجبل ضاف،

قال ياقوت: "وقال الأصمعي: سروعة جبل بعينه بتهامة لبني الدئل بن بكر،
وخبرني من أثق به من أهل الحجاز أن سروعة، يسكون الرء، قرية بمر الظهران فيها

^١ تاج العروس للزبيدي، مادة: السين، ٢٠٧/١١، ط١، دار الفكر - بيروت.

^٢ جبل في أسفل غيبة سبق ذكره.

نخل وعين جارية"^١.

وقال في موضع آخر: "قال الأصمعي ولم يعين: لبني الدّئل من كنانة بتهامة جبل يقال له صاف، ورواه بعضهم بالضاد المعجمة، والذي وجدته في كتاب الأصمعي بالصاد مخففا"^٢.

تستتج مما سبق أن سروعة وضاف تطلقان على جبل واحد، لكن لماذا سُمي ضاف (سروعة)؟

أرى أن ذلك بسبب مظهره، وشكله المقرب، فالناظر إليه من بعيد، وخاصة من الجهة الشمالية، فسيراه كالنبكة العظيمة، لكنه من حجارة، ويشارك معه في هذا التكوين ثلاثة أجبل، على نسق واحد، هي: جبل مُكسّر وسِدْر عن شماله، وجبل الضيمران عن يمينه، فهذه هي جبال سراوع.

^١ معجم البلدان، رسم: سروعة
^٢ المرجع السابق، والضحيج "ضاف" كما هو اسمه اليوم.



ذات الحنظل

ثنية ذات الحنظل

هذا المعلم هو أكثر معالم الغزوة غموضاً، ربما بسبب شهرة أختها الأخرى (ثنية المرار)، وتشابهها معها في معنى الاسم، بالإضافة إلى وجود ثنية أخرى من ثنايا الحرم تحمل اسمها، وعوامل أخرى، فقد أثر كل ذلك في الاعتناء بتحديد هذه الثنية المهمة، التي قال عنها النبي ﷺ "لَا يَجُوزُ هَذِهِ الثَّنِيَّةَ أَحَدٌ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ".

ولتحديد موقع هذه الثنية يجب أخذ العوامل التالية في الحسبان:

أولاً: هذه الثنية لا تُهبط على الحديدية، فقد جازها النبي ﷺ وجازها أصحابه، ولم تبرك ناقته عندها، بل نزل منها وحط رحاله، وصلى الصبح بأصحابه، لذلك فقد وهم من ظنّها ثنية المرار.

ثانياً: هذه الثنية ليست من ثنايا الحرم، لأن النبي ﷺ حينما علا ثنية المزارع ليدخل الحرم بركت القصواء، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: حَلْ! حَلْ! فَأَبَتْ أَنْ تَنْبَعِثَ فَقَالُوا: خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهَا مَا خَلَّاتِ، وَلَا هُوَ لَهَا بِعَادَةٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ.

فالنبي ﷺ لم يدخل الحرم، فقد رجع (عوده على بدئه).

أما الثنية المعروفة اليوم باسم ثنية ذات الحنظل، فهي من ثنايا الحرم الشمالية، ومن جازها دخل الحرم، لذلك فهي ليست المقصودة في هذه الغزوة.

ثالثاً: هذه الثنية غرب الجادة العظمية، ومن جازها سيشاهده من كان على رؤوس جبال وادي مكة (بلدح) الشمالية، لأن عيون قريش عليها، وقد خشي المسلمون حينما نزلوا من الثنية أن يروههم.

رابعاً: الثنية بين جبلين من جبال سراوع، يدل على ذلك ما ورد في الحديث أن "خيل قُرَيْشٍ بِالْغَمِيمِ عَلَيْهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتِيَامِنُوا عَنِ الْغَمِيمِ. وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ لَمَّا لَقِيَهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: هَلُمَّ هَاهُنَا فَأَخَذَ بِهِمْ بَيْنَ سَرُوعَتَيْنِ وَمَالَ عَنِ سَنَنِ الْقَوْمِ".^١

قلت: (بين سروعتين)، أي: بين جبلين من جبال سراوع.

هذان الجبلان لا بد أن يكونا جبلي مَكْسَّرٍ وِضَافٍ، لأن السير في اتجاه هذين الجبلين هو الذي يحقق التيامن عن الجادة العظمية، والنفوذ من بينهما عبر ما يعرف

^١ الفائق في غريب الحديث والأثر، ٣٤٦/١، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ط٢، دار المعرفة - لبنان



اليوم ب(فج الكريمي) يوصلهم مباشرة إلى ثنية المرار، التي تهبطهم على غائط القوم (كما عبر الواقدي).

خامساً: الجيش النبوي بدأ المسير من أمام كراع الغميم في العشي؛ قبل المغرب، متيامناً عن الجادة العظمى حيث خالد وفرسانه، وفي مسيره عانى كثيراً من الصعاب، بسبب كثرة الشعاب والأودية، وعدم وضوح الطريق، الذي حجبتة الأشجار الكثيفة، فلم يصلوا الثنية إلا فجراً، بعد مسيرة اثنتي عشرة ساعة تقريباً، لذلك فالمتوقع أن تكون المسافة المقطوعة، بعد احتساب الوقوف للراحة والصلاة والبحث عن الطريق، بين ٣٠-٣٥ كم.

سادساً: استمر الجيش النبوي في مسراه، وأمامهم دليلهم الماهر عمرو بن عبد نهم الأسلمي -رضي الله عنه، حتى صاروا على مرأى من الثنية، وشاهدها رسول الله ﷺ فعرفها. وبسبب ما لاقاه الصحابة من المصاعب للوصول إليها، بشرهم بشارة عظيمة أسعدتهم، ومسحت عنهم كل آثار التعب، فقال: " لا يَجُوزُ هَذِهِ الثَّنِيَّةَ أَحَدٌ إِلَّا عَفَرَ اللَّهُ لَهُ "، فسرت فيهم الحيوية والنشاط، وصاروا يتسابقون لاجتيازها.



ثنية ذات الحنظل
21°35'29.6"N
39°32'32.4"E

موقع ثنية ذات الحنظل

بعد أن سار الجيش ٣٥ كم تقريباً، مجتازاً الأودية والشعاب الرافدة لوادي الصغو، فلما صار بين وادي المتعة (بفتح الميم وسكون التاء)،

^١ الغزوة كانت في مارس، وتوقيت مكة في ذلك الوقت (تقريباً): العصر: ٣,٥٠ ، المغرب: ٦,٣٠ ، العشاء: ٨ ، الفجر: ٥.

ووادي أسيل بدت لهم ثنية في كراع من جبل ضاف، يدعى (المقود)، هذه الثنية، هي: ثنية ذات الحنظل، لانطباق كامل الأوصاف التي ذكرناها عليها، وتسمى اليوم (ثنية خشم المقود)، ويقال لها أيضاً (الثنية الخضراء).

تقع هذه الثنية في الجانب الأيمن لفج الكريمي، الفاصل بين جبلي ضاف ومكسر.

وثنية خشم المقود مقسم للماء، فما سار شمالاً فالى وادي الصغو، وما سال جنوباً فالى وادي مرّ الظهران (وادي فاطمة).

وقد كانت هذه الثنية ممراً للخارج من أسفل مكة، ووادي فاطمة للمتجه إلى عسفان وإلى جدة من طريق يسمى طريق (الفحّامين)، وقد أخذها الطريق السريع الجديد بين مكة وجدة (طريق بريمان)^١.



ثنية المرار
21°27'30.37"N
39°43'16.17"E

ثنية المرار :

هذه الثنية أحسن حظاً من سابقتها، فقد تكرر ذكرها في المصادر، وحُدد موقعها بشكل صحيح، وما زالت معروفة باسمها، وإن كان دخل عليه تحريف طفيف؛ فقد صُغّر اسمها، فأصبحت تعرف اليوم بثنية المرير، وتقع بين جبلي أم الشبرم من الغرب، وجبل أم المرخ من الشرق، وهما جزء من السلسلة الجبلية المطلة على وادي بلدح (وادي مكة)، المسمى اليوم (أبو

^١ وجاء في مذكرات الشريف عبد الله بن الحسين ما يشير إلى أنه سلك هذه الثنية في رجوعه من جدة إلى مكة المكرمة.

^٢ أعلام وحدود الحرم المكي الشريف، ص ٣٤٦، د. خضران بن خضر الثبيتي، و د. سعود بن مسعود الثبيتي، الناشر: مركز تاريخ مكة المكرمة

الجود) من جانبه الشمالي.

وقد أشارت إلى هذه الثنية اللجنة المكلفة بتحديد حدود الحرم المكي

المؤلفة عام ١٣٨٥هـ.

يقول عضو اللجنة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام: "المُرَيْر: ومن ثنية

الرَّحَا يتجه الحرم غرباً بسلسلة جبال حتى يصل إلى ثنية المُرَيْر - تصغير مُرّ -

وعلى قمم هذه السلسلة أعلام كثيرة تزيد عن العشرين مُندثرةً وباقي مؤنتها من

الحجارة والنورة عندها. وما سال من هذه الجبال شمالاً فهو في الحل وما سال

منها جنوباً فهو في الحرم.

ثم بعد ثنية المرير تستمر سلسلة جبال متجهة إلى الغرب تطل على وادي

الجوف، ووجدنا في قَمَمِهَا أعلاماً كثيرة بين كل علم عن الآخر نحو خمسين متراً

وهي مهدمة وآخر علم منها يبعد عن ثنية المرير بنحو كيل ونصف كيل.

قال ابن إسحاق في السيرة: وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المُرار

بركت ناقته فقال الناس: خَلَّاتُ ناقته فقال: «ما خلَّات وما هو لها بخُلِّقٍ ولكن

حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خُطَّةٍ يسألونني فيها صلة

الرحم إلا أعطيتهم إياها» قال ياقوت: وثنية المُرار مهبط الحديدية^١.

وحددها صاحب كتاب (الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به)،

فقال: "وريع (ثنية) المرير ريع مشهور معروف عند أهل المنطقة وغيرهم.

^١ مجلة العرب، ج ١، ٢، ٢٢ س - رجب - شعبان ١٤٠٧هـ

هذا الريع يفصل بين جبل المرير من الشرق، وبين جبل أم الشبرم من الغرب، وبعض أهل البادية يطلق على جبل المرير (جبل أم المرخ)، باسم النبات المعروف هناك.

ويسيل ريع المرير شمالاً على وادي الجوف، وسيله هذا حل، كما يسيل جنوباً على فج المرير، وسيله هذا حرم^١.

كما حددت كتب تاريخ مكة المكرمة هذه الشئبة.

جاء في أخبار مكة للفاكهي، ومثله عند الأزرقى: "وَبَعْضُ الْأَعْشَاشِ فِي الْحِلِّ وَبَعْضُهَا فِي الْحَرَمِ، وَهِيَ بُحَيْرَةُ الْبَهِيمَا، وَبُحَيْرَةُ الْأَصْفَرِ، وَالرَّغْبَاءُ مَا أَقْبَلَ عَلَى بَطْنٍ مَرٍّ مِنْهُنَّ فَهُوَ حِلٌّ، وَمَا أَقْبَلَ عَلَى الْمُرَيْرَا مِنْهُنَّ فَهُوَ حَرَمٌ".

والأعشاش، هي: "تلك الأرض التي تكتنفها الرمال، ويخترقها طريق جدة القديم، من نهاية جبال الناصرية وما حاذاه من الجنوب حتى الحديدية (الشميسية)"^٢.

^١ الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به، ص ٣١٢، د. عبد الملك ابن دهيش

^٢ المرجع السابق، ص ٣٣١



الحديبية

الحديبية (بتخفيف الياء وتثقيلها)، كلاهما جائز، قال النووي: "وهما وجهان مشهوران"^١.

وسميت الحديبية نسبة إلى بئر فيها، أو إلى شجرة حدباء من أشجارها. وصفها ياقوت، فقال: "وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تحتها، وقال الخطابي في أماليه:

سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع، وبين الحديبية ومكة

^١ تهذيب الأسماء واللغات

مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وفي الحديث: انها بئر، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم، وهو أبعد الحل من البيت^١

قلت: الحديبية: أرض واسعة تقع في الشمال الغربي من مكة المكرمة، على حدود حرمها، وتعتبر أبعد حدود الحرم عن الكعبة المشرفة، بعضها في الحرم وبعضها في الحل، وتقع في أسفل وادي بلدح (أم الجود)، عند التقائه بوادي فاطمة، وتبعد على السمات عن الكعبة المشرفة ٢١ كم، ويمر بها الطريق التاريخي بين مكة المكرمة وجدة.

يحدّها من الشمال مجرى وادي فاطمة (وادي مر الظهران)، ومن الجنوب جبال أظلم، ومن الشرق جبال الناصرية، ومن الغرب جبال أبو عظام.

والحديبية اليوم تعتبر ضاحية من ضواحي مكة المكرمة، كاد بنيان مكة أن يتصل بها، وقد انتقل إليها أناس كثير وعمروها، خاصة بعد أن ارتفعت أثمان العقار داخل حرم مكة المكرمة في الآونة الأخيرة.

مسجد وبئر الحديبية



بنو الحديبية
21°28'19.17N
39°37'41.6E

تعرف الحديبية اليوم باسم (الشميسي)، نسبة إلى رجل احتفر بئراً فيها فسمي المكان باسمه.

^١ معجم البلدان، رسم: الحديبية





وأهم الآثار الموجودة فيها، مسجد وبئر الحديبية، في الموقع الذي كان ينزله النبي ﷺ أثناء مقامه في الحديبية. وهذان الأثران مازالا معروفين؛ المسجد كان قائماً إلى عقد التسعينات الهجرية، ثم هدم لإقامة مسجد حديث مكانه، ولما بُدئ في إنشائه صدرت أوامر بإيقاف العمل فيه، أما البئر فهي موجودة، وفي حالة جيدة، وتقع داخل حيز من الأملاك الخاصة.

وقد وصف اللواء إبراهيم رفعت باشا^١ المسجد والبئر في حجته عام ١٣٢٠ هـ، فقال: "بالشمسي مسجد يسمى: مسجد الشمسي، أو مسجد البيعة، وهو على اليسار، مربع الشكل، طول ضلعه (١٥) متراً، ومبني بالحجر الأزرق بناءً متيناً

^١ إبراهيم رفعت باشا (١٢٧٣ - ١٣٥٣ هـ = ١٨٥٧ - ١٩٣٥ م) إبراهيم رفعت باشا بن سويدي بن عبد الجواد بن مصطفى المليجي: مؤرخ مصري، من أمراء الحج العسكريين. ولد في أسبوط بعد وفاة والده بثلاثة أشهر، ونشأ يتيمًا، فعنيت به أمه، وتخرج بالمدرسة الحربية بالقاهرة. = وحضر بعض المواقع الحربية في السودان، واشترك في الأعمال الوطنية بمصر. وولي إمارة الحج ثلاث مرات (سنة ١٣٢٠ و ٢١ و ٢٥ هـ وتلمذ في أوقات فراغه لبعض علماء الأزهر. ومنح رتبة (اللواء) العسكرية. وصنف كتاب (مرآة الحرمين - ط) مجلدان، يدل على اطلاع واسع. وتوفي بالقاهرة. (الأعلام للزركلي).

ومخصص، وبه ثلاثة أروقة "بواكي"، وقبلته مكتوب فيها: "هذا مسجد بيعة
الرضوان، مأثرة من مآثر حبيب المنان، عمّره المليك إلى رحمة الرحمن المغفور
له: السلطان محمود خان سنة ١٢٥٤هـ، وبالشميسي بئر عمقها عشرة أمتار
بالتقريب مبنية بالحجر، وماؤها مقبول"^١.

وفي يوم الخميس ٢٣ شوال عام ١٤٢٣هـ وقف على هذا المسجد والبئر
مجموعة من علماء مكة المكرمة، على رأسهم فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد
الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان^٢، ووصف المكان بقوله: "ثم وصلنا إلى
الشميسي (الحديبية)، ووقفنا على المكان الذي تمت فيه بيعة الرضوان وكان فيه
سابقاً مسجد قديم، فأمرت وزارة الأوقاف عام ١٣٩٩هـ بإنشاء مسجد جديد على
موقعه، وبعد إقامته، جاءت الأوامر بإزالته فوراً، ووجدنا بالقرب من الموقع -إلى
الجنوب- بئراً قديمة مازالت المياه تشاهد في قاعها البعيد، والتي ربما يصل عمقها
إلى حوالي ٣٠ متراً.

وإحداثيات موقع بيعة الرضوان، هي: ٤٠ ٣٩٣٧ ٠٩ ٢٦ ٢١ شمالاً^٣



جبال التنعيم جبل نعيم
21°27'53.0"N
39°42'37.0"E

جبال التنعيم

التنعيم معروف بأنه الموضع الذي يحرم منه أهل مكة

^١ امرأة الحرمين ٢٨/١

^٢ عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان: فقيه ومؤرخ سعودي معاصر، ولد في مكة المكرمة عام ١٣٥٦ للهجرة.
تتلمذ على يد علماء الحرم المكي الشريف، حصل على الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٧٠، عين عضواً في
هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، له مؤلفات كثيرة فقهية وتاريخية.

^٣ الأماكن الماثورة المتواترة في مكة المكرمة، ص ٢٦٢، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

للعمرة، وهو أقرب الحل إلى الكعبة المشرفة، ويقع شمال مكة المكرمة، على الجادة، على بعد خمسة كم من المسجد الحرام، وبه مسجد يسمى مسجد عائشة، رضي الله عنها، ذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر عبد الرحمن بن أبي بكر بعد النزول من حجة الوداع بأن يعمر أخته عائشة من ذلك الموضع، لأنها عندما قدمت مكة حاجة كانت حائضًا، فأعمرها بعد الحج.

سبب التسمية: وإنما سمى التَّعِيم، لأنَّ الجبل الذي عن يمينه يقال له نعيم، والذي عن يساره يقال له ناعم، والوادي: نعمان^١.

وما زال جبل نعيم معروفًا باسمه، وعليه بعض أنصاب الحرم الشمالية، وهو بداية السلسلة الجبلية التي تحد وادي بلدح من الشمال، وتمتد إلى الأعشاش؛ الجزء الشرقي للحديبية^٢.

وتوجد في هذه السلسلة ثلاثة مخارج من مكة، أقربها للحديبية هي ثنية المرار.

وأرى أن تفسير ما جاء في الحديث " أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مِنْ جِبَالِ التَّنْعِيمِ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ لِيَقْتُلُوهُمْ "، هو أن خطة هؤلاء المهاجمين، كانت أن يهبطوا من ثنية المرار، والالتفاف على المسلمين من وراء الجبال، لتكون هذه ساترة لهم، فيتحقق لهم عنصر المباغته، وهي ذات الطريق التي عاد منها النبي ﷺ إلى الحديبية. لكن الله

^١ البكري، ياقوت

^٢ الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به، الحد الشمالي (مرجع سابق)

تعالى رد كيدهم إلى نحورهم، فلم يتمكنوا من اتمام هدفهم، ليقظة حراس جيش المسلمين، واستعدادهم لمثل هذه المفاجآت.



مسجد السقيا

السقيا



السقيا
25°29'33.0"N
39°17'43.0"E

السقيا منزل شهير على الجادة العظمي بين الحرمين.

والسقيا، ويقال لها سقيا غفارا، لوقوعها في منازل هذه

القبيلة، قال عنها السمهودي: "السقيا: بالحجاز، قرية جامعة في طريق مكة من المدينة، ومن العرج إلى السقيا ستة وثلاثون ميلاً، وهي منزل عظيم فيه أهل كثير وبساتين كثيرة وفيه شجر ونخيل، ومن السقيا إلى الأبواء سبعة وعشرون ميلاً"^١.

ونقل السمهودي عن الأسدي: "السقيا: وبالسقيا مسجد لرسول الله صلى

^١ البلدان لليعقوبي

^٢ وفاء الوفا، رسم: السقيا

قلت: ويطلق على السقيا اليوم اسم (أم البرك)، وتقع في بسيط من الأرض بين جبال صغار، على مقربة من التقاء وادي تعهن مع وادي القاحة، وهي المنزل الرابع من المدينة لمن أراد مكة، وتبعد عن المدينة المنورة ١٨٠ كم،

قال عنها البلادي: "أم البرك: جمع بركة: بلدة كانت تعرف بالسقيا، ظلت محطة للقوافل بين مكة والمدينة، ثم سميت أم البرك لما أنشئ فيها من السقايات، ثم مرت بها السيارات في أول عهدنا، وبعد أن تحول الطريق إلى الساحل تأخرت البلدة، فظهرت لي سنة ١٣٩٣هـ كثيرة الخراب قليلة النزل، فيها مدرسة ابتدائية ومبرقات.."^١

قلت: مررت بها عام ١٤٤٢هـ ومازالت على الحال الذي وصفه البلادي - رحمه الله - وقد غارت كل عيونها، وأصبحت بلاقع، ولم يبق بالمنزل سوى غرف صغيرة مهدمة، يبدو أنه موضع السوق قبل أن يتحول عنها الطريق، ومبنى حديث لمجمع مدارس ابتدائية ومتوسطة.



^١ معجم معالم الحجاز، ١/٢٠٩، ط١، دار مكة



الإثاية



الإثاية
23°49'06.7"N
39°08'31.9"E

الإثاية وادٍ من أودية العرج، الذي يسمى اليوم التنظيم^١، وفي وادي الإثاية بئر جاهلية شهيرة تسمى الرديهة، وآبار أخرى قديمة.

وأعلى الإثاية يسمى ثنية الإثاية^٢، أو شرف الإثاية، واسمه اليوم (الشفية)^٣، وأسفل الشفية عقبة، سُهلّت حديثاً لمرور السيارات، كانت تدعى قديماً (مدارج العرج)، ولها شهرة لأنها بداية الغور، ونهاية المجلس، وهي بين الروثة والعرج^٤؛

وبالإثاية مسجد للنبي ﷺ، قال عنه السمهودي: "مسجد الإثاية" بالمثلثة

^١ عبد الحافظ بن أحمد القريري، تهامة الحرمين، ص ١٣٠،

^٢ في حديث رواه البزار والطبراني

^٣ ويطلق عليه أحياناً شفية المحاميد، نسبة إلى قبيلة من حرب تسكن المنطقة، وتميزاً لها عن شفية النقيع.

^٤ البكري، مرجع سابق، ١/١٠٦

والمثناة تحت كالنواية على الأرجح. ولا بن زباله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى عند بئر الإثائية ركعتين في إزار ملتفحاً به، وذكره الأسدي وقال إنه قبل العرج بميلين بعد أول عقبة العرج المسماة بالمدارج - وهي منتهى الحجاز - بميل قبل أن تنزل من الوادي وعنده بئر تعرف بالإثائية^١.

قلت: تعاورت السيول مكان هذا المسجد فلا يعرف اليوم.

وتبعد الإثائية عن المدينة المنورة حوالي ١٢٠ كم.

وصف طريق الغزوة من المدينة إلى الحديبية

عندما عزم النبي ﷺ على العمرة، بعد الرؤية التي رآها، قصها على أصحابه واستنفرهم لأدائها، فاستجاب القادرون من هم على السفر وأداء العمرة، وهم لا يشكّون أنهم سيعتمرون، وساق الهدي المستطيع له، وخرج الجميع من نقب بني دينار، فهبطوا العقيق، ثم نزلوا ذا الحليفة للإحرام، والإهلال بالعمرة.

بعد إنهاء الترتيبات الخاصة بأمن الطريق، تحرك الركب النبوي من ذي الحليفة فصعد البيداء مغرباً، أخذوا الجادة العظمى (طريق الأنبياء)، مروراً بذات الجيش، وتربان، وملل، وغميس الحمام، والسيالة، ثم الروحاء^٢.

^١ خلاصة الوفا، ٤٧٨/٢، دراسة وتحقيق: د/ محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكني.

^٢ في الحقيقية هو ليس جيشاً لأنهم لا يريدون قتالاً، بل أداء العمرة فقط، لذلك فاطلاق مسمى ركب أنسب من مسمى جيش.

^٣ كل هذه المواضع سبق وصفها عند الكلام عن غزوة بدر.



من الروحاء إلى العرج

نزل الـركب النبوي الروحاء صباحاً، ثم غادرها فوصل المنصرف (المسيجد)^١، ومنه تنصرف الجادة العظمى فتأخذ ذات اليسار، جنوباً عدلاً، آخذة في أقصى الجانب الأيسر لسهل النازية.

وبالمنصرف مسجد نبوي، كان معروف المكان إلى عهد متأخر، وجاء وصف موضعه بدقة، في حديث للبخاري عن ابن عمر -رضي الله عنه: "أن ابن عمر كان يصلي إلى العرق الذي عند منتصف الروحاء وذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد الذي بينه وبين المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة وقد ابْتَنَيْتُمْ مسجد فلم يكن عبد الله يصلي في ذلك المسجد كان يتركه عن يساره ووراءه ويصلي أمامه إلى العرق نفسه. وكان عبد الله يروح من الروحاء فلا يصلي الظهر حتى يأتي ذلك المكان فيصلي فيه الظهر وإذا أقبل من مكة فإن مر به قبل الصبح بساعة أو من آخر السحر عرس حتى يصلي بها الصبح"^٢

سار الـركب النبوي مع الجادة، حتى وصل إلى المحطة القادمة، وهي الرويثة^٣، وهي منزل هام من منازل الطريق.

ودون الرويثة بميلين مسجد نبوي من مساجد الطريق التي أوردتها البخاري في الصحيح عن ابن عمر: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْزِلُ تَحْتَ سَرْحَةٍ

^١ يسمى هذا المسجد (مسجد الغزاة)، وكانت محطة هامة على طريق الأنبياء، وهي اليوم بلدة عامرة.

^٢ صحيح البخاري، باب المساجد التي على طرق المدينة، والمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم.

^٣ تسمى اليوم خلص، تقع في ملتقى وادي الجي مع وادي خلص، القادم من جبل شيبان، وكانت محطة مهمة على مدى قرون حتى قدوم عهد السيارات، وما زالت آثار السوق موجودة.

ضَخْمَةٌ دُونَ الرُّوَيْثَةِ، عَنِ يَمِينِ الطَّرِيقِ، وَوَجَاهِ الطَّرِيقِ فِي مَكَانٍ بَطْحٍ سَهْلٍ، حَتَّى يُفْضِي مِنْ أَكْمَةِ دُوَيْنَ بَرِيدِ الرُّوَيْثَةِ بِمِيلَيْنِ، وَقَدْ انْكَسَرَ أَعْلَاهَا، فَانْثَنَى فِي جَوْفِهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى سَاقٍ، وَفِي سَاقِهَا كُتُبٌ كَثِيرَةٌ^١.



الإثابة
23°49'06.7"N
39°08'31.9"E

من الرويثة يسند الطريق في وادي الجبي، في اتجاه شبه مستقيم حتى يصل شرف الإثابة (الشفية)، ومنه يهبط مدارج العرج (وادي التنظيم)، والعرج من أشهر منازل هذا الطريق.

جبل ورقان

وجبل ورقان العظيم يسائر الطريق من دخوله في فج الروحاء إلى أن يصل إلى متعشى الجبي قبل شرف الإثابة بقليل.



٤٧٢



من العرج إلى السقيا



وادي العرج
23°48'29.3"N
39°08'40.7"E

يسير الطريق في وادي العرج (التنظيم) مسافة حوالي ٦ كم، فيلقاه وادي تناضب، فينعطف عنه يساراً ويسند في وادي الهبير، ثم يخرج منه يساراً ليصعد تلعة شعيب الزمر، وعلى هذه التلعة علم من أعلام الطريق.

يهبط الطريق من هذه التلعة ويأخذ في وادي يدعة، تاركاً وراءه تلك الجبيلات التي كانت تدعى (الخذوات)، التي ورد ذكرها في طريق الهجرة.

^١ صحيح البخاري، باب المساجد التي على طرق المدينة، والمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم.

يسير الطريق في وادي يدعة حوالي ٣ كم ثم يدعه يمينًا، ويهبط شعيب
(الرصفة).

مسجد نبوي وراء العرج

شعيب الرصفة عبارة عن تلعة على يمين الطريق، وعلى رأس هذه التلعة
مسجد نبوي مازالت آثاره ظاهرة، جاء وصفه في صحيح البخاري.

روى البخاري من حديث عبد الله بن عمر " أن النبي صلى الله عليه وسلم
صلى في طرف تلعة من وراء العرج وأنت ذاهب إلى هضبة عند ذلك المسجد قبران
أو ثلاثة على القبور ضم من حجارة عن يمين الطريق عند سلمات الطريق بين
أولئك السلمات كان عبد الله يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة
فيصلي الظهر في ذلك المسجد^١

وشعيب الرصفة أحد نواشغ وادي القاحة.

وبعد الرصفة بحوالي ٦ كم توجد محطة من محطات الطريق تسمى الحفافة
فيها بئر مشهورة تاريخية هي: بئر الطلّوب، وتسمى اليوم النقوية.

يستمر الطريق في وادي القاحة مسافة ٣٧ كم تقريبًا، في نهايتها يصل إلى
المنزل التالي، وهو: السقيا (أم البرك).

نهبان وقدس

الطريق إذا وصل إلى العرج، يكون جبلا قدس على يساره، وجبلا ثافل الأكبر والأصغر (جبال صبح) على يمينه، وهما اللذان سماهما عرام السلمي (نهب الأعلى ونهب الأسفل).

ونقل البكري عنه، قوله: " ويقابل القدس من يمين الطريق للمصعد جبلان، يقال لهما نهبان؛ نهب الأسفل، ونهب الأعلى، وهما لمزينة، ولبنى ليث، فيهما شقص؛ وفي نهب الأعلى ماء عليه نخلات، يقال له ذو خيم؛ وفيه أوшал غير هذه البئر المذكورة. " انتهى.

وتستمر هذه الجبال المذكورة تسائر الطريق من اليمين والشمال إلى ما وراء السقيا، وبعدها ينقطع جبل قدس، ويستمر جبل صبح (ثافل) يمنا الطريق حتى الوصول إلى الأبواء.



السقيا
23°25'53.07N
39°13'43.00E

من السقيا إلى الأبواء

إذا خرج الطريق من السقيا فسيهبط مباشرة في ملتقى وادي القاححة مع وادي تعهن، فيحدّر وادي القاححة، وأهم المعالم قبل الوصول إلى الأبواء:

¹ ذو خيم مازال معروفاً، لكنه في ثافل الأصغر (جبل الطريف)



عين القشيري:



عين القشيري
23°19'48.3"N
39°12'20.6"E

قال عنها الأسيدي فيما نقله عنه السمهودي: أنها في الوسط

بين السقيا والأبواء، وقال: "عين القشيري، وهي عين كثيرة الماء،

ويقال للجبل المشرف عليها الأيسر «قدس» وأوله في العرج، وآخره وراء هذه

العين، والجبل الذي يقابلها يمينة يقال له «ثافل» ويقال للوادي الذي بين هذين

الجبلين «وادي الأبواء» انتهى".^١

وقال في موضع آخر: "عين القشيري: بطريق مكة، بين السقيا والأبواء، كثيرة

الماء، لها مشارع، يشرب منها الحاج، وعليها نخل كثير، كانت لعبد الله بن الحسن

العلوي".

قلت: قوله: "ويقال للوادي الذي بين هذين الجبلين «وادي الأبواء»، وهم، الوادي مازال القاحه، وتحديدده للعين صحيح، وهي معروفة، وإن كان ماؤها قد انقطع، وتسمى اليوم (الثُّبرة)، قال عنها البلادي: "عين جارية في القاحه للعبدة من بني عمرو، على الطريق بين البستان وأم البرك على عشرة أكيال من البستان شمالاً"^١.

حدد موقعها الدكتور أحمد بن ناصر النعماني بدقة، وقال أنها "كانت جارية إلى عهد قريب، وكانت كثيرة النخل، ومشهورة بالصيف، ويوجد من أدركها على قيد الحياة حتى الآن عند كتابة هذه السطور"^٢

مسجد الرمادة

ذكره الأسدي فيما نقله عنه السمهودي، فقال: "ودون الأبواء بميلين مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له «مسجد الرمادة»"^٣

بئر مبيريك



بئر مبيريك
23°09'48.3"N
39°09'01.4"E

تقع عند التقاء وادي القاحه بوادي الفرع، في صدر وادي الأبواء، وهي بئر قديمة، اشتراها عام ١٢٦٣هـ شيخ رابع مبيريك بن حمدي بن حميد الغانمي (١٢٠٠-١٢٩٢)، فأطلق عليها اسمه^٤. وكانت محطة

^١ معجم معالم الحجاز، ٦٨/٢، ط١، دار مكة.

^٢ محافظة رابغ (ماض تليد، وحاضر مجيد)، ٢٣٢/١

^٣ وفاء الوفا

^٤ آل مبيريك.. شيوخ وأمرأه رابغ، ص٦٤، عبد الله بن ماهر بن مبيريك الغانمي.



مهمة أيام قوافل الإبل وفي أول عهد السيارات، وهي عند مفترق طريقيين للآتي من رابغ ومستورة؛ من أراد طريق وادي الفرع سلك يميناً، ومن أراد الجادة إلى المدينة أخذ في القاحة.

تعديل الجادة العظمى

كانت الجادة العظمى (طريق الأنبياء) تستمر مع وادي الأبواء إلى أن تصل إلى المنزل في وسط الأبواء اليوم، في محلة (القرين)، حيث يوجد المسجد المنسوب إلى النبي ﷺ، ذكره السمهودي نقلاً عن الأسدي، فقال: " وفي وسط الأبواء مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر بها آباراً وبركاً، منها بركة بقرب القصر، قال: وإذا جرت وادي الأبواء بميلين كان على يسارك شعاب تسمى «تلعات اليمن» وذكر أن ودان ناحية عن الطريق بنحو ثمانية أميال، ينزل به من لا ينزل الأبواء، فمن أراد رحل من السقيا إليه، وبه عيون غزيرة عليها سبعة مشارع وبركة قديمة، ثم يرحل منه فيخرج عند ثنية هرشى بينها وبين ودان خمسة أميال، وقد عمل لهذه الطريق أعلام وأميال أمر بها المتوكل".^١

قلت: في بداية الدولة الأموية، أمر الوليد بن عبد الملك بعمل منار^٢ (أعلام) على الطريق بين الحرمين، فقام القائمون على عمل هذه الأعلام بإجراء تعديل على مسار الطريق في بعض الأماكن منها الأبواء، فجنبوا الطريق عنها وجعلوه يتجه مباشرة من بئر مبيريك (التقاء وادي القاحة مع وادي الفرع) إلى هرشا عن طريق

^١ المرجع السابق، ١٦٩/٣

^٢ الطبري، ٢٩/٤، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت

(تلعات اليمن)، وهذا المسار أقرب من المسار الأصلي المار بالأبواء.

وقوله: "وقد عمل لهذه الطريق أعلام وأميال أمر بها المتوكل"، المقصود بهذه الأعلام، الطريق بين ودان وثنية هرشى، وليست أعلام الجادة العظمى.

من الأبواء إلى الجحفة

يخرج الطريق من الأبواء جنوباً فيسند في وادي يسمى (قبيلة)، وهو واد يشق حرة الأبواء، فإذا خرج منها دخل بين جبلين، جبل المستظلة على اليمين، وجبال الطوال (البيض) على اليسار، ثم يدخل في أرض فيحاء؛ مازالت معروفة باسمها القديم؛ (تمن)، وبعدها يستقبل ثنية هرشا، أشهر ثنايا الطريق بين الحرمين.

وفي تمن وهرشا يقول نصر: "هِيَ ثِنِيَّةُ هَرَشَى عَلَى نَصْفِ طَرِيقِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. رَوَى ابْنُ أَبِي ذئْبٍ عَنِ عِمْرَانَ بْنِ قُشَيْرٍ عَنِ سَالِمِ بْنِ سَبْلَانَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ بِالْبَيْضِ مِنْ تَمَنَ بَسَفَحِ هَرَشَى وَأَخَذَتْ مَرَّوَةَ مِنَ الْمَرَّوِ، فَقَالَتْ: وَدَدْتُ أَنِي هَذِهِ الْمَرَّوَةَ".^١ انتهى.

والمسافة من الأبواء إلى هرشا حوالي ١٢ كم.

فإذا هبط الطريق من هرشا، فأمامه جبال مشهورة تسمى الأصافر، يفرق منها يساراً طريق يسمى طريق فخذاء^٢، وتستمر الجادة في اتجاه الجنوب العدل، جاعلة الأصافر وجبال فخذاء على يسارها، ثم تجزع وادي رابع، فتصل حرة عزور قبل

^١ الأمكنة والمياه والجبال، ٦٠٢/٢، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، أعده للنشر: حمد الجاسر

^٢ نسبة إلى جبال فخذاء، وهي جبال محاذية للطريق.

الهبوط على الجحفة. وحرّة عزور وصفها الحازمي بأنها ثنية الجحفة، عليها الطريق بين مكة والمدينة^١.



مسجد ثنية عزور
22°42'53.7"N
39°06'22.6"E

مسجد ثنية عزور

وفي عزور مسجد نبوي، مازالت رسوم آثاره باقية. ففي

مختصر سنن أبي داود للمنذري: "عن عامر بن سعد - وهو ابن أبي

وقاص - عن أبيه قال: "خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة نريد المدينة، فلما كنا قريباً من عزور انزل، ثم رفع يديه، فدعا الله ساعةً، ثم خرّ ساجداً، فمكث طويلاً، ثم قام، فرفع يديه، فدعا الله ساعةً ثم خر ساجداً، فمكث طويلاً، ثم قام، فرفع يديه ساعةً، ثم خر ساجداً، ذكره أحمد - يعني ابن صالح - ثلاثاً، قال: إني سألتُ ربي، وشفعتُ لأمتي، فأعطاني ثلث أمتي، فخررت ساجداً شكراً لربي، ثم رفعت رأسي، فسألت ربي لأمتي، فأعطاني الثلث الآخر، فخررت ساجداً لربي"^١.

من الجحفة إلى قديد

يخرج الطريق من الجحفة فيأخذ في ثنية دفين، ثم الهبوط منها على أودية وشعاب كلبية، ثم السير في صمود إلى أن يقطع وادي دوران، وأمامه حرّة المشلل (القديدية) مستعرضةً، فيأخذ في ثنية تسمى قديماً باسمها، واليوم اسمها (ريع

^١ الأماكن، ٦٧٩/١

^٢ مختصر سنن أبي داود للمنذري ٢٣٤/٢، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية.

المزحر)^١، ثم يهبط منها على حوض وادي قديد، المتشعب المجاري^٢.

من قديد إلى عسفان

يخرج الطريق من قديد جنوباً، فيسير في أرض مستوية واسعة كانت مليئة بشجر الرمث والحمض، ولكنها اليوم جرداء، عبارة عن خبوت ورمال. وبعد مسيرة حوالي ١٥ كم، تعترض الطريق حرة مستعرضة، تسمى اليوم الخليصية، وتسمى قديماً (حرة الظاهرة)، فيها إحدى أشهر ثنايا الطريق، وهي: (ثنية لفت)، قال عنها البلادي: "لَفْتُ، ثِنْيَةٌ تُشْرِفُ عَلَى خُلَيْصٍ مِنَ الشَّمَالِ، يَطُوقُهَا الدَّرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَدِيدٍ، سَلَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُهَاجِرَتِهِ^٣، وَتُسَمَّى الْيَوْمَ «الْفَيْتُ» وَلَعَلَّهُ تَحْرِيفًا لِلْفَيْتِ بِالتَّصْغِيرِ كَمَا قَالُوا فِي لُقَيْمِ الْقَيْمِ لِقُرْبِ مَخَارِجِ النَّطْقِ، وَقَدْ هَجَرَتْ لَفْتُ مِنْ زَمَنِ، وَلَمْ تَعُدْ مَطْرُوقَةً، وَعِنْدَمَا عَبَدَ الطَّرِيقُ تَجَاهِلَهَا وَتَرَكَهَا وَأَخَذَ عَنْهَا يَسَارًا فِي حَرَّةٍ لَمْ تَكُنْ مَطْرُوقَةً مِنْ قَبْلُ".

مسجد ثنية لفت



مسجد ثنية لفت
22°13'20.1"N
39°19'40.1"E

وعلى الثنية، وهي عقبة شاقة، مسجد للنبي ﷺ، قال عنه الأسدي: "وعقبة خليص بينها وبين خليص ثلاثة أميال، وهي عقبة تقطع حرة تعترض الطريق يقال لها ظاهرة البركة، والشجر ينبت في تلك الحرة، وعند الحرة مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم".

^١ حسب ما أخبرني بذلك صديقي البلداني د. أحمد بن ناصر النعماني.

^٢ سبق الكلام على قديد في بحث طريق الهجرة، وغزوة المريسيع.

^٣ لم يسلكها النبي ﷺ في هجرته، هذا وهم منه رحمه الله.

وهذا المسجد مازالت آثاره بادية.



بعد الهبوط من الثنية يستمر الطريق، فيقطع وادي خليص، المسمى قديماً (وادي أمج)، وهو منزل مهم من منازل الطريق لمن أراد أن يتزود بالماء والطعام، فهو متوفر في هذا المنزل أكثر من كل المنازل الأخرى على الطريق.

يتجاوز الطريق خليص جاعلاً جبل جُمْدان عن يمينه، ويسير في أرض معشبة يكثر فيها نبات الحمض في حوض وادي غران، كانت قديماً يسمى جزء منها (الكديد)، له ذكر في السيرة النبوية. نذكر منها: غَزْوَةُ الْفَتْحِ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَخَرَجَ لِعَشْرِ مَضِينٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَصَامَ وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكَدِيدَ، بَيْنَ عُسْفَانَ وَأَمَجٍ أَفْطَرَ^١.

بعد أن يتجاوز الطريق الكديد يطل على ثنية أخرى صعبة، تسمى قديماً ثنية غزال وفي العصور المتأخرة سميت مدرج عثمان، أو عليّ، ثم يهبط الطريق على

^١ السيرة النبوية

عسفان.

في هذه الغزوة سار النبي ﷺ من عسفان ونزل أسفل منها على بعد ميلين تقريباً، في موضع منخفض من وادي الصغو يُمسك ماء السيل، يدعى (غدير الأشطاط).

من غدير الأشطاط إلى ثنية ذات الحنظل

التحرك من غدير الأشطاط إلى طريق الجادة، حيث خيل خالد بن الوليد عند كراع الغميم؛ يجعل اتجاه سير المسلمين إلى الجنوب الشرقي، أي: عليهم أن يتجهوا يساراً. لكن النبي ﷺ، كونه لا يريد المواجهة مع خالد، أمر الراكب أن يأخذوا ذات اليمين، أي: في اتجاه الجنوب، ووجهتهم ثنية ذات الحنظل قبل جبال سراوع، فساروا في ذلك الاتجاه، فخرجوا من وادي الصغو وملكوا في الأودية والشعاب التي ترفده من الغرب والجنوب الغربي وهي كثيرة، منها وادي أم جرفين، وأم السلم، والبريقة، ووادي شق اللبن، والبياضة، والسليكية، وهذه الأودية والشعاب مليئة بالأحراش ولأشجار ونبات الحمض (العصلا)، مما يجعل السير فيها صعباً ومتعباً، لكنهم في النهاية استطاعوا الخروج منها، وصعدوا في صمد بين وادي أسيل، ووادي المتعة، فظهرت لهم ثنية ذات الحنظل في مقدمة جبل ضاف، في الجانب الأيمن لفج الكريمي، فجازوها ونزلوا.

بعد الشروق سار الراكب النبي مع الفج هبوطاً في وادي الكُرّ على عين الحميمة وسرّوعة، ثم السير في بطن وادي مر الظهران (وادي فاطمة)، والخروج

منه إلى أرض واسعة، هي الآن صحراء تسفيها الرياح، وربما كانت في ذلك الزمن، ذات أشجار ونبات، وأمامه جبال الناصرية، التي تطل على وادي بلدح (أم الجود) من الشمال، وعلى الحديدية من الشمال الشرقي.

دخل الركب النبوي بين هذه الجبال عبر وادٍ، يسمى اليوم وادي الجوف، وسند فيه.

وبعد مسير حوالي ٢٥ كم من ثنية ذات الحنظل، وصل النبي ﷺ إلى ثنية المُرار وهي الثنية التي تهبطه على وادي بلدح، وفيه معسكر قريش، وهذه الثنية حد من حدود الحرم، فلما همت القصواء بالنزول منها بركت ورفضت التقدم، فقال النبي ﷺ مقولته التسامحية المعروفة " مَا خَلَّاتْ وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقِي، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ لَا تَدْعُونِي قُرَيْشُ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ يَسْأَلُونَنِي فِيهَا صِلَةَ الرَّحْمِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا".

ثم عاد النبي ﷺ من طريقه الذي جاء منه، فهبط وادي الجوف، ثم أخذ ذات الشمال، واتجه إلى موضع في أقصى الحديدية خارج الحرم، وعسكر هناك.

التائج والعبر المستخلصة من الغزوة

١- هذه الغزوة دشت لعهد جديد في الصراع بين المسلمين والمشركين، وهو الانتقال من الصراع المسلح إلى الحوار، والتروّي، والتفكير المنطقي فيما يدعو إليه هذا الدين الجديد، من عبادة الخالق وترك عبادة الأصنام، التي يدل التفكير المنطقي أنها لا تضر ولا تنفع، وأن عبادتها من قلة العقل. وأعطت هذه

الهدنة فسحة للنظر السليم إلى ما يدعو إليه هذا الدين من مكارم الأخلاق، وترك العادات والسلوكيات التي تأبأها النفوس السوية، والتأمل في حال المسلمين وما هم عليه من أخلاق حميدة، من إيفاء بالعهود، والتمسك بأخلاق الحرب، بعدم قتل الأسرى، أو الإجهاز على الجرحى، أو المثلة، كل ذلك وغيره، جعل كثيراً من الناس، وخاصة عقلاءهم، و أشرافهم يتجهون صوب المدينة لإعلان اعتناقهم الإسلام، والدفاع عنه بكل ما أوتوا من قوة.

وفي هذا دليل واضح على أن الإسلام منذ بدايته دين ينتشر بالسلم، وأن الحروب التي خاضها المسلمون هي في أساسها حروب دفاعية، ولو ترك الناس والدعوة إلى الإسلام لدخلوا فيه أفواجا.

والى كل هذا أشار الإمام الواقدي بقوله: "كَانَتْ الْحَرْبُ قَدْ حَجَزَتْ بَيْنَ النَّاسِ وَانْقَطَعَ الْكَلَامُ، وَإِنَّمَا كَانَ الْقِتَالُ حَيْثُ اتَّقَوْا، فَلَمَّا كَانَتْ الْهُدْنَةُ وَضَعَتْ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا وَآمَنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ تَكَلَّمَ بِالْإِسْلَامِ يَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ، حَتَّى دَخَلَ فِي تِلْكَ الْهُدْنَةِ صَنَادِيدُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِالشَّرْكِ وَبِالْحَرْبِ - عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَأَشْبَاهُ لَهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْهُدْنَةُ حَتَّى نَقَضُوا الْعَهْدَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ شَهْرًا، دَخَلَ فِيهَا مِثْلُ مَا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ وَأَكْثَرَ، وَفَسَا الْإِسْلَامُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْعَرَبِ"^١.

٢- نستخلص من شروط الصلح، التي ظاهرها الإجحاف وعدم الإنصاف، وقبلها النبي ﷺ، أن على المسلمين أن يسلموا بما رضي به النبي ﷺ، ورآه في

^١ المغازي، غزوة الحنينية



مصلحة الإسلام والمسلمين، وإن قصرت عقولهم عن إدراك مآلاته، لأنه ﷺ مسدد وموجه من الله عز وجل، ولن يخذله، والعبرة بالنتائج.

٣- وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق مهما كان الالتزام بذلك مؤلماً، وقد اختُبر التزام المسلمين فور عقد الهدنة، عندما جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو، يرسف في أغلاله، وقد نكّل به المشركون ليردوه عن دينه، فرفض النبي ﷺ أن يأويه، وردّه إلى قريش.

٤- هدنة الحديبية أول هدنة يعقدها المسلمون مع أعدائهم المحاربين، وفي تفاصيلها دروس فقهية وسياسية، وتربوية كثيرة، على المختصين بتلك المعارف أن يتناولونها بالدرس والتحليل.

الفصل الثاني عشر

غزوة خيبر

دواعي الغزوة

كانت الجبهات العسكرية المفتوحة على المسلمين؛ بعد إجلاء اليهود من المدينة، ثلاث جبهات: الأولى الجبهة الجنوبية، وتمثلها (قريش)، والثانية الجبهة الشرقية، وتمثلها قبيلة (غطفان)، والثالثة الجبهة الشمالية، ويمثلها (اليهود).

في نهاية السنة السادسة، وبداية السابعة حدثت تطورات مهمة، فقد عُقدت هدنة (الحديبية) بين المسلمين وقريش، وبذلك تم تأمين الجبهة الجنوبية.

وحصلت غزوة ذي قرد (غزوة الغابة)، التي كُسرت فيها شوكة قبيلة غطفان، وقتل فيها بعض أشرفهم، مثل عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري، ابن زعيم كافة قبائل غطفان، وهُزم عيينة نفسه وفر هارباً إلى دياره البعيدة، وعرفت غطفان ألا مطمع لها في المدينة.

فلم تبق سوى جبهة واحدة مفتوحة هي الجبهة الشمالية، فرأى النبي ﷺ بثاقب فكره الإستراتيجي أن الوقت مناسب لمناجزة اليهود شمال المدينة (في خيبر، وفدك، وتيماء، ووادي القرى)، وخاصة يهود خيبر، بعد أن انتقل إليها رؤساء بني النضير الذين أُجلوا عن المدينة، مثل؛ سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وغيرهما، ممن كان لهم الدور الأبرز في تأليب القبائل العربية، وتحزيبهم ضد المسلمين، وإغرائهم بالمكافآت العظيمة إن هم جمعوا جموعهم، وتوجهوا إلى المدينة وقضوا على الدين الجديد فيها. ولم يكن من يستبعد أن يعاودوا الكرة مرة أخرى لما فشلت المحاولة الأولى، وربما تكون

محاولتهم الثانية أخطر من الأولى، بأن يألّبوا هرقل إمبراطور بيزنطة، ويقنعوه بأن الدين الجديد في المدينة خطر على النصارى كما هو خطر على اليهود، فيسير جيوش الروم إلى جزيرة العرب، والمسلمون لم يستعدوا مادياً بعد لمواجهة هذه القوى العظمى.

لذلك، كان لا بد من التوجه إلى هذا الخطر الوشيك، وتحييده، والمبادرة بإفساد خططه ومكائده، خاصة أن المسلمين موعودون بالنصر، في قول الله تعالى لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَعَانِمَ كَثِيرًا يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) ^١

٤٩١ جاء في تفسير الطبري حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) وهي خيبر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) قال: بلغني أنها خيبر.

تاريخ الغزوة:

عند ابن إسحاق، ومن تبعه من أصحاب السير أنها في المحرم من السنة السابعة من الهجرة، يقول (رحمه الله): ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ حِينَ رَجَعَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، ذَا الْحَجَّةِ وَبَعْضَ الْمُحَرَّمِ، وَوَلِي تِلْكَ الْحَجَّةَ

المُشْرِكُونَ، ثُمَّ خَرَجَ فِي بَقِيَّةِ الْمُحَرَّمِ إِلَى خَيْبَرَ^١.

وعبارته ثُمَّ خَرَجَ فِي بَقِيَّةِ الْمُحَرَّمِ ، إذا أضفنا لها ما جاء في سياق المسير إلى خيبر عند الواقدي من أنهم ساروا في ليلة مقمرة^٢، يمكن أن نستنتج أن الخروج كان في منتصف الشهر، ولكنه عند الواقدي كان شهر صفر.

وقد جاء الحافظ ابن حجر بكل الأقوال الواردة في تاريخ الغزوة، نورد كلامه هنا بنصه، للفائدة.

يقول (رحمه الله): فَقَدِمَ (النبي ﷺ) الْمَدِينَةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى سَارَ إِلَى خَيْبَرَ فِي الْمُحَرَّمِ، وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ فِي الْمَغَازِي عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرِينَ لَيْلَةً أَوْ نَحْوَهَا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ.

وَعِنْدَ بَنِ عَائِدٍ مِنْ حَدِيثِ بَنِ عَبَّاسٍ، أَقَامَ بَعْدَ الرَّجُوعِ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَشْرَ لَيَالٍ.

وَفِي مَغَازِي سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ، أَقَامَ خَمْسَةَ عَشْرَ يَوْمًا. وَحَكَى بَنُ التَّيْنِ عَنِ بَنِ الْحَصَّارِ أَنَّهَا كَانَتْ فِي آخِرِ سَنَةِ سِتٍّ، وَهَذَا مَنْقُولٌ عَنْ مَالِكٍ، وَبِهِ جَزْمُ بَنِ حَزْمٍ.

وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةٌ، وَالرَّاجِحُ مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ بَنُ إِسْحَاقَ، وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنَّ مَنْ أَطْلَقَ سَنَةَ سِتٍّ بَنَاهُ عَلَى أَنَّ ابْتِدَاءَ السَّنَةِ مِنْ شَهْرِ الْهِجْرَةِ الْحَقِيقِيِّ وَهُوَ رَبِيعُ الْأَوَّلِ وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْحَاكِمُ عَنِ الْوَاقِدِيِّ وَكَذَا ذَكَرَهُ بَنُ سَعْدٍ أَنَّهَا كَانَتْ فِي جُمَادَى

^١ السيرة النبوية (الخروج إلى خيبر)

^٢ يقول الواقدي " فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِ خَيْبَرَ فِي لَيْلَةٍ مُقْمَرَةٍ إِذْ أَبْصَرَ بِرَجُلٍ يَسِيرُ أَمَامَهُ، عَلَيْهِ شَيْءٌ يَبْرُقُ فِي الْقَمَرِ كَأَنَّهُ فِي الشَّمْسِ وَعَلَيْهِ بَيْضَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: أَبُو عُبَيْسِ بْنِ جُبَيْرٍ "

الأولى فالذي رأيته في مغازي الواقدي أنها كانت في صفر وقيل في ربيع الأول وأغرب من ذلك ما أخرجه بن سعد وابن أبي شيبة من حديث أبي سعيد الخدري قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان.. الحديث، وإسناده حسن إلا أنه خطأ ولعلها كانت إلى حنين فتصحفت وتوجيهه بأن غزوة حنين كانت ناشئة عن غزوة الفتح وغزوة الفتح خرج النبي صلى الله عليه وسلم فيها في رمضان جزماً والله أعلم وذكر الشيخ أبو حامد في التعليقة أنها كانت سنة خمس وهو وهم ولعله انتقل من الخندق إلى خيبر^١

الاستعداد للمسير إلى خيبر

عندما عزم النبي ﷺ على المسير إلى خيبر، أمر أصحابه بأن يتهيؤوا لذلك، وأعلن وجهته، ولم يؤر، كعادته ﷺ إذا أراد غزو قوماً ورى بغيرهم، ليستفيد من عامل المفاجأة، ولكن هذه المرة أعلن نيته في التوجه إلى خيبر، لسبب مهم، وهو أن فتح خيبر ومغانمها حكر على المبايعين تحت الشجرة (من حضر بيعة الرضوان في الحديبية).

جاء في تفسير الطبري ما يؤكد ذلك، حيث قال: الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا [الفتح: ١٥] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

^١ فتح الباري، (قوله باب غزوة خيبر)

سَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ الْمُخَلَّفُونَ فِي أَهْلِيهِمْ عَنْ صُحْبَتِكَ إِذَا سِرْتَ مُعْتَمِرًا تُرِيدُ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ، إِذَا انْطَلَقْتَ أَنْتَ وَمَنْ صَحَبَكَ فِي سَفَرِكَ ذَلِكَ إِلَى مَا آفَأَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ لِيَتَأْخُذُوهَا [الفتح: ١٥] وَذَلِكَ مَا كَانَ اللَّهُ وَعَدَ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ غَنَائِمِ خَيْبَرَ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ [الفتح: ١٥] إِلَى خَيْبَرَ، فَشَهِدَ مَعَكُمْ قِتَالَ أَهْلِهَا يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ [الفتح: ١٥] يَقُولُ: يُرِيدُونَ أَنْ يُغَيِّرُوا وَعَدَ اللَّهُ الَّذِي وَعَدَ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَذَلِكَ أَنْ اللَّهُ جَعَلَ غَنَائِمَ خَيْبَرَ لَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ ذَلِكَ عِوَضًا مِنْ غَنَائِمِ أَهْلِ مَكَّةَ إِذَا انْصَرَفُوا عَنْهُمْ عَلَى صُلْحٍ، وَلَمْ يُصِيبُوا مِنْهُمْ شَيْئًا وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ ١

وهذا ما أشار إليه الواقدي، وغيره بقوله: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتَّهَيُّؤِ لِلْغَزْوِ فَهُمْ مُجِدِّونَ، وَتَجَلَّبَ مَنْ حَوْلَهُ يُغْزُونَ مَعَهُ، وَجَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ رَجَاءَ الْغَنِيمَةِ، فَقَالُوا: نَخْرُجُ مَعَكَ! وَقَدْ كَانُوا تَخَلَّفُوا عَنْهُ فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَأَرْجَفُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: نَخْرُجُ مَعَكَ إِلَى خَيْبَرَ، إِنَّهَا رَيْفُ الْحِجَازِ طَعَامًا وَوَدَكًا وَأَمْوَالًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَخْرُجُوا مَعِيَ إِلَّا رَاغِبِينَ فِي الْجِهَادِ، فَأَمَّا الْغَنِيمَةُ فَلَا. وَبَعَثَ مُنَادِيًا فَنَادَى: لَا يَخْرُجَنَّ مَعَنَا إِلَّا رَاغِبٌ فِي الْجِهَادِ، فَأَمَّا الْغَنِيمَةُ فَلَا! ٢

ومن ضمن الاستعدادات أيضاً، أن يكون الجيش في كامل لياقته، وقوته،

١ تفسير الطبري (سورة الفتح)

٢ المغازي (غزوة خيبر)

فقد أمر ألا يتبعه من كان بعيره صعب المراس غير ذلول، أو كان هزيباً، فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «تَجَهَّزُوا إِلَيَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ الظَّالِمِ أَهْلِهَا - يَعْنِي: خَيْبَرَ - فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَاتِحُهَا عَلَيْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا يَخْرُجَنَّ مَعِيَ مُصَعَّبٌ وَلَا مُضْعَفٌ».. الحديث^١.

فلما أتم النبي ﷺ وصحابته تجهزهم، أمر بأن يؤتى له بالأدلاء العارفين بالطرق المناسبة بين المدينة وخيبر، فأُتي له بدليلين من قبيلة أشجع، وهي القبيلة التي منازلها كامل الأرض بين المدينة وخيبر. الدليل الأول: حَسِيل بن خازجة الأشجعي^٢، يقول حَسِيل قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي جَلْبِ أَبِيي، فَأَتَيْتُ بِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَجْعَلُ لَكَ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ عَلَى أَنْ تَدُلَّ أَصْحَابِي عَلَى طَرِيقِ خَيْبَرَ . فَفَعَلْتُ فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ وَفَتَحَهَا جِئْتُ فَأَعْطَانِي الْعِشْرِينَ، ثُمَّ أَسْلَمْتُ».

والدليل الثاني عبد الله بن نعيم^٣ ذكره الواقدي بقوله وَمَعَهُمْ دَلِيلَانِ مِنْ أَشْجَعٍ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا حَسِيلُ بْنُ خَارِجَةَ، وَالْآخَرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَعِيمٍ^٤

ولم تكن هذه الاستعدادات لتخفى على يهود خيبر، فقد جاءهم النذير من

^١ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي (باب غزوة خيبر)

^٢ وقيل: حسين، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم خيبر.

أخبرنا الحسين بن الحسن بن أبوب الطوسي، قال: حدثنا أبو يحيى بن أبي مسرة، قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، عن إبراهيم بن حويصة الحارثي، عن خاله معن بن حوية، عن حَسِيل بن خازجة الأشجعي، قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر، فضرب للفرس سهمين، ولصاحبه سهمًا.

^٣ عبد الله بن نعيم الأشجعي: ذكره أبو القاسم البيهقي في الصحابة، وقال: كان دليل النبي صلى الله عليه وسلم، إلى خيبر، ولم يذكر سنده في ذلك، وكذا ذكره أبو جعفر الطبري، واستدركه ابن فتحون. (الإصابة)
^٤ المغازي



طريق أحد الجلابة من غطفان قدم بسلعة يبيعها في المدينة فبعثه يهود المدينة نذيراً إلى إخوتهم في خيبر، فعقدوا لذلك مجلس حرب: وَكَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ حَيْثُ أَحْسَوا بِمَسِيرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمُ الْحَارِثُ أَبُو زَيْنَبِ الْيَهُودِيِّ بِأَنْ يُعَسِّكِرُوا خَارِجًا مِنْ حُصُونِهِمْ وَيَبْرُزُوا لَهُ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَنْ سَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْحُصُونِ، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَقَاءٌ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَبِيَ وَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ صَبْرًا.

فَقَالَتِ الْيَهُودُ: إِنَّ حُصُونَنَا هَذِهِ لَيْسَتْ مِثْلَ تِلْكَ، هَذِهِ حُصُونٌ مَنِيعَةٌ فِي ذُرَى الْجِبَالِ. فَخَالَفُوهُ وَثَبَّتُوا فِي حُصُونِهِمْ، فَلَمَّا صَبَحَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَايَنُوهُ أَيَقْنُونَا بِالْهَلَكَةِ^١.

المسير إلى خيبر

تبعد خيبر عن المدينة حوالي ١٧٠ كم تقريباً، وهي تعادل ثمانية برُد، وعلى هذا أجمع أصحاب معاجم البلدان.

يقول البكري خيبر: بينها وبين المدينة ثمانية برُد، مشى ثلاثة أيام^٢.
وعند ياقوت أرض خيبر على ثمانية برُد من المدينة^٣.
ولم يخرج بقية البلدانين عن هذا القول.

^١ المغازي
^٢ معجم ما استعجم، رسم (خيبر)
^٣ معجم البلدان، رسم (خيبر)

وكعادة إمام جغرافيا السيرة النبوية محمد بن عمر الواقدي - رحمه الله - فهو أفضل من دلنا على الطريق الذي سلكه النبي ﷺ في مسيره إلى خيبر، فمعظم المواضع التي ذكرها لم يتطرق لها غيره من كُتّاب السيرة النبوية، أو المحدثين.

جاء في كتاب المغازي فخرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَسَلَكَ ثَبِيَّةَ الْوَدَاعِ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَى الزَّغَابَةِ، ثُمَّ عَلَى نَقَمَى، ثُمَّ سَلَكَ الْمُسْتَنَاحَ، ثُمَّ كَبَسَ الْوُطْهَ، وَمَعَهُمْ دَلِيلَانِ مِنْ أَشْجَعٍ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا حُسَيْلُ بْنُ خَارِجَةَ، وَالْآخَرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُعَيْمٍ، خَرَجَ عَلَى عَصْرٍِ وَبِهِ مَسْجِدٌ، ثُمَّ عَلَى الصَّهْبَاءِ .

وقال في موضع آخر قالوا: وَانْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الصَّهْبَاءِ فَصَلَّى بِهَا الْعَصْرَ ثُمَّ دَعَا بِالْأَطْعِمَةِ فَلَمْ يُؤْتِ إِلَّا بِالسَّوِيقِ وَالتَّمْرِ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكَلُوا مَعَهُ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ دَعَا بِالْأَدْلَاءِ فَجَاءَ حُسَيْلُ بْنُ خَارِجَةَ الْأَشْجَعِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُعَيْمٍ الْأَشْجَعِيُّ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُسَيْلٍ: امْضِ أَمَامَنَا حَتَّى تَأْخُذَنَا صُدُورُ الْأُودِيَةِ، حَتَّى نَأْتِيَ خَيْبَرَ مِنْ بَيْنِهَا وَبَيْنَ الشَّامِ، فَأَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّامِ وَبَيْنَ حُلَفَائِهِمْ مِنْ غَطَفَانَ.

فَقَالَ حُسَيْلٌ: أَنَا أَسْلُكُ بِكَ. فَانْتَهَى بِهِ إِلَى مَوْضِعٍ لَهُ طُرُقٌ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لَهَا طُرُقًا يُؤْتَى مِنْهَا كُلُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَمِّهَا لِي! وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْفَعَالَ الْحَسَنَ وَالْإِسْمَ الْحَسَنَ، وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ وَالْإِسْمَ الْقَبِيحَ. فَقَالَ الدَّلِيلُ: لَهَا طَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا حَزْنٌ. قَالَ: لَا تَسْلُكُهَا! قَالَ: لَهَا طَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا شَاسٌ. قَالَ:



لَا تَسْلُكُهَا! قَالَ: لَهَا طَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا حَاطِبٌ. قَالَ: لَا تَسْلُكُهَا! قَالَ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ أَسْمَاءً أَقْبَحَ! سَمَّ لِرَسُولِ اللَّهِ! قَالَ: لَهَا
طَرِيقٌ وَاحِدَةٌ لَمْ يَبْقَ غَيْرُهَا. فَقَالَ عُمَرُ: سَمَّهَا. قَالَ: اسْمُهَا مَرْحَبٌ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ أُسْلِكُهَا! قَالَ عُمَرُ: أَلَا سَمَّيْتَ هَذَا
الطَّرِيقَ أَوَّلَ مَرَّةٍ!

ثم قال وَخَرَجَ الدَّلِيلُ يَسِيرُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَى بِهِ،
فَيَسْلُكُ بَيْنَ حِيَاضِ وَالسَّرِيرِ، فَاتَّبَعَ صُدُورَ الْأَوْدِيَةِ حَتَّى هَبَطَ بِهِ الْخَرَصَةَ، ثُمَّ نَهَضَ
بِهِ حَتَّى سَلَكَ بَيْنَ الشَّقِّ وَالنَّطَاةِ.. فَسَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَنْزِلَةِ، وَعَرَسَ بِهَا سَاعَةً
مِنَ اللَّيْلِ، وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ جَعَلَ مَسْجِدًا
فَصَلَّى إِلَيْهِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ نَافِلَةً. فَثَارَتْ رَاحِلَتُهُ تَجُرُّ زِمَامَهَا، فَأَذْرَكَتْ تَوَجُّهُ إِلَى
الصَّخْرَةِ لَا تُرِيدُ تَرْكُوبًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ!
حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ الصَّخْرَةِ، فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الصَّخْرَةِ،
وَأَمَرَ بِرَحْلِهِ فَحَطَّ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالتَّحَوُّلِ إِلَيْهَا، ثُمَّ ابْتَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَلَيْهَا مَسْجِدًا، فَهُوَ مَسْجِدُهُمُ الْيَوْمَ. فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَهُ الْحُبَابُ ابْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ
الْجَمُوحِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، إِنَّكَ نَزَلْتَ مَنْزِلَكَ هَذَا، فَإِنْ كَانَ عَنْ
أَمْرٍ أَمَرْتُ بِهِ فَلَا نَتَكَلَّمُ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ الرَّأْيُ تَكَلَّمْنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: بَلْ هُوَ الرَّأْيُ. فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَنَوْتُ مِنَ الْحِصْنِ وَنَزَلْتُ بَيْنَ ظَهْرِي النَّخْلِ وَالنَّزِّ، مَعَ أَنْ أَهْلَ
النَّطَاةِ لِي بِهِمْ مَعْرِفَةٌ، لَيْسَ قَوْمٌ أَبْعَدَ مَدَى مِنْهُمْ، وَلَا أَعْدَلُ مِنْهُمْ، وَهُمْ مُرْتَفِعُونَ



عَلَيْنَا، وَهُوَ أَسْرَعُ لِإِنْحِطَاطِ نَبْلِهِمْ، مَعَ أَنِّي لَا أَمْنُ مِنْ بَيَاتِهِمْ يَدْخُلُونَ فِي خَمْرِ النَّخْلِ، تَحَوَّلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى مَوْضِعٍ بَرِيءٍ مِنَ النَّزْوِ وَمِنَ الْوَبَاءِ، نَجَعَلُ الْحَرَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَتَّى لَا يَنَالَنَا نَبْلُهُمْ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نُقَاتِلُهُمْ هَذَا الْيَوْمَ. وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: انْظُرْ لَنَا مَنْزِلًا بَعِيدًا مِنْ حُصُونِهِمْ بَرِيئًا مِنَ الْوَبَاءِ، نَأْمَنُ فِيهِ بَيَاتَهُمْ. فَطَافَ مُحَمَّدٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الرَّجِيعِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلًا فَقَالَ: وَجَدْتُ لَكَ مَنْزِلًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. وَقَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَهُ ذَلِكَ إِلَى اللَّيْلِ يُقَاتِلُ أَهْلَ النَّطَاةِ، يُقَاتِلُهَا مِنْ أَسْفَلِهَا. وَحَشِدَتِ الْيَهُودُ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ لَهُ الْحُبَابُ: لَوْ تَحَوَّلْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَمْسَيْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَحَوَّلْنَا.

٤٩٩

وَجَعَلَتْ نَبْلَ الْيَهُودِ تُخَالِطُ عَسْكَرَ الْمُسْلِمِينَ وَتَجَاوَزُهُ، وَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَلْقَطُونَ نَبْلَهُمْ ثُمَّ يَرُدُّونَهَا عَلَيْهِمْ.

فَلَمَّا أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَوَّلَ، وَأَمَرَ النَّاسَ فَتَحَوَّلُوا إِلَى

الرَّجِيعِ^١

معالم الطريق إلى خيبر

هكذا، أخذ الواقدي بأيدينا ليسيير بنا على الطريق الذي اختاره حسيل - رضي الله عنه - لجيش النبي ﷺ من المسجد النبوي حتى الوصول إلى وادي

^١ المغازي (غزوة خيبر)

الرجيع شمال خيبر، فأوقفنا على عشرين معلماً من أعلام الطريق النبوي غطت حوالي ١٦٥ كم، تعادل ثمانية برد تقريباً، وهي ذاتها المسافة التي أوردتها المصادر بين المدينة، وخيبر.

أما ابن إسحاق فلم يورد لنا سوى ثلاثة مواضع، يقول - رحمه الله - في الكلام عن المسير إلى خيبر وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى خَيْبَرَ سَلَكَ عَلَى عَصْرِ، فَبَنَى لَهُ فِيهَا مَسْجِدًا، ثُمَّ عَلَى الصُّهْبَاءِ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَيْشِهِ، حَتَّى نَزَلَ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ الرَّجِيعُ، فَنَزَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَطَفَانَ، لِيَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يُمِدُّوا أَهْلَ خَيْبَرَ، وَكَانُوا لَهُمْ مُظَاهِرِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^١.

هذه المواضع الثلاث (عصر-الصهباء-الرجيع)، اتفق فيها مع رواية الواقدي المفصلة، وهي؛ أي رواية ابن إسحاق، نجدتها مكررة عند أغلب من كتب عن غزوة خيبر من أصحاب السير أو المحدثين.

أما رواية الواقدي فقد أوردت عشرين معلماً، هي:

- ١- ثنية الوداع، ٢- الزغابة، ٣- نَقَمَى، ٤- المستناخ، ٥- (كبس الوطه)، ٦-
- عِصْر ٧- الصهباء ٨- صدور الأودية، ٩- حَزَن، ١٠- شاس، ١١- حاطب، ١٢-
- مرحب، ١٣- (حياض)، ١٤- السُّرِير، ١٥- (الخرصة)، ١٦- النطاة، ١٧- الشق،
- ١٨- المنزلة، ١٩- الصخرة، ٢٠- الرجيع.

^١ المسيرة النبوية (غزوة خيبر)

هذه المعالم تنقسم - من حيث دقة تحديد مكانها - إلى ثلاثة أقسام:

الأول: معروفة العين، وإن اختلفت أسماؤه عما هو موجود اليوم، مثل ثنية الوداع ، أو الزغابة ، أو الصهباء ، فهي اليوم لا تسمى بهذه الأسماء، ولكنها معروفة العين.

الثاني: وهو قليل، معروف بعينه واسمه إلى اليوم، مثل نقي ، (الخرصة)^١، الشق والنطاة .

الثالث: غير معروف العين أو المكان، مثل المستناخ ، و عصر ، و(كبس الوطه)^٢، وهذا القسم هو الذي يحتاج إلى تكرار الخروج الميداني، مع اصطحاب الأدلاء من السكان المحليين، ودراسة مختلف الطرق المسلوكة بين المدينة وخيبر، التي تتوافق معالمها مع بقية المعالم التي تم التأكد منها، مع الرجوع إلى المصادر، ومعاجم البلدان، وما أفاد به أهل الديار العارفين بها. ثم بعد ذلك الكثير من التأمل في المعلومات التي تم جمعها، والقيام بتحليلها، للخروج بأقرب نتيجة صحيحة للموقع المراد تحديده.

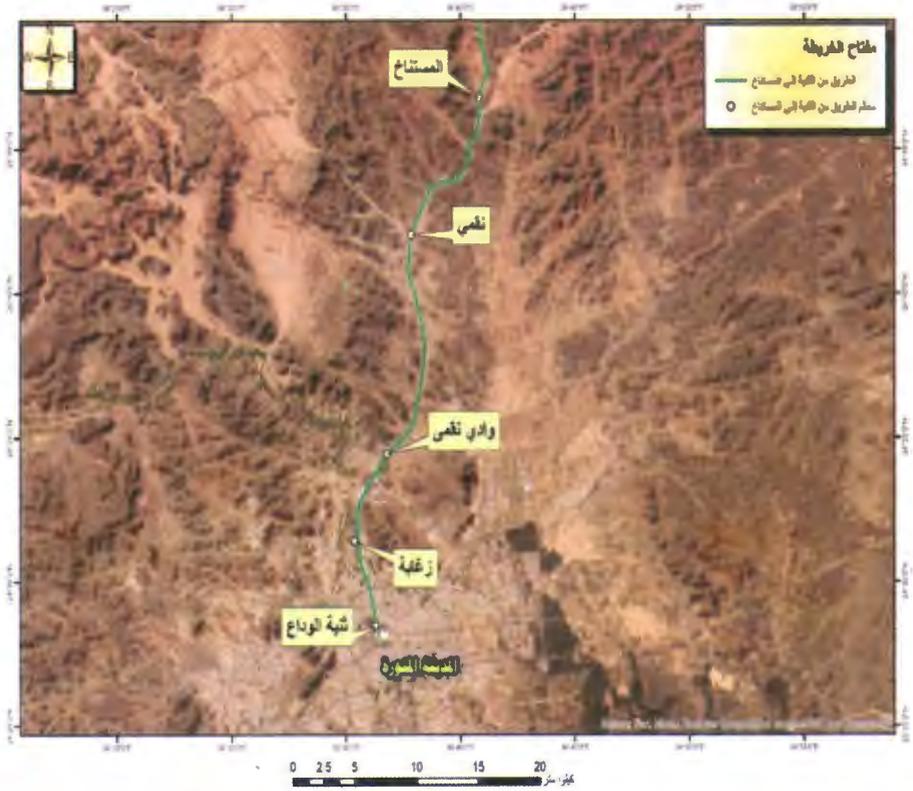
تتبع المسار النبوي بين المدينة وخيبر

سنأخذ معالم الطريق التي حددها لنا الإمام الواقدي مناراً نهتدي به في السير على خطى الجيش النبوي إلى خيبر، وسنستعين في التوجيه الصحيح لضبط المسار

^١ تصحيف، صحتها الحُرْضَة، وسنمر معنا

^٢ أرى أن هذا الاسم دخله التصحيف، والتحرير، فلعل صحته (سلك الدومة)

بما وصل إلينا من المصادر الأصلية الأخرى، التي تحدثت عن الطرق الموصلة بين المدينة وخيبر.



٥٠٢

ثنية الوداع



ثنية الوداع
24°28'33.0"N
39°36'17.6"E

أشهر ثنايا المدينة المنورة، وتقع شمال المسجد النبوي، بميل قليل إلى الغرب، وتبعد عنه حوالي واحد كم.

والثنية في اللغة الطَّرِيق فِي الْجَبَل^١، وثنية الوداع، طريق جبلي ضيق، يفصل بين قرن صغير، وبين وجه جبل سلع الشرقي، يسمى هذا القرن الصغير

^١ المخصص لابن سيده، (باب الجبال)

اليوم (القرين الفوقاني)، تمييزاً له عن (جبل الراية)، القريب منه شمالاً، المسمى (القرين التحتاني).



ثنية الوداع في الثلاثينات الميلادية (عبد الله فليبي)

وثنية الوداع، رغم شهرتها، فإن ياقوت والبكري لم يحددا موقعها تحديداً دقيقاً، فقال ياقوت بفتح الواو وهو اسم من التوديع عند الرحيل: وهي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة، واختلف في تسميتها بذلك، فقيل لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة، وقيل لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، ودّع بها بعض من خلفه بالمدينة في آخر خرجاته، وقيل في بعض سراياه المبعوثة عنه، وقيل الوداع اسم واد بالمدينة، والصحيح أنه اسم قديم جاهلي، سمي لتوديع المسافرين¹.

¹ معجم البلدان، رسم: ثنية الوداع

أما البكري فلم يزد على أن قال: بفتح أوله، عن يمين المدينة أو دونها^١.
لكن، مؤرخ المدينة السيد السهمودي، حددها تحديداً دقيقاً، فقال: هي
المعروفة بذلك اليوم في شامي المدينة بين مسجد الراية الذي على ذباب ومشهد
النفس الزكية، يمر فيها المار بين صدين مرتفعين قرب سلع^٢.

وممن حددها من المعاصرين، إبراهيم بن علي العياشي (رحمه الله)،
يقول: ثنية الوداع الشامية بين القرين الفوقاني وبين شرقي شمال جبل سلع .

هذه الثنية لها ذكر كثير في السيرة النبوية الشريفة، وفي تاريخ المدينة بشكل
عام، وتسمى الثنية الشامية، لوقوعها شمال المدينة، وهي بوابة المدينة لمن أراد
الدخول أو الخروج من المدينة باتجاه الشمال، ومن جهتها دخل النبي ﷺ المدينة
مهاجراً من مكة على التحقيق؛

قلت: هي عند أهل المدينة أشهر من أن تُعرّف.

أما الرواية التي تقول إنها كانت تسمى في الجاهلية بثنية الركاب، أو أنها
سُميت بثنية الوداع لأن المسلمين في خروجهم إلى غزوة تبوك ودعوا عندها نسوة
كانوا استمتعوا بهن؛ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني إن هاتين الروايتين غير

^١ معجم ما استعجم

^٢ وفاء الوفا، رسم: ثنية الوداع

^٣ الشريف إبراهيم بن علي العياشي (١٣٣٩ هـ - ١٤٠٠ هـ) أبرز مؤرخي المدينة المنورة في القرن الرابع
عشر هجري. ولد في المدينة المنورة. باحث في تاريخ وجغرافيا المدينة المنورة، من أشهر كتبه (المدينة بين
الماضي والحاضر).

^٤ يُنظر تفصيل ذلك في كتاب "الرحيق المصفى في وصف طريق هجرة المصطفى ﷺ" للمؤلف.

وتقدم معنا قول ياقوت، وكذلك يقول أصحاب معاجم البلدان: إن (ثنية الوداع) اسم جاهلي قديم لهذه الثنية^٢.

حالة الثنية في العصر الحديث

تحدث عن الثنية الشيخ أحمد بن ياسين الخياري^٣ (رحمه الله)، فقال: وثنية الوداع اليوم هي الموضع المرتفع الذي يقع خلف محطة (أبو العلا) خارج باب الشامى ويسمى (القرين) ويقال له كشك يوسف باشا، ويوسف باشا هو الذي نقر الثنية ومهد طريقها رحمه الله في حدود عام ١٢١٤ هـ والله أعلم^٤.

كان هذا وصف للثنية في نهاية القرن الرابع عشر الهجري، أما الآن، فقد أزيلت بالكليّة عام ١٤٠٦ للهجرة (١٩٨٦ ميلادية) وأنشئ في موقعها نفق لعبور السيارات، بعد أن توسع عمران المدينة وزاد عدد سكانها، ومكان الثنية في نهاية النفق للخارج إلى شارع سلطنة.

بعض الأحداث المرتبطة بثنية الوداع

ارتبطت ثنية الوداع بأحداث مهمة، وخاصة في العهد النبوي، منها:

^١ فتح الباري، ١٦٩/٩، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩

^٢ المغنم المطابة للفيروزآبادي، رسم "ثنية الوداع"

^٣ أحمد ياسين أحمد الخياري: (١٣٢١ - ١٣٨٠ هـ / ١٩٠٣ - ١٩٦٠ م)، هو شيخ القراء وأحد أدياء المدينة

^٤ النورة الأفاضل ومن مؤرخيها المعروفين وعلى مختلف المستويات. كان يرحمه الله مديراً لمكتبة الحرم النبوي الشريف بل هو أول مدير لها وله عدة كتب مطبوعة وله اهتمام واسع بالتاريخ وعلى وجه الخصوص تاريخ المدينة الفاضلة طيبة الطيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

^٤ تاريخ معالم المدينة قديماً وحديثاً، ط١، ص ٣٣٥

- خرج منها ﷺ إلى تبوك فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ عَسْكَرُهُ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ^١

- خروج أهل المدينة لتلقي النبي ﷺ في عودته من غزوة تبوك، وقيل إنهم استقبلوه بالنشيد المشهور (طلع البدر علينا.. من ثنيات الوداع) في عودته من تلك الغزوة.

- شجع النبي ﷺ جيش سرية مؤتة عند هذه الثنية، وأوصاهم بوصية عظيمة، تعتبر من المبادئ الأساسية لأخلاق الحروب العادلة خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشيحا لأهل مؤتة حتى بَلَغَ ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ، فَوَقَفَ وَوَقَفُوا حَوْلَهُ فَقَالَ: أُغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ، فَقَاتِلُوا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ بِالشَّامِ، وَسَتَجِدُونَ فِيهَا رِجَالًا فِي الصَّوَامِعِ مُعْتَرِلِينَ لِلنَّاسِ، فَلَا تَعْرِضُوا لَهُمْ، وَسَتَجِدُونَ آخِرِينَ لِلشَّيْطَانِ، فِي رُءُوسِهِمْ مَفَاحِصَ فَأَقْلِعُوهَا بِالسُّيُوفِ، وَلَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا صَغِيرًا مُرْضِعًا وَلَا كَبِيرًا فَانِيًا، لَا تُغْرِقَنَّ نَخْلًا وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجْرًا، وَلَا تَهْدِمُوا بَيْتًا^٢.

- اتخذها النبي ﷺ ، وما حولها ساحة للأنشطة الرياضية، ومنها سباق الخيل، فجعلها خط النهاية لسباق الخيل المضمرة.

أخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَابَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْخَيْلِ

^١ السيرة النبوية، غزوة تبوك

^٢ المغازي، غزوة مؤتة.

الَّتِي قَدْ أُضْمِرَتْ، فَأَرْسَلَهَا مِنَ الْحَفِيَاءِ، وَكَانَ أَمْدُهَا ثِنِيَّةَ الْوَدَاعِ - فَقُلْتُ لِمُوسَى:
فَكَمْ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: سِتَّةُ أَمْيَالٍ أَوْ سَبْعَةٌ - وَسَابِقُ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ،
فَأَرْسَلَهَا مِنْ ثِنِيَّةِ الْوَدَاعِ وَكَانَ أَمْدُهَا مَسْجِدَ بَنِي زُرَيْقٍ قُلْتُ: فَكَمْ بَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ:
مِيلٌ أَوْ نَحْوَهُ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ مِمَّنْ سَابَقَ فِيهَا ١.

الزغابة



الزغابة
24°31'53.0"N
30°35'11.0"E

الزغابة في اللغة، قال في اللسان: الزُّغَابَةُ: أَقْلٌ مِنَ الزَّغَبِ،
وَقِيلَ: أَصْغَرَ مِنَ الزَّغَبِ، وَالزَّغَبُ: مَا يَبْقَى فِي رَأْسِ الشَّيْخِ عِنْدَ رِقَّةِ
شَعْرِهِ ٢.

وزغابة موضع في سافلة المدينة، تجتمع فيه سيول أودية المدينة (العقيق،
بطحان، قناة)، ثم تسيل كوادٍ واحد هو وادي إضم (يسمى اليوم وادي الحمض).
جمع السمهودي أقوال المؤرخين في الزغابة، وحددها، وهو أعلم بها منهم،
فقال: كسحابة والغين معجمة، مجتمع السيول آخر العقيق غربي قبر حمزة رضي
الله تعالى عنه، وهي أعلى إضم كما سبق عن الهجري وغيره، وأن ابن إسحاق قال:
نزلت قريش بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة، قال أبو عبيد البكري
في ضبطه: زغابة بالضم وإهمال العين، وقال محمد بن جرير: الرواية الجيدة بين
الجرف والغابة؛ لأن زغابة لا تعرف، قال ياقوت: ليس كذلك، فإن في الحديث أنه
صلى الله عليه وسلم قال: «ألا تعجبون لهذا الأعرابي؟ أهدي إليّ ناقتي أعرفها

١ ح: ٢٨٧٠

٢ لسان العرب، ١/٤٥٠، ط٣، دار صادر: بيروت

بعيني، ذهبت مني يوم زغابة، وقد كافأته بست - أي بست بكرات - فسخط» وجاء ذكر زغابة في حديث آخر، فكيف لا يكون يعرف؟^١

وقال ابن شبة: تجتمع هذه الأودية بزغابة، وهو بطرف وادي إضم، سمي بإضم لانضمام السيول به.^٢

قلت: وتسمى زغابة بمجتمع السيول، ولهذا أورد الزبير هنا حديثاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم «ركب إلى مجتمع السيول فقال: ألا أخبركم بمنزل الدجال من المدينة، فقال: «هَذَا مَنْزِلُهُ - يُرِيدُ الْمَدِينَةَ - فَلَا يَسْتَطِيعُهَا عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهَا مَلَكَ شَاهِرٌ سِلَاحُهُ لَا يَدْخُلُهَا الدَّجَالُ»^٣

والطريق من المدينة إلى الغابة، وإلى ما والاها شمالاً يمر بالزغابة، فهي المعبر إلى تلك الجهات.

وحدود الزغابة من الجنوب: ما كان يعرف بيثرب، وهو اليوم جزء من حي النسيم، والبركة، شمال الدائري الثاني. ومن الشمال: الغابة. ومن الشرق سفح جبل أحد الغربي. ومن الغرب جانب الجرف الشرقي.



المس: ابيض نغمي
24°34'10.4"N
39°34'54.3"E

نغمي

وادي نغمي (بثلاث فتحات).

^١ وفاء الوفا ٨٧/٤

^٢ أخبار المدينة، ١١٠/١

^٣ وفاء الوفا ٢١٦/٣

ونقمة وادٍ ما زال معروفا باسمه، ويلفظ اليوم بتسكين النون وضم القاف وكسر الميم (انقمة) كلهجة عامية، وهو وادٍ متوسط الرتبة يدخل المدينة من شمالها الشرقي، فإذا تجاوز جبال الحفيا انعطف غرباً، ليمر شمال جبل أحد على بعد ٢ كم، ثم يفيض في أعلى وادي إضم (الحمض) في الغابة العليا، على بعد حوالي ١٧ كم من مركز المدينة.



وصف نقمة في المصادر:

قال في معجم البلدان نقمة بالتحريك والقصر من النعمة وهي العقوبة مثل جمزى من الجمز موضع من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب.

^١ تسمى اليوم الخليل

قال ابن إسحاق: وأقبلت غطفان يوم الخندق ومن تبعها من أهل نجد حتى
نزلوا بذب نقي إلى جنب أحد، ويروى نقم ولها نظائر ستة ذكرت في قلهي^١.
وعن علي بن وهاس^٢ نَقَمَى: من أعراض المدينة وكان بها الطالبيون مرة .
ويورد السمهودي اسماً آخر لنقي فيقول: عُرَى، اسم لوادي نقي، كما
سيأتي في النون.

قال سالم بن زهير الخضري:

إذا ما الصبا هبت وقد نام صبيتي بأجبال عُرَى لم يرعنا حينها^٣

وقال السمهودي في موضع آخر: وسبق في مجتمع الأودية أن وادي نقي
يلقاها أسفل من عين أبي زياد بالغابة، وروى الزبير عن عمر بن عبيد الله بن معمر
أن اسم نقي ليس نقي، وإنما هو نقيمان، أي بالثنية وأن اسمه أولاً كان عُرَى
فخرج رجلان من العرب لقومهما فرجعا فلم يحمدا فليل نقيمان، أي بالثنية فسميا
بذلك السبب نقما، انتهى.

ومقتضاه أن يكون بكسر القاف^٤.

وعند ابن إسحاق في خبر غزوة الأحزاب وَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

^١ معجم البلدان، باب النون والقاف، والنظائر الستة هي: قلهي ونقي وصورى وبشمى ويروى بالسین المهملة

وضفوى قال أبو محمد: ووجدنا سادسا نغلي.

^٢ سبقته ترجمته

^٣ وفاء الوفاء ٤ ص ٣٨١

^٤ وفاء الوفاء ص ١٣٢٣ تحقيق محمد محي الدين

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ، أَقْبَلْتُ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلْتُ بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةَ، بَيْنَ الْجُرْفِ وَرَغَابَةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تَهَامَةَ، وَأَقْبَلْتُ غَطَفَانَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ حَتَّى نَزَلُوا بِدَنْبِ نَقْمَى، إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ .

أجزاء وادي نقمى

يتكون وادي نقمى من ثلاثة أجزاء، أوله يسمى وادي مذيال، وأوسطه مهلهل، وآخره نقمى، والأجزاء الثلاثة مجراها واحد، وإن اختلفت أسماؤها، وربما كانت هذه الأسماء حديثة، بمعنى أنها لم تكن موجودة في القرون الأولى، وأن الأجزاء الثلاثة يشملها اسم واحد هو وادي نقمى .

٥١١ يبدأ تكوّن الوادي من السفوح الجنوبية لجبال أبيض، ومن الأطراف الجنوبية لحرّة خيبر على بعد ٦٠ كم تقريباً من مفيض الوادي في مجمع الأسيال. وله فروع وروافد كثيرة جداً مما جعله من أغزر أودية المدينة ماءً، ويتضح ذلك من كثرة عيونه وحيوفه^١.

بعد أن تهبط شعاب الوادي الكثيرة من جبال أبيض، ومن الحرّة تتجمع في حوض ضيق، ثم تتحد في مجرى واحد ضيق متعرج، وعر، وتصب فيه الشعاب يمناً ويسرة، حتى إذا اتسع المجرى قليلاً لقيه من الغرب اهم رافد وهو وادي مذليل، ومن الشرق وادي سهوان.

^١ الخيف ما ارتفع عن مجرى الوادي ونزل عن متن الجبل، وهو أفضل الأماكن للزراعة على ضفاف الأودية).

ومن هنا يسمى الوادي (وادي مهلهل).

يستمر وادي مهلهل في السير جنوباً، وهو جزع أقل وعورة، وتكثر فيه آثار الاستيطان القديم، من مساقى العيون، والقصور، و الأسوار المنيعة، و يدل أسلوب البناء، والمواد المستخدمة على أنها من القرون الإسلامية المبكرة.

وبعد حوالي: (٢٨) كم من بداية تكوّن الوادي، يصل إلى براح واسع سهل لين التربة، تكثر فيه الأشجار الضخمة المعمرة. يسمى هذا الموضع اليوم الصهوة ، ويلتقي فيه مع شعيب الصهوة القادم من جبال الشوك ومن هنا يأخذ الوادي اسم نقى ، حسبما اصطلح عليه الناس اليوم.

يستمر الوادي في السير جنوباً مع ميل إلى الغرب وبعد قليل يلقاه من اليمين وادي مُريخ، وعندما يصل إلى طريق تبوك القديم يرفده من الشمال الغربي وادي ممناة قادماً من جبل الخشبي، ثم يستمر جنوباً عدلاً، وعند الطرف الشرقي لجبال الحفيا يمر بجانب خيف البصل أحد أهم خيوفه، ثم يلقاه من يسار شعيب قصب القادم من جبال تحمل هذا الاسم، ومن هنا يدخل وادي نقى حمى المدينة المنورة (حمى الشجر).

بعدها، ينعطف الوادي قليلاً ناحية الغرب، ثم يسير في براح من الأرض بين جبال الحفيا من الشمال وظراب متفرقة من الجنوب حتى يفيض في وادي إضم (الحمض) في الغابة العليا.

ومن هناك يواصل وادي إضم مسيره حتى البحر الأحمر، فيفيض جنوب

مدينة الوجه، عند أكرا ، أحد المنازل المشهورة لحجاج مصر، وشمال أفريقيا.



أثار في وادي نقي

كان وادي نقي موثلاً لبعض آل البيت النبوي، وقد مر معنا قول ياقوت وغيره أن نقي موضع من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب.

وقد حددت لنا بعض المصادر مثل الذهبي والخطيب البغدادي أن أحد أئمة آل البيت كانت له ضيعة في نقي، وهو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب سلام الله على الجميع.

قال الخطيب البغدادي " أخبرنا الحسن حدثني جدي حدثنا إسماعيل بن



يعقوب حدثني محمد بن عبد الله البكري قال قدمت المدينة أطلب بها ديناً فأعياني فقلت لو ذهبت إلى أبي الحسن موسى بن جعفر فشكوت ذلك إليه فأتيته بنقمة في ضيعته فخرج إليّ ومعه غلام له معه منسف فيه قديد مجزع ليس معه غيره فأكل وأكلت معه ثم سألتني عن حاجتي فذكرت له قصتي فدخل فلم يبق إلا يسيراً حتى خرج إليّ فقال لغلامه اذهب ثم مديده إليّ فدفع إليّ صرة فيها ثلاثمائة دينار ثم قام فولى فقامت فركبت دابتي وانصرفت^١.

والظاهر أن آل البيت، حينما استولى الأمويون والموالون لهم على العقيق وعرضاته، وجد الطالبيون بغيتهم في وادي نقمة، فابتنوا القصور والضياع، وساعدتهم في ذلك وفرة الماء وكثرة الخيوف.

وتتناثر في جنبات الوادي ركامات القصور، وآثار مساقى المزارع، وفقر العيون، حتى سُمي أحد أجزاء وادي نقمة بوادي القُفور لكثرة العيون فيه.

والسائر في وادي نقمة سوف يدهش عندما يشاهد تلك الأساليب الهندسية في سحب المياه من العيون عبر قنوات مفتوحة محفورة في الجبل تسقي ضياعاً متباعدة رغم اختلاف مناسيب مجاريها، وأيضاً بقايا الحصون، والضياع، والسدود، وقد مضى عليها أكثر من ألف عام.

وقد أجرى الأستاذ الدكتور/ سعد بن عبد العزيز الراشد دراسة أثرية معمقة على الآثار الموجودة في وادي نقمة، ووادي مهلهل، ووادي صهوان، والسد

^١ تاريخ بغداد، من اسمه موسى

وقد خلص الدكتور الراشد في نهاية دراسته إلى رأي علمي نجتزئ منه هذه

الفقرة الموجزة:

"من خلال مشاهداتنا للأثار الباقية في وادي مهلهل، ووادي نقمى، وخيف البصل، نجد أننا أمام شبكة متصلة من القنوات والآبار والقصور والسدود بنيت على نمط ونسق واحد، وكأنما هي مشروع متكامل خطط له ونفذ في وقت قياسي محدد. ويتضح أن هذه المواقع تمثل ضياعاً ومزارع استغلت في العصور الإسلامية المبكرة وشارك في بنائها مئات الأيدي العاملة وذلك من خلال كثافة هذه المنشآت والمساحة الكبيرة التي تغطيها.

والملاحظ أيضاً دقة الصنعة لدى المهندسين والبنائين في استغلال الأراضي الزراعية والاستفادة من مياه الأمطار والسيول"^٢.

قلت: في الحقيقة يعتبر وادي نقمى بكل أجزائه موقعاً من مواقع التاريخ الإسلامي، ينبغي اظهاره، وإشهاره، لتعلقه بالسيرة النبوية، ومنتزهاً لأهل المدينة وطريقاً تاريخياً إلى خيبر، ومنها إلى شمال الجزيرة العربية.

تحقيق الطريق النبوي من المستنخ إلى الصهباء

هذا الجزء من الطريق (من المستنخ إلى الصهباء) عند الواقدي غير واضح

^١ نشرت الدراسة في كتابه "دراسات في الآثار الإسلامية المبكرة بالمدينة المنورة" ص ١٩٣ - ٢١٠

^٢ دراسات في الآثار الإسلامية المبكرة بالمدينة المنورة ص ٢٠٨

وضوح الجزء الأول، فالواقدي أورد فيه ثلاثة مواضع (المستناخ - كبس الوطه) - عصر، وهي غير معروفة اليوم، اسماً ورسمًا، وبالتالي يحتاج الأمر إلى الاستعانة بالمصادر الأخرى المتوفرة، ومحاولة تعيين هذه المواقع الثلاثة، ومحاولة إضافة مواقع أخرى، تعيين على الدقة في تحديد المسار بين المستناخ والصهباء، فإذا تحقق ذلك فقد وصلنا خير، فالصهباء أدنى خير.

الطرق الواقعة بين المستناخ والصهباء كما جاءت في المصادر

نورد فيما يلي أربعة مصادر وصفت هذا الجزء من طريق خير، ثم نستخلص منها المعالم الواقعة بين المستناخ والصهباء.



١ - عند الواقدي: المستنخ-كيس الوطه- عصر- الصهباء

٢- عند ابن إسحاق: جاء وصفٌ للطريق بين خيبر، والمدينة، في حملة عسكرية، جرت قبل الإسلام بحوالي مائتي سنة، قادها رزاح بن ربيعة القضاعي من بلاده في شمال غرب الجزيرة العربية إلى مكة المكرمة، لنصرة أخيه لأمه قصي بن كلاب، في حربه ضد قبيلة خزاعة، لإخراجهم من مكة المكرمة، وقد تم لهما ذلك، ثم عاد إلى بلاده، ونقل عنه المؤرخون قصيدة يصف فيها الطريق الذي سلكه بدءاً من نواحي خيبر إلى مكة المكرمة.

قال ابن إسحاق في السيرة النبوية الشريفة:

فَلَمَّا فَرَّغَ قُصَيٌّ مِنْ حَرْبِهِ انْصَرَفَ أَخُوهُ رِزَاحُ بْنُ رَبِيعَةَ إِلَى بِلَادِهِ بِمَنْ مَعَهُ
مِنْ قَوْمِهِ وَقَالَ رِزَاحُ:

لَمَّا آتَى مِنْ قُصَيِّ رَسُولٌ ... فَقَالَ الرَّسُولُ أَجِيبُوا الْخَلِيلَا
نَهَضْنَا إِلَيْهِ نَقُودُ الْجِيَادِ ... وَنَطْرَحُ عَنَّا الْمُلُوكَ الثَّقِيلَا
نَسِيرُ بِهَا اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ ... وَنَكْمِي النَّهَارَ لَيْثًا نَزُولَا
فَهَنْ سِرَاعُ كَوْرِدِ الْقَطَا ... يُجِبْنَ بِنَا مِنْ قُصَيِّ رَسُولَا
جَمَعْنَا مِنَ السَّرَّاءِ مِنْ أَشْمَدَيْنِ ... وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ جَمَعْنَا قَبِيلَا
فِيَا لَكَ حُلْبَةً مَا لَيْلَةٌ ... تَزِيدُ عَلَيَّ الْأَلْفِ سَبِيًّا رَسِيلَا

^١ لعله يعني وادي خيبر المُسمى السُرير، فكَبَّرَه لضرورة الشعر، وهناك أمثلة على مثل هذا الصنيع.

فَلَمَّا مَرَزْنَ عَلَى عَسْجِدٍ ... وَأَسْهَلْنَ مِنْ مُسْتَنَاحٍ سَبِيلًا
وَجَاوَزْنَ بِالرُّكْنِ مِنْ وَرِقَانَ ... وَجَاوَزْنَ بِالْعَرَجِ حَيًّا حُلُولًا

إلى آخر القصيدة.

هذه القصيدة يصف فيها رزاح جزءً من الطريق بين خيبر والمدينة، بدءاً من خيبر وأشمذين، وأورد بعدهما موضعين، قبل أن يجاوز المدينة ويصل إلى جبل ورقان، هما: (عسجد، والمستناخ)، وهما بالتأكيد شمال المدينة، لأن الأخير منهما أوردته الواقدي بعد نقي للمتجه إلى خيبر.

المعالم الواردة في هذا الطريق في قصيدة رزاح عند ابن إسحاق:

أشمذان، عسجد، المستناخ

٣- يصف البكري الطريق، فيقول: خيبر: بينها وبين المدينة ثمانية برد، مشي ثلاثة أيام.

تخرج من المدينة على الغابة العليا، ثم تسلك الغابة السفلى، ثم ترقى في نقب يردوح، وفيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تسلك وادياً يقال له الدومة، وبه آبار، ثم أشمذ: جبل، ثم الشقة، وهي حرّة، ثم نمار، وهي من خيبر على ستة أميال.

وأول حدّ خيبر الدومة، ثم تصير إلى خيبر وحصونها^١.

^١ معجم ما استعجم، ٥٢١/٢، ويلاحظ أنه نقل كلام صاحب المناسك بدون الإشارة إليه.



هذا الطريق في جزئه الأول، يخالف الطريق النبوي، لأنه لا يمر على وادي نغمي، لكنه يلتقي بالطريق النبوي في وادي الدومة، وما بعده.

والمعالم الواردة في هذا الطريق مما له علاقة بالطريق النبوي بين وادي نغمي

والصهباء:

وادي الدومة، أشمذ، الشقة (حرة)، نمار (ثبار)، خيبر

٤- قال السكوني: ترحل من المدينة وأنت تريد تيماء، فتنزل الصهباء لأشجع، ثم تنزل أشمذين لأشجع، ثم تنزل العين، ثم سلاح، لبني عذرة ثم تسير ثلاث ليال في الجنب، ثم تنزل تيماء وهي لطية^١.

ويلاحظ أنه جعل الصهباء قبل أشمذين، والعكس هو الصحيح، كما سنرى.

المعالم الواردة في هذا الطريق:

أشمذين، الصهباء.

تحليل المعلومات الواردة في الروايات السابقة

بدراسة معالم الطرق الواردة في الروايات السابقة نلاحظ أن جبل أشمذ، أو أشمذين قاسم مشترك في ثلاثة من الروايات السابقة، التي تصف الطريق إلى الصهباء، ومنها إلى خيبر، وفي قصيدة رزاح ربط بين أشمذين والمستناخ الوارد في

^١ المرجع السابق، ١/٣٢٩



رواية الواقدي، مما يجعلنا نرجح أن هذا الطريق هو المسار النبوي إلى الصهباء.
ولتعزيز هذا الاتجاه نلقي الضوء على المعالم الثلاثة الواردة على هذا
المسار (أشمدين - عسجد - المستناخ).



أشمذان



نقطة
25°11'35.7"N
39°16'31.0"E

لحسن الحظ أن أشمذ أو أشمدين: مازال معروفاً باسمه
إلى اليوم؛ جبلٌ أحمر ذو رأسين، وجسم واحد، أشمخ الجبال
الواقعة شمال خيبر، وصفه ياقوت، فقال: أشْمَذَان: بفتح أوله،

والميم والذال معجمة مفتوحة، وألف، ونون مكسورة، بلفظ الثنية، يقال: شمذت
الناقة بذنبها إذا رفعت، ويقال للنحل: شمذ لأنهن يرفعن أذناهن، وقيل في قول رزاح

بن ربيعة العذري أخي قصي لأمه:

جمعنا من السر من أشمذين، ... ومن كل حي جمعنا قبيلًا

وقيل: أشمذان هاهنا جبلان، وقيل: قبيلتان، وقال: نصر: أشمذان تثنية

أشمذ: جبلان بين المدينة وخيبر تنزلهما جهينة وأشجع^١.

وقال عنه البلادي أشمذين ما زالًا معروفين، جبل ذو رأسين يُشرف على

الصُّلُصَّةِ مِنَ الْجَنُوبِ الْعَرَبِيِّ: وَالصُّلُصَّةُ عَلَى (١١٨) كَيْلًا مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى

طَرِيقِ خَيْبَرِ^٢.

عسجد

٥٢١

هذا الموضع يقع على الطريق إلى المدينة على خط: أشمذ- المستناخ-

نقوى ولم تصفه المصادر أو تحدد موقعه سوى ما أورده ياقوت في معجمه، فقال:

عَسَجْدٌ: بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم جيم مفتوحة، وهو الذهب، وقيل: بل العسجد

اسم جامع للجوهر كله: وهو اسم موضع بعينه، قال رزاح بن ربيعة العذري:

فلما مررن على عسجد، ... وأسهلن من مستناخ سبيلا

وإليه تنسب الإبل العسجدية، ويروى عسجر، بالراء^٣.

البحث عن عسجد

^١ معجم البلدان، رسم: أشمذان

^٢ معجم المعالم الواردة في السيرة النبوية

^٣ الإبل العسجدية تنسب إلى موضع آخر في نجد له نفس الاسم (مراصد الاطلاع)

قمت بمسح المنطقة الواقعة بين رأس وادي نقي حتى أعلى وادي اللحن، والبحث عن مكان يمكن أن يوصف بشيء له علاقة بالذهب، أو الأحجار الكريمة، وبعد التجوال في تلك النواحي، وسؤال أهل تلك الديار العارفين بها، والرجوع إلى المصادر القديمة، والحديثة، وصلت إلى ما أعتقد أنه عسجد؛ وهو معدن (منجم) ذهب قديم، كان يستخرج منه الذهب في القرون الأولى من التاريخ الإسلامي، وربما أيضاً في زمن قبل ذلك بكثير، يسمى اليوم (النمرانية).

يقع في وادي الغميس الجنوبي.

موقع معدن عسجد (النمرانية)



النمرانية
24°57'37.2"N
39°32'00.3"E

يحدد لنا لغدة الأصفهاني^١ في (بلاد العرب) هذا المعدن،

فقال: وعن يسار الحرة، حرة النار، فيما بينها وبين المدينة، جبال يقال لها جبال السخل، بها معدن يقال له المُرْبِدَة، يسكنه قوم من بني ليث، وبشرقي جبال السخل، صحراء برية، طيبة التراب، يقال لها الحَيْل لغطفان وأشجع^٢.

^١ اللُغْدَة (٠٠٠ - نحو ٣١١ هـ = ٠٠٠ - نحو ٩٢٣ م)

الحسن بن محمد الأصبهاني، أبو علي المعروف بلغدة، أو لغدة أو لكذة، ولعله بالكاف المعقودة: علامة بالأدب، من أهل أصبهان، سكن بغداد، ولم يكن له في آخر أيامه نظير بالعراق. تناقل مورخوه اسم أبيه (عبد الله) ثم ظهر مخطوط من كتبه كتب سنة ٣٥٢ واسمه فيه (الحسن بن محمد) فعولت عليه أكبر تصانيفه (النوادر) مفقود، ويرى الأستاذ حمد الجاسر أن كتاب (بلاد العرب - ط) الذي حققه وأشرف على طبعه، قد يكون جزءاً من النوادر.

^٢ بلاد العرب، ص ٣٩٤، الناشر: دار اليمامة، الرياض



ويعلق الشيخ حمد الجاسر، على هذا المعدن بقوله وحره النار هي المعروفة الآن باسم حره خيبر، لأن بلاد خيبر تقع في وسطها، والجبال الواقعة غرب هذه الحره تكثر فيها المعادن، التي لا تزال آثارها ظاهرة، إلا أن التحديد المتقدم يفهم منه أن موقع المعدن في جبال السخل الواقعة بين حره خيبر وبين المدينة، فكأن هذا المعدن يقع في الشمال الشرقي من المدينة .

وتوقَّع الشيخ حمد الجاسر (رحمه الله) في محله، فجبال النمرانية تقع ضمن مجموعة جبال السخل الواقعة شمال شرق المدينة.

ويؤيد ذلك قول (لغده) وبشرقي جبال السخل، صحراء برية، طيبة التراب، يقال لها الحيل لغطفان وأشجع . هذه الصحراء البرية المشار إليها، أرض بيضاء،

تشبه دائرة واسعة تسمى اليوم (أبو بريقة)، تحيط بها جبال الشوك من الجنوب، و
الحرّة من الشمال، والستار من الشرق، وجبال السخل من الغرب.

ويوجد في النمرانية مستوطنة قديمة، تعود لمرحلة مبكرة من التاريخ
الإسلامي، وفي الجبل حولها بقايا حرق الصخور، وأثار التعدين.

وهذا المعدن (المنجم) مدرج على قائمة مناجم منطقة المدينة المنورة^١.

مفارقة!!

من المفارقات أن عثرنا^٢ على نقش في منجم النمرانية فيه هذا البيت

كُنَّا أَنَا سَا كَمَا كُنْتُمْ فَغَيَّرْنَا ... دَهْرٌ فَأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَ^٣

هذا البيت منسوب لعمر بن الحارث الجُرهمي، وجرهم هي القبيلة التي
أجلتها خزاعة عن مكة المكرمة، ثم قلب الدهر ظهر المجن لخزاعة فأجلاهم
قصي بمساعدة أخيه من الأم رزاح، فكأن عمرواً كان يتنبأ بمصير خزاعة على يد
رزاح.

فهل كان كاتب هذا البيت على علم بقصيدة رزاح ونزوله في هذا الموقع وهو
في طريقة إلى حرب جرهم؟ فكتب البيت ليعتبر به كل من يراه!!.. الله أعلم.



^١ مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد ٢٦، ص ١٥

^٢ عثر على النقش الأستاذ عليان النياي الرشيدي (أبو طلال)، وكنت في صحبته، وقرأه الأستاذ محمد بن عبد الله المغنوي

^٣ قال ابن هشام في السيرة النبوية "وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ: أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ أَوَّلَ شِعْرِ قَيْلٍ فِي الْعَرَبِ".
والبيت المذكور أحد هذه الأبيات.



نقش في منجم النمرانية (عسجد)

المستناخ



المستناخ
24°46'47.0"N
39°40'48.0"E

المستناخ في اللغة مكان بروتك الإبل، قال في صحاح اللغة
بَرَكَ البعيرُ يَبْرُكُ بُرُوكًا، أي اسْتَنَاحَ. وَأَبْرَكَتُهُ أَنَا فَبَرَكَ، وهو قليلٌ،
والأكثرُ أَنْخَتُهُ فاستناخ^١.

وحتى نستطيع استنتاج مكان هذا الموضع، نعود إلى قصيدة رزاح بن ربيعة
السابق ذكرها، ونختار منها هذين البيتين:

جَمَعْنَا مِنَ السَّرِّ^٢ مِنْ أَشْمَدَيْنِ ... وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ جَمَعْنَا قَبِيلًا

فَلَمَّا مَرَزْنَا عَلَى عَسْجِدٍ ... وَأَسْهَلْنَا مِنْ مُسْتَنَاحٍ سَبِيلًا

^١ الصحاح تاج اللغة، "برك"

^٢ لعله يعني السرير أحد أودية خيبر، وكبرها لضرورة الشعر، ولهذا نظائر.



بقايا حصن في المستنخ



رزاح في طريقه إلى مكة المكرمة آتياً من الجنباب (الجهراء)، وهي بلاد قومه، لا بد أن يكون مرّ على خيبر، ومنها إلى أشمذين. وطالما أنه متجه إلى المدينة^١، في طريقه إلى مكة، فبالضرورة سيمر على وادي اللحن، وهو الوادي المذكور في إحدى الروايات السابقة، التي نقلها البكري عن صاحب كتاب (المناسك)، باسم وادي (الدومة)، ومنه اتجه رزاح إلى عسجد (جبال النمرانية)، وهو في مسيره هذا يأخذ بين جبال في طريق حجري خشن، يستمر فيه حتى يهبط أسفل وادي مهلهل عند اختلاطه مع وادي نغمي، ووادي الصهوة، فعند ذلك ينتهي الوعر، وتبدأ أرض سهلة لينّة، تصلح للنزول والاستراحة، تخالف الجزء الشمالي من الطريق الخشن، ويوجد فيها إلى الآن آثار مساكن، وزراعة، وعيون، ومساق، يدل ظاهرها على أنها تعود إلى عصر مبكر من التاريخ الإسلامي.

^١ بدليل ورود المستنخ في القصيدة، وهو طريق إلى المدينة، حيث جاء ذلك في رواية الواقي

وهذه الأرض التي هذه صفتها تسمى اليوم الصهوة، وهي براح واسع مناسب كمناخ للإبل المرهقة من السير في الأرض الخشنة، التي تحفي أخفاف الإبل.

وقد ترجع عندي - بعد الوقوف الميداني ومشاهدة الأرض على الطبيعة، وتطبيق النصين الواردين في المصادر (قصيدة رزاح، والواقدي) - أن الصهوة، وأسفل وادي مهلهل هو (المستناخ)، والله تعالى أعلم.

مجموع المعالم على الطريق النبوي من المستناخ إلى الصهباء

نستطيع الآن أن نحدد مسار هذا الجزء من الطريق النبوي إلى خيرير بصورة أدق بعد أن أضفنا معالم أخرى من مصادر معتمدة إلى الرواية الرئيسة، وهي رواية الواقدي، ليصبح مجموع عدد المعالم المذكورة في هذا الجزء من الطريق سبعة معالم، على النحو التالي:

المستناخ - عسجد (النمرانية) - كبس الوطه (وادي الدومة) - عصر - أشمذ - الشقة - الصهباء.

ونورد فيما يلي بقية المعالم التي لم يسبق الكلام عنها:

كبس الوطه



كبس الوطه وادي اللحن
25°04'25.8"N
39°21'12.4"E

هذه العبارة غير المفهومة لم تأت في غير هذا الموضع، ولم يرد لها ذكر فيما بين أيدينا من المصادر أو المراجع، وأغلب الظن،

بل المؤكد عندي أنها محرفة تحريفًا شنيعًا، وبعد التأمل فيها، واستعراض الطريق النبوي، واستقراء ما جاء في المصادر المارّ ذكرها، ترجح عندي أن صحة العبارة: ثم (سلك الدومة)، والدومة هو الوادي الذي وضعت المصادر قبل إشمذ في اتجاه خير. ويسمى اليوم (وادي اللّحن). ولا بد لمن يمرّ النمرانية، وجبل أشمذ قاصداً خير أن يسلكه.



ووادي اللّحن، وإِ ضخم، يجري من الشمال الغربي إلى الجنوب، يأخذه الطريق المعبد المتجه إلى خير، فإذا وصل إلى (شفية الصلصلة) انحرف الوادي يساراً داخلاً بين جبال وآكام وحزوم حتى يتعلّق بجبل أشمذ.

جاء في السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم، في مسيره إلى خيبر، نزل في موضع اسمه عصر، وبُني له فيه مسجد.

يقول ابن إسحاق وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى خَيْبَرَ سَلَكَ عَلَى عَصْرِ، فَبُنِيَ لَهُ فِيهَا مَسْجِدٌ^١

والطريق إلى عصر حدده لنا الواقدي، كعادته رحمه الله في ذكر تفاصيل السيرة المكانية، وفق ما مر معنا قبل قليل، فالطريق إلى عصر يمر من وادي نقي ثم المستناخ ثم كبس الوطة (وادي اللحن)، ثم يخرج الطريق على عَصْر.

مكان عصر في المصادر:

بالرجوع إلى كتب معاجم الأماكن التي بين أيدينا، وجدت أن أول من وصف (عصر) وحدد مكانه هو نصر الإسكندري (ت ٥٦١ تقريباً)، ووافقه معاصره الحافظ محمد بن موسى الحازمي (ت ٥٨٤) بأنه جبل بين المدينة ووادي الفرع . وتابعهم ياقوت (ت ٦٢٦) بقوله عصرٌ: بكسر أوله وسكون ثانيه ورواه بعضهم بالتحريك والأول أشهرٌ وأكثر وكل حصن يتحصن به يقال له عصر وهو. جبل بين المدينة ووادي الفرع..^٢

وهذا التحديد مُشكل؛ فعصر بين المدينة وخيبر، لا شك، وخيبر شمال

^١ السيرة النبوية لابن هشام، غزوة خيبر

^٢ معجم البلدان، رسم "عصر"

المدينة، ووادي الفرع جنوبها.

وجاء من بعدهم جمال الدين المطري^١ (ت ٧٤١هـ)، فقال تحت عنوان (ذُكْر المشهور من المساجد في الغزوات وغيرها): منها مسجد بعصر وهو موضع على مرحلتين من المدينة صلى فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) خروجه إلى خيبر^٢.

تحقيق موضع عصر

لم تسعفنا معاجم البلدان، وأصحاب السير النبوية بموقع عصر، ومكان مسجده ﷺ منه.

وجاء عند ياقوت ذكر لوادٍ اسمه عصر، في سياق كلامه عن روضة الأجداد، يقول فيه:

رَوْضَةُ الْأَجْدَادِ: ببلاد غطفان، وهي جمع جدّ، وهي البئر الجيدة الموضع من الكلا، قال ابن الأعرابي:

الأجداد حدائق تكون فيها المياه أو آبار ممّا حوت عاد، قال مرداس بن حشيش التغلبي:

إن الديار بروضة الأجداد ... عفت سوارٍ رسمها وغواد

^١ المَطْرِي (٦٧١ - ٧٤١ هـ = ١٢٧٢ - ١٣٤٠ م) محمد بن أحمد بن محمد بن خلف الخزرجي الأنصاري السعدي المدني، أبو عبد الله، جمال الدين المطري: فاضل، عارف بالحديث والفقهاء والتاريخ. نسبته إلى المطرية (بمصر) وهو من أهل المدينة المنورة. ولي نيابة القضاء فيها، وألف لها تاريخاً سماه "التعريف بما أنست. الهجرة من معالم دار الهجرة".

^٢ التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، ص ٧٩، المكتبة العلمية: المدينة المنورة

من كل سارية وغاد مدجن ... حنق البوارق موتق الرّواد

وقال لي الصاحب الوزير الأكرم: أنا رأيتها وهي قريبة من وادي القصيبة قبلي عرض خيبر وشرقي وادي عصر، قال الهيثم بن عدي: خرج عروة الصعاليك العبسي وأصحابه إلى خيبر يمتارون منها فعشّروا وهو أنّهم يرون أنّهم إذا خافوا وباء مدينة وأرادوا دخولها وقفوا على بابها وعشّروا كما تعشّر الحمير، والتعشير: نهاق الحمير، فيرون أنّه يصرف عنهم وباءها، قال: فعشّروا خوفا من وباء خيبر وأبى عروة أن يعشّر.

قال: فدخلوا وامتازوا ورجعوا، فلمّا بلغوا إلى روضة الأجداد ماتوا إلّا

عروة^١.

٥٣١

قلت: قوله: أنا رأيتها وهي قريبة من وادي القصيبة.. يدل على أن وادي القصيبة هذا، يقع شرق حرة خيبر، حيث تقع روضة الأجداد^٢ وأنه ليس وادي القصيبة الذي هو في قبلة (جنوب) خيبر.

وهذا الاسم؛ أعني القصيبة^٣، من الأسماء التي يكثر تسمية المواضع بها، لأنها تدل على صفة لمكان يكثر فيه نبات القصب.

ويوجد قرب روضة الأجداد موضع يسمى القصيبة، ورد عند ابن شبة في ذكر صدقات الإمام علي - رضي الله عنه - قال: وله أيضاً ناحية فدك مال بأعلى حرة

^١ معجم البلدان، رسم: روضة الأجداد

^٢ تسمى اليوم روض ابن هادي، تابعة لمنطقة حائل

^٣ وهي صفة لمكان أو وادٍ يكثر فيه القصب. نبات ذو أنابيب، الواحدة قَصْبَةٌ (تاج العروس)

الرجلاء يقال له القصيبة^١. وفدك (الحائط) قريبة من روضة الأجداد (روض ابن هادي)، فلعل القصيبة المقرونة بوادي عصر هي هذه، وكل تلك المواضع المذكورة تقع شرق حرة خيبر، ولا علاقة لها بالقصيبة أو عصر الوارد ذكرهما في غزوة خيبر، فتشابه الأسماء أوقع في هذا الوهم.

وفي جميع الأحوال لا بد أن يكون (عصر) على الطريق بين المدينة وخيبر، وبعد المستنخ، وبعد (كبس الوطة)، الذي رجحنا أن صحتها: (سلك الدومة)، ووادي الدومة هو وادي اللحن.

ومن وادي اللحن (الدومة) خرج الطريق على جبل عصر.

وعبارة الواقدي (خرج على عصر) لها دلالة خاصة، معناها أنه كان يسير في مسار، ثم غير اتجاهه فخرج منه إلى مسار آخر.

فهو ﷺ كان يسير في وادي الدومة (اللحن)، فتركه وخرج منه على عصر.

وفي السيرة النبوية نظيرٌ لهذه العبارة، جاءت في مسيره ﷺ إلى بني لحيان، قال ابن إسحاق: خرج من المدينة فسلك على غراب ثم على مخيض ثم على البتراء، ثم صفق ذات اليسار، فخرج على يمين. بتتبع هذا المسار، نرى النبي ﷺ كان يسير في الطريق الشامي، ثم غير اتجاهه إلى الجنوب فخرج على موضع يسمى (يين).^٢

^١ أخبار المدينة، ١/ ١٣٩، دار الكتب العلمية: بيروت
^٢ يقع في ملتقى وادي الضبوعة مع وادي ملل.



تعيين جبل عصر (جبل كتيفة)



عصر
25°18'12.9"N
39°13'18.8"E

بناءً على هذا التحليل للمعلومات المستمدة من المصادر التي تقدمت معنا، فإن الجيش النبوي سلك المستناخ (الصهوة وأسفل وادي مهلهل)، ثم عسجد (النمرانية)، وهي في وادي الغميس الجنوبي، ثم كبس الوطة (سلك الدومة)، أي: وادي اللحن فسند فيه لمسافة نحو ٢٥ كم، ثم خرج منه فنزل بجانب شعيب يسمى اليوم (شعب المصلي)، تنحدر بعض فروعه من جبل كبير مجاور يدعى (كتيفة).



شعب المصلي
25°17'14.9"N
39°15'28.1"E

مسجد عصر

يبعد شعب المصلي عن المدينة نحو ١١٠ كم، أي: مرحلتين ونصف. وهذا قريب مما ذكره المطري تحديداً لبعده مسجد عصر عن المدينة.

وأرجح أن هذا الجبل (كتيفة) هو جبل عصر الوارد في السيرة النبوية، وأن المسجد المنسوب إليه يقع قرب هذا الشعب المسمى (شعب المصلي)، وخاصة أن هناك ركامات وأثافي تدل على أن هذا المكان منزل رئيس على طريق خيبر، وقد ذكره فليبي في طريقه إلى خيبر مما سنذكره بعد قليل، ولم نستطع أن نميز المسجد بشكل دقيق من بين تلك الآثار. والله تعالى أعلم.

طريق آخر معتبر من المدينة إلى خيبر

تقدم معنا وصف الطريق إلى خيبر الذي ساقه البكري، وهو في الحقيقة منقول عن كتاب المناسك، ولو أنه لم يصرح بذلك كعادته.

هذا الطريق قديم^١ وهو يأخذ في جبال البيضاء من جهة أبا الدود حتى ينفذ من ريع يسمى اليوم (ريع الدراهم) فيهبط منه على أعلى وادي ممناة، في مكان سهل اسمه البثنة، ومنها يلتقي مع الطريق القادم من وادي نقيم عبر وادي ممناة وهو طريق السيارات اليوم. ويستمر الطريق القديم موازياً لطريق السيارات حتى الوصول إلى وادي الفرشة، ومن هناك يتيامن في شعيب الدارة، ويسند في الشعيب حتى يرقى في الريع (يسمى اليوم ريع الشعبية)، ثم يهبط على وادي الغميس الجنوبي، وهنا يلتقي هذا الطريق مع طريق خيبر الآخر الذي سبق وصفه.

في الحقيقة هذا الطريق ابتداءً من البثنة؛ إذا أضفنا إليه الجزء القادم من وادي ممناة فهو يمكن أن يحقق رواية الواقدي، وأيضا يمكن أن يتسق مع البيت المتقدم الوارد في قصيدة رزاح بن ربيعة العذري:

فَلَمَّا مَرَرْنَا عَلَى عَسْجِدٍ ... وَأَسْهَلْنَا مِنْ مُسْتَنَاحِ سَيْلَا

فريع الشعبية يقع في جبال السمرية، وفيها معدن ذهب مثلها مثل جبال

^١ جاء في تاريخ الطبري في خبر سرية عبد الله بن أنيس إلى خيبر أنهم في رجوعهم مروا بالبيضاء، قال: "فكنا نكمن النهار ونسير الليل فإذا كمننا بالنهار أقعدنا منا ناطورا ينظر لنا فإن رأى شيئا أشار إلينا فانطلقنا حتى إذا كنا بالبيضاء كنت قال موسى أنا ناطورهم وقال عباس كنت أنا ناطورهم فاشرت إليهم فذهبوا جمزا وخرجت في آثارهم حتى إذا اقتربنا من المدينة أدركتهم" ٥٨/٢.

^٢ الاختير لها الآن اسم مناسب هو أبا الجود

النمرانية، فإذا أسهل مع الربيع فأمامه دارة تحف بها الجبال، وتجري فيها الشعاب
ووادي كبير هو وادي الفرشة.

هذه الدارة، وما زالت على اسمها، جاءت عند البكري باعتبار أن طريق
خير إلى المدينة يمر بها.

يقول البكري وهو يصف طريق المصدّق^١ من خير إلى المدينة: .. ثم
خير، ثم الصّهباء لأشجع، ثم دارة^٢.



نقب يردوح (ربيع الشعبية)

بهذا؛ يمكننا استنتاج أن هذه الدارة هي المستناخ الوارد عند الواقدي

^١ المصدّق هو الذي يجمع الزكاة ويذهب بها إلى الخليفة أو الوالي ليفرقها على المحتاجين.

^٢ معجم ما استعجم، رسم: "فدك"

ورزاح، وأن معدن السمرية هو عسجد، وريع الشعبية هو نقب يردوح، وكذلك يوجد أثر أسفل الريع يحتاج إلى التأمل والدراسة لمعرفة طبيعته، ثم بعد ذلك يستمر الطريق إلى أن يلتقي مع الطريق الآخر الذي سبق وصفه.

حرة الشِّقَّة

هذه الحرة يقع فيها جبل إشمذ، وجبل كتيفة (عصر)، وتسمى اليوم (حرة الكورة)، وهي إحدى حرار حرة خيبر الكبرى الثلاثة (حرة خيبر - حرة اثنان - حرة الكورة).

والكورة التي تضاف لها هذه الحرة، بقية اسم روماني قديم، عُرف في صدر الإسلام باسم (قري عربية)^١، وهذا الاسم معادل للمصطلح الروماني Provincia Arabia، ويظهر أنها تُرجمت أولاً بلفظ «كورة عربية» ثم تحولت إلى قري عربية^٢.

تقع حرة الكورة في الجزء الغربي، والجنوبي الغربي من حرة خيبر الكبرى، بين دائرتي العرض:

٤٥ ٢٥ و ٣٨ ٢٤ شمالاً، وخطي الطول: ٢٠ ٣٩ و ٣٣ ٣٨ شرقاً، تنحصر بين مجرى وادي خيبر من الشمال، ومسار طريق المدينة خيبر، ومجرى وادي بواط من الجنوب، وبين مسار طريق المدينة خيبر من الشرق، وجبال الأجرد

^١ العرب، ج٧، ص٨٠، س٢٦، محرم/ صفر ٤١٢ للهجرة

^٢ د. عبد الله بن ناصر الوهبي، مجلة العرب، جمادى الأولى سنة ١٣٩٠

والحث، إضافة إلى مجرى وادي ترعة وجبال السرد- التي تفصلها عن حرة الشاقة
- من الغرب، تمتد من الشمال إلى الجنوب، يبلغ طولها نحو ١٠٠ كم، ويصل
عرضها إلى نحو ٦٠ كم، وتبلغ مساحتها نحو ٣٢٠٠ كم (مربع)١.

الطريق التاريخي بين المدينة وخيبر يأخذ شرقي هذه الحرة، ويمر بسفح
جبل إشمذ الشرقي، ويقطع أعالي الأودية، مثل وادي الخبيّ والخبو والسليم،
متجنباً جروف أودية الحرة العميقة. وعند قدوم السيارات، كانت في بداية عهدها
تسير على هذا الطريق.

يصف السير هاري سنت جون فيلبي (عبد الله فيلبي)٢ بعض أجزاء هذا
الطريق الذي سلكه في شهر ديسمبر عام ١٩٥٠ فيقول:٣

الآن ولحوالي خمسة عشر ميلاً يزحف طريق السيارة على طول حافة
حقل الحمم البركانية، بحثاً عن ممر سهل، قدر الإمكان، في وسط منطقة تتناثر
فيها الصخور والحجارة العجمودية وعبر خطوط تصريف هائلة تجري من التلال
في الجنوب إلى وادي الغرس. لقد كان سيرنا قاسياً، ولكنه لم يكن صعباً للغاية،
على الرغم من الصعود الشديد الانحدار من شعيب كنيفه إلى شفا الحرة كان

١ هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، الحرات، ص ١٦٠

٢ فلبي (١٣٠٢ - ١٣٨٥ هـ = ١٨٨٥ - ١٩٦٠ م) هاري سانت جون فلبي، أو الحاج عبد الله فلبي: مستشرق
بريطاني، من أغزر الكتاب علماً بجزيرة العرب. ولد في سيلان وتعلم في انكلترا وخدم حكومته في الهند
(١٩٠٨ - ١٩١٥) ودعي إلى العراق فعمل في البصرة. ودخل الرياض (١٩١٧) مع وفد بريطاني فتعرف إلى
الملك عبد العزيز آل سعود وقام برحلات اجتاز بها الربع الخالي واخترق الجزيرة بسيارته من الأحساء إلى وادي
الدواسر ومن نجد إلى عسير ووصل إلى عدن وحضرموت براً بعون من الملك عبد العزيز. وأعلن إسلامه
(١٩٣٠) فازداد قرباً من عبد العزيز ودخل معه مكة والطائف. وصنف ١٥ كتاباً بالإنكليزية، منها " تاريخ نجد "
و " أرض الأنبياء ". بعد وفاة الملك عبد العزيز ذهب إلى لبنان، وعاش فيه إلى أن توفي ببيروت. (الأعلام
للزركلي) باختصار.

٣ أرض مدين، ص ٥٠، ١٦، ٥١٤٢٤، الناشر: مكتبة العبيكان

سهلاً بكل المقاييس .

ومن هنا بدأ العبور الحقيقي لحقل الحمم البركانية، الذي يمتد مسافة بعيدة على كلا جانبي الطريق، الذي أصبح ممهداً بصورة معقولة بسبب تكرار مرور السيارات عليه عندما كنا نتجه بصورة غامضة الى سلسلة جبال وقمم العطوة، التي تبعد حوالي خمسه وعشرين ميلاً في اتجاه الشمال من الطريق، على الضفة البعيدة (اليمنى) لوادي الغرس . وعلى كلا الجانبين لم يكن هناك شيء إلا الكرات السوداء الصلبة والصخور والحجارة القاسية في الحرة، وأقماعها وفوهاتها الكثيرة، والتي كنت قادراً على تسجيل أسمائها من ذخائر المعرفة الغنية التي يخترنها عياض . وكانت عدة فروع من واد عميق، يسمى شعيب خبو تمتد خلال الصحراء السوداء في طريقها إلى وادي الغرس ، قد سببت لنا بعض المشاكل بمنحدراتها الحادة القاسية ومرتفعاتها الصخرية التي لا تقل حدة عن منحدراتها . بيد أن السير كان معقولاً بصورة عامة، والذي يستحق الشكر الجزيل عنه الرواد الأوائل لهذا الطريق .

وخلف فوهة الخرنيق الجميلة المتهدمة، توقفنا لفحص آثار مبنى صغير مجهول والذي من الممكن أن يكون قبراً لأحد الأعيان المنسيين . ومن الواضح أن بناته قد تكبدوا المشاق في بنائه ، على الرغم من أن الزمن والإهمال قد حطما جزءاً كبيراً من عملهم .

ومر علينا مواطنان من خيبر ، يركبان على الحمير ويبدو أنهما في طريقهما إلى المدينة، عندما كنا منهمكين في ذلك العمل، وتوقفا ليتبادلا معنا الأخبار . لقد

سمعا بالفعل عن وصولنا، وكانا يأملان بصورة غامضة أن يكون هدف بعثتنا تخلص واحتمهم من الملاريا لقد وفر لنا تل مريقب الذي يبلغ ارتفاعه خمسين قدماً، من صخور البازلت الضخمة قرب قمة حقل الحمم البركانية، أن نلقي نظرة رائعة على الحرة نفسها وعلى الجبال الشاهقة بعيداً خلف خيبر .

إن هذا الجزء من الحرة على طول الضفة اليسرى لوادي الغرس، يبدو أنه يُعرف باسم حرة الكرى، في حين أن اسم حرة خيبر يمتد إلى ما وراء تلك القناة، ولكنه كان من الناحية الجوهريّة حقلاً بركانياً وحيداً يتم تصريفه بشريان مركزي. وسرعان ما كنا على رأس منحدر يهبط بنا من هضبة الحرة إلى وادي السليم وهو رافد رئيس من وادي الغرس.

المعالم الواردة في هذا النص

أورد فيلبي ثمانية معالم في النص السابق، هي:

وادي الغرس، شعيب كتيفة، عطوة^١(جبل)، شعيب الخبو، الخرائق^٢(حلاء)، المريقب، حرة(الكورة)، وادي السليم.

نستطيع اليوم أن نتبين موقع هذه المعالم على الخريطة، ليتجلى لنا بوضوح الطريق الذي سلكه فيلبي في ذلك الوقت المبكر لاستخدام السيارات جنباً إلى

^١ وردت كتيفة، تصحيف

^٢ عطوة، بدون ال التعريف.

^٣ وردت الخرنيق، والصحيح ما أثبتناه

^٤ وردت بدون ال التعريف، والصحيح ما أثبتناه،

^٥ وردت الكرى، والصحيح الكورة



جنب مع استخدام الدواب في السفر، والتنقلات، وقد أخبرني دليلي عندما كنا نسير على هذا الطريق عام ١٤٢٨هـ (٢٠٠٨م)، أنه معروف باسم (طريق المريقب)^١. والمريقب حلاءة مرتفعة تشرف على ما حولها^٢.



الصهباء: عطوة الجنوبية
25°38'13.6"N
39°16'15.7"E

الصهباء

على لفظ تأنيث أصهب، وهي اسم لجبل لونه أصهب، وفي

اللغة الصهباء: وهي حمرة في سواد وهذه صفة لجبل يتكرر

^١ الشيخ المعمر/علي بن محمد بن ناجي العرعرى الرشيدى، والأستاذ عايد بن صالح العرعرى الرشيدى، حفظهما الله ووقفهما لما يحبه، ويرضاه، هما دليلاي في بحثي عن الطريق النبوي إلى خير، وبرمة، فجزاهما الله خيراً، وعظم لهما الأجر.

^٢ موقع المريقب



المريقب
25°27'19.9"N
39°11'57.7"E

اسمه كثيراً في أحداث غزوة خيبر، يعرف عند عامة الناس اليوم باسم (جبل عطوة)، وهو جبل أحمر يشوبه سواد، كبير مرتفع، يحجب خيبر عن القادم من جنوبها.

قال عاتق البلادي الصَّهْبَاءُ: جَبَلٌ أَحْمَرٌ يُشْرِفُ عَلَى خَيْبَرَ مِنَ الْجَنُوبِ، يُسَمَّى الْيَوْمَ جَبَلِ عَطْوَةَ^١.

ووصف جبل عطوة بقوله: بفتح العين المهملة وسكون الطاء المهملة أيضاً وآخره هاء:

مجموعة جبال حمر عالية تشرف على بلدة خيبر من الجنوب، وقد اتصل ببيان خيبر بسفحها الشمالي، وهذه الجبال تقع بين وادي السلمة شمالاً، ووادي الغرس جنوباً، وهما عطوتان: الشمالية، والجنوبية. وكان هذا الجبل يسمى الصهباء، وبسفحه بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية رضي الله عنها، مرجعه من خيبر^٢

وفي معجم البلدان بلفظ اسم الخمر، وسميت بذلك لصهوبة لونها وهو حمرتها أو شقرتها: وهو اسم موضع بينه وبين خيبر روحة، له ذكر في الأخبار^٣ وعند البكري وهناك الصَّهْبَاءُ، التي أعرس بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي من خيبر على بريد^٤.

وبين لنا القاضي عياض أن الصهباء جبلٌ فقال: وسد الروحاء وسد

^١ مرجع سابق، ٢١١/١

^٢ معجم معالم الحجاز، ص ١١٧، ط ١-دار مكة

^٣ مرجع سابق

^٤ مرجع سابق، ٥٢١/٢

الصَّهْبَاءِ ممدودان قَالَ أَبُو عَمْرٍو يُقَالُ لِكُلِّ جَبَلٍ سَدٌ وَسُدُّ لُغَتَانِ، وَالسَّدُ الرَّذْمُ أَيْضًا،
وَقِيلَ السَّدُ بِالضَّمِّ خَلْقَةُ الْمَسْدُودِ، وَالسَّدُ بِالْفَتْحِ فِعْلُ الْإِنْسَانِ وَقَالَ الْكَسَائِيُّ هُمَا
وَاحِدٌ^١.

والصهباء أجمعت المصادر على أن النبي ﷺ نزل بها، وقد مرت معنا روايتا
الواقدي، وابن إسحاق المتطابقتان.

ووافقهما البخاري في الصحيح، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ:
أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ، مَوْلَى بَنِي حَارِثَةَ أَنَّ سُؤَيْدَ بْنَ
النُّعْمَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ خَيْبَرَ، حَتَّى إِذَا كَانُوا
بِالصَّهْبَاءِ، وَهِيَ أَدْنَى خَيْبَرَ، «فَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَعَا بِالْأَزْوَادِ، فَلَمْ يُؤْتِ إِلَّا
بِالسَّوِيْقِ، فَأَمَرَ بِهِ فُتْرِي، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكَلْنَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى
الْمَغْرِبِ، فَمَضْمَضَ وَمَضْمَضْنَا، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»^٢.

وجاء في المعجم الكبير للطبراني أنه جمع بين الظهر والعصر في الصهباء
حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّبَرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وَابْنِ أَبِي سَبْرَةَ،
عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ سُؤَيْدِ بْنِ النُّعْمَانَ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ حَتَّى أَدْرَكْنَا بِالصَّهْبَاءِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ خَيْبَرَ
رَوْحَةٌ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَوْمَ بِأَزْوَادِهِمْ، فَمَا أَتَى إِلَّا بِسَّوِيْقِ،
فَلَكَ وَلَكُنَّا، ثُمَّ قَامَ فَمَضْمَضَ، ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ»^٣.

^١ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢١١/٢، الناشر: المكتبة العتيقة ودار التراث

^٢ الجامع الصحيح، ٣٥/١، ط١، الناشر: دار طوق النجاة

^٣ ٨٧/٧، ط٢، مكتبة ابن تيمية: القاهرة

وهذا الجمع بين الصلاتين يتوافق مع رواية الواقدي، في أنه ﷺ كان يجمع، فقد جمع بين المغرب والعشاء عند الصهباء، حيث قال: **ثُمَّ قَامَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ بِالنَّاسِ .**

مسجد الصهباء

هذا المكان الذي نزل فيه النبي ﷺ، بُني فيه مسجد، سُمي فيما بعد: (مسجد الصهباء).

قال السهودي: مسجد بالصهباء، وهي على روضة من خيبر .

روى مالك عن سويد بن النعمان رضي الله تعالى عنه أنه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم عام خيبر، حتى إذا كانوا بالصهباء - وهي من أدنى خيبر - نزل فصلى العصر، ثم دعا بالأزواد، فلم يؤت إلا بالسويق، فأكل وأكلنا، ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا، ثم صلى ولم يتوضأ، قال المطري: والمسجد بها معروف¹.

قلت: لا يعرف اليوم مكان هذا المسجد بالضبط، لكن يوجد ما يشبه مصلى في نهاية الطريق عند سفح جبل عطوة الجنوبي.

¹ مرجع سابق، ١٧٨/٣.



تصليح قديم أسفل الصهباء

رسم خطة المفاجأة

مفاجأة العدو مبدأ أساسي لكسب أي معركة، وكان النبي ﷺ يأخذ بهذا المبدأ في عامة غزواته، فإذا كانت وجهته جنوبية، اتجه شمالاً للتعمية، وغزوة بني لحيان مثال على ذلك؛ جاء في السيرة النبوية لابن إسحاق: **وَخَرَجَ فِي جُمَادَى الْأُولَى عَلَى رَأْسِ سِنَةِ أَشْهُرٍ مِنْ فَتْحِ قُرَيْظَةَ، إِلَى بَنِي لِحْيَانَ يَطْلُبُ بِأَصْحَابِ الرَّجِيعِ: خُبَيْبَ بْنِ عَدِيِّ وَأَصْحَابَهُ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الشَّامَ، لِيُصِيبَ مِنَ الْقَوْمِ غَرَّةً.** وهنا في غزوة خيبر، انتظر عند الجانب الأقصى لجبل الصهباء الجنوبي، جاعلاً الجبل بينه وبين حصون خيبر، فلا يراه أحد من اليهود، ولا يحس به، فلما جن الليل دعا الأعداء وطلب منهم أن يأخذوا بالجيش صدور الأودية الداخلة

لخبير من الجهة الشرقية، بعيداً عن المنطقة السكنية، والهدف تحقيق ميزتين:

الأولى: أن يعسكر في الجهة الشمالية ليحول بين اليهود وحلفائهم من غطفان أن يقدموا عليهم فيعينوهم. لأن الوصول إلى خبير من الجناب (الجھراء)، وجنفاء (الشملي) - حيث ديار بني فزارة، وبني مرة، وكثير من بطون غطفان - يكون من الجهة الشمالية (من وادي الرجيع).

الثانية: تحقيق المفاجأة، فقد كان اليهود على علم بمسيره إليهم، فلو جاءهم من الجهة المعتادة، وهي الجهة الجنوبية، لم تتحقق المفاجأة، وفي ذلك يقول الواقدي: **وَكَانَ الْيَهُودُ يَقُومُونَ كُلَّ لَيْلَةٍ قَبْلَ الْفَجْرِ فَيَتَلَبَّسُونَ السَّلَاحَ وَيَصُفُّونَ الْكُتَّابَ، وَهُمْ عَشْرَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ. وَكَانَ كِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ قَدْ خَرَجَ فِي رَكْبٍ إِلَى غَطَفَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى نَصْرِهِمْ، وَلَهُمْ نِصْفُ تَمْرِ خَيْبَرَ سَنَةً، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَائِرٌ إِلَيْهِمْ. وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ حَلِيفٌ لَهُمْ قَدِمَ بِسِلْعَةٍ إِلَى الْمَدِينَةِ فَبَاعَهَا، ثُمَّ رَجَعَ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: تَرَكْتُ مُحَمَّدًا يُعَبِّئُ أَصْحَابَهُ إِلَيْكُمْ.**

ولتطبيق هذه الخطة أخذ الجيش مساراً التفافياً حول خبير، فجعل حصونها عن يساره.

وللوصول إلى شمال خبير بدون المرور بحصونها، لابد من السير في الحرة شرق خبير، وهناك عدة طرق لذلك (حزن، شاس، حاطب، مرحب)، اختار ﷺ منها طريق (مرحب)، فقد كان ﷺ يُحِبُّ الْفَأَالَ الْحَسَنَ وَالْإِسْمَ الْحَسَنَ، وَيَكْرَهُ

الطَّيْرَةَ وَالْإِسْمَ الْقَبِيحَ .

سار في طريق مرحب، واتجاهه من الجنوب إلى الشمال، جازعاً واديي
خيبر الرئيسيين (وادي خاص، والسريير وروافدهما)، حتى هبط بهما الحُرْصَةَ،
ومنها اتجه إلى النطاة والشق، ثم سارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَنْزِلَةِ، وَعَرَسَ بِهَا سَاعَةً مِنْ
اللَّيْلِ، وَجَعَلَ مَسْجِدًا فَصَلَّى إِلَيْهِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ نَافِلَةً. فَتَارَتْ رَاحِلَتُهُ تَجْرُ زِمَامَهَا،
فَأُذِرِكَتْ تَوَجَّهُ إِلَى الصَّخْرَةِ لَا تُرِيدُ تَرْكُوبًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ! حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ الصَّخْرَةِ، فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِلَى الصَّخْرَةِ، وَأَمَرَ بِرَحْلِهِ فَحَطَّ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالتَّحَوُّلِ إِلَيْهَا، ثُمَّ ابْتَنَى رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا مَسْجِدًا، فَهُوَ مَسْجِدُهُمُ الْيَوْمَ .

نجاح خطة المفاجأة

نزل النبي ﷺ قبل الفجر في موضع قريب جداً من حصن (ناعم)، أحد
حصونهم الرئيسة، ورغم ذلك لم يشعر به اليهود سكان الحصن، وهذا من التأييد
المعزز بنصر الله.

وفي صباح اليوم التالي عند خروج اليهود من حصنهم، رأوا منظرًا نزل عليهم
نزول الصاعقة.

يقول الإمام الواقدي فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَاحَتِهِمْ لَمْ
يَتَحَرَّكُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَلَمْ يَصْخُ لَهُمْ دِيكٌ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَأَصْبَحُوا وَأَفْعَدْتُهُمْ

¹ وردت في المطبوع الحُرْصَةَ، والصحيح ما أثبتناه، وما زالت معروفة

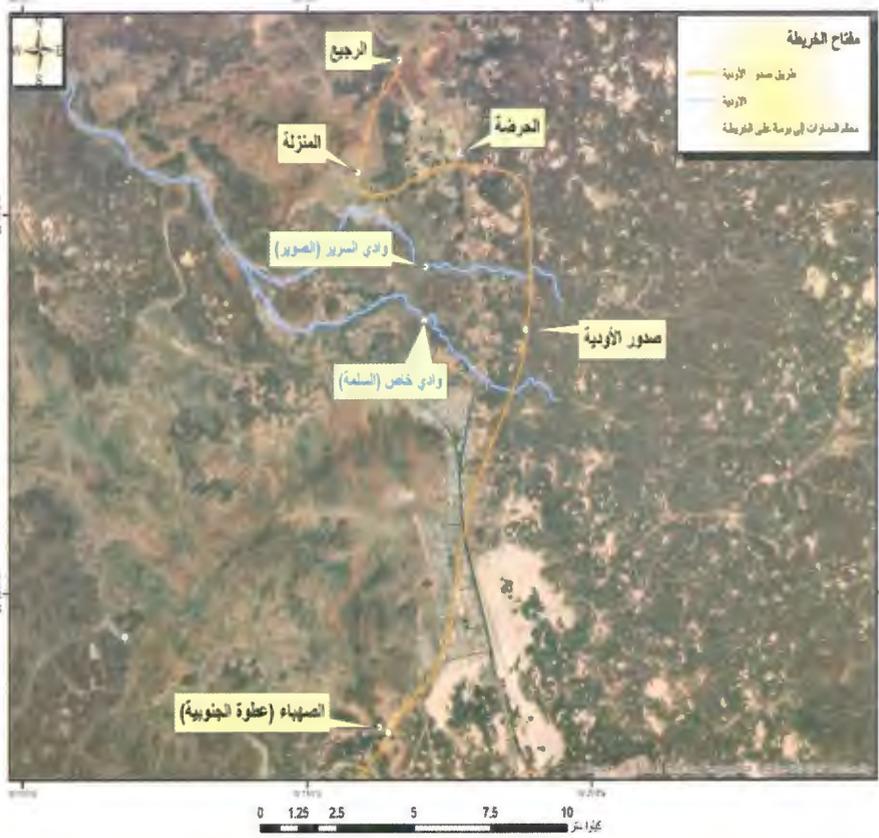
تَخْفِقُ، وَفَتَحُوا حُصُونَهُمْ مَعَهُمُ الْمَسَاحِي وَالْكَرَازِينُ وَالْمَكَاتِلُ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ! فَوَلَّوْا هَارِبِينَ حَتَّى رَجَعُوا إِلَى حُصُونِهِمْ^١

وفي رواية للبخاري بسنده، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى خَيْرٍ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ، وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ، وَإِنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكَاتِلِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ^٢. وفي رواية أخرى له قَالُوا: هَذَا مُحَمَّدٌ، وَالْخَمِيسُ، مُحَمَّدٌ، وَالْخَمِيسُ، فَلَجَّوْا إِلَى الْحِصْنِ .

وهنا تكون المفاجأة قد حققت غايتها، فقد حسمت المعركة قبل أن تبدأ!!

^١ المغازي للواقدي

^٢ الجامع الصحيح، "باب ما يحقن بالأذان من الدماء"



معالم الطريق بين الصهباء والرجيع

ذكر الإمام الواقدي اثني عشر معلماً، بين الصهباء، والرجيع، على الترتيب

التالي:

صدور الأودية- حَزَن- شاس- حاطب- مرحب- (حياض)- السرير-

(الخرصة)- النظاة- الشق- المنزلة- الصخرة- الرجيع.

صدر الأودية



صدر الأودية
25°43'28.0"N
39°18'50.0"E

الصَّدْرُ: أعلى مُقدِّم كلِّ شيءٍ، وصدر الوادي، أو صدور

الأودية أعلاها، والمقصود هنا أودية خيبر التي تخترقها من الشرق إلى الغرب، فتكون الجهة الشرقية لخيبر هي صدور أوديتها، والغربية سافلتها، والجيش النبوي جزع هذه الأودية من الجنوب إلى الشمال، تحت جناح الظلام، على طريق في الحرة شرقي خيبر غير بعيد عنها.

حزن، شاس، حاطب، مرحب

هذه الطرق الأربعة، طرق غير رئيسة، يمكن اعتبارها (طُرُقًا محلية)، لا يعرفها إلا السكان المحليون، ولا يُتوقع أن يأتي منها جيش مكون من مئات الأفراد، ليصل إلى الجهة الشمالية لخيبر، من دون أن يتنبه له أحد، وقد كان هذا التكتيك من العوامل الرئيسة لصنع المفاجأة.

حياض

هذا أحد وادبي خيبر الرئيسيين، وصحة الاسم (خاص)، حسب ما جاء عند ياقوت، وابن إسحاق، وبقية كتاب السيرة النبوية الشريفة: **ثُمَّ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكُتَيْبَةَ، وَهِيَ وَادِي خَاصٍّ، بَيْنَ قَرَابَتِهِ وَبَيْنَ نِسَائِهِ، وَبَيْنَ رِجَالِ**



المُسْلِمِينَ وَنِسَاءً أَعْطَاهُمْ مِنْهَا

وأورده البكري، ومن وافقه، باسم (خَلَص)، قال في المعجم الوادي المتصل بالوطيح إلى خلص، كَلَّه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يسمّى الكتيبة، والكتيبة من حصون خيبر .

وقال في موضع آخر خلص: بفتح أوله، وإسكان ثانيه، وبالصاد المهملة: واد من أودية خيبر، وقد تقدّم ذكره في رسم آرة، هو محدّد في رسم خيبر .

ووادي خاص، أو خلص، هو وادي خيبر الرئيسي الجنوبي، الذي تقع عليه حصون الكتيبة؛ الوطيح، والقموص، وساللم، وغيرها من الحصون الواقعة على جنبات هذا الوادي وفروعه، قبل أن يلتقي بوادي خيبر الآخر.

وأصل وادي خاص متكوّنٌ من شراج كثيرة، قادمة من أعالي الحرة، شرق خيبر، هذه الشراج تتجمع، حتى إذا كانت قريبة من خيبر كونت أودية، أهمها وادي الزعبله، ووادي السدير، ووادي الزايدية، هذ الأودية الثلاثة إذا دخلت خيبر كونت وادياً رئيسياً هو وادي (السلمة) أو ما كان يعرف تاريخياً باسم (خاص) أو خلص.

السُّرِير

وادي خيبر الرئيس الثاني، ويسمى اليوم (الصوير)، وهو الذي عناه ياقوت بقوله والسُّرِير: واد بخيبر، وبخيبر واديان:



أحدهما السُّرير والآخر خاص^١.

وجاء عند ابن إسحاق باسم السريرة ، فقال: وَكَانَ وَادِيَاهَا، وَادِي
السُّرَيْرَةِ، وَوَادِي خَاصٍّ، وَهُمَا اللَّذَانِ قُسِمَتْ عَلَيْهِمَا خَيْبِرُ

وجاء عند البكري السُّرير: بضم أوله، على لفظ تصغير الذي قبله: واد من
أودية خيبر، قد تقدّم ذكره في رسمها^٢

وعند السمهودي والسرير أيضا: الوادي الأدنى بخيبر، وبه الشق والنطاة،
نزل به النبي صلى الله عليه وسلم أولا فشدّ أهله لقتاله فهزمهم الله .

قلت: وقوله الوادي الأدنى ، إذا كان يقصد أنه الأقرب إلى المدينة،
فالعكس هو الصحيح، الشق والنطاة في أقصى شمال خيبر، وربما كان -رحمه الله-
يقصد بالأدنى بالنسبة لموضع نزول النبي ﷺ ومواجهته لحصون خيبر.

مسار أودية خيبر

والسرير، أو الصوير، يعرف أعلاه اليوم باسم (الحلحال)، فإذا دخل منطقة
حصون النطاة والشق سُمي الصوير، فإذا خرج منها التقى بالوادي الآخر (خاص)،
فكونا وادياً واحداً، بمسمى وادي خيبر، ينحدر غرباً، ترفده أودية كثيرة جداً،
أهمها وادي الغرس، الذي يلتقي به في موضع يسمى (غدير الطير)، وبعد مسير
حوالي (٥٤) كم، من التقائهما، يصل وادي خيبر إلى (برمة)، ومنها يتغير اسمه

^١ معجم البلدان، رسم "السُّرير"

^٢ مرجع سابق، ٧٢٧/٣

إلى وادي الطبق حتى يفيض في وادي الحمض (إضم) عند قرية (سليلة عنزة).



الحرضة
25°45'48.0"N
39°17'41.0"E

الحرضة

جاءت في المطبوع عند الواقدي (الخرصة)، وصحتها

(الحرضة)، وما زالت معروفة إلى اليوم، وهي عبارة عن جوبة في

الحرّة، أو ما يشبه دائرة واسعة، تربتها بيضاء طينية صالحة للزراعة، تحيط بها الحرّة، ولها منفذ في الجهة الغربية، حيث النطاة والشق.

وتقع الحرّضة شمال شرقي خيبر على مقربة منها.

لم أجد في المصادر الحرّضة، ولكن أورد البكري موضعاً قريباً من خيبر،

في سياق حديثه عن الطريق بين فذك، وخيبر، فقال: ثم فذك، ثم الحرّاضة، ثم خيبر، ثم الصّهباء لأشجع، ثم دائرة . فلعلها هي المقصودة.

النطاة والشق

النطاة والشق يذكران غالباً متلازمين، لأنهما جزعان لوادٍ واحد.



النطاة
25°45'05.0"N
39°15'51.0"E

النطاة أرض سهلة في الجزء الشمالي من خيبر، وما زالت

معروفة بهذا الاسم، وتقع على وادي الصوير، الذي مر معنا أن

أعلاه يسمى الحلحال.

وفي النطاة تقع ثلاثة حصون، هي: حصن ناعم، وحصن الصعب بن معاذ،



٥٥٣



وحصن قلة (ويسمى حصن الزبير)١.

وفي النطاة، يقول ياقوت نَطَاةٌ: بالفتح، وآخره تاء، علم مرتجل فيما أحسب، قيل: هو اسم لأرض خيبر، وقال الزمخشري: نطاة حصن بخيبر، وقيل: عين بها تسقي بعض نخيل قراها وهي وبئة، وقال أبو منصور: قال الليث النطاة حمى تأخذ أهل خيبر، قال: غلط الليث في تفسير النطاة، ونطاة: عين ماء بقرية من قرى خيبر تسقي نخيلها وهي فيما زعموا وبئة، وقد ذكرها الشاعر (الشماخ) يصف محموداً فقال:

كأن نطاة خيبر زودته ... بكور الورد ريثة القلوع

فظنّ الليث أنها اسم للحمى وهي عين بها، وقال كثير:

حُزيت لي بحزم فيدة تُحدى ... كاليهودي من نطاة الرّقال



النسق
25°44'33.0"N
39°15'17.0"E

أما الشق: فهو الجزع الآخر من وادي الصوير، الذي يلي النطاة، وتقع عليه عدد من الحصون أهمها: قلعة أبي، وحصن النزار.



المنزلة
25°45'33.0"N
39°15'53.0"E

المنزلة

المنزلة هي السفوح الجنوبية لجبل (دهام)، وتدعى اليوم (الصفق الأحمر)، وموضعها، قرية صغيرة، تم تخطيطها لتكون

١ صيفي الشلاحي، هذه خيبر، ص ١١٩، ط ١، الناشر: الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني



بديلاً عن سكنى مناطق الحصون القديمة، وقد عسكر النبي ﷺ في جزئها المتأخم
لحصن ناعم، في بادئ الأمر قبل أن يتحول إلى الرجيع، تاركاً الوادي ومزارع
النخيل بينه وبينها^١.

ويتحدث البكري عن المنزلة، فيقول: وهناك نطاة والشَّقَّ، وهما واديان،
بينهما أرض تسمى السَّبْخَة والمخاضة، تفضي إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم الأعظم، الذي كان طول مقامه بخير فيه، وبنى عيسى بن موسى هذا
المسجد، وأنفق فيه ما لا جليلاً وهو على طاقات معقودة، وله رحاب واسعة، وفيه
الصخرة التي صَلَّى إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أول نطاة؛ وهذا
المسجد يسمى المنزلة، وفيه تصلَّى الأعياد اليوم^٢.



^١ صيفي الشلاحي، مرجع سابق
^٢ معجم ما استعجم، رسم "خير"

الصخرة (مسجد الصخرة)



الصخرة

25°44'58.0"N
39°15'46.3"E

الصخرة هي الموضع الأخير الذي نزله النبي ﷺ وبني فيه مسجداً، قبل أن يتحول إلى الرجيع.

يقول الواقدي وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ جَعَلَ مَسْجِدًا فَصَلَّى إِلَيْهِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ نَافِلَةً. فَتَارَتْ رَاحِلَتُهُ تَجْرُ زِمَامَهَا، فَأَدْرَكَتْ تَوَجُّهُ إِلَى الصَّخْرَةِ لَا تُرِيدُ تَرْكُوبًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ! حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ الصَّخْرَةِ، فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الصَّخْرَةِ، وَأَمَرَ بِرَحْلِهِ فَحَطَّ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالتَّحَوُّلِ إِلَيْهَا، ثُمَّ ابْتَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا مَسْجِدًا، فَهُوَ مَسْجِدُهُمْ الْيَوْمَ .

ومسجد الصخرة هذا، أشار إليه ابن زبالة، وإن لم يذكره بهذا الاسم، ولكن حدد موقعه.

قال السمهودي: روى ابن زبالة عن حسن بن ثابت بن ظهير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتى خير، ودليله رجل من أشجع، فسلك به صدور الأودية، فأدركته الصلاة بالقرقرة^١، فلم يصل حتى خرج منها، فنزل بين أهل الشق وأهل النطا، وصلّى على عوسجة هناك، وجعل حولها الحجارة^٢.

يوجد اليوم مسجد قديم، كانت تقام فيه الصلاة إلى عهد قريب، وهو يقع

^١ لعل المراد بالقرقرة (الحرضة) فهي قرارة وقريبة من المنزلة والنطا، وسياق الكلام يدل على أنها المقصودة، وليس قرقرة ثبار البعيدة عن المنزلة.

^٢ وفاء الوفا، ١٧٨/٣



أمام نتوء صخري بارز من الحرة، تحت حصن ناعم، يرى الأستاذ/ صيفي الشلاحي^١ أن هذا النتوء هو الصخرة الواردة في رواية الواقدي.



الرجيع
25°47'02.0"N
39°16'37.0"E

الرجيع

الرجيع وادٍ تحول إليه النبي ﷺ بناء على مشورة الحباب بن المنذر-رضي الله عنه- وهو يقع إلى الشمال من خير، على بعد (٤, ٣) كم من حصن ناعم، وهو أقرب الحصون إليه. ويسمى وادي الرجيع اليوم (وادي حفرة^٢)، وتمر فيه الجادة الرئيسة المتجهة شمالاً إلى الجهراء، أو وادي القرى، أو تيماء، وما صاقب تلك الجهات.

قال ابن إسحاق: ثم أقبل حتى نزل بواد يقال له الرجيع، فنزل بينهم وبين غطفان ليحيل بينهم وبين أن يمدوا أهل خير، فعسكر به، وكان يراوح القتال منه، ويخالف الثقل والنساء والجرحى بالرجيع

فتح حصون خير

سنعرض لهذا الموضوع بشيء من الاختصار، وبالقدر الذي يحقق الهدف الرئيس للكتاب، وهو متابعة، وعرض تنقلات النبي ﷺ المكانية، خلال غزواته، من خروجه من المدينة إلى عودته لها، أما تفاصيل ما جرى أثناء المجابهة مع الأعداء، فهي مبثوثة في كتب التاريخ، والسيرة النبوية الشريفة، فيمكن العودة إليها،

^١ صيفي بن عيسى بن صيفي الشلاحي الخيبري، تربوي، باحث معاصر، متخصص في تاريخ خير، وعمل بهذه الصفة مستشاراً لعدة جهات ثقافية حكومية، آخرها الهيئة الملكية لمحافظة العلا، له عدة إصدارات، منها كتابه "هذه خير".

^٢ ينطق في اللهجة المحكية (خفره) بتسكين الحاء.

فتح حصون النطاة:



٥٥٩

حصن ناعم



حصن ناعم
25°44'53.3"N
39°15'45.4"E

أمنع حصون النطاة، ومنه بدأت معارك فتح الحصون، واستمر القتال حول الحصن ثلاثة أيام، وعنده استشهد محمود بن مسلمة، أسقط عليه رحي، وعامر بن الأكوع، كما جرح خمسون من المسلمين. وفي اليوم الثالث بارز الإمام علي بن أبي طالب مرحباً اليهودي، وقتله فانهار من كان في الحصن من المقاتلة، وهربوا إلى حصن الصعب بن معاذ.

حاصر المسلمون حصن الصعب بن معاذ، وهو ثاني حصون النظاة، ثلاثة أيام أخرى، حتى سقط في أيديهم، وفر اليهود منه إلى آخر حصون النظاة؛ وهو قلعة الزبير.



حصن قلعة الزبير

حصن قلعة الزبير



حصن الزبير
25°44'37.5"N
39°15'22.9"E

حاصر المسلمون حصن الزبير، ثلاثة أيام، وكان حصنًا منيعًا، يقع على قطعة عالية من الحرة، وفيه كل المستلزمات الضرورية لمواجهة الحصار، ويكاد يستحيل فتحه بالطرق العسكرية المعتادة.

يصفه الواقدي بقوله : وَتَحَوَّلَتِ الْيَهُودُ مِنْ حِصْنِ نَاعِمٍ كُلَّهَا، وَمِنْ حِصْنِ

الصَّعْبِ ابْنِ مُعَاذٍ، وَمِنْ كُلِّ حُصُونِ النَّطَاةِ، إِلَى حِصْنٍ يُقَالُ لَهُ قُلْعَةُ الزَّبِيرِ، فَزَحَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ وَالْمُسْلِمُونَ، فَحَاصَرَهُمْ وَعَلَقُوا عَلَيْهِمْ حِصْنَهُمْ وَهُوَ حَصِينٌ مَبْنِيٌّ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي رَأْسِ قُلْعَةٍ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ الْخَيْلُ وَلَا الرَّجَالُ لِعُصُوبَتِهِ وَامْتِنَاعِهِ .

أثناء حصار قلعة الزبير، قبض الله للمسلمين رجلاً من اليهود، يقال له غزال فجاء إلى النبي ﷺ وقال له: تَوَمَّيْنِي عَلَى أَنْ أَذْكَ عَلَى مَا تَسْتَرِيحُ بِهِ مِنْ أَهْلِ النَّطَاةِ وَتَخْرُجُ إِلَى أَهْلِ الشَّقِّ، فَإِنَّ أَهْلَ الشَّقِّ قَدْ هَلَكُوا رُعبًا مِنْكَ؟ قَالَ: فَأَمَّنَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّكَ لَوْ أَقَمْتَ شَهْرًا مَا بِالُوا، لَهُمْ دُبُولٌ تَحْتَ الْأَرْضِ، يَخْرُجُونَ بِاللَّيْلِ فَيَشْرَبُونَ بِهَا ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى قَلْعَتِهِمْ فَيَمْتَنِعُونَ مِنْكَ، وَإِنْ قَطَعْتَ مَشْرَبَهُمْ عَلَيْهِمْ ضَجَّجُوا. فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى دُبُولِهِمْ فَقَطَعَهَا، فَلَمَّا قَطَعَ عَلَيْهِمْ مَشَارِبَهُمْ لَمْ يُطِيقُوا الْمَقَامَ عَلَى الْعَطَشِ، فَخَرَجُوا فَقَاتَلُوا أَشَدَّ الْقِتَالِ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ نَفَرٌ، وَأُصِيبَ مِنَ الْيَهُودِ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَشْرَةٌ، وَافْتَتَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ آخِرَ حُصُونِ النَّطَاةِ^١.

فلما فتحت حصون النطاة كلها، انتهى الغرض العسكري من البقاء في الرجيع، فعاد النبي ﷺ إلى منزله الأول (المنزلة).

يقول الواقدي فلَمَّا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّطَاةِ أَمَرَ بِالِاتِّقَالِ، وَالْعَسْكَرِ أَنْ يُحَوَّلَ مِنْ مَنَزِلِهِ بِالرَّجِيعِ إِلَى مَكَانِهِ الْأَوَّلِ بِالْمَنَزَلَةِ، وَأَمَّنَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبَيَاتِ وَمِنْ حَرْبِ الْيَهُودِ وَمَا يَخَافُ مِنْهُمْ، لِأَنَّ
أَهْلَ النَّطَاةِ كَانُوا أَحَدَ الْيَهُودِ وَأَهْلَ النَّجْدَةِ مِنْهُمْ. ثُمَّ تَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِ الشَّقِّ ١

فتح حصون الشق

أهم حصنين في الشق، حصن أبي، وحصن النزار، وبدأ المسلمون بحصن
أبي، وكان منيعاً، فحاصره النبي ﷺ من مكان قريب منه اسمه (سمران) ٢، وبعد
قتال شديد، استطاع المسلمون تسلق الحصن والاستيلاء عليه، والانتقال منه إلى
حصن النزار، وكان أشد حصون الشق منعة، وقاتل المحاصرون فيه أشد القتال.

يصف الواقدي أحداث فتح الحصن، فيقول فَكَانُوا أَشَدَّ أَهْلِ الشَّقِّ قِتَالًا،
رَمَوْا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ، حَتَّى
أَصَابَتْ النَّبْلُ ثِيَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِقَتْ بِهِ، فَأَخَذَ النَّبْلُ فَجَمَعَهَا
ثُمَّ أَخَذَ لَهُمْ كَفًّا مِنْ حِصَا فَحَصَبَ بِهِ حِصْنَهُمْ، فَرَجَفَ بِهِمْ ثُمَّ سَاخَ فِي الْأَرْضِ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ: اسْتَوَى بِالْأَرْضِ حَتَّى جَاءَ الْمُسْلِمُونَ، فَأَخَذُوا أَهْلَهُ
أَخْذًا.

وَكَانَتْ فِيهِ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيبٍ وَابْنَةُ عَمِّهَا ٣.

١ المغازي

٢ وفيه مسجد نبوي تذكره المصادر باسم (مسجد سمران)

٣ المغازي

حصون الكتيبة

القموص، والوطيح، وسلام.



حصن القموص

القموص:

أمنع حصون الكتيبة، بل من أمنع حصون خيبر عامة. يدل موقعه، وما تبقى من بنيانه، على ما كان عليه من منعة، وقوة، وشموخ، وهيمنة على المشهد من حوله، وارتفاع شاهق يكشف ما حوله ٣٦٠ درجة. لكن كل هذه الإمكانيات المادية، لم تغن عنهم شيئاً، حينما رأوا النبي ﷺ متجهاً نحوهم بعد فراغه من حصون النطاة والشق، فقد انهاروا رعباً وخوفاً، حتى أن زعيمهم كنانة بن أبي الحقيق لم يستطع أن يوتر قوسه من شدة الرعب، فأغلقوا عليهم أبواب حصونهم،

ولم يبرز أحد منهم للقتال، أو يرمي بسهم.

حاصرهم النبي ﷺ أربعة عشر يوماً، حتى أيقنوا بالهلكة فطلبوا الصلح،
فأجابهم النبي ﷺ إلى ذلك.



الوطيح والسالمة



وباستسلام حصون الكتيبة، عادت خيبر إلى أهلها العرب المسلمين، وعاد اليهود كما هو وضعهم الطبيعي، معاهدين، لهم حقوق، وعليهم واجبات^١.

جنفاء وذو الرقية

جنفاء

حينما عزم النبي ﷺ على الخروج إلى خيبر، راسل زعيم غطفان، عيينة بن حصن الفزاري، على أن يعطيه تمر خيبر هذه السنة، على ألا يعين اليهود عليه، فأبى. فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْبَرَ أَتَاهُ مَنْ كَانَ هُنَالِكَ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ، فَقَالُوا: حَظَّنَا وَالَّذِي وَعَدْتَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَظُّكُمْ أَوْ قَالَ: لَكُمْ ذُو الرُّقَيْبَةِ» جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ خَيْبَرَ، فَقَالُوا: إِذَا نَقَاتِكَ، فَقَالَ: (مَوْعِدُكُمْ جَنْفَا) فَلَمَّا

^١ مغازي موسى بن عقبة، ص ٢٥٢، جمع ودراسة وتحقيق محمد باقشيش أبو مالك

سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجُوا هَارِبِينَ^١.

في رواية فليح^٢، جنفاء: ماء من مياه بني فزارة^٣.

يرى الشيخ حمد الجاسر أن جنفاء مكانها اليوم، بلدة (الشملي)، التابعة لمنطقة حائل^٤.



ذو الرقيبة
25°46'20.0"N
39°13'43.0"E

ذو الرقيبة

ذو الرقيبة، جبل متوسط الارتفاع، يقع شمال غرب خيبر، على أقل من ٣ كم، من أقرب الحصون إليه (حصن ناعم).

وهو معروف اليوم، ويسمى (أبو رقية)، وبعضهم يقول (أم رقية).

قُصير النبيّ



قُصير النبيّ
25°42'24.0"N
39°13'53.0"E

تصغير قصر، هذا الموقع كان من المواقع الأثرية المعروفة في خيبر، ويقع جنوبها، بينها وبين جبل الصهباء (جبل عطوة الشمالي)، وأقرب الحصون إليه حصن السلالم.

والموقع عبارة عن ركامات حجرية قديمة جداً، محاطة بسور حجري، على شكل مداميك سوداء، على مساحة ٢٥٠٠ متر، وداخل هذا السور تم تحديد

^١ مغازي موسى بن عقبة، مرجع سابق، ص ٢٥٤

^٢ فليح بن سُلَيْمَانَ الْخَزَاعِي الْأَسْلَمِيّ كُنِيْتُهُ أَبُو يَحْيَى مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَرْوِي عَنِ الزُّهْرِيِّ وَالْمَدَنِيِّينَ رَوَى عَنْهُ بِنُ الْمُبَارَكِ وَأَبْنُ وَهْبٍ مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةَ. (الثقات لابن حبان)

^٣ دلائل النبوية للبيهقي، ٢٤٩/٤

^٤ المعجم الجغرافي لشمال المملكة العربية السعودية.

مصلى بحجارة مرصوة، لا يبدو عليها القِدم.



٥٦٧

ظل هذا المعلم معروفاً عند أهل خيبر، وما حولها من بادية وحاضرة، باسم (قصور النبي)، وأن له علاقة بغزوة خيبر، حتى عام ١٤٢٨ للهجرة (٢٠٠٨ ميلادية)، حين كتب بعض الباحثين، وانتشر بين الناس، أن هذا الموقع صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم هو وجيشه حينما كانوا هناك في بداية الهجوم على الحصون، ورآهم المزارعون اليهود فأخذوا يصيحون من الهلع: محمد والخميس، (أي والجيش).

عند ذلك تنبّهت الجهات الرسمية المعنية، وكونت لجنة لدراسة الموقع، خلصت إلى أن ما يشاع عن هذا الموقع غير صحيح، وأمرت بإزالته، فأزيل في

أواخر ذلك العام^١.

حقيقة موقع (قصر النبي)

القصر في اللغة (كُلُّ بَيْتٍ مِنْ حَجَرٍ)^٢، وإطلاق هذا الاسم المصغر على الموقع دالٌّ على وجود بناء صغير فيه، تتناقل الأجيال من أهل المنطقة أن له علاقة بالنبي ﷺ، وبالتالي بأحداث غزوة خيبر.

النبي ﷺ أثناء فتح حصون خيبر، لاحق فلول اليهود، وهم يفرون من حصن إلى حصن، ومن الجانب الشمالي (الشق والنطاة)، إلى الجانب الجنوبي (الكتيبة)، حتى كانت آخر حصونهم التي لجأوا إليها، حصون الكتيبة (القموص، والوطيح، والسلالم).

٥٦٨

وبدراسة مواقع هذه التنقلات والملاحقات، نجد أنه ﷺ انتقل من شمال خيبر إلى جنوبها، حيث تُمكن طبيعة الأرض الجافة، الجيش النبوي أن يعسكر فيها، ويكون مرتفعاً، وبعيداً عن الأرض المنخفضة الرطبة الوبيئة، وحتى لا تنال منهم سهام المدافعين المحصورين، كل هذه العوامل تجعل موقع (قصر النبي) مناسباً ليكون مركز إشراف وقيادة للعمليات العسكرية، وخاصة أنه لا يبعد سوى ١٥٠٠ متر عن حصن السلالم، آخر الحصون فتحاً.

وتقول كتب السيرة أنه صلى الله عليه وسلم حاصر حصون الكتيبة، بضعة

^١ صحيفة عكاظ، ٩ نوفمبر ٢٠٠٨

^٢ القاموس المحيط

عشر يوماً عند ابن إسحاق، أو أربعة عشر يوماً عند الواقدي، وقال موسى بن عقبة قريباً من عشرين يوماً، وكل هذه الأقوال بمعنى واحد؛ فسقط حصن القموص أولاً بعد قتال، واستسلم المحاصرون في حصني الوطيح والسلام.

يقول ابن إسحاق: **وَلَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُصُونِهِمْ مَا افْتَتَحَ، وَحَازَ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا حَازَ، انْتَهَوْا إِلَى حِصْنَيْهِمِ الْوَطِيحِ وَالسَّلَامِ، وَكَانَ آخِرَ حُصُونِ أَهْلِ خَيْبَرَ افْتِتَاحًا، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضِعْعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ^١.**

مجموع هذه القرائن تجعلنا نميل إلى ترجيح أن النبي ﷺ مكث في هذا الموقع طيلة مدة حصار حصون الكتيبة، ثم رجع إلى منزله الأول (المنزلة)، الذي كان فيه طول مدة مكوثه في خيبر، حسب ما جاء في المصادر^٢.

الخروج من خيبر إلى وادي القرى^٣

بعد أن أنهى النبي ﷺ ترتيب الأمور الخاصة بالفيء، والشؤون الإدارية الأخرى، ونظم العلاقة المستقبلية بين المسلمين ويهود خيبر؛ توجه إلى إكمال الجزء الثاني من الغزوة، وهو القضاء على مصدر آخر من مصادر التهديد الأمني للمجتمع الإسلامي الوليد، يتمثل هذا المصدر في المستوطنات اليهودية شمال

^١ المسيرة النبوية

^٢ البكري، مرجع سابق، ٥٢٢/٢

^٣ وادي القرى - يُنسب إلى كَنْزَةِ الْقَرْيِ فِيهِ جَاءَ فِي قِصَّةِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَإِسْلَامِهِ. قُلْتُ: يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِوَادِي الْعُلَا: مَدِينَةٌ عَامِرَةٌ شَمَالَ الْمَدِينَةِ عَلَى فَرَايَةِ (٣٥٠) كَيْلًا، كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ وَالزَّرْعِ وَالْأَهْلِ، وَوَادِيهَا - وَادِي الْقَرْيِ - يَصُبُّ فِي وَادِي الْجَزَلِ (البلادي)



المدينة (خيبر، وادي القرى، تيماء، فدك).

بدأ النبي ﷺ بيهود وادي القرى، ربما بسبب موقعهم الإستراتيجي، فهم يحتلون جزءاً من محطة مهمة جداً من محطات الطريق التجاري الرئيس الرابط بين الشام والجزيرة العربية، وتحديد خطرها الأمني ضروري في هذه المرحلة.

كان مدة مكوث النبي ﷺ في خيبر أربعين يوماً، وحين غادرها، أظهر أنه راجع إلى المدينة، فسلك الطريق المعتاد إليها، من شمال خيبر، (المنزلة)، إلى جنوبها، فمرّ على ثبار؛ هو قاعٌ يسمى اليوم (قعقران)، ومنه صفق ذات اليمين، جاعلاً جبل عطوة الجنوبي سداً بينه وبين يهود خيبر لا يرونه، يظنون أنه متجه إلى المدينة، فهذا هو الطريق إليها، حتى إذا كان عند الطرف الجنوبي الغربي لجبل (عطوة الجنوبية)، نزل، وهناك أعرس بصفية-رضي الله عنها.



البناء بصفية رضي الله عنها



البناء بصفية
25°38'00.0"N
30°16'19.0"E

اتفقت المصادر على أن بناء النبي ﷺ كان عند الصهباء، بعد

فراغه من خيبر، وأنه بعد خيبر اتجه إلى يهود وادي القرى.

جاء في صحيح البخاري: **ثُمَّ قَدِمْنَا خَيْبَرَ فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ، ذَكَرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيْبِ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ، حَلَّتْ فَبَنَى بِهَا، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطْعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَذِنَ مَنْ حَوْلَكَ». فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَفِيَّةَ^١.**

^١ باب غزوة خيبر

أقول: قوله حَتَّى بَلَّغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ ، سد الصهباء هنا، يعني جبل الصهباء (جبل عطوة)، وقد تقدم شرح ذلك عند الكلام على (الصهباء).

وإيراد كلمة سد هنا دقيق جداً، فالصهباء جبلٌ، وسدٌ بين الجيش النبوي، ويهود خيبر، فلا يرون تحركاته، ولا يدرون أين هو، وخاصة أنه من هذا المكان سيرك طريق المدينة، ويتوجه إلى طريق وادي القرى عن طريق برمّة.

ولتحديد هذا المكان بالضبط، نورد ما جاء عن ابن سعد حول وليمة عرس صفية (رضي الله عنها)، حيث قال: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَأْتِي بِفَضْلِ السَّوِيقِ وَالتَّمْرِ وَالسَّمْنِ حَتَّى جَمَعُوا مِنْ ذَلِكَ سَوَادًا فَجَعَلُوا حَيْسًا فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مَعَهُ وَيَشْرَبُونَ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى جَنْبِهِمْ.^١

قوله: وَيَشْرَبُونَ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى جَنْبِهِمْ ، هذا يجعلنا نرجح أنهم كانوا قرب غدير مشهور لا يغادره الماء إلى يوم الناس هذا، هذا الغدير تحت الركن الجنوبي الغربي لعطوة الجنوبية، يسمى (غدير الضرس).





الطريق إلى برمّة

يخبرنا الواقدي عن اتجاه النبي ﷺ لما وصل الصهباء، فيقول: فَلَمَّا أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّهْبَاءَ سَلَكَ عَلَيَّ بُرْمَةَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى وَادِي الْقُرَى يُرِيدُ مَنْ بِهَا مِنَ الْيَهُودِ.

وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ قَالَ: حَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ

حَيْبَرَ إِلَى وَادِي الْقُرَى^١

ويحدد لنا ابن سعد بعض تفاصيل الطريق الذي سلكه النبي ﷺ من خيبر إلى برمة، فيقول: وَلَمْ يَخْرُجْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ خَيْبَرَ حَتَّى طَهَّرَتْ مِنْ حَيْضَتِهَا. فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ خَيْبَرَ وَلَمْ يُعْرَسَ بِهَا. فَلَمَّا قُرِبَ الْبَعِيرُ لِرَسُولِ اللَّهِ لِيَخْرُجَ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ رِجْلَهُ لِيَصْفِيَةَ لِتَضَعَ قَدَمَهَا عَلَى فَخْذِهِ فَأَبَتْ وَوَضَعَتْ رُكْبَتَهَا عَلَى فَخْذِهِ وَسَتَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ وَحَمَلَهَا وَرَاءَهُ. وَجَعَلَ رِداءً عَلَى ظَهْرِهَا وَوَجْهَهَا ثُمَّ شَدَّهُ مِنْ تَحْتِ رِجْلِهَا وَتَحَمَّلَ بِهَا وَجَعَلَهَا بِمَنْزِلَةِ نِسَائِهِ. فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلٍ يُقَالُ لَهُ ثَبَارٌ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ خَيْبَرَ مَالَ يُرِيدُ أَنْ يُعْرَسَ بِهَا فَأَبَتْ عَلَيْهِ فَوَجَدَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا كَانَ بِالصَّهْبَاءِ وَهِيَ عَلَى بَرِيدٍ مِنْ خَيْبَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَأُمِّ سُلَيْمٍ: عَلَيْكَ صَاحِبَتُكَ فَاْمِشْطِنَهَا]. وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يُعْرَسَ بِهَا هُنَاكَ. قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: وَلَيْسَ مَعَنَا فُسْطَاطٌ وَلَا سُرَادِقَاتٌ فَأَخَذْتُ كِسَائِيْنِ أَوْ عَبَاءَتَيْنِ فَسَتَرْتُ بَيْنَهُمَا إِلَى شَجَرَةٍ فَمَشَّطْتُهَا وَعَطَّرْتُهَا. قَالَتْ أُمُّ سِنَانِ الْأَسْلَمِيَّةِ: وَكُنْتُ فِيْمَنْ حَضَرَ عُرْسَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِصَفِيَّةَ مَشَّطْنَاهَا وَعَطَّرْنَاهَا. وَكَانَتْ جَارِيَةً تَأْخُذُ الزَّيْنَةَ مِنْ أَوْضِإِ مَا يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ وَمَا وَجَدْتُ رَائِحَةَ طِيبٍ كَانَ أَطِيبَ مِنْ لَيْلَتِيذٍ. وَمَا شَعْرُنَا حَتَّى قِيلَ رَسُولُ اللَّهِ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِهِ وَقَدْ نَمَّضْنَاهَا وَنَحْنُ تَحْتِ دُومَةٍ. وَأَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَمْشِي إِلَيْهَا فَقَامَتْ إِلَيْهِ. وَبِذَلِكَ أَمَرْنَاهَا. فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدَهُمَا وَأَعْرَسَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ هُنَاكَ وَبَاتَ عِنْدَهَا. وَغَدَوْنَا عَلَيْهَا وَهِيَ تُرِيدُ أَنْ تَغْتَسِلَ. فَذَهَبْنَا بِهَا حَتَّى تَوَارَيْنَا مِنَ الْعُسْكَرِ فَقَضَتْ حَاجَتَهَا وَاغْتَسَلَتْ. فَسَأَلْتُهَا عَمَّا رَأَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرَتْ أَنَّهُ سُرَّ بِهَا وَلَمْ يَنْمِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَلَمْ

يَزَلْ يَتَحَدَّثُ مَعَهَا. وَقَالَ لَهَا: مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ حِينَ أَرَدْتُ أَنْ أَنْزَلَ
الْمَنْزِلَ الْأَوَّلَ فَأَدْخُلَ بِكَ؟ فَقَالَتْ: خَشِيتُ عَلَيْكَ قُرْبَ يَهُودَ. فزَادَهَا ذَلِكَ عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ. وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ فَأَوْلَمَ عَلَيْهَا هُنَاكَ وَمَا كَانَتْ وَلِيْمَتَهُ إِلَّا الْحَيْسَ. وَمَا
كَانَتْ قِصَاعَهُمْ إِلَّا الْأَنْطَاعَ. فَتَغَدَّى الْقَوْمُ يَوْمَئِذٍ ثُمَّ رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ فَنَزَلَ بِالْقُصَيْبَةِ
وَهِيَ عَلَى سِتَّةَ عَشَرَ مِيلاً^١.

في هذا النص أورد ابن سعد ثلاثة مواضع مهمة لتحديد الطريق الذي سلكه
النبي ﷺ في طريقه إلى برمّة، هي: ثبار، الصهباء، القصيبة
ونورد هنا تعريفاً موجزاً لهذه المعالم.

ثبار



ثبار
25°38'38.0"N
39°17'17.4"E

قال ياقوت: بالكسر، وآخره راء: موضع على ستة أميال من
خير، هناك قتل عبد الله بن أنيس أسير بن رزام اليهودي، ذكره
الواقدي بطوله، وقد روي بالفتح، وليس بشيء، فأما الثبار،
بالكسر، فهو جمع ثبرة، وهي الأرض السهلة، يقال: بلغت النخلة من آل ثبرة
والثبرة أيضاً: حفرة من الأرض^٢.

يقول عنه البلادي: هَذَا قَاعٌ جَنُوبَ خَيْرٍ بَيْنَ الْحَرَّةِ وَالصَّهْبَاءِ الْمَعْرُوفَةِ
الْيَوْمَ بِاسْمِ (جَبَلِ عَطْوَةِ). وَهُوَ عَلَى (٦) أَكْيَالٍ مِنْ خَيْرٍ يَقْسِمُهُ الطَّرِيقُ إِلَى الْمَدِينَةِ،

^١ الطبقات الكبرى، ٩٦/٨

^٢ معجم البلدان

وَيُسَمَّى الْيَوْمَ قَاعَ (قَعْقَرَانَ) وَيُسْتَعْنَى عَنْ قَاعٍ، وَيَلْفِظُونَهُ (قَعْقَرَانَ)¹.

قلت: قول ابن سعد وغيره أن ثبار على ستة أميال من خيبر²؛ هذه المسافة محسوبة من المنزلة (الصفق الأحمر)، حتى طرف القاع الموالي للصهباء، حيث يميل الطريق يميناً عند طرف الصهباء (جبل عطوة الجنوبي)³.

الصهباء

سبق أن تكلمنا عن الصهباء، معناها في اللغة، وأنها جبلان يسمى الشمالي الموالي لخيبر (عطوة الشمالية)، والجنوبي (عطوة الجنوبية)، وعطوة الجنوبية هذه، هي التي يمر بها الطريق القديم بين المدينة وخيبر، وهي المقصودة بنزول النبي ﷺ عندها، في ذهابه إلى خيبر، وفي بنائه بأمر المؤمنين صفية رضي الله عنها.

وما جاء في المصادر أنها على روحة، أو على بريد، فهذا صحيح، فالمسافة من الركن الجنوبي الغربي لعطوة الجنوبية إلى منتهى خيبر (الصفق الأحمر)، تبلغ حوالي (١٨) كم، وهي مسافة يقطعها المسافر في روحة، وتقرب من بريد⁴.

وقدر البلادي ركن عطوة الجنوبي بنحو ١٧ كم⁵.

¹ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، وقد أصبح هذا القاع اليوم حياً من أحياء خيبر الجديدة.
² حدود خيبر القديمة كما جاءت في كتاب (هذه خيبر) للأستاذ صيفي الشلاحي: "يقصد بخيبر قديماً مجموعة القرى التي شكلت مدينة خيبر التاريخية.
وتقع تحديداً في النطاق المحصور بما يعرف اليوم ب(وادي خيبر) بين الصهباء (جبال عطوة) جنوباً، وجبال دهام، وجبل ذي الرقبة(أم رقبة) شمالاً، أو ما يعرف اليوم بالصفق الأحمر. وهو النطاق الذي يضم مزارع النخيل والعيون التي اشتهرت بها خيبر قديماً، حتى حظيت بلقب (ريف الحجاز)، وسلته". ص ٢٧
³ وقد حسبت المسافة هذه فوجدتها كما قالوا حوالي (١١) كم، وهي تعادل ٦ أميال بالميل القصير.
⁴ البريد حوالي ٢٠ كم بالميل القصير، وهو المستخدم في حساب الطرق، كما تظهره أحجار الأميال، بين مكة والمدينة، الموجودة إلى اليوم.
⁵ رحلات في بلاد العرب، ص ١٥، ط ٢، دار مكة.

قال ياقوت عنها: والقصبة: بين المدينة وخيبر وهو واد يزهو أسفل وادي

الدوم

وحدها البلادي: بين المدينة وخيبر، وهو واد يزهو أسفل وادي الدوم وما

قارب ذلك .

قلت (القول للبلادي): هذه شعبة تصب في أسفل وادي الغرس، بين

الصلصلة، وهديّة (هدنة)، ووادي الدوم أحد أجزاء وادي الغرس في أسفله^١

من القصبة إلى برمة

القصبة جزء من وادي الغرس، ووادي الغرس لم يرد في المصادر بهذا

الاسم، في هذا الموضع، فالاسم للقصبة، ويستمر الوادي بهذا الاسم جنوب،

وغرب خيبر، فإذا تجاوز الركن الجنوبي الغربي لعطوة الجنوبية أخذ الطريق إلى

برمة، وهو طريق قديم معروف، يسمى طريق (الحوي)^٢، يسير في وادي القصبة،

حتى يخرج منه، عند شعيب ونخل يسمى (ثور)، ومنه يأخذ الطريق وادي الخيمة،

إلى أن يصعد قطعة من الحرة، ثم يهبط منها على (الحوي)، ومنه إلى برمة.

^١ معجم معالم الحجاز، ج٧، ص١٣٩، ط١، دار مكة

^٢ موقع الخروج من وادي القصبة



والنبي ﷺ لما راح من مكان بنائه بصفية (رضي الله عنها) أخذ الطريق إلى برمة، وبعد نحو (٢٩) كم من خروجه من خيبر نزل للاستراحة في آخر وادي القصيبة عند التقائه مع شعب ونخل ثور.

وهذا يتفق تماماً مع رواية ابن سعد المتقدمة.



برمة
25°46'02.3"N
38°49'07.9"E

برمة

قال عنها ياقوت: بكسر أوله: من بلاد سليم، قال ابن

حبیب: برمة عرض من أعراض المدينة قرب بلاكث بين خيبر ووادي القرى^١

وقال في رسم (بلاكث)^٢: وبرمة بين خيبر ووادي القرى، وهي عيون ونخل

لقريش، قال كثير:

نظرت، وقد حالت بلاكث دونهم ... وبطنان وادي برمة وظهورها



٥٧٨



^١ مرجع سابق، وبرمة التي في بلاد سليم ليست هذه، فتلك تقع في حرتهم.
^٢ قارة معروفة في بطن إضم (وادي الحمض).

٥٧٩



بقايا قصر برمّة

وحدها البلادي بضم الموحدة، وسكون الراء: عين تنبع من حرة مكوّنة غديراً كبيراً دائماً، بطرف وادي الطُّبُق من الشمال، فيها آثار ومبان مهدمة، وفيها نُزِّلَ حديث من الطوالعة من ولد علي من عنزة، ووادي برمّة يقال له تيشان، وبدأت فيها زراعة على فُلُج يكشفونها ثم يضعون عليها آلات الضخ، وترتبتها جيدة^١

قلت: عندما ارتحل النبي ﷺ من خيبر لم يذهب مباشرة إلى وادي القرى، بل أخذ طريقه إلى برمّة، ليستكمل تأمين شمال المدينة، وبرمّة كانت من البؤر الاستيطانية اليهودية شمالها، وجزء مما كان يطلق عليه مصطلح (قرى عربية)، وهو اسم جامع لقرى العرب التي كانت شمال المدينة، وسكنها يهود^٢.

وعندما وصل النبي ﷺ برمّة، لم يلق مقاومة، ممن كان فيها من اليهود.

قال ابن حبيب: خرج صلى الله عليه في المحرم الى خيبر، فحاصرهم بضعة عشر يوماً. وارتحل منها الى (قرى عربية) فلم يلق كيدا^٣.

نقل البكري عن كتاب حديث الزهري، قال: قال عمر في قول الله تعالى: وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ (سورة الحشر: ٦) قال هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، قرى عربية، وفدك وكذا وكذا - وهي قرى بالحجاز معروفة.

كتب أبو عبيد الله كاتب المهدي: قرى عربية فنون ولم يصف.

^١ معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ٢١٢، ط ١، دار مكة.

^٢ انظر مجلة العرب، ج ٩، ص ٢، ربيع الأول، ١٣٨٨هـ (حزيران ١٩٦٨)

^٣ المبر، غزوات النبي ﷺ ١/١١٥، دار الافاق الجديدة- بيروت



فقال له شبيب بن شيبه: إنّما هي قرى عربية غير منونة. فقال أبو عبد الله لقتيبة النحويّ الجعفيّ الكوفيّ: ما تقول؟ فقال: إن كنت أردت القرى التي بالحجاز يقال لها: قرى عربية فإنّها لا تنصرف، وإن كنت أردت قرى من قرى السواد، فهي تنصرف، فقال: إنّما أردت التي بالحجاز. قال: هو كما قال شبيب^١.

قلت: سبب منع (قرى عربية) من الصرف أنها مأخوذة من أصل أعجمي^٢ وبهذا تكون برمة مما أفاء الله على رسوله من أهل القرى.

من برمة إلى وادي القرى

بعد أن انتهى النبي ﷺ من شأن برمة، توجه مباشرة إلى وادي القرى.

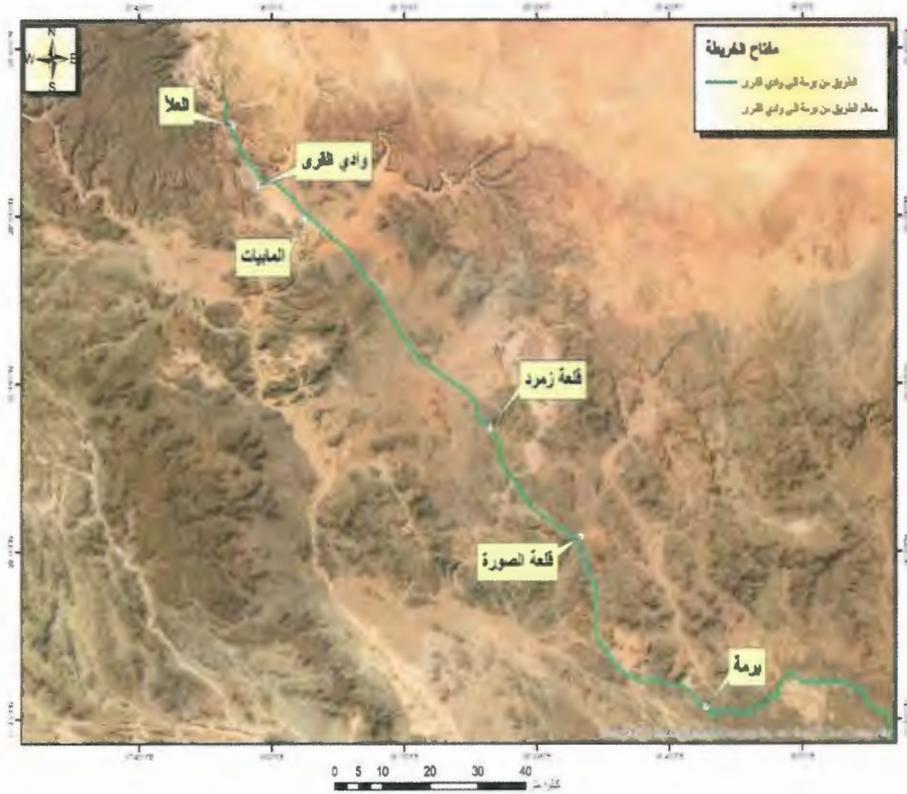
لم تزودنا المصادر بأي معلم نسترشد به لتحديد الطريق الذي سلكه الجيش النبوي في توجهه إلى وادي القرى، لكن المنطق يقول: إنه خرج من برمة، جاعلاً جبل الحُصّين يمنةً، ثم صعد في وادي بَرّاقة، وهذا أوجه طريق وأقربه للوصول إلى وادي القرى، وهو الطريق الذي مُدّت فيه سكة حديد الحجاز، وصار طريق الحج الشامي منذ القرن السابع الهجري^٣، بعد أن هُجر الطريق الرئيس (طريق ذي المروة)، بسبب الاحتلال الصليبي لبعض مدن الشام ومصر، واختلال الأمن على مساره، وإلى هذا الجزء من الطريق أشار البكري، وهو يعدد الطرق إلى تيماء من

^١ مرجع سابق، ٩٢٩/٣

^٢ د. عبد الله بن ناصر الوهبي، مجلة العرب، جمادي الأولى سنة ١٣٩٠

^٣ يسمى (طريق المعظم)، لأن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الأيوبي هو من جعل هذا الدرب صالحاً لسفر القوافل، وبنى عليه البرك والمصانع، وكان ابتداء ذلك عام ٦١١ للهجرة.

المدينة، فقال: .. ثم تنزل غشى، وهي لعذرة: ثم تنزل مطرائين^١، وهي لليلي بنت عمرو بن الحاف بن قضاة. ثم تنزل وادي القرى^٢ ..



الطريق من برمة حتى وادي القرى (وادي العلا)، حوالي ١٣٥ كم، يقطعها الجيش في ثلاثة أيام بالسير المعتدل، وهو طريق ليست فيه عقبات أو عوائق طبيعية صعبة، لكن ينبغي للجيش أن يأخذ من (برمة) معظم احتياجه من الماء، فهذا الجزء من الطريق قليل موارد المياه، وكثيراً ما كان يشتكي الحجاج من العطش إذا سلكوا فيه.

^١ اسمه اليوم مطران، السهل المعروف المؤدي إلى العلا.

^٢ معجم ما استعجم، ٣٣٠/١

أهم معالم هذا الطريق المشاهدة اليوم، هي: قلعة الصّورة، وقلعة زمرد، بالإضافة إلى مباني محطات سكة حديد الحجاز.



دعوة يهود وادي القري إلى الدخول في الإسلام

٥٨٣

يخبرنا الواقدي أن النبي ﷺ لم يبادئ اليهود بقتال، ولكنه دعاهم أولاً إلى الدخول في الإسلام، وإيكال حقيقة نيتهم إلى الله، فإن فعلوا ذلك عصموا دماءهم وأموالهم، يقول الواقدي: وَعَبَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ لِلْقِتَالِ وَصَفَّهُمْ، وَدَفَعَ لِيَوَاءَهُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَرَأْيَةَ إِلَى الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ، وَرَأْيَةَ إِلَى سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، وَرَأْيَةَ إِلَى عَبَادِ بْنِ بَشِيرٍ. ثُمَّ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبَرَهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا أَحْرَزُوا أَمْوَالَهُمْ وَحَقَّنُوا دِمَاءَهُمْ وَحَسَابَهُمْ عَلَى اللَّهِ. فَبَرَزَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَبَرَزَ إِلَيْهِ الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ بَرَزَ آخَرُ فَبَرَزَ إِلَيْهِ الزَّبِيرُ

^١ بناها حاكم دمشق عثمان باشا (١١٧٤-١١٨٤) - المجلة العربية

^٢ بنيت عام ١١٩٦ هجرية، قال عنها ابن ناصر الدرعي في الرحلة الناصرية الكبرى (ومررنا ليلاً ببئر الزمرد وهي عذبة وفي موضعها قلعة وفسقيه ولازال البنائون بها).

فَقَتَلَهُ، ثُمَّ بَرَزَ آخِرُ فَبْرَزَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ بَرَزَ آخِرُ فَبْرَزَ لَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ بَرَزَ آخِرُ فَبْرَزَ لَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ، حَتَّى قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا، كُلَّمَا قَتَلَ رَجُلٌ دَعَا مَنْ بَقِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ. وَلَقَدْ كَانَتْ الصَّلَاةُ تَخْضُرُ يَوْمَئِذٍ فَيُصَلِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ ثُمَّ يَعُودُ فَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى أَمْسَوْا، وَغَدَا عَلَيْهِمْ فَلَمْ تَرْتَفِعِ الشَّمْسُ قَيْدَ رُمْحٍ حَتَّى أَعْطَوْا بِأَيْدِيهِمْ، وَفَتَحَهَا عَنُودًا، وَغَنِمَهُ اللَّهُ أَمْوَالَهُمْ وَأَصَابُوا أَثَاثًا وَمَتَاعًا كَثِيرًا.

وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَادِي الْقُرَى أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ، وَقَسَمَ مَا أَصَابَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِوَادِي الْقُرَى، وَتَرَكَ النَّخْلَ وَالْأَرْضَ بِأَيْدِي الْيَهُودِ وَعَامَلَهُمْ عَلَيْهَا.

فَلَمَّا بَلَغَ يَهُودُ تَيْمَاءَ مَا وَطِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا وَفَدَكَ وَوَادِي الْقُرَى، صَالَحُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجِزْيَةِ، وَأَقَامُوا بِأَيْدِيهِمْ أَمْوَالَهُمْ^١.

موقع الغزوة في وادي القرى

وادي القرى تطلق على وادٍ طوله حوالي مئة كم، يبدأ من أعالي وادي الحجر شمالاً، وينتهي في وادي الجزل جنوباً. وقد حصل خلاف بين العلماء المعاصرين في الموضع من هذا الوادي الذي كان يطلق عليه هذا المسمى في

^١ المغازي، مرجع سابق، ٢٠٧/٢



العصور الإسلامية الأولى، فذهب فريق إلى أن وادي القرى هو الموضع المسمى في ذلك العهد قُرْح ، ومال إلى هذا الرأي القائمون على حولية الأطلال ، فقالوا: يشير وصف الجغرافيين المسلمين في الفترة من القرن الثالث إلى أواخر القرن السادس الهجري (٩ - ١٢م) إلى أن المايات هي قُرْح قاعدة وادي القُرَى، إذ اهتم الحسن الأصفهاني المعروف بـ(لُغْدَة) وهو من جغرافيي القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي - بتحديد موقع وادي القرى بالنسبة إلى المدن والقرى الأخرى أثناء كلامه عن طريق الحج، فيذكر من مراحل الطريق وادي القرى ثم العوالي (العلا حالياً) ثم الحِجْر، وينطبق هذا الوصف على موقع المايات^١

أما الشيخ حمد الجاسر، ومعه فريق آخر من الباحثين، فقالوا: إن وادي القرى، يطلق على الموضع الذي فيه بلدة العلا الحالية، واستشهدوا بنصوص كثيرة منها، قول: سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري عن ثمود ما ملخصه: (وسار ثمود بن عاير... فنزلوا الحجر إلى قرح وهو وادي القرى، وبينهما ثمانية عشر ميلاً فيما بين الحجاز والشام فأقاموا بها إلى أن بعث الله نبيه صالحاً فأهلكوا بعقرهم الناقة).

فالمسافة إذن بين قرح وبين الحجر ثمانية عشر ميلاً وهي تقارب المسافة بين مدينة العلا وبين الحجر، وعلى هذا فقرح ينبغي أن يكون موقعه في ضواحي العلا ليس بعيداً عنها، ووصف الأصفهاني وادي القرى بوجود عينين فيه وسوق

^١ حولية(الأطلال)، العدد التاسع الصادر في سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) - ص ١١٣

يقال له الصعيد يفهم منه وقوع قرح بقرب العينين اللتين أراهما من عيون العلاء^١.
قلت: ولما كان اليهود أهل زراعة، ينبغي أن يكون مقامهم في أفضل مكان مناسب لها، وهو هنا موقع بلدة العلاء. وسيأتي معنا في غزوة تبوك أن قرح هي التي فيها مسجد العظام، وهو موجود في حيّ العلاء القديم (الديرة). لذلك أرى أن ما ذهب إليه الشيخ حمد الجاسر هو الصواب إن شاء الله. والله أعلم.

العودة من وادي القرى إلى المدينة^٢

قال الواقدي: **وَأَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَادِي الْقُرَى رَاجِعًا بَعْدَ أَنْ فَرَّغَ مِنْ خَيْبَرَ وَمِنْ وَادِي الْقُرَى وَغَنَّمَهُ اللَّهُ، فَلَمَّا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ سَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَتَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ بِقَلِيلٍ نَزَلَ وَعَرَّسَ^٣.**

فوات صلاة الصبح

هنا في هذه الليلة حدث أمر مهم؛ وهو فوات صلاة الصبح على جميع المعسكر بما فيهم النبي ﷺ، لحكمة أرادها الله تعالى، ليتعلم المسلمون كيف يتصرفون عند فوات وقت الصلاة.

روت كتب السنة، واللفظ لمسلم: **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ**

^١ للمزيد، انظر: مجلة العرب، ج ٥، ص ٢٧ - ذوا القعدة والحجة سنة ١٤١٢هـ - أيار / حزيران (مايو /

يونيو) سنة ١٩٩٢م

^٢ طريق العودة من وادي القرى إلى المدينة سنذكره بالتفصيل عند الكلام على غزوة تبوك.

^٣ مرجع سابق

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَفَلَ مِنْ غَزْوَةِ حَيْبَرَ، سَارَ لَيْلَهُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْكُرَى عَرَّسَ، وَقَالَ بِلَالٍ: «أَكَلْنَا لَنَا اللَّيْلَ»، فَصَلَّى بِلَالٌ مَا قَدَّرَ لَهُ، وَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، فَلَمَّا تَقَارَبَ الْفَجْرُ اسْتَنَّدَ بِلَالٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ مُوَاجِهَ الْفَجْرِ، فَغَلَبَتْ بِلَالًا عَيْنَاهُ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا بِلَالٌ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ بِلَالٌ: «أَيُّ بِلَالٍ» فَقَالَ بِلَالٌ: أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ - بِنَفْسِكَ، قَالَ: «اقتادوا»، فاقْتَادُوا رَوَاحِلَهُمْ شَيْئًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا»، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ: أقيم الصَّلَاةَ لِذِكْرِي [١] .^٢

موضع هذه الحادثة

كعادة إمام جغرافيا السيرة النبوية محمد بن عمر الواقدي، فقد قرب لنا معرفة مكان هذا الموضع، وإن كان بشكل تقريبي، فيخبرنا أن الجيش النبوي عرس قريباً من المدينة، وأدى صلاة الصبح قضاءً.

ثم قال: وَانْتَهَى إِلَى الْجَرْفِ لَيْلًا، هذا يعني أن المسافة المتبقية عن المدينة مرحلة واحدة.

لذلك أرجح أن منزل النبي ﷺ الذي حصلت فيه حادثة فوات صلاة الصبح،

^١ طه: ١٤

^٢ صحيح مسلم، ج ٤٧/١، دار إحياء التراث العربي-بيروت

موضعٌ بين الملييح^١ والمندسة^٢، يبعد عن المدينة حوالي ٤٥ كم. والله أعلم.

أهم نتائج غزوة خيبر

النتائج السياسية

يمكن تلخيص أهمها فيما يلي:

- تم القضاء، وبصفة نهائية، على النفوذ السياسي والاقتصادي لليهود في شمال المدينة، وهو محور تمركزهم في جزيرة العرب.
- تأمين الجبهة الشمالية من أن تُخترق من الأعداء الأقوياء، مثل البيزنطيين، والأقوام الذين يدينون لهم بالولاء.
- أصبح لدولة الإسلام الوليدة شأن، ومكانة تجعل كل القبائل العربية؛ بما فيها قريش تهابهم، ولا تفكر أن تنال منهم.
- لم تُهاجم المدينة بعد خيبر من قبل أيِّ عدو.
- صارت كفة المسلمين راجحة في أي تفاوض مع الأعداء، سواء كانوا قريشاً، أو بقية قبائل العرب، أو حتى خارج جزيرة العرب

^١ الملييح سمّاه الهمداني وصاحب المناسك باسم (الأراك)، يبعد ٧٠ كم على طريق تبوك.

^٢ اسمه قديماً ذو خشب.



النتائج الاقتصادية

أهم نتيجة اقتصادية هي توفير الأمن الغذائي للمدينة؛ عاصمة ومركز الدولة الإسلامية الوليدة، فخيبر كانت تسمى (ريف الحجاز)، لتوفر الماء والغذاء فيها، يقول الواقدي في المغازي وَجَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ رَجَاءَ الْغَنِيمَةِ، فَقَالُوا: نَخْرُجُ مَعَكَ! وَقَدْ كَانُوا تَخَلَّفُوا عَنْهُ فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَأَرْجَفُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: نَخْرُجُ مَعَكَ إِلَى خَيْبَرَ، إِنَّهَا رِيفُ الْحِجَازِ طَعَامًا وَوَدَكًا وَأَمْوَالًا .

وقد سر النبي ﷺ بفتح خيبر، لما له من مردود، وفوائد جمّة، ونتائج استراتيجية هامة، كان لها أقوى الأثر في انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية.

الفصل الثالث عشر

غزوة تبوك

سبب الغزوة

ذكر المؤرخون والمحدثون عدة أسباب وراء هذه الغزوة، أبرزها قول الإمام الواقدي وابن سعد والحافظ الهيثمي، وغيرهم، أن ذلك لما بلغهم من عزم هرقل وأتباعه من متنصرة العرب على غزو المدينة، أما الحافظ ابن كثير فقد ذكر في تفسيره سبباً آخر.

وقد لخص الحافظ ابن حجر في فتح الباري مجمل تلك الأسباب، بقوله: "وَكَانَ السَّبَبُ فِيهَا مَا ذَكَرَهُ بِنِ سَعْدِ بْنِ سَعْدٍ وَشَيْخُهُ وَعَيْزُهُ قَالُوا بَلَغَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَنْبَاطِ الَّذِينَ يَقْدُمُونَ بِالزَّيْتِ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ أَنَّ الرُّومَ جَمَعَتْ جُمُوعًا وَأَجْلَبَتْ مَعَهُمْ لَحْمَ وَجُدَامَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ مُتَنَصِّرَةِ الْعَرَبِ وَجَاءَتْ مُقَدِّمَتُهُمْ إِلَى الْبَلْقَاءِ فَندَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ وَأَعْلَمَهُمْ بِجَهَةِ غَزْوِهِمْ كَمَا سَيَأْتِي فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ.

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: كَانَتْ نِصَارَى الْعَرَبِ كَتَبَتْ إِلَى هِرَقْلَ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي خَرَجَ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ هَلَكَ وَأَصَابَتْهُمْ سُنُونُ فَهَلَكَتْ أَمْوَالُهُمْ. فَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ عِظَمَائِهِمْ يُقَالُ لَهُ قُبَادُ وَجَهَّزَ مَعَهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ قُوَّةٌ وَكَانَ عُثْمَانُ قَدْ جَهَّزَ عِيرًا إِلَى الشَّامِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَقْتَابِهَا وَأَحْلَاسِهَا وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ قَالَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لَا يَضُرُّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَهَا. وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبَانَ نَحْوَهُ.

وَذَكَرَ أَبُو سَعِيدٍ فِي شَرْفِ الْمُصْطَفَى وَالْبَيْهَقِيِّ فِي الدَّلَائِلِ مِنْ طَرِيقِ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَالْحَقُّ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا أَرْضُ الْمُحْشَرِ وَأَرْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَغَزَا تَبُوكَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الشَّامَ فَلَمَّا بَلَغَ تَبُوكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَاتِ مِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ " وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا الْآيَةَ " ١ أَنْتَهَى .

قلت: والعجيب عدم تعليق الحافظ ابن حجر على هذا الرأي الأخير الذي يجعل سبب غزوة تبوك استجابة النبي ﷺ لطلب اليهود، علماً بأن اليهود تم إجلأؤهم قبل الغزوة بسنين عدداً.

لكن الحافظ ابن كثير فند هذا الزعم في تفسيره لقوله تعالى من سورة الإسراء {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يُلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا} (٧٦).

فقال: " قِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ، إِذْ أَشَارُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُكْنَى الشَّامِ بِلَادِ الْأَنْبِيَاءِ، وَتَرَكَ سُكْنَى الْمَدِينَةِ.. فَصَدَّقَ مَا قَالُوا، فَغَزَا غَزْوَةَ تَبُوكَ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الشَّامَ. وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَسُكْنَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ ذَلِكَ " ٢ .

إلا أن الحافظ ابن كثير أورد سبباً آخر؛ أنه استجابة النبي ﷺ للأمر الإلهي في قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ " .

١ فتح الباري، ١١٢/٨، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩
٢ تفسير ابن كثير، ط٧، دار طيبة للنشر والتوزيع

فقال - رحمه الله: " بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُمْ وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَالطَّائِفَ، وَالْيَمْنَ وَالْيَمَامَةَ، وَهَجَرَ، وَخَيْبَرَ، وَحَضْرَمَوْتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَقَالِيمِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَدَخَلَ النَّاسُ مِنْ سَائِرِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، شَرَعَ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَتَجَهَّزَ لِعَزْوِ الرُّومِ الَّذِينَ هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ لِكُونِهِمْ أَهْلَ الْكِتَابِ، فَبَلَغَ تَبُوكَ ثُمَّ رَجَعَ لِأَجْلِ جَهْدِ النَّاسِ وَجَدْبِ الْبِلَادِ وَضِيقِ الْحَالِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةً تَسْعَ مِنْ هِجْرَتِهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ".^١

وقد رجع الشيخ محمد رشيد رضا السبب الأول، وقال: إنه هو المعتمد.

قلت: المتأمل في الإستراتيجية العسكرية التي يتتبعها النبي ﷺ في مواجهة أعدائه يجدها تبدأ بالتخطيط لنقل المعركة إلى أرض العدو، واتباع أسلوب " أفضل طريقة للدفاع هي الهجوم).

" وهذه سنته صلوات الله وسلامه عليه التي سنها لأُمَّته. إذا علم أن قومًا يستعدون لقتاله فإنه يغزوهم في بلادهم قبل أن يغزوه؛ لأن الذي يُغزى في بلاده يُذل، وفي الأثر: (ما غزي قوم في بلادهم إلا ذلوا)، فالنبي صلوات الله وسلامه عليه يفعل ذلك امتثالاً لأمر الله".^٢

ويؤيد هذا الرأي مؤشرات تدل على صحته، وعلى أنه هو السبب الرئيس

^١ المصدر السابق

^٢ تفسير المنار، ٣٦٥/١٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٠

^٣ شرح فتح المجيد للغنيمان، ٦/٢٤، (الكتاب مرقم اليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ١٤٢ درس)



الذي جعل النبي ﷺ يتحرك شمالاً في ذلك الوقت غير الملائم للغزو، منها:

١- حديث البخاري، الوارد في سياق هجر النبي ﷺ لنسائه، عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "قَالَ عُمَرُ: وَكُنَّا قَدْ تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ الْخَيْلَ لِغَزْوِنَا، فَنَزَلَ صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْنَا عِشَاءً فَضْرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أَنْتُمْ هُوَ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَدْ حَدَّثَ الْيَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هُوَ، أَجَاءَ غَسَّانُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَهْوَلُ، طَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ"^١.

٢- قول الواقدي (رحمه الله) عن أهل الشام: "وَلَمْ يَكُنْ عَدُوٌّ أَخَوْفَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ لِمَا عَايَنُوا مِنْهُمْ - إِذْ كَانُوا يَقْدَمُونَ عَلَيْهِمْ تِجَارًا - مِنَ الْعُدَّةِ وَالْكَرَاعِ"^٢.

قلت: ولذلك ارتأى النبي ﷺ أن يبادرهم قبل أن يستجمعوا قوتهم.

٣- وقت الغزوة كان غير ملائم للتحرك العسكري، سواءً من حيث المناخ، أو من حيث العوامل الطبيعية والاجتماعية، فقد كان الوقت قيطًا، وسنة جذب، وسفرًا بعيداً ومفاوز^٣ والناس في عُسْرَةٍ شَدِيدَةٍ، وَحِينَ طَابَتْ الثَّمَارُ وَأُجِبَتْ الظَّلَالُ، فَالنَّاسُ يُحِبُّونَ الْمَقَامَ وَيَكْرَهُونَ الشَّخُوصَ عَنْهَا عَلَى الْحَالِ مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ"^٣.

^١ الجامع الصحيح، ح ٥١٩١، حسب ترقيم فتح الباري

^٢ المغازي، ٩٨٩/٣

^٣ المغازي

فلو كانت الغزوة تنفيذاً للأمر الإلهي لقتال الكفار فقط كما قال الحافظ ابن كثير، لانتظر النبي ﷺ حتى يكون الوقت ملائماً، والمسلمون متأهبون وجاهزون لملاقاة عدوهم، وهو ليس عدواً عادياً، بل هو قوة عظمى في ذلك العصر.

٤- يذكرنا استعجال النبي ﷺ في التحرك إلى هذه الغزوة، وعدم انتظار الوقت والظرف الملائمين، يذكرنا هذا بالمسير إلى بدر، وقوله لأصحابه: "إن لنا طلبه فمن كان ظهره حاضرًا فليركب معنا فجعل رجال يستأذنونه في ظهورهم في علو المدينة، قال: لا، إلا من كان ظهره حاضرًا).

يعني ذلك أن هناك وقت محدد لهذه الغزوة، ومكان محدد لها، وأن أي تأخير في المسير قد يؤدي إلى أن يدهمهم العدو في المدينة.

تاريخ الغزوة

هنالك إشكال كبير في تاريخ هذه الغزوة، بين ما اتفق عليه المؤرخون وأصحاب السير، وبين ما هو ثابت بالقرآن والسنة، وعلم الفلك.

اتفق المؤرخون وأهل السير على أن خروج النبي ﷺ إلى تبوك كان في شهر رجب في السنة التاسعة للهجرة.

قال ابن إسحاق: "غزوة تبوك في رجب سنة تسع".^١ وكذلك قال الواقدي، وابن سعد وغيرهم ممن أرخ للغزوة. وعين ابن سعد اليوم الذي خرج فيه، فقال: "خرج إلى غزوة تبوك يوم الخميس وكانت آخر غزوة غزاها وكان يستحب أن

^١ السيرة النبوية، ١٥/٢



يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ^١.

وخروج النبي ﷺ إلى تبوك يوم الخميس بدون تحديد الشهر والسنة ورد في الصحيح " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ"^٢.

استشكال تاريخ الخروج للغزوة

بالرجوع إلى القويم الهجري وما يوافقه من التقويم الشمسي، نجد أن الأول من رجب من السنة التاسعة للهجرة يوافق يوم الأحد الرابع عشر من أكتوبر^٣، وبذلك يكون الخروج يوم الخميس الخامس من رجب، الثامن عشر من أكتوبر.

ومحل الإشكال هنا أن الثامن عشر من أكتوبر هو بداية الوسمي، وهو من الأزمنة المبشرة بقرب إقبال الشتاء، وانتهاء فصل الصيف والقيظ، وانخفاض واضح في درجات الحرارة.

تقول العرب: " والأزمنة ستة أزمنة: ثلاثة للشتاء وثلاثة للصيف.

فأوّل الشتوية يُقال له: (الوسميّ)، والثاني (الشتويّ)، والثالث: (الربيعُ).

وأوّل الصيف يُقال له: (الصيفُ)، والثاني: (الحميمُ)، والثالث:

^١ الطبقات الكبرى، ١٢٦/٢

^٢ الجامع الصحيح، ح ٢٩٥٠

^٣ التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الإفرنكية والقبطية، اللواء محمد مختار باشا، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر



٥٩٩



(الخريفُ) ^١.

كما يؤكد القرآن الكريم والسنة الثابتة أن الغزوة كانت في القيظ والحر الشديد، في وقت نضوج الثمار، واستواء التمر، وذلك لا يكون إلا في قمة ارتفاع درجات الحرارة في الحجاز.

يقول الله تبارك وتعالى: {وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} ^٢

وفي الصحيح، عن كعب بن مالك (رضي الله عنه)، قال: "«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلَمًا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَى بغيرِهَا، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوً وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً عَدُوَّهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ» ^٣.

وورد مثل ذلك في معظم بقية كتب الصحاح والسنن، منها ما جاء في صحيح ابن حبان عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، قال " خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ، فَزَلْنَا مَنْزِلًا، أَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ، حَتَّى ظَنْنَا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَذْهَبُ يَلْتَمِسُ الْمَاءَ، فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى نَظُنَّ أَنَّ رِقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنْ الرَّجُلُ لَيَنْحَرُ بِعَيْرِهِ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرِبُهُ وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ " ^٤.

^١ الأزمنة وتلبية الجاهلية لقطرب، ط٢، مؤسسة الرسالة

^٢ التوبة: ٨١

^٣ الجامع الصحيح، ح ٢٩٤٨

^٤ صحيح ابن حبان، ٢٢٣/٤، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت

نستنتج مما سبق: أن القول بأن غزوة تبوك كانت في شهر رجب مخالف للأدلة القطعية الثبوت والدلالة، من القرآن والسنة، والحسابات الفلكية المبنية على حركة الشمس والقمر، التي لا يختل نظامها على مدي الدهر مصداقاً لقوله تعالى: {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}

متى كانت الغزوة

تأكدنا الآن أن الغزوة لم تكن في رجب، فلنبحث عن أدلة وقرائن ومؤشرات تعيننا على تحديد الشهر أو الوقت الذي بدأت فيه الغزوة.

أولاً:

ما رواه الحافظ ابن عساكر بسنده عن محمد بن عائذ عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: "لبث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد خروجه من الطائف ستة أشهر، ثم أمره الله بغزوة تبوك، وهي التي ذكر الله ساعة العسرة، وذلك في حر

تعليق شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين خلا حرمة بن يحيى، فإنه من رجال مسلم).
 ١ الإمام، المؤرخ، الصائغ، صاحب المغازي، أبو عبد الله القرشي، اليمشقي، الكاتب، متولي ديوان الخراج بالشام زمن المأمون.

اسم جده: عبد الرحمن. وقيل: أحمد. وقيل: سعيد من الموالي.
 ولد سنة خمسين ومائة. قاله أبو داود. سمع من: إسماعيل بن عياش، والهيثم بن حميد، ويحيى بن حمزة، والغطاف بن خالد، والوليد بن مسلم، والوليد بن محمد الموقري، وسويد بن عبد العزيز، وعبد الرحمن بن مغراء، ومحمد بن عمر الواقيدي، وخلق سواهم.
 قال إبراهيم بن الجنيد: سألت يحيى بن معين عن محمد بن عائذ، فقال: الكاتب ثقة.
 وقال أبو زرعة: سألت دحيماً عنه، فقال: صدوق.
 قال محمد بن الفيض العناني: مات محمد بن عائذ القرشي في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وحضرته جنازته.

وقال الحسن بن محمد بن بكار: مات سنة ثلاث. وقال أبو زرعة: مات سنة أربع وثلاثين ومولده سنة خمسين ومائة.

قلت: جمع كتاب "المغازي" سمعت معظمه، وكتاب "الفئوح والصوائف" وكان على خراج غوطة دمشق.

شديد، وقد كثر النفاق، وكثر أصحاب الصُّفة.. الحديث^١.

السؤال هنا متى خرج من الطائف؟

يجيب موسى بن عقبة في مغازيه: "ثُمَّ انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الطَّائِفِ فِي شَوَّالٍ إِلَى الجِعْرَانَةِ"^٢.

وحدد الواقدي اليوم الذي وصل فيه إليها، فقال: "وَأَنْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الجِعْرَانَةِ لَيْلَةَ الخَمِيسِ لِخَمْسِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ"^٣.

هذه التواريخ تتفق مع ما جاء في بقية كتب الأحاديث والسير، من أن النبي ﷺ بعد أن انتهى من توزيع غنائم غزوة حنين في الجعرانة، نزل إلى مكة وأدى العمرة، ثم رجع إلى الجعرانة، ومنها ركب قافلاً إلى المدينة، فوصلها "يَوْمَ الجُمُعَةِ لِثَلَاثِ بَقِينَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ"^٤.

قال ابن إسحاق: "وَكَانَتْ عُمْرَةٌ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِي القَعْدَةِ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فِي بَقِيَّةِ ذِي القَعْدَةِ أَوْ فِي ذِي الْحِجَّةِ."

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ لِسِتِّ لَيَالٍ بَقِينَ

^١ تاريخ دمشق لابن عسكركر (ت ٥٧١)، ٢٨/٢، ط: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

^٢ مغازي موسى بن عقبة، ص ٢٩٠، دلائل النبوة للبيهقي، ١٩٢/٥

^٣ المغازي، ٩٥٨/٣

^٤ المصدر السابق، ٩٦٠/٣.



مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فِيمَا زَعَمَ أَبُو عَمْرٍو الْمَدَنِيُّ^١.

قول ابن هشام هذا، يعني أن قدوم النبي ﷺ كان في يوم الجمعة الأخير من شهر ذي القعدة، لأن بداية شهر ذي الحجة يوافق الخميس.

نستنتج مما سبق أن خروج النبي ﷺ من الطائف كان في نهاية شوال أو بداية ذي القعدة من السنة الثامنة للهجرة، فيكون الخروج لغزوة تبوك في الأيام الأولى لشهر جمادى الأولى من السنة التاسعة، حسب رواية ابن عائذ عن ابن عباس المتقدمة، التي تنص على أن غزوة تبوك كانت بعد ستة أشهر من خروجه من الطائف.

وتأسيساً على ما سبق تكون الغزوة في النصف الثاني من شهر أغسطس لعام ٦٣٠ للميلاد^٢، وفيه نوء الكليين، ومن المعروف أنه في أيامه تبلغ شدة القيظ منتهاها، وهي صفة زمن الغزوة التي دل عليها القرآن الكريم، وصحيح السنة، وتواترت بها الأخبار.

ثانياً:

قال موسى بن عقبة في مغازيه: " ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَجَهَّزَ غَازِيًا يُرِيدُ الشَّامَ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْخُرُوجِ، وَأَمَرَهُمْ بِهِ، وَكَانَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَكِبَالِي

^١ أبو عمرو المدني: خطّاب بن صالح بن دينار الأنصاري الظفري مولاهم، أخو داود ومحمد. روى عن أمه. وعنه ابن إسحاق.

قال البخاري: قاله يعقوب عن أبيه عن محمد بن إسحاق وكان ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات وقال مات سنة ١٤٣" وقال الطبراني تفرد ابن إسحاق بحديثه (تهذيب التهذيب).

^٢ السيرة النبوية، ٥٠٠/٢، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

^٣ الأول من جمادى الأولى سنة ٩ للهجرة، يوافق ١٦ أغسطس ٦٣٠ للميلاد (التوقيفات الإلهامية)، مرجع سابق.

الْخَرِيفِ، وَالنَّاسُ خَارِفُونَ فِي نَخِيلِهِمْ"^١

قول ابن عقبة: والناس خارفون في نخيلهم، يقابلها قول الواقدي وابن إسحاق: "وَحِينَ طَابَتْ الثَّمَارُ، وَالنَّاسُ يُحِبُّونَ الْمَقَامَ فِي ثِمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ، وَيَكْرَهُونَ الشُّخُوصَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي هُمْ فِيهِ".

فالناس مقيمون في حدائقهم، ومشغولون في خرف نخيلهم، أي جني تمره، فهم خارفون.

والاخْتِرَافُ: لَقَطَ الثَّمْرَ بُسْرًا كَانَ أَوْ رُطْبَاءً.

ومن ذلك: "حَدِيثِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِلخَارِصِ: إِذَا وَجَدْتَ قَوْمًا خَرَفُوا فِي حَائِطِهِمْ فَأَنْظِرْ قَدْرَ مَا تَرَى أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فَلَا تَخْرُصْ عَلَيْهِمْ. يرويه معمر عن يحيى بن سعيد.

قوله: خرفوا في حائطهم أي: نزلوا فيه أيام اختراف الثمرة"^٢.

وقول موسى بن عقبة المتقدم: "وَلِيَالِي الْخَرِيفِ" فليس المقصود به فصل الخريف المعروف الذي يبدأ من ٢٣ سبتمبر (١ الميزان)، وإنما المقصود: مطر يأتي زمن القيظ.

قال أبو حنيفة: "لَيْسَ الْخَرِيفُ فِي الْأَصْلِ بِاسْمِ الْفَصْلِ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمُ مَطَرٍ

^١ مصدر سابق، ص ٢٩٤

^٢ المخصص لابن سيده، ٢٢٣/٣، ط١، دار إحياء التراث العربي - بيروت

^٣ غريب الحديث لابن قتيبة، ٤/٢، ط١، مطبعة العاني - بغداد

القَيْظُ، ثُمَّ سُمِّيَ الزَّمَنُ بِهِ^١.

كل تلك المعاني تدل على أن وصف موسى بن عقبة لزمان الغزوة كان في النصف الأخير من شهر أغسطس، حيث يشتد الحر، ويتحول البسر إلى رطب، ويبدأ الناس في التقاطه من النخلة، وفيه يدخل برج السنبله، وهو أول أيام الخريف عند الفلاحين^٢

قلت: وفي هذا العصر، تسمي العامة هذه الفترة من شهر أغسطس (طبّاخ التمر).

وكما تقدم معنا آنفاً، أن هذه الأيام من شهر أغسطس عام ٦٣٠ للميلاد تقابل الأيام الأولى من شهر جمادي الأولى من السنة التاسعة للهجرة النبوية الشريفة.

ثالثاً

حصلت أحداث في المدينة تدل على أن النبي ﷺ كان موجوداً فيها خلال شهري رجب وشعبان، منصرفه من تبوك في السنة التاسعة للهجرة نذكر منها:

١- وَفَاةُ أُمِّ كَلْثُومٍ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رضي الله عنها)

جاء في المستدرک للحاکم، والطبقات لابن سعد، والثقات لابن حبان، وغيرهم، أن أُمَّ كَلْثُومٍ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَتْ وَهِيَ عِنْدَ عُثْمَانَ

^١ المحکم والمحیط الأعظم لابن سیدہ
^٢ خواص برج السنبله - تقويم أم القرى

فِي شَعْبَانَ سَنَةِ تِسْعٍ^١.

وقد حضر النبي ﷺ جنازتها، ولا بد أن يكون ذلك بعد قدومه من تبوك.

ففي الجامع الصحيح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "شهدنا بنتاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر، قال: فرأيت عينيه تدمعان قال فقال (هل منكم رجل لم يقارف الليلة). فقال أبو طلحة أنا قال: (فانزل). قال فنزل في قبرها"^٢.

قوله: (شهدنا بنتاً) هي أم كلثوم رضي الله عنها، ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات^٣.

٢- صلاة الغائب على النجاشي (ملك الحبشة) في المدينة

صلى النبي ﷺ على النجاشي (ملك الحبشة) صلاة الغائب في المدينة، في رجب من السنة التاسعة.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى لِلنَّاسِ النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى، وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ»^٤.

^١ المستدرک علی الصحیحین، ٥٣/٤، الطبقات الكبرى، ٣١/٨، الثقات لابن حبان، ١٠٥/٢

^٢ الجامع الصحيح المختصر، ٣، ١٤٠٧، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.

^٣ تعليق المحقق د. مصطفى ديب البغا: (شهدنا بنتاً) هي أم كلثوم زوج عثمان بن عفان رضي الله عنهم

^٤ الطبقات الكبرى، ٣١/٨

^٥ المصلى هو مصلى العيد والاستسقاء في المدينة، ويطلق عليه اليوم مسجد الغمامة.

^٦ انظر صحيح ابن حبان، وصحيح مسلم، ٦٥٦/٢، ط٥، دار إحياء التراث العربي - بيروت

وفي بعض المصادر الأخرى أن ذلك كان في رجب السنة التاسعة، منصرفه من تبوك، نذكر منها ما يأتي:

- قال الحافظ بدر الدين العيني إن النجاشي (ملك الحبشة): "أسلم على يديّ جَعْفَرُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَتُوِّفِي فِي رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ مِنْصَرَفِهِ مِنْ تَبُوكٍ"^١.

- وذكر الواقدي عن سلمة بن الأكوع أن النجاشي توفي في رجب سنة تسع، منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تبوك، قال سلمة: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح، ثم قال: «إن أصحابنا النجاشي قد توفي هذه الساعة، فاخرجوا بنا إلى المصلى حتى نصلى عليه»، قال سلمة: فحشد الناس وخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدمنا وأنا لصفوف خلفه، وأنا في الصف الرابع، فكبر بنا أربعاً"^٢.

٣- خبر ملائكة هلال بن أمية وعويمر بن الحارث لزوجتيهما.

هلال بن أمية الواقفي (رضي الله عنه) أحد المخلفين الذين تاب الله عليهم لتخلفهم عن النبي ﷺ في غزوة تبوك.

وقد نزلت آية التوبة عليهم بعد خمسين ليلة من قدوم النبي ﷺ من تبوك كما هو ثابت في الصحيحين، وكتب السيرة النبوية، من حديث كعب بن مالك (رضي

^١ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، ١٩/٨، دار إحياء التراث العربي - بيروت

^٢ كتاب الاكتفاء للكلاعي الحميري أبو الربيع (المتوفى: ٦٣٤هـ)، ١٣/٢، دار الكتب العلمية - بيروت

الله عنه).

ففي الجامع الصحيح المختصر، وفي سائر كتب السنة مثله، أن كعب بن مالك " لما تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فذكر حديثه، ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا فلبثنا على ذلك خمسين ليلة وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا".^١

والمخلفون الثلاثة هم: هَالَلُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَمَرَارَةُ بْنُ رَيْبَعَةَ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ.^٢

والجمهور على أن هلال بن أمية أول من لاعن في الإسلام، وفيه نزلت آية اللعان.^٣

ففي سنن النسائي، وغيره، عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، قال: " إِنَّ هَالَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَدَفَ امْرَأَتَهُ بِشَرِيكِ بْنِ السَّحْمَاءِ، وَكَانَ أَخُو الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ لِأُمِّهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَاعَنَ، فَلَاعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمَا".^٤

وجرت ملاءنة أخرى بعد تلك، ذكرتها كتب التفسير والحديث والسيرة، وكانت بين عويمر بن الحارث بن زيد العجلاني وزوجته، وكانت الملاءنة في مسجده ﷺ بعد العصر في شعبان سنة تسع، وكان عويمر قدم من تبوك فوجدها جبلي".^٥

^١ الجامع الصحيح، ٨٢/٩، ط١، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فواد عبد الباقي)

^٢ تفسير الطبري، سورة التوبة، الآية ١١٨

^٣ الآيات ٦، ٧، ٨، ٩ من سورة النور.

^٤ سنن النسائي، باب اللعان. [حكم الألباني] صحيح

^٥ أسد الغابة، مصدر سابق، ٣/١



نفهم مما سبق أن هلال بن أمية لاعن امرأته بعد أكثر من خمسين ليلة من قدوم النبي ﷺ من غزوة تبوك، وأن ذلك كان قبل عويمر، الذي لاعن في شعبان سنة تسع.

هذا يعني بوضوح أن النبي ﷺ كان في المدينة في الأيام الأولى من شهر رجب بعد مقدمه من تبوك.

تاريخ الغزوة بعد التحقيق

أظهر التحليل السابق لتاريخ الغزوة أن النبي ﷺ انصرف من تبوك وقدم المدينة في رجب سنة تسع.

٦٠٩

ولما كانت الغزوة استغرقت نحو شهرين، فيكون الصحيح الموافق للواقع، أن الخروج كان في جمادى الأولى من تلك السنة، والمرجح أن ذلك كان يوم الخميس الثامن منه، المصادف للثالث والعشرين من شهر أغسطس (آب)، وهذا توقيت يناسب صفة زمن الغزوة، حسب ما أكدته الأدلة القطعية، وتكون العودة إلى المدينة في الأيام الأولى من رجب، في الثلث الأخير من شهر أكتوبر. والله تعالى أعلم وأحكم.

عدد وعدة الجيش

بلغ عدد جيش الغزوة ثلاثين ألفاً، ومن الإبل اثنا عشر ألفاً، وقيل خمسة

^١ عند ابن إسحاق (٥٣٧/٢)، والواقدي (١٠٥٦/٣) أنه خرج في رجب وعاد في رمضان

عشر ألفاً، ومن الخيل عشرة آلاف^١.

وفي الإكليل للحاكم أنهم أكثر من ثلاثين ألفاً، وعند الرازي أنهم أربعون ألفاً، ولكن استقر الرأي على أنهم في حدود الثلاثين ألفاً.

أحداث الغزوة

تميزت غزوة تبوك بأنها آخر الغزوات النبوية، وبأنها أبعد موضع غزاه النبي ﷺ، كما اشتملت على أحداث كانت فيصلاً بين المؤمنين والمنافقين.

بدأ التهيؤ للغزوة بإعلان النبي ﷺ النفير العام. فأرسل رسلاً إلى القبائل من حوله يدعوهم إلى التوجه إلى المدينة، والتجمع فيها استعداداً للجهاد؛ "فبعث إلى أسلم بريدة ابن الحُصَيْبِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَبْلُغَ الْفُرْعَ. وَبَعَثَ أَبَا رَهْمٍ الْغِفَارِيَّ إِلَى قَوْمِهِ أَنْ يَطْلُبَهُمْ بِبِلَادِهِمْ، وَخَرَجَ أَبُو وَقْدِ اللَّيْثِيِّ فِي قَوْمِهِ، وَخَرَجَ أَبُو الْجَعْدِ الضَّمْرِيُّ فِي قَوْمِهِ بِالسَّاحِلِ، وَبَعَثَ رَافِعَ بْنَ مَكِيثٍ، وَجُنْدَبَ بْنَ مَكِيثٍ فِي جُهَيْنَةَ، وَبَعَثَ نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ فِي أَشْجَعٍ، وَبَعَثَ فِي بَنِي كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ، وَعَمْرٍو بْنَ سَالِمٍ، وَبِشْرَ بْنَ سُفْيَانَ، وَبَعَثَ فِي سُلَيْمِ عِدَّةً، مِنْهُمْ الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ"^٢.

وكشف للعموم عن وجهته التي ينوي التوجه إليها، وأبان أن هدفه قتال الروم في عقر دارهم. ولم يكن ذلك الإعلان والكشف عن وجهته الحقيقية من خطته العسكرية في غزواته السابقة، ولكن بسبب الظروف المناخية، وقلة وسائل

^١ المغازي، ١٠٤١/٣

^٢ فتح الباري، ١١٨/٨

^٣ تبعد تبوك عن المدينة قرابة ٧٠٠ كم شمالاً، على طريق الشام.

^٤ المغازي، ٩٨٩/٣



النقل، وقلة المال والمؤونة، وبعْد الشُّقة وقوة العدو في هذه الغزوة، إلى غير ذلك من الظروف غير الملائمة للسفر الطويل، ومجابهة عدو قويّ، فكان لا بد أن يعلم الجميع ما هم مقدمون عليه، فيتأهبون له ويأخذون عدتهم لمواجهة.

وهنا يتجلّى الفرق بين المؤمن والمنافق؛ فالمؤمنون قدموا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، أما المنافقون فقدموا الاعتذارات الكاذبة، والسخرية اللاذعة من فقراء المسلمين ممن: **{ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }^١**.

أحداث قبل المسير

لغزوة تبوك اسمان آخران هما: (غزوة العسرة)، و(غزوة الفاضحة)، وسبب تسميتها بهذين الاسمين أحداثٌ حصلت في مجتمع المدينة أثناء التهيؤ للغزوة وقبل المسير إلى تبوك.

غزوة العسرة

ورد هذا الاسم للغزوة في القرآن الكريم.

قال الله تعالى **{ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ }^٢**

^١ التوبة: ٧٩

^٢ التوبة: ١١٧

وسميت بهذا الاسم، لما كان يعانيه المسلمون من شدة القيظ، والقحط،
وقلة المال والمؤونة، وشح الماء، إلى غير ذلك من العوامل غير المواتية التي
صاحبت هذه الغزوة.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ
بْنِ عَقِيلٍ فِي قَوْلِهِ: "الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ".

قَالَ: خَرَجُوا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، الرَّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةُ عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ، وَخَرَجُوا فِي
حَرٍّ شَدِيدٍ فَأَصَابَهُمْ فِي يَوْمٍ عَطَشٌ حَتَّى جَعَلُوا يَنْحَرُونَ إِبْلَهُمْ لِيَنْفِضُوا أَكْرَاشَهَا
وَيَشْرَبُوا مَاءَهَا، فَكَانَ ذَلِكَ عُسْرَةً فِي الْمَاءِ وَعُسْرَةً فِي النَّفَقَةِ وَعُسْرَةً فِي الظَّهِرِ^١

لكن رغم كل تلك الظروف غير المناسبة للتحرك لمجابهة الأعداء، لم يتوان
المؤمنون حقاً في بذل أنفسهم وأموالهم حينما دعاهم الرسول ﷺ إلى الخروج
بأنفسهم، وتقديم المال لدعم المجهود الحربي، وتلا عليهم قول الله تعالى {انْفِرُوا
خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ}^٢.

ونعرض هنا بعض النماذج المضيئة التي تُحتذى في المواقف المشابهة:

- جهز عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها،
وجاء بألف دينار فصبها في حجر النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ " مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا

^١ السيرة النبوية لابن كثير، ١٨/٤، مصدر سابق

^٢ التوبة: ٤١

عَمِلَ بَعْدَ هَذَا أَبَدًا^١.

- وجاء أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بماله كله، وجاء عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بنصف ماله، ظاناً أنه سيسبق أبا بكر في الصدقة، فإذا أبو بكر قد جاء بماله كله.

يقول عمر رضي الله عنه: "أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَآتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا^٢"

٦١٣

- وجاء عبد الرحمن بن عوف فقال: "يا رسول الله عندي أربعة آلاف ألفان أقرضهما ربي وألفان لعيالي فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت^٣"

- وساهم أغنياء المسلمين الآخرين بأموال كثيرة مثل العباس بن المطلب، وطلحة بن عبيد الله، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن عدي، وغيرهم.

- حتى الفقراء من المسلمين جادوا بكل ما لديهم من متاع الدنيا وهو

قليل.

^١ فضائل الصحابة، أحمد بن محمد بن حنبل، ط ١، مؤسسة الرسالة - بيروت
^٢ سنن الترمذي، ٦١٤/٥، ط ٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر
^٣ مسند البزار - البحر الزخار - ٢٣٤/١٥، ط ١، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة

جاء أبو عقيل (واسمه عبد الرحمن الإراشي الأنيفي) بصاع من التمر، وهو كل ما عنده.

ولم يجد علبة بن زيد الحارثي الخزرجي شيئاً مادياً يتصدق به، فتصدق بعرضه، فقال: "وَاللَّهِ مَا عِنْدِي مَا أَتَصَدَّقُ بِهِ، وَلَكِنْ أَتَصَدَّقُ بِعَرْضِي فَلَا أَعَاقِبُ أَحَدًا بِمَا يَقُولُهُ فِي حَدِيثِهِ، فَقَبِلَ اللَّهُ صَدَقَتَهُ".^١

- وتنازل وائلة بن الأسقع الليثي عن سهمه في الغزوة لمن يحمله، حتى لو كان ذلك عَقْبَةً مع صاحب الجمل. لأن المقصد والهدف الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وليس المال والغنيمة.

يقول وائلة - رضي الله عنه - " نادى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك، فخرجتُ إلى أهلي - أَقْبَلْتُ - وقد خرج أوَّلُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فطفقتُ في المدينة أنادي: أَلَا مَنْ يَحْمِلُ رَجُلًا لَهُ سَهْمُهُ، فَإِذَا شِخٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: لَنَا سَهْمُهُ عَلَى أَنْ نَحْمِلَهُ عَقْبَةً، وَطَعَامُهُ مَعَنَا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، فَخَرَجْتُ مَعَ خَيْرِ صَاحِبٍ، حَتَّى أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا، فَأَصَابَنِي قَلَائِصٌ، فَسُقْتُهِنَّ حَتَّى أَتَيْتُهُ، فَخَرَجَ فَقَعَدَ عَلَيَّ حَقِيبَةً مِنْ حَقَائِبِ إِبِلِهِ، ثُمَّ قَالَ: سُقْتُهُنَّ مُدْبِرَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سُقْتُهُنَّ مُقْبِلَاتٍ، فَقَالَ: مَا أَرَى قَلَائِصَكَ إِلَّا كِرَامًا، قُلْتُ: إِنَّمَا هِيَ غَنِيمَتُكَ الَّتِي شَرَطْتُ لَكَ، قَالَ: خُذْ قَلَائِصَكَ يَا ابْنَ أَخِي، فَغَيَّرَ سَهْمَكَ أَرَدْنَا"^٢ أخرجهُ أبو داود.

^١ هكذا اسمه في الطبقات لابن سعد، ٣/٣٦١. وفي اسمه خلاف واسع.

^٢ تفسير الرازي، سورة آل عمران، الآية: ١٣٥، ١٣٦.

^٣ سنن أبي داود، حكم شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. ط١ - دار الرسالة العالمية.



- وجاء الأشعريون، وبعض فقراء المسلمين (وقد عُرفوا بالبكائين) يطلبون من النبي ﷺ أن يحملهم، فاعتذر لهم بأنه ليس لديه ما يحملهم عليه، فقد كان عدد أفراد الجيش أكثر بكثير من عدد الإبل الجاهزة لنقلهم، فحزنوا حزناً شديداً لذلك، فأنزل الله تعالى عذرهم من فوق سبع سماوات {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّاتُوا لِحَمْلِهِمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} (٩٢)¹.

الغزوة الفاضحة

سُمِّيت (الفاضحة)، لأنها فضحت وكشفت حقيقة المنافقين وأساليبهم الماكرة الخبيثة وأحقادهم الدفينة التي حاولوا إخفاءها طيلة وجود النبي ﷺ بين ظهرانيهم، حتى وصل الأمر إلى محاولة اغتيال النبي ﷺ أثناء عودته من تبوك مظفراً، بعد أن كانوا يأملون أن تهاجمه جيوش الروم وتقضي على الإسلام والمسلمين.

فمن الأساليب التي اتبعها المنافقون ضد المسلمين في هذه الغزوة:

- أسلوب التثبيط، للتأثير على معنويات المسلمين ودفعهم إلى عدم

¹ نسبة إلى أشعر، وهي قبيلة مشهورة من اليمن. والأشعر هو نبت بن أد، قال ابن الكلبي: إنما سمي نبت ابن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ [الأشعر] لأن أمه ولدته وهو أشعر، والشعر على كل شيء منه فسمى الأشعر. (الأنساب للسمعاني)
² التوبة

الخروج للجهاد مع رسول الله ﷺ.

فعندما أعلن النبي ﷺ النفي العام، وحث كافة القادرين على حمل السلاح بالتهيؤ للسير إلى عدوهم من الروم، ومن والاهم من متنصرة العرب، فرح المنافقون بهذا الأمر، لاعتقادهم أن المسلمين غير قادرين على خوض هذه المعركة مع هذا العدو القوي البعيد الشقة، ودونه هذه المفاوز المهلكة، وأنهم إما سيُهزمون وتُخذ شوكتهم، أو سيهلكون في تلك الصحاري المعطشة.

فضح الله تبارك وتعالى موقف هؤلاء المنافقين، فقال جلّ وعلا: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}¹.

وكانوا يعقدون الاجتماعات في منزل أحد المتهودين من الخزرج يسمى (سويلم): "وَكَانَ بَيْتُهُ عِنْدَ جَاسُومٍ"، يشبّطون النَّاسَ عَن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُحَرِّقَ عَلَيْهِمُ بَيْتَ سُؤَيْلِمَ، فَفَعَلَ طَلْحَةُ"².

- النفاق والكذب أمام النبي ﷺ: والحلف بالله كذباً وزوراً، أنهم يودون

الخروج، ولكنهم لا يستطيعون لمرض أو فاقة ونحو ذلك.

¹ سورة التوبة، آية ٨١، ٨٢.

² جاسوم بنز أبي الهيثم بن التيهان، تقع في راتج، شمال شرق ثنية الوداع (وفاء الوفا)

³ سيرة ابن هشام، ٥١٧/٢

وكشف الله جلّ وعلا كذبهم ونفاقهم للنبي ﷺ والمؤمنين.

يقول الله تبارك وتعالى {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّعْيَةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ عَمَّا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ}¹.

قال مجاهد: نزلت في المنافقين قال أناس منهم: استأذِنوا رسول الله، فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا، فقد كانوا مصرين على القعود عن الغزو وإن لم يأذن لهم، ولهذا أخبر تعالى أنه لا يستأذنه أهل الإيمان فقال {لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}².

٦١٧

- الاعتذار بأعذار واهية صفيقة: مثل الجدّ بن القيس السلمي الذي رد على طلب النبي ﷺ منه الخروج، فقال: "أَوْ تَأْذُنُ لِي وَلَا تَفْتِنِّي؟ فَوَاللَّهِ، لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي مَا أَحَدٌ أَشَدَّ عُجْبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي، وَإِنِّي لِأَخْشَى إِنْ رَأَيْتِ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ لَا أَصْبِرُ عَنْهُنَّ."

فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: قَدْ أَذْنَتْ لَكَ!

فَجَاءَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْجَدِّ - وَكَانَ بَدْرِيًّا، وَهُوَ أَخُو مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ لِأُمِّهِ - فَقَالَ

لِأَبِيهِ:

¹ سورة التوبة ٤٢، ٤٣

² صفوة التفسير للشيخ محمد علي الصابوني.

لِمَ تَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَته؟ فَوَاللَّهِ مَا فِي بَنِي سَلِيمَةَ أَكْثَرَ مَالًا مِنْكَ، وَلَا تَخْرُجُ وَلَا تَحْمِلُ أَحَدًا! قَالَ: يَا بَنِي، مَا لِي وَاللَّخْرُجُ فِي الرِّيحِ وَالْحَرِّ وَالْعُسْرَةِ إِلَى بَنِي الْأَصْفَرِ؟ وَاللَّهِ، مَا آمَنُ خَوْفًا مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ وَإِنِّي فِي مَنْزِلِي بِخُرَيْبِي، فَأَذْهَبُ إِلَيْهِمْ فَأَغْزُوهُمْ".^١

- أسلوب الغمز واللمز والسخرية: فإذا جاء الأغنياء بأموال كثيرة قال المنافقون: ما قدّم هؤلاء هذه الأموال العظيمة إلا رياءً وسمعة، وإذا جاء الفقراء بالقليل سخروا منهم وقالوا: إن الله لغني عن صدقة هؤلاء. فأنزل الله تعالى فيهم {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

ولأن المنافقين همهم الدنيا وما ينالون منها، فقد خرج كثير منهم مع النبي ﷺ رجاء الغنيمة، أو أن يهزم المسلمون فيشمتون بهم.^٢

معالم الطريق إلى تبوك

أهم المعالم الواردة في الغزوة هي مواضع مساجده ﷺ، وهي أيضاً المنازل التي نزلها، من فصوله من المدينة حتى وصوله تبوك ثم العودة منها. وأجمل ابن إسحاق مواضع تلك المساجد بين المدينة وتبوك.

^١ المغازي للواقدي، غزوة تبوك

^٢ تفسير الطبري، سورة التوبة: ٧٩

^٣ المغازي، ٩٩٩/٣

^٤ معظم سيرنا سيكون حسب الطريق الذي رسمه الواقدي، فهو أكثر كتاب الميبر تفصيلاً في ذكر مواضع هذه الغزوة، وفي غيرها من الغزوات.

يقول ابن إسحاق: "وَكَاثَتْ مَسَاجِدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ إِلَى تَبُوكَ مَعْلُومَةٌ مُسَمَّاءٌ: مَسْجِدُ تَبُوكَ، وَمَسْجِدُ بَنِيَّةِ مِدْرَانَ، وَمَسْجِدُ بَدَاتِ الزَّرَابِ، وَمَسْجِدُ بِالْأَخْضَرِ، وَمَسْجِدُ بَدَاتِ الْخَطِيمِيِّ، وَمَسْجِدُ بِأَلَاءِ، وَمَسْجِدُ بِطَرْفِ الْبُتْرَاءِ، مِنْ ذَنْبِ كَوَاكِبِ، وَمَسْجِدُ بِالشَّقِّ، شِقَّ تَارَا، وَمَسْجِدُ بِذِي الْجِيْفَةِ، وَمَسْجِدُ بِصَدْرِ حَوْضِي، وَمَسْجِدُ بِالْحَجْرِ، وَمَسْجِدُ بِالصَّعِيدِ، وَمَسْجِدُ بِالْوَادِي، الْيَوْمِ، وَادِي الْقُرَى، وَمَسْجِدُ بِالرَّقْعَةِ مِنَ الشَّقَّةِ، شِقَّةِ بَنِي عُدْرَةَ، وَمَسْجِدُ بِذِي الْمَرَوَةِ، وَمَسْجِدُ بِالْفَيْفَاءِ، وَمَسْجِدُ بِذِي خُشْبٍ".^١

وأضاف الواقدي: ومسجد بالسقيا^٢، وكذلك فعل ابن زباله^٣.

ولم تخرج بقية كتب السيرة عما ذكره هؤلاء الأعلام.

٦١٩

وعدد تلك المساجد-بعد تحقيق مسار الغزوة ذهاباً وإياباً-ثمانية عشر مسجداً؛ اثنا عشر في الذهاب، وستة في الإياب.

مساجد المدينة- تبوك (في الذهاب):

- ١- ذو خشب ٢- فيفاء الفحلتيين ٣- ذو المروة ٤- الرقعة (الرحبة) ٥-
- السقيا ٦- وادي القرى ٧- الحجر ٨- صدر حوضي ٩- ذو الجيفة ١٠- شق تاراه
- ١١- نقيع بولا (قاع لالا) ١٢- تبوك.

^١ وفي نسخة ابن زباله: بنقيع بولا (السمهودي)،

^٢ السيرة النبوية، ٥٣٠/٢

^٣ المغازي

^٤ وفاء الوفا، مساجد تبوك

مساجد تبوك - المدينة (في العودة):

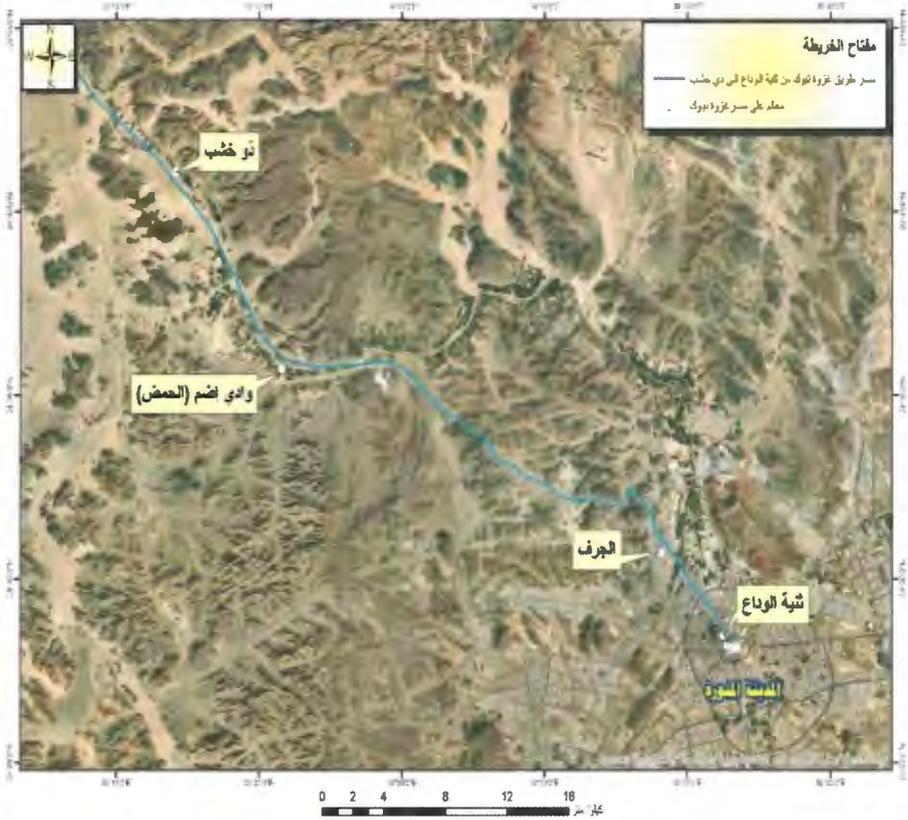
١- ثنية مدران ٢- ذات الزراب ٣- الأخضر ٤- ذات الخطمي ٥- طرف البتراء ٦- صعيد قُرح.

أحداث ومنازل الطريق إلى تبوك والعودة منها

فلما حانت ساعة التحرك، خرج النبي ﷺ إلى ثنية الوداع فعسكر هناك عدة أيام، ينتظر اكتمال تجمع الجيش، وكان يخرج إليهم بين الفينة والأخرى يتفقدهم ويعطي التعليمات اللازمة، ثم يعود إلى داخل المدينة، وفي تلك الأثناء كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يؤم الناس في المعسكر.

ومن تعليماته ﷺ الأخيرة قبل المسير قوله: "لا يخرج معنا إلا مُقَوِّ" أي: ذو دابة قوية مسيطرٌ عليها.

ولما كان في الجيش من يعتقون بغيراً واحداً، وسيضطرون للمشي على حجارة الحرة الحارة، وجههم ﷺ بالإكثار من النعال، فقال: "اسْتَكْثِرُوا مِنَ النَّعَالِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا دَامَ مُنْتَعِلًا".



وفي يوم الخميس الثامن من شهر جمادي الأولى^١ "رَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثُنْيَةِ الْوُدَاعِ إِلَى تَبُوكَ، وَعَقَدَ الْأَلْوِيَةَ وَالرَّيَابَاتِ، فَدَفَعَ لِيَوَاءَهُ الْأَعْظَمَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَرَأَيْتُهُ الْعُظْمَى إِلَى الزَّبِيرِ، وَدَفَعَ رَايَةَ الْأَوْسِ إِلَى أُسَيْدِ بْنِ الْحَضِيرِ، وَلِيَوَاءِ الْخَزْرَجِ إِلَى أَبِي دُجَانَةَ، وَيُقَالُ: إِلَى الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ"^٣.

وسئل زيد بن ثابت: كم كان عدد الجيش؟ فأجاب: ثلاثون ألفاً، لقد كان

^١ هو تاريخ الخروج المرجح، كما سبق بيانه.

^٢ تم الحديث عن ثنية الوداع عند الكلام عن مسيره ﷺ إلى خيبر، فيُنظر هناك.

^٣ المغازي- مصدر سابق

النَّاسُ يَرْحَلُونَ عِنْدَ مَيْلِ الشَّمْسِ، فَمَا يَزَالُونَ يَرْحَلُونَ وَالسَّاقَةُ مُقِيمُونَ حَتَّى يَرْحَلَ
 الْعَسْكَرُ. فَسَأَلَتْ بَعْضَ مَنْ كَانَ بِالسَّاقَةِ فَقَالَ: مَا يَرْحَلُ آخِرُهُمْ إِلَّا مَسَاءً، ثُمَّ نَزَلَ
 عَلَى أَثَرِهِمْ فَمَا نَتَّهَى إِلَى الْعَسْكَرِ إِلَّا مُصْبِحِينَ مِنْ كَثَرَةِ النَّاسِ^١.

قلت: بعد رحيله ﷺ من ثنية الوداع نزل الجرف^٢، وبين الموضوعين خمسة
 أكيال، ولعل ذلك كان لأداء صلاة الظهر والعصر جمعاً وقصراً.

فعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه)، قال: "أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ
 الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَيَبْنِي الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ"^٣

مقابلة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) للنبي ﷺ



٦٢٢

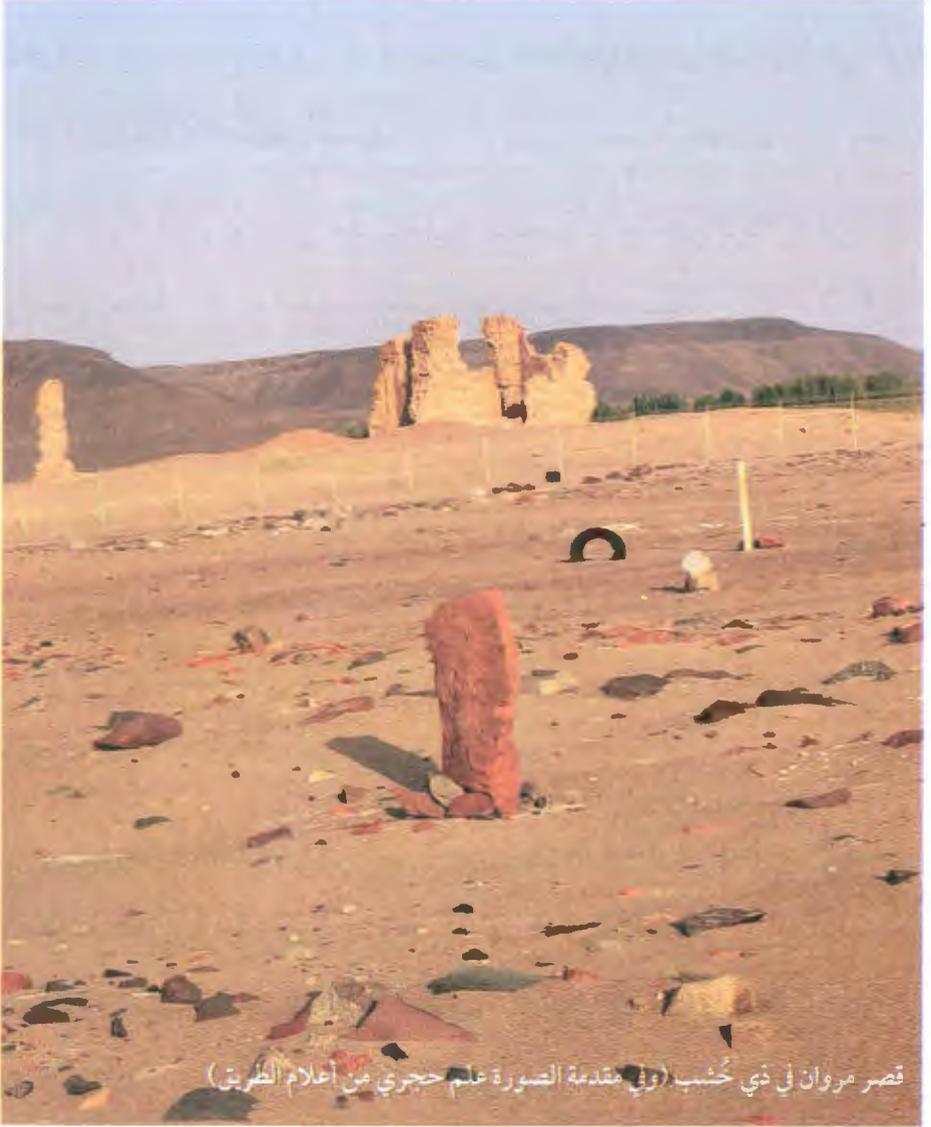
كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلف علياً بن أبي طالب رضوان
 الله عليه إلى أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا
 استثقالا له وتخففاً منه. فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب رضوان
 الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو نازل
 بالجرف فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقتني وتخففت
 مني؟ فقال: "كذبوا، ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي

^١ المصدر السابق

^٢ الجرف: أرض سهلة واسعة، شمال غرب المدينة، وهذا هو اسمها قديماً وإلى الآن، وقد أصبحت حياً سكنياً
 كبيراً. وقد عرّف المتقدمون الجرف بأنه "بضمتين كما قاله الحازمي وأبو عبيد البركي وعباس وقال المجدد
 بالضم ثم السكون، وهو ما بين محجة الشام إلى القصاصين أصحاب القصة^١ على ثلاثة أميال من المدينة بجهة
 الشام^٢ وبه تختلط العرصة التي بها بنو رومة، سمي بذلك لأن تَبَعاً مَرَّ به فقال هذا جرف الأرض"^٣. وهذا التحديد
 للجرف مازال هو المعروف إلى اليوم

^٣ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ١٤ / ٤٧٥، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١ - مؤسسة الرسالة، بيروت

وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي
بعدي" فرجع علي إلى المدينة ومضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علي
سفره^١.



قصر مروان في ذي كُشب (في مقدمة الصورة علم حجري من أعلام الطريق)

^١ الصَّحِيحُ من أحاديث السيرة النبوية، أبو عمر محمد بن حمد الصوياتي، ط١- مدار الوطن للنشر

المنزل الأول (ذو خشب)



ذو خشب
24°40'38.6"N
39°17'21.3"E

ارتحل الرسول ﷺ من الجرف - لعل ذلك كان في العشي -

فسلك طريق الشام المعهود. وبعد السير ٤٠ كم من قيامه من الجرف، وفي الصباح وصل "ذو خشب فنزل تحت الدومة، وكان دليلاً إلى تبوك علقمة بن الفغواء الخزاعي".^١

أقام الرسول ﷺ في ذي خشب نهاره ذاك تحت دومة حتى أبرد، وصلى الظهر والعصر تحتها، وبُني له ثمة مسجد، ثم راح من منزله ممسياً.

ذو خشب

موضع ووادٍ يسمى اليوم (المندسة)، في ملتقى وادي ملل مع وادي إضم (الحمض)، شمال المدينة المنورة، على بعد ٤٥ كم، وهو المرحلة الأولى للخارج من المدينة على الطريق الشامي، وهو اليوم طريق المسافرين إلى العلا وتبوك والشام، وتلك النواحي الشمالية للمدينة.

يرد ذو خشب كثيراً في كتب تاريخ المدينة، وعند الرحالة حين يصفون محطات الطريق، ويفرحون بنزولهم فيه، لكونه علامة على قرب وصولهم للمدينة، ولكنهم منذ حوالي القرن الخامس الهجري أصبحوا يسمونه باسم وادي القرى، لذلك نجد ياقوت يقول: "ذو المروة قرية بوادي القرى، على ليلة من

^١ المغازي

^٢ الدَّوْمُ شَجَرٌ يُشْبِهُ النَّخْلَ إِلَّا أَنَّهُ يُثْمِرُ الْمُقْلَ، وَلَهُ لَيْفٌ وَخُوصٌ مِثْلُ لَيْفِ النَّخْلِ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى الْآنَ. وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يُسَمِّي النَّبْقَ دَوْماً. قَالَ: وَقَالَ غَمَارَةُ الدَّوْمُ الْعِظَامُ مِنَ السَّبْتِ. (لسان العرب)

فاعتذر السمهودي عن قول ياقوت هذا، فقال: "لكن أهل المدينة اليوم يسمون القرى التي بوادي ذي خشب «وادي القرى» فلعله مراد ياقوت".^١

وهذا يدل على أن وادي القرى استبدل بذي خشب قبل عصر ياقوت، وستم ذلك إلى عهد قريب. ففي رحلة السويدي (المتوفى: ١٧٤ هـ) المسماة: النفحة المسكية في الرحلة المكية، ذكر لمنازل الحج الشامي، جاء في آخرها وادي القرى ثم المدينة المنورة.^٢

قال السمهودي عن ذي خشب: "بضمّتين آخره باء موحدة، واد على ليلة من المدينة، له ذكر في الحديث والمغازي، وهو ذو خشب المتقدم في الأودية التي تصبّ في إضم، وفي مساجد تبوك، وكان به قصر لمروان بن الحكم ومنازل لغير واحد، وبه نزل بنو أمية لما أخرجوا إلى الشام قبيل وقعة الحرة حتى تلاحقوا به، ثم أرسل إليهم عبد الله بن حنظلة، فأخرجوا منه أقبح الإخراج"^٣

مسجد ذي خشب

روى محمد بن الحسن ابن زباله: "أن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى تحت

^١ وفاء الوفا، ١٤٥/٤

^٢ النفحة المسكية في الرحلة المكية، ٣٩/١، عبد الله بن حسين البغدادي السويدي، الناشر: المجمع الثقافي، أبو

ظبي عام النشر: ١٤٢٤ هـ

^٣ وفاء الوفا، ٩٨/٤

الدومة التي في حائط عميد الله بن مروان 'بذي خشب، فهناك يجتمعون"^٢.

رواية ابن زباله لهذا النص تدل على أن موقع المسجد كان معروفاً حتى نهاية القرن الثاني الهجري.

ويوجد اليوم في ذي خشب (المندسة) أطلال قصر أموي كبير على الجانب الأيسر لوادي إضم (الحمض) في ذي خشب (المندسة)، وحول القصر آثار كثيرة واضحة لمساقى مياه من عين جارية كانت في المكان، تمتد على مساحة واسعة.

وحول القصر ركام ورضوم لا أستبعد أن يكون من بينها مسجد ذي خشب. ولتأكيد ذلك، ينبغي إجراء مسح وتنقيب أثري في الموقع، وعند ذلك من المتوقع أن يسفر البحث عن آثار كثيرة غير المسجد، باعتبار أن الموقع أحد المنازل المهمة على الطريق الشامي حتى عهد قريب.

المنزل الثاني السويداء^٣ (فيفاء الفحلين)

ارتحل الجيش النبوي من ذي خشب، في يومهم الثاني، وساروا عشيتهم وليلتهم، وبعد ٤١ كم صَبَّحُوا منزلهم التالي، وهو فيفاء الفحلين، ويطلق عليه في

^١ عميد الله بن مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي كان ولي عهد أبيه مروان بن محمد، وهو الداخل إلى بلاد النوبة، وله مع ملكها حكاية طويلة. وقيل إن الذي حكى هذه الحكاية عبد الله أخوه، وعميد الله قتلته النوبة.

وكان قدم مع أبيه دمشق، فعقد له ولاية العهد، ولأخيه عبد الله بدير أيوب عمل دمشق. وتزوج عميد الله هذا عائشة بنت هشام بن عبد الملك، ولم يعقب. (تاريخ دمشق لابن عساكر).

^٢ وفاء الوفا، ١٨٠/٣

^٣ السويداء: قطعة من حجارة الحرة السوداء يصعد بها الطريق من وادي إضم (الحمض)، في نقب يسمى اليوم (المديرجة)، عند قرية المثناة

قال ياقوت: "السُوَيْدَاءُ: تصغير سوداء: موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام. (معجم البلدان: السويداء). واشتهر المنزل في كتب الرحلات بالسويداء بدلاً من فيفاء الفحلين.

كتب الرحالة (السويداء)، لأن المنزل في أرض سوداء ذات أصل بركاني.



٦٢٧

وفي السويداء لقي رجل مصرعه لمخالفته أمر النبي ﷺ " لا يخرج معنا إلا

مقو".

قال الواقدي: "خَرَجَ رَجُلٌ عَلَى بَكْرِ صَعْبٍ فَصَرَعَهُ بِالسَّوَيْدَاءِ. فَقَالَ النَّاسُ:

الشَّهِيدَ، الشَّهِيدَ! فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا يُنَادِي: لَا يَدْخُلُ

الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ - أَوْ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ - وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاصٍ."



السويداء (المديرة)



٦٢٨



آثار السيزل في قبواء الفحلين

(فيفاء الفحلتين)



فيفاء الفحلتين
25°00'01.4"N
38°59'28.9"E

والفحلتان تطلق على جبل عالٍ، عليه صخرتان على قمته، تبدوان كقلعتين من صنع الإنسان، ولكنهما تكوين جيولوجي طبيعي، ويبعد نحو ١٠٠ كم عن المدينة المنورة. ويسمى هذا الجبل اليوم (الفحلة)، وهو اسم قريب من الاسم القديم له، ويسميه بعض الناس (اسطبل عنتر).

ويقع هذا الجبل في أرض واسعة مستوية؛ لا ماء فيها، وهذا هو معنى فيفاء، أي: أنها مقرح تنداح عنها الشعاب والأودية، ولذلك سُمي المنزل (فيفاء الفحلتين)، وهذه هي صفته، وما زال يسمى محطة المقرح، وبه سُميت محطة سكة الحديد الواقعة أسفل جبل (الفحلة).

وصَف السمهودي هذا الجبل، فقال: "الفحلتان: قُتتان مرتفعتان على يوم من المدينة^١، بينها وبين ذي المروة عند صحراء يقال لها: فيفاء الفحلين، لها ذكر في مساجد تبوك، وغزاة زيد بن حارثة لبني جذام"^٢.

وأضاف في موضع آخر نقلاً عن المطري "كان بها عيون وبساتين لجماعة من أولاد الصحابة وغيرهم".

قلت: العيون والبساتين التي أشار إليها السمهودي مازالت آثارها بادية على

^١ الصحيح على ليلتين، لأنها تبعد ١٠٠ كم عن المدينة
أوفاء الوفا ١٢٦/٤

جانب وادي الحمض عند جبل (القرن الأحمر) قرب قرية شجوى، وقد سيجت هيئة الآثار الموقع باعتباره منطقة آثار من العصر الإسلامي الأول.

مسجد فيفاء الفحلتين

غير معروف مكانه بالضبط، ويحتاج الكشف عنه إلى البحث الميداني، والتنقيب الأثري في الموقع.



المدينة المنورة
25°21'13.9"N
38°44'06.5"E

المنزل الثالث (المُرّ)

في عشية اليوم الثالث ارتحل النبي ﷺ وجيشه المظفر من فيفاء الفحلتين، بعد أن ارتووا وملأوا قربهم وشربوا دوابهم، لتوفر الماء في هذا الموضع، وأماكن قريبة منه، وعدم توفر الماء المناسب في المنزل التالي.

ويلاحظ أن الطريق في معظمه سهل منبسط، ولذلك جدّ الجيش في المسير، وبعد نحو ٤٠ كيلاً استراحوا في المنزل التالي، ويسمى المُرّ (ضد الحلو)^١

المنزل الرابع (ذو المروة)



ذو المروة
25°40'44.4"N
38°20'19.7"E

روى الطبراني عن عبد الله بن سلام «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ

^١ تغيير اسمه في كتب الرحلات في العصور القريية إلى (أبا الحلو). وهذا هو اسمه اليوم.



٦٣٠



عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا مَرَّ بِالْجَلِيحَةِ فِي سَفَرِهِ إِلَى تَبُوكَ، قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: الْمَبْرُكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، الظِّلُّ وَالْمَاءُ، وَكَانَ فِيهَا دَوْمٌ وَمَاءٌ، فَقَالَ: " إِنَّهَا أَرْضُ زَرْعٍ وَتَبْرُدُ، دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ " - يَعْنِي نَاقَتَهُ - فَأَقْبَلَتْ حَتَّى بَرَكَتْ تَحْتَ الدَّوْمَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي مَسْجِدِ ذِي الْمَرْوَةِ.



وذو المروة أشهر وأهم منازل الطريق بين وادي القرى والمدينة المنورة، نزله الجيش النبوي بعد أربعة أيام من قيامه من المدينة. وهنا صار لا بد من

¹ أرى أن صحة الاسم المأبحة، وقد ذكرها الهجري، وقال إنها في شمال وادي ظلم، وهذا يجعلها في الطريق إلى ذي المروة.

المكوث أياماً لإراحة الناس وإراحة ظهرهم.

روى أبو داود في سننه: "عن سُبْرَةَ ابن عبد العزيز بن الربيع الجهني، عن أبيه عن جده: أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نزل في موضع المسجد تحت دَوْمَةَ، فأقام ثلاثاً، ثم خرج إلى تَبُوكَ، وإن جهينةَ لَحِقُّوه بِالرَّحِيَةِ، فقال لهم: "مَنْ أَهْلُ ذِي المَرْوَةِ؟" فقالوا: بنو رفاعَةَ من جُهَيْنَةَ، فقال: "قد أَقَطَعْتُها لبني رِفاعَةَ" فاقْتَسَموها: فمنهم من باعَ، ومنهم من أَمْسَكَ فَعَمِلَ".^١

مكث الجيش النبويّ ثلاثة أيام في ذي المروة، كان النبي ﷺ خلالها يصلي تحت دومة، فاتخذ موقعها مسجداً معدوداً من المساجد النبوية على طريق تبوك المؤدي إلى الشام.

دعاء النبي ﷺ لذي المروة

وشرفت ذو المروة بدعاء النبي ﷺ لها بالبركة، ونزول الغيث، والأمن، والدعاء لقبيلة جهينة، واعتبارهم حلفاء، وإقطاعهم أجزاءً من أراضي ذي المروة الشاسعة.

"روى ابن زبالة أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل بذي المروة وصلى بها الفجر، ومكث لا يكلمهم حتى تعالي النهار، ثم خرج حتى أتى المروة فأسند إليها ظهره ملصقا، ثم دعا حتى ذرّ قرن الشمس شرقا يدعو، ويقول في آخر دعائه: اللهم

^١ سنن أبي داود، ٦٧٤/٤، المحقق: شغيب الأرنؤوط، وقال: إسناده حسن، ط١- دار الرسالة العالمية



بارك فيها من بلاد، واصرف عنهم الوباء، وأطعمهم من الجنى، اللهم اسقهم
الغيث، واللهم سلمهم من الحاج، وسلم الحاج منهم، وفي رواية أنه نزل بذي
المروة فاجتمعت إليه جهينة من السهل والجبل يشكون إليه نزول الناس بهم، وقهر
الناس لهم عند المياه، فدعا أقواما فأقطعهم، وأشهد بعضهم على بعض بأني قد
أقطعتهم، وأمرت أن لا يضاخوا، ودعوت لكم، وأمرني جبريل أن أعدكم
حلفاء^١



ذو المروة

ذو المروة من أشهر منازل الطريق الشامي، وهو منسوب إلى صخرة كبيرة

^١ وفاء الوفا، مصدر سابق، ١٤٥/٤

بيضاء من المرو، تقع في وادي الجزل قبل لقائه مع وادي إضم (الحمض) قرب قرية وجبال تسمى اليوم (الضليعة)، ويبعد المنزل ١٩٠ كم عن المدينة المنورة.

ولذي المروة ذكر كثير في السيرة النبوية، وفي البعوث الإسلامية التي فتحت

الشام.

وكانت محطة مهمة للحجاج والمسافرين من الشام وإليه ولكثير من أهالي البلدان، قبل أن يتحول عنها الطريق، حيث يتفرع منها الطريق إلى مكة المكرمة وإلى المدينة المنورة أو خيبر أو الساحل، وفيها وُلد الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة عام ٩٤ هـ.

وصفها البكري بقوله: "وذو المروة: من أعمال المدينة: قرى واسعة، وهي لجهينة، كان بها سبرة بن معبد الجهنيّ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولده إلى اليوم فيها، بينها وبين المدينة ثمانية برد".^١

وقال عنها السمهودي: "قال المطري: وهو على ثمانية برد من المدينة، كان بها عيون ومزارع وبساتين أثمرها باق إلى اليوم".^٢

وحدها البلادي بقوله: "ذُو الْمَرْوَةِ لَهُ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ وَالْجُغْرَافِيَا، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى حَصَاةٍ بِيْضَاءَ بَارِزَةٍ مِنْ نَوْعِ الْمَرْوِ، يَفْعُ عِنْدَ مَفِيضِ وَادِي الْجَزْلِ إِذَا دَفَعَ فِي إِضْمٍ، شَمَالَ الْمَدِينَةَ عَلَى قَرَابَةِ ثَلَاثِ مِائَةِ كَيْلٍ، وَمَا زَالَتْ

^١ معجم ما استعجم، ١٢١٨/٤

^٢ ١٨٠/٣



مَعْرُوفَةٌ بِهَذَا الْإِسْمِ^١.

قلت: قوله: "عَلَى قَرَابَةِ ثَلَاثِ مِائَةِ كَيْلٍ"، وهم، والصحيح أنه على قرابة

مائتي كيل.

موقع مسجد ذي المروة

قامت هيئة السياحة والآثار بتسييج كامل المنطقة الأثرية حول صخرة المروة. ولا بد أن يكون المسجد أو ما تبقى منه من ضمن تلك الركامات المحيطة بالصخرة، ينتظر من يكشف عنه.

المنزل الخامس (الرحبة)



الرحبة، الرهبة
25°58'42.6"N
38°05'00.9"E

بعد الاستراحة ثلاثة أيام في ذي المروة، وحلّ بعض

الإشكالات الإدارية بين قبائل المنطقة، ارتحل الجيش النبوي

سانداً في وادي الجزل، الذي سيستمر السير فيه يومين مقبلين حتى يصل إلى ملتقاه مع وادي القرى.

بعد السير نحو ٤٥ كم تقريباً نزل النبي ﷺ في الرحبة، وهو المنزل التالي بعد

ذي المروة.



وسُمي بذلك لأنه يقع في مكان رحب فسيح من الأرض، بعد أن يخرج وادي العجل في مضيق بين جبال، وتسمي المصادر هذا المضيق (شق بني عذرة)، وهنا لحقت به جماعة من جهينة من بني رفاعه، يسألونه أن يقطع لهم قطعة فأقطعهم ذا المروة، حسب رواية أبي داود المتقدمة.



الرَّحْبَةُ هِيَ الرَّقْعَةُ

جاء في السيرة النبوية لابن إسحاق (ت ١٥١) أن (الرَّقْعَةَ) من شقة بني عذرة منزلٌ نزله النبي ﷺ بعد ذي المروة وبنى فيه مسجداً، وتبعه على هذا كل من جاء بعده من كُتَّاب السَّيْرِ، أو معاجم البلدان.

لكن الرقعة كمنزل أو موضع بعد ذي المروة لم يرد لها ذكرٌ في المصادر الأخرى على الطريق الشامي، بل ورد اسم (الرحبة) بعد ذي المروة ضمن منازل الطريق الشامي للخارج من المدينة، نذكر منها:

- الرحالة الإدريسي: عدّد المنازل من الحجّر إلى المدينة، فقال: " ثم

إلى الحجر مرحلة وهو حصن منيع بين جبال في ديار ثمود ومنه إلى وادي (-)

١ وهي مدينة صغيرة جدا على نهر صغير ومنه إلى الرحبة ثم إلى ذي المروة
ثم إلى المر ثم إلى السويدية ثم إلى ذي خشب ثم إلى المدينة يثرب".
وسمّاها بعضهم (الرحبية) بالتصغير.

- ذكرها ابن خرداذبة ضمن منازل الطريق المصري، فيقول: " ثم
شَغْب، ثم إلى بدا، ثم إلى السَّرْحَتَيْن، ثم إلى البيضاء، ثم إلى وادي القرى، ثم
إلى الرَّحْبِيَّة، ثم إلى ذي المروة، ثم إلى المرّ، ثم إلى السّويداء، ثم إلى ذي
خشب، ثم إلى المدينة".

وذكر ابن شبة الرحبة باعتبارها هي والسقيا من المنازل الواقعة في وادي
الجزل، فقال، وهو يصف مغايض وادي إضم: " ثم يلتقي هو ووادي العيص من
القبلة، ثم يلقاه دوافع واد يقال له حجر ووادي الجزل، الذي به السقيا والرحبة، في
نخيل ذي المروة مغرباً".

وجاء أيضاً في الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه-وقد تقدم معنا- أن
جهينة لحِقُوهُ بِالرَّحْبِيَّةِ، بعد قيامه من ذي المروة.

أما الرقعة فلم يرد لها ذكرٌ عند من عددوا منازل الطريق كموضع أو منزل
على الطريق الشامي بعد ذي المروة، ولم يوردها أصحاب معاجم الأمكنة في غير
سياق عما جاء عن ابن إسحاق.

١ الظاهر أنه بياض في الأصل، ولعل المقصود مدينة العلا

٢ نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ٣٧٦/١

٣ المقصود النقاء وادي القرى مع الجزل، وفيه سقيا الجزل.

٤ أخبار المدينة، ٣٦٤/١، الناشر: دار الكتب العلمية سنة النشر: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م



الأدلة السابقة تجعلنا نرجح أن كلمة الرقعة تصحفت في سيرة ابن إسحاق، ثم في كتب السيرة النبوية الأخرى عن (الرحبة)، وتكون صحة العبارة (الرحبة من شقة بني عذرة).

وهذا يتفق مع الواقع على الأرض، فالطريق بعد ذي المروة بنحو ٤٠ كم يدخل في مضيق بين جبلين (جبال نهر شرقاً والحمراء غرباً) في ديار بني عذرة، وهذا هو المعنى اللغوي للشقة فهي: " مَسَلَّكَ بَيْنَ سِلْسِلَتَيْنِ مِنَ الرَّمْلِ، أَوْ الْجِبَالِ "، أو كل ما يكون فيه شبه من ذلك فتكون الرحبة موضعاً من هذه الشقة.

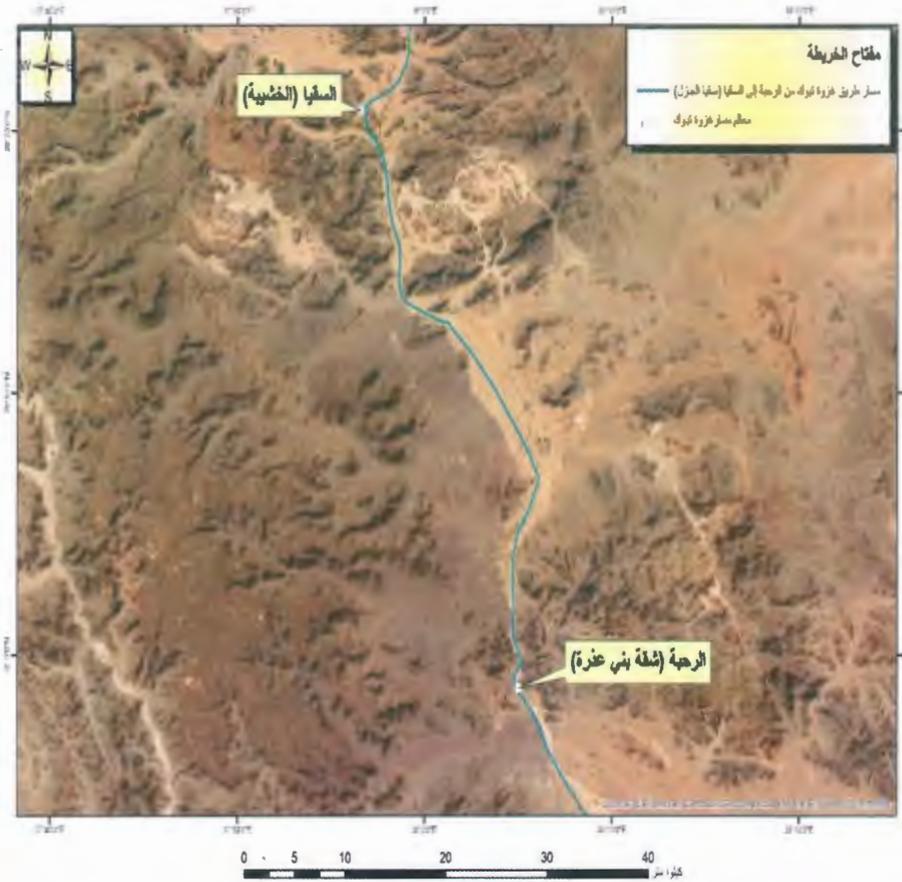
مسجد الرحبة

الرحبة اليوم مازالت آثارها باقية، ويدل سورها الحجري المتين، وبنائها القوي المشيد بالأجر، ومساقى العيون أنها كانت منزلاً منيعاً عامراً مهماً على الطريق الشامي في القرون الإسلامية الأولى، مثلها في ذلك مثل أعراض المدينة الأخرى؛ ذي خشب وبرمة وقرى عربية وغيرها.

ولكن موضع مسجد الرحبة لا يعرف مكانه بالضبط من بين تلك الآثار، ولعل التنقيب الأثري يكشف عنه في قابل الأيام.

^١ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ٢٩٤/١

^٢ الشقة، بالكسر: من العصا والثوب وغيره: ما شقَّ مُسْتَطْبِلاً (القاموس المحيط)



المنزل السادس السقيا (سقيا الجزل)

لم يتأخر النبي ﷺ وجيشه المظفر في الرحبة، بل نهض مواصلاً المسير في أرض سهلة التضاريس، ولكنها حارة جداً في الصيف، بسبب انخفاضها، وإحاطة الجبال بها.

وبعد نحو ٤٣ كم، نزل الجيش في منزلة رئيسية أخرى، هي: السقيا، وتقع في ملتقى واديين عظيمين، هما: وادي القرى ووادي الجزل.

اللقاء مع أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه)^١

نزل الجيش النبوي في هذا الموضع الكثير الماء والكلأ وسرحوا ظهرهم، واستراحوا من عناء السفر وجلسوا تحت ظلال الشجر. وبينما هم جلوس حول النبي ﷺ، نظر أحدهم وجاه الطريق فإذا شخص يلوح من بعيد فكان هذا الشخص هو أباذر.

لندع أبا ذر يخبرنا ما حصل معه في البداية عندما دعا داعي الجهاد لغزوة تبوك، يقول (رضي الله عنه): "أَبْطَأْتُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مِنْ أَجْلِ بَعِيرِي، كَانَ نِضْوًا^٢ أَعْجَفَ، فَقُلْتُ: أَعْلِفُهُ أَيَّامًا ثُمَّ أَلْحَقُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَعَلِمْتُهُ أَيَّامًا ثُمَّ خَرَجْتُ، فَلَمَّا كُنْتُ بِذِي الْمَرْوَةِ عَجَزَ بِي، فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فَلَمْ أَرْ بِهِ حَرَكَةً، فَأَخَذْتُ مَتَاعِي فَحَمَلْتُهُ عَلَى ظَهْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أَتْبَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شِئْتُ فِي حَرِّ شَدِيدٍ، وَقَدْ تَقَطَّعَ النَّاسُ فَلَا أَرَى أَحَدًا يَلْحَقُنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَطَلَعْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِصْفَ النَّهَارِ وَقَدْ بَلَغَ مِنِّي الْعَطَشُ، فَنَظَرَ نَاطِرٌ مِنَ الطَّرِيقِ فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحَدَهُ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كُنْ أَبَا ذَرٍّ! فَلَمَّا تَأَمَّلَنِي الْقَوْمُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو ذَرٍّ! فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِأَبِي ذَرٍّ!

^١ رجحت أن اللقاء كان بعد مرحلتين من ذي المروة، لأن أبا ذر بقي يومًا في ذي المروة بعد مغادرة الجيش لها، لذلك يصعب جدا عليه اللحاق به في المرحلة التالية مباشرة، فالأرجح أن يكون اللحاق في المرحلة التي بعد ذلك، وهي السقيا.

^٢ النضو: الدابة التي أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها. (النهاية، ج ٤، ص ١٥٢).

يَمْشِي وَحَدَهُ، وَيَمُوتُ وَحَدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحَدَهُ! فَقَالَ: مَا خَلَقَكَ يَا أَبَا ذَرٍّ؟ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ بَعِيرِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ كُنْتُ لِمَنْ أَعَزَّ أَهْلِي عَلَيَّ تَخَلَّفًا، لَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا ذَرٍّ بِكُلِّ خُطْوَةٍ ذَنْبًا إِلَى أَنْ بَلَغْتَنِي. وَوَضَعَ مَتَاعَهُ عَنْ ظَهْرِهِ ثُمَّ اسْتَسْقَى، فَأَتَى بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَشَرِبَهُ^١.

تخذيل المنافقين وإرجافهم بالمسلمين

كان في جيش العسرة مجموعة من المنافقين، غير معلومي النفاق، صحبوا الجيش، طبعاً؛ ليس رغبة في الجهاد، بل طمعاً في الغنيمة إن انتصر المسلمون، أو شماتة بهم إن هزموا. وكان هذا الاحتمال الثاني هو الأقرب إلى نفوسهم، وهو ما يتمنونه. وكانوا طوال مسيرة الجيش لا يتركون فرصة دون انتهازها للنيل من معنويات أفراد الجيش بتخويفهم من قوة عدوهم، وأنهم مهزومون لا محالة، حتى قال قائلهم: "أَتَحْسِبُونَ جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا! وَاللَّهِ لَكَأَنَّ بِكُمْ غَدًا مُقَرَّنِينَ فِي الْحِبَالِ، إِزْجَافًا وَتَرْهِيًّا لِلْمُؤْمِنِينَ".^٢ فأنزل الله تعالى في شأنهم وفيما قالوه {وَلَيْتُنَّ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥)}

لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ^٣

^١ المغازي، غزوة تبوك، ١٠٠٠/٣

^٢ السيرة النبوية لابن هشام، ٥٢٥/٢، المغازي ١٠٠٤/٣

^٣ سورة التوبة



السقيا (سقيا الجزل)



السقيا
26°19'37.0"N
37°55'10.0"E

هذا المنزل من المنازل المهمة والرئيسية على الطريق الشامي والمصري في ملتقى وادي القرى مع وادي الجزل، لذلك يسمى (سقيا الجزل)، أو سقيا يزيد، تمييزاً له عن سقيا غفار؛ المنزل الذي على طريق الأنبياء بين مكة والمدينة.

ويسمى هذا الموضع اليوم (الخُشبية)، ويتميز بوفرة المياه، وكثرة النخيل وبساتين الحمضيات بأنواعها.

وآثار هذا المنزل مازالت باقية، وقد سيجتها هيئة السياحة والآثار للمحافظة عليها.

٦٤٣

ويقول البشاري وهو يتحدث عن وادي القرى: "وسقيا يزيد هي أحسن مدن هذه الناحية والنخيل والبساتين متصلة من قرح إليها"^١

وينقل البكري عن محمد بن حبيب قوله: "السقيا موضع من بلاد عذرة، يقال له سقيا الجزل، بالجيم والزاي المعجمة، وهي قرية من قرى وادي القرى"

وسقيا الجزل منزل مشهور من منازل الطريق الشامي والمصري، لأنه على ملتقى الطريقين، الشامي، والمصري، فمن أراد طريق الشام سلك مع وادي

^١ أحسن التقاسيم للمقدسي، ١١٢/١

^٢ أحسن التقاسيم، ٨٤/١

القرى، ومن أراد الساحل ومنه إلى مصر سلك مع وادي الجزل^١.

ويعدد البشاري المنازل التي تتفرع من السقيا ذاهبة إما إلى الشام أو مصر، فيقول: "فان أردت جادة مصر فخذ من المروة الى السقيا ثم الى بدا يعقوب ثلاثا ثم الى العويند مرحلة، وان أردت الشام فخذ من السقيا الى وادي القرى مرحلة ثم الى الحجر مرحلة ثم الى تيماء ثلاث مراحل"^٢

وفي غزوة تبوك نزل النبي ﷺ السقيا بعد الرحبة، وبنى فيه مسجداً من مساجد الغزوة^٣.

موقع مسجد السقيا

لا يعرف مكانه بالضبط، ولأن التلال الأثرية كثيرة في الموقع، فلربما أن المسجد مندفعاً في إحداها.

وللكشف عنه ينبغي القيام بالتنقيب في الموقع.

المنزل السابع وادي القرى

ترك الجيش النبوي السير في وادي الجزل، وأخذ في وادي القرى قُبلاً، وهو الوادي الذي سيستمر السير فيه من مفيضه في وادي الجزل حتى أعلاه قرب الحجر.



وادي القرى
26°37'34.0"N
37°54'56.7"E

^١ المنايا للحربي أو الطريق لوكيع، ص ٦٥٠، مرجع سابق

^٢ أحسن التقاسيم، ١/١٠٧

^٣ المغازي، ٣/٩٩٩، المغامم المطابفة، ٢/٣٨، الناشر: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة



بعد السير قرابة ٤٠ كم، نزل النبي ﷺ في المنطقة المعمورة من هذا الوادي،

وهي اليوم جزء من مدينة العلا.



الرسول ﷺ يخرب حديقة في وادي القرى:

سبق أن فتح النبي ﷺ وادي القرى عقب مسيره إلى خيبر، وله وللمسلمين فيء فيها، فلعلهم كانوا يتفقدون بعض تلك الأموال، وأثناء ذلك شاهد النبي ﷺ حديقة لامرأة من أهل الوادي، كان ثمرها ما زال على النخلة، لأن وقت الجذاذ لم يحن.

يروى البخاري وغيره من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ (رضي الله عنه):

"خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَامَ تَبُوكَ حَتَّى جِئْنَا وَادِي الْقُرَى فَإِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَصْحَابِهِ: "أَخْرُصُوا". فَخَرَصَ الْقَوْمُ، وَخَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَشْرَةَ أَوْسُقٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلْمَرْأَةِ: "أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ". فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى تَبُوكَ، ثُمَّ أَقْبَلَ وَأَقْبَلْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا وَادِي الْقُرَى، فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: "كَمْ جَاءَ حَدِيقَتِكَ؟" قَالَتْ: عَشْرَةَ أَوْسُقٍ، خَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -".^١

ملحوظة

٦٤٦

في هذه الرواية دليل آخر على أن زمن الغزوة كان في الصيف، فحتى بعد مرور حوالي عشرة أيام من بدء الغزوة، مازال الثمر على النخلة بُسراً، ويحتاج إلى مزيد من الحرارة ليصير رطباً.

بنو عريض يهدون هريساً للنبي ﷺ

وفي هذا المنزل أهدى بنو عريض (عائلة يهودية) طعاماً طريفاً (هريس) للنبي ﷺ فأكل منه، وكافأهم بإطعامهم أربعين وسقاً، تجري عليهم ما داموا في مكانهم.^٢

^١ صحيح ابن خزيمة، ١١٠٨/٢، ط ٣، الناشر: المكتب الإسلامي

^٢ المغازي، ١٠٠٧/٣

قال محمد بن عمر (الواقدي): فهي جارية عليهم إلى الساعة، (يعني إلى زمن الواقدي).

وادي القرى (قرية بني عذرة)

وادي القرى من أشهر أودية الحجاز وأمرئها، وأوفرها وأعذبها ماءً. يأخذ مياهه من صدور أودية الحجر وحره عويرض شمالاً ثم تتجه الأودية جنوباً، حتى يضمها جبلان أعلى بلدة العلا فتصبح وادياً واحداً يسيل جنوباً فيدفع في وادي الجزل، عند منزل السقيا (الخشبية) كما مرّ معنا قبل قليل.

وقال عنه ياقوت: "سمي وادي القرى لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة وكانت من أعمال البلاد وآثار القرى إلى الآن بها ظاهرة إلا أنها في وقتنا هذا كلها خراب ومياهها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد"^٢

قال البلادي: "وادي القرى: نُسب إلى كثرة القرى فيه جاء في قصة سلمان الفارسي وإسلامه.

قُلت: يُعرف اليوم بوادي العُلا: مدينة عامرة شمال المدينة على قرابة (٣٥٠) كيلاً، كثيرة المياه والزروع والأهل، وواديها - وادي القرى - يصب في وادي الجزل ثم يصب الجزل في وادي الحمض «إضم». انتهى.

^١ سبل الهدى والرشاد للصالحي، ٤٤٧/٥

^٢ الظاهر أن الكلمة مصحفة، وأن صحتها عمر البلاد

^٣ معجم البلدان، رسم: القرى

^٤ معجم المعالم الجغرافية، ٢٥٠/١

قلت: وكان أهل الوادي قبل العصر النبوي وبعده بثلاثة قرون تقريباً بنو عذرة من قضاة، فكان يقال للمنطقة السكنية منه (قرية بني عذرة)، وهو المكان الذي نزله النبي ﷺ وصلى فيه وبنى فيه مسجداً، ومكانه اليوم في مدينة العلا.

فقد روى الزبير عن المهلب بن عبد الرحمن بن عبيدة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل في قرية بني عذرة، مخرجه إلى تبوك، وصلى في مسجدها، وأطعم بني عريض وُسوقاً من تمر وشعير، وأطعم بني دجاجة من بني عذرة، وأطعم بني جمرة بن النعمان وبني ربيعي بن لبيد أو لبيد بن ربيعي العذريين^١.



موقع مسجد وادي القرى (قرية بني عذرة)

في مدينة العلا مسجداً نبويان، أحدهما في صعيد قرح وهو مسجد العظام،

^١ المغنم المطابة، ٥٥٣/٢ مصدر سابق

والآخر لعله هو المسمى اليوم (مسجد الصخرة).



المنزل الثامن (الحِجْر)



الحجر النبطية
26°47'31.4"N
37°57'21.8"E

استأنف النبي ﷺ المسير في اتجاه الحِجْر (ديار ثمود)، وبعد حوالي ٢٥ كم وصل المنطقة السكنية في الحجر فلم يستقر له المقام بها، بل تقنّع وحث راحلته حتى تجاوزها ثم نزل على البئر التي كانت تشرب منها الناقة.

ويلخص لنا الإمام أحمد (رحمه الله) ما حدث عند نزول الجيش النبوي في الحجر، فيقول: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا صَخْرُ - هُوَ ابْنُ جُوَيْرِيَةَ - عَنْ نَافِعٍ، عَنِ

ابنِ عَمَرَ قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ عَامَ تَبُوكَ الْحِجْرَ عِنْدَ يَبُوتِ ثَمُودَ، فَاسْتَقَى النَّاسُ مِنَ الْأَبَارِ الَّتِي كَانَتْ تَشْرَبُ مِنْهَا ثَمُودٌ فَعَجَنُوا وَنَصَبُوا الْقُدُورَ بِاللَّحْمِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَهْرَقُوا الْقُدُورَ وَعَلَفُوا الْعَجِينَ الْإِبِلَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ بِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ عَلَى الْبَيْتِ الَّتِي كَانَتْ تَشْرَبُ مِنْهَا النَّاقَةُ، وَنَهَاهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ عَذَّبُوا، فَقَالَ: "إِنِّي أَخَشَى أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ". وَهَذَا الْحَدِيثُ إِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِينَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ^١.

معجزة نبوية من السماء

تباحث كبار الصحابة فيما هم فاعلون، فلا ماء عندهم، وقد نهوا عن استعمال ماء الحجر، فرأى أبو بكر الصديق أن يطلبوا من النبي ﷺ أن يدعوا ربه أن يغيثهم.

يقول عمر (رضي الله عنه): "خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْطٍ شَدِيدٍ فَتَرَلْنَا مَنَزِلًا وَأَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَذْهَبُ فَيَلْتَمِسُ الرَّحْلَ فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّ رِقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْتَصِرُ فَرْتَهُ فَيَشْرَبُهُ ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ قَدَّ عَوْدَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا فَادْعُ اللَّهَ لَنَا.

فَقَالَ: "أَوْ تَحِبُّ ذَلِكَ؟" قَالَ: نَعَمْ.

^١ المسيرة النبوية لابن كثير، ١٨/٤، مصدر سابق



قَالَ: فَرَفَعَ يَدَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ فَلَمْ يَرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتْ السَّمَاءُ فَأُطْلَتِ ثُمَّ
سَكَبَتْ فَمَلَاوَا مَا مَعَهُمْ ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَجِدْهَا جَاوَزَتْ الْعَسْكَرَ.

إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ^١.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ، أَنَّ
هَذِهِ الْقِصَّةَ كَانَتْ وَهُمْ بِالْحِجْرِ.

ويضيف الواقدي في هذه الحادثة: "ثُمَّ كَشَفَ اللَّهُ السَّمَاءَ عَنَّا مِنْ سَاعَتِهَا وَإِنْ
الْأَرْضُ إِلَّا غُدْرٌ تَنَاحِسُ، فَسَقِيَ النَّاسُ وَارْتَوَوْا عَنْ آخِرِهِمْ، وَأَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ! فَقُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ:
وَيَحْكُ، أَبْعَدَ هَذَا شَيْءٌ؟ فَقَالَ: سَحَابَةٌ مَارَّةٌ!^٢.

٦٥١

قلت: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي حزرة قَالَ نزلت هَذِهِ الْآيَةُ فِي رَجُلٍ مِنْ
الانصار فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَنزلوا الْحِجْرَ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ
لَا يَحْمِلُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا، ثُمَّ ارْتَحَلُوا، ثُمَّ نَزَلَ مِنْزِلًا آخِرَ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَشَكُوا
ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ دَعَا فَأَرْسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى اسْتَقَوْا مِنْهَا.. "إلى آخر الرواية:

هذا القول أرى أنه أقرب للواقع، لأن النبي ﷺ كان مستعجلاً للخروج من
الحجر، فلما أصبح ارتحل بالجيش ونهى عن اصطحاب الماء من الحجر، فلما

^١ السيرة النبوية لابن كثير، ١٦/٤، مصدر سابق، صحيح ابن حبان، ٢٢٣/٤، المستدرک للحاکم، ٢٦٣/١

^٢ القائل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه

^٣ المغازي، ١٠٠٩/٣

^٤ الخصائص الكبرى للسيوطي، ٤٥٨/١، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

وصلوا إلى المنزل التالي (أسفل حوضي) أنهمكهم العطش وانعدام الماء فطلبوا من النبي ﷺ أن يدعو لهم.



الحجر

الحِجْر اسم قديم جداً للمكان الذي سكنه قوم ثمود في زمن قديم جداً غير محدد تاريخه بالضبط، وكانوا قومًا مشركين، ولكنهم ذوا حضارة وقدرة على تشكيل الصخر ليتخذوا منه بيوتهم، فأرسل الله لهم النبي صالحًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده.

فلما كذبوه وعقروا الناقة التي جعلها الله آية، أخذتهم الصيحة عقابًا لهم. بعد هلاك قوم ثمود بزمن طويل، سكن الحجر أقوام آخرين، عرفنا من بينهم

الأنباط في القرن الأول قبل الميلاد.

والآثار والنقوش الموجودة اليوم في الحجر هي من آثار مملكة الأنباط.

زار الأستطخري الحجرَ في أول القرن الرابع الهجري، فوصفها بقوله:

والحجر قرية صغيرة قليلة السكان، وهي من وادي القرى على يوم بين جبال، وبها كانت ديار ثمود، الذين قال الله فيهم: (وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ).

ورأيت تلك الجبال ونحتهم، الذين قال الله عنهم: (وَتَنحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ

بُيُوتًا فَارِهِينَ)¹

ورأيتها بيوتا مثل بيوتنا في أضعاف جبال، وتسمى تلك الجبال الأثالب،

وهي جبال في العيان متصله، حتى إذا توسّطتها رأيت كل قطعة منها قائمة بنفسها،

يطوف بكل قطعة منها الطائف، وحواليها رمل لا يكاد يرتقي إلى ذروة كل قطعة

منها أحد إلا بمشقة شديدة، وبها بئر ثمود التي قال الله في ناحتها: (لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ

شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ)²

وقال البلادي عن الحجر: "الحجر، مَا زَالَ يُعْرَفُ بِاسْمِهِ، وَهُوَ وَادٍ يَأْخُذُ مِيَاهَ

جِبَالٍ مَدَائِنٍ صَالِحٍ (أَرْضُ ثَمُودَ) ثُمَّ يَصُبُّ فِي صَعِيدِ وَادِي الْقُرَى فَيَمُرُّ سَيْلُهُ

بِالْعَلَا: الْمَدِينَةُ الْمَعْرُوفَةُ، وَبِالتَّحْدِيدِ، الْحِجْرُ: رَأْسُ وَادِي الْقُرَى، وَأَهْلُهُ الْيَوْمَ قَبِيلَةُ

عَنْزَةَ، وَبِهِ زِرَاعَةٌ حَسَنَةٌ، وَأَهْمُ مَا هُنَالِكَ عَجَائِبُ آثَارِ ثَمُودَ، وَتَبْعُدُ الْمِنْطَقَةُ الْمُحَرَّمَةَ

¹ سورة الفجر الآية ٩

² الشعراء ١٤٩

³ المسالك والممالك، ص ٢٤، الناشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة

مِنَ الْحِجْرِ قَرَابَةَ (٢٢) كَيْلًا مِنْ مَدِينَةِ الْعُلَا شَمَالًا^١

موقع المسجد في الحجر

غير معروف المكان بالضبط.



المنزل التاسع (وادي حوضي)



مسجد حوضي
26°53'41.9"N
37°48'16.9"E

بات النبي ﷺ ليلته تلك في الحجر، فلما أصبح ارتحل، وبدلاً

^١ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، (١/٩٢)

من أن يتجه شمالاً ويسلك الطريق الرئيسية المسماة (التبوكية)¹، تركها بيمين وأخذ في اتجاه الشمال الغربي، مولياً وجهه جهة حرة عظيمة تشرف على وادي القرى والحجر، يرى البعض أن اسمها القديم (حرة الكريتم)، واسمها اليوم (حرة عويرض).

أخبرنا بهذه الوجهة الإمام أبو علي هارون بن زكريا الهجري.

يقول الهجري (رحمه الله): "الكريتم طريقُ النبي ﷺ إلى تبوك، وبه مسجد رسول الله ﷺ"².

وقال في موضع آخر³ "وبين حرة ليلي وحرة (سلامان)⁴ وهي أحد حرتي بهل مقدار أربعة أيام، الجنبُ والصمدُ، ثم تليها حرة الكريتم، وهي حرة بهل الثانية من دار سلامان، وهي اليوم لبلي من قضاة، شعل، وهزم، وجعل، وخنيس، وسوادة"⁵.

قلت: هذا القول الأخير للإمام الهجري يجعل حرة سلامان هي حرة عويرض، وحرة الرهاة (الرحا) هي الكريتم. لكن هذا لا يغير من الأمر شيئاً، لأن النبي ﷺ سلك كلتا الحرتين في مسيره إلى تبوك، والعودة منها، وبنى فيهما مسجدين مازالا معروفين.

نعود إلى تتبع مسار الغزوة: أخذ الجيش النبوي في أسافل الأودية الهابطة

¹ وهي طريق الحاج قديماً إلى تبوك والشام، ومازالت إلى اليوم

² التعليقات والنوادر، ص ١٥٧٤، مصدر سابق

³ تسمى اليوم حرة الرهاة، أو الرحا.

⁴ المصدر السابق، ص ١٣٨٦

من حرة عويرض سانداً فيها، وبعد حوالي ٢٠ كم من الحِجْر نزلوا تحت الحرة في أسفل وادي حوضي، استعداداً لصعود الحرة، وهي حرة مرتفعة جداً، والطريق إلى ظهرها وعر، ولكنها مستوية الظهر، معتدلة المناخ بسبب ارتفاعها الكبير المقدر بأكثر من ١٦٠٠ متراً فوق مستوى سطح البحر^١.

وادي صدر حوضي

وادي الصدر ووادي حوضي واديان متجاوران يهبطان من الجانب الشرقي لحرة عويرض فيختلط سيلهما مع الأودية الأخرى التي ترفد أعالي وادي القرى. ومازالا معروفين باسميهما إلى اليوم.

وطريق الصعود إلى ظهر الحرة يمر بأسفلهما، ثم يسند في وادي الصدر، حتى يتجاوز العقبة التي تظهره على الحرة، وهذا هو طريق الزمل قديماً، وطريق السيارات اليوم.

وقبل صعود الحرة، نزل النبي ﷺ في موضع التقاء الواديين، وبنى مسجداً سُمي مسجد صدر حوضي، أو ذنب حوضي، والمعنى واحد. لذلك نجد من يقول مسجد صدر حوضي^٢، ومن يقول مسجد بذنب (حوضي)^٣.

وقد خلط المتقدمون بين حوضي هذا وبين حوضي الواقع في بلاد بني أبي بكر بن كلاب من بني عامر الواقع في عالية نجد الجنوبية، عند الرمل المسمى اليوم

^١ الحرات، ص ١٠٦، مصدر سابق

^٢ السيرة النبوية لابن إسحاق، ٥٣٠/٢، مصدر سابق

^٣ المغامم المطابة، ٥٧٧/٢، مصدر سابق، وذكره باسم حويضي



رمل سبيع.

وقد أشار البلادي إلى حوضي الوارد في الغزوة بقوله: " حَوْصَى : وَاِدٍ لَيْلِي
يَصُبُّ فِي وَاِدِي الْقَرْيَ، قُرْبَ الْعَلَا"^١

أما من حدد وادي حوضي تحديداً دقيقاً فهو الأستاذ ناصر بن محمد
الخطوي^٢ في كتابه (معجم تبوك)، فقال (باختصار): " وادٍ يقع شمال العلا غرب
الحجر، ينشأ من حرة العويرض قرب الدرجة ٥٦-٢٦ شمالاً، و٣٥-٣٧ شرقاً،
وهو ذو روافد كثيرة، ويتجه شرقاً، ويلتقي مع عدة أودية تتجه للحجر، وتسلك
مع الوادي طرق قديمة من الحجر إلى الجوّ وحرة العويرض وحرة الرهاة لها
علامات قديمة، وقد سلكتُ هذا الوادي ولم أفد على موقع مصلى النبي ﷺ، لكن
هناك هضاب تسمى أم لحم أسفل وادي حوضا على الطريق عند الدرجة ٥٤-٢٦
شمالاً، ٣٨-٣٧ شرقاً، يُرجح أن يكون المصلى فيها"^٣

موقع مسجد حوضي



مسجد حوضي
26°53'41.9"N
37°48'16.9"E

مازال مسجد حوضي معروفاً، يتداوله أهل تلك الديار جيلاً

بعد جيل، وآثاره باقية ومشاهدة إلى اليوم.

وأهيب بالجهات المعنية أن تهتم بالموقع وتشهره، وتسيّجه وتحافظ عليه،

^١ معجم المعالم الجغرافية، ص ٢٩٤

^٢ مؤلف سعودي معاصر، له اهتمام بشؤون البيئة والزراعة، فاز كتابه (معجم تبوك) بجائزة وزارة الثقافة والإعلام عام ٢٠١٢، ومن كتابه هذا عرفنا مسار الطريق النبوي من الحجر إلى تبوك.

^٣ معجم تبوك، ٩٥/٢، ط ١،

باعتباره مسجداً نبوياً معروفاً العين، وهذه قيمة كبرى نادرة في زماننا هذا.



المنزل العاشر (وادي الجيفة)

بعد أن ارتوى الجيش من تلك السحابة التي أرسلها الله تعالى استجابة لدعاء نبيه الكريم ﷺ، وكانت هذه أولى المعجزات النبوية في نزول الغيث في هذه الغزوة، وستلونها أخريات في رحلة العودة من تبوك.

صعد الجيش النبوي من أسفل وادي حوضا حتى استوى على ظهر الحرة، وسار عليها مسافة ٣٥ كم، ثم نزل وادياً في وسط الحرة يُدعى (ذو الجيفة).



حادثة دالة على صدق نبوته ﷺ

وحسب تسلسل الأحداث الواردة في مصادر السيرة النبوية، عندما نزل النبي ﷺ وادي الجيفة ضلت ناقته القصواء " فَذَهَبُوا فِي طَلِبِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِمَارَةَ بْنِ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ - وَكَانَ عِنْدَهُ: " إِنْ رَجَلَا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَيُخْبِرُكُمْ خَبَرَ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ! وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ

^١ انظر سيرة ابن إسحاق، المغازي للواقدي، سيرة ابن كثير،

إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا، هِيَ فِي الْوَادِي قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزَمَامِهَا".
فَانْطَلَقُوا فَجَاءُوا بِهَا، فَرَجَعَ عُمَارَةُ إِلَى رَحْلِهِ، فَحَدَّثَهُمْ عَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَبَرِ الرَّجُلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ: إِنَّمَا
قَالَ ذَلِكَ زَيْدُ بْنُ اللَّصِيْتِ.

وَكَانَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِي، فَأَقْبَلَ عُمَارَةُ عَلَى زَيْدٍ يَجَأُ فِي عُنُقِهِ
وَيَقُولُ: إِنَّ فِي رَحْلِي لَدَاهِيَّةً وَأَنَا لَا أَذْرِي، أَخْرَجَ عَنِّي يَا عَدُوَّ اللَّهِ فَلَا تَصْحَبْنِي.
فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ زَيْدًا تَابَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يَزَلْ مُصِرًّا حَتَّى هَلَكَ".^١



ذو الجيفة
27°02'35.0"N
37°29'31.0"E

وادي ذي الجيفة

ذو الجيفة وادٍ ينقُصُ من قَرَى حرة عويرض فيتجه مغرباً
حتى يفيض في وادي الجزل، أسفل الحرة. وهو في مسيره يقطع

^١ السيرة النبوية لابن كثير، مصدر سابق، ١٦/٤

الطريق الذي سلكه النبي ﷺ على ظهر الحرة، وكان أحد منازل ﷺ، وبنى فيه مسجده، وما زال الوادي معروفاً باسمه إلى اليوم.

لم يحدد المتقدمون موقع ذي الجيفة، بل حصل عندهم فيه لبس بسبب تصحيف الاسم (والتصحيف آفة أسماء المواضع) فسماه بعضهم ذو الحليفة (على اسم الميقات)، وقال بعضهم ذو الخليفة (بالحاء) أو بالجيم، وكل ذلك خطأ، وعندما ذكروه باسمه الصحيح اكتفوا بالقول: إنه بين المدينة وتبوك.

وذكره البلادي، غير جازم، فقال: "ذُو الْجِيفَةِ: وَاِدٍ يَصُبُّ فِي الْجَزْلِ قَبْلَ التِّقَائِهِ بِوَادِي الْقُرَى، فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ فَالْمَسْجِدُ فِي رَأْسِهِ حَيْثُ يَمُرُّ الطَّرِيقُ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ"^١.

ووصفه الأستاذ ناصر العطوي فقال "الجيفة: بكسر الجيم، وإسكان الياء ففاء مفتوحة ثم تاء مربوطة، وادٍ يقع جنوب شرق تبوك في حرة العويرض، تنشأ روافده من ظهرة حرة العويرض، ويصب في وادي الجزل، ويمر الطريق الذي سار معه الرسول ﷺ من أعلاه قرب الدرجة ٠٢-٢٧ شمالاً، ٢٩-٣٧ شرقاً. ووقفتُ على الموقع، لكنني لم أستدل على موضع المسجد"^٢.

موقع مسجد ذي الجيفة

لا يعرف اليوم مكان المسجد بالتحديد في الوادي، ولكن يوجد جزع من

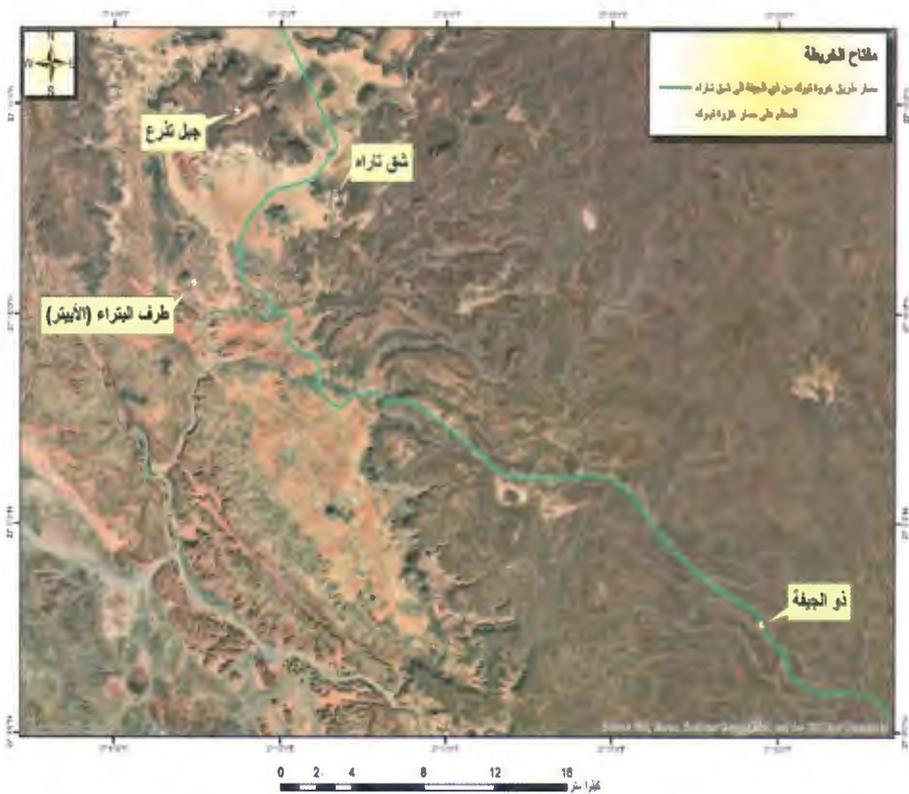
^١ وفاء الوفاء، مساجد تبوك

^٢ معجم المعالم الجغرافية في التَّيْبَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، ص ٢٩٤

^٣ معجم تبوك، ص ٤٤/١

الوادي في قرارة من الحرة صالحة لتزول القوافل، وفيه بعض الرسوم القديمة، فلعل القيام بالتنقيب في الموقع يكشف عن آثار المسجد.

المنزل الحادي عشر غدير تارا (تاران)



قام الجيش النبوي من منزله في وادي الجيفة، وسار في الجزء المتبقي من الحرة مسافة ٢٤ كم، ثم هبط في أرض بيضاء، واسعة، منخفضة عما حولها، فاصلة بين حرتي عويرض والرهاة، تسمى اليوم (الجوّ)، وهي اسم على مُسمّى. قال الأزهري: "الجوّ ما اتّسع من الأرض واطمأنّ وبرز، قال: وفي بلاد العرب أجوية

كَثِيرَةٌ كُلُّ جَوْ مِنْهَا يُعْرَفُ بِمَا نُسِبَ إِلَيْهِ".^١

قلت: وهذه صفة أرض الجوّ، ويسمى جَوْ تَدْرَعٌ.

سار الجيش النبوي شمالاً في أرض الجوّ بمحاذاة وادي المشقق القادم من حرة عويرض، ويسمى اليوم وادي الشق، وهو وادٍ تكثر فيه الملازم والغدران. وبعد السير حوالي ١٦ كم نزل بجانب غدير تاران، ونزولهم عنده يدل على وجود الماء فيه، وهو آخر غدران وادي المشقق^٢ (الشق) جفافاً بعد الأمطار، حسب ما أخبرني الأستاذ فهد بن علي الهرفي البلوي.

وفي أثناء سير النبي ﷺ بمحاذاة وادي المشقق "سَمِعَ حَدِيثًا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ: أَسْرِعُوا بِنَا نَلْحَقُهُ! وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مِمَّنْ الْحَادِي، مِنْكُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، مِنْ غَيْرِنَا. قَالَ:

فَأَذْرَكُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا جَمَاعَةٌ، فَقَالَ: مِمَّنْ الْقَوْمُ؟

قَالُوا: مِنْ مُضَرَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنَا مِنْ مُضَرَ.

فَانْتَسَبَ حَتَّى بَلَغَ مُضَرَ. قَالَ الْقَوْمُ: نَحْنُ أَوْلُ مَنْ حَدَا بِالْإِبِلِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: بَلَى، إِنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ يُغَيِّرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَأَغْيَرَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ، فَندَّتْ إِبِلُهُ فَأَمَرَ غُلَامَهُ أَنْ يَجْمَعَهَا، فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ! فَضْرَبَ يَدَهُ بِعَصَا، فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَقُولُ: وايداه! وايداه!

^١ لسان العرب، مصدر سابق، ١٥٩/١٤

^٢ نسبة إلى جبل تدرع الواقع في وسطه، ولم أجد له اسماً قديماً.

^٣ هذا اسم الوادي في المصادر، واسمه اليوم وادي الشق.

^٤ وكيل رئيس مركز الجوّ التابع لإمارة منطقة تبوك

وَتُجْتَمَعُ الْإِبِلُ، فَجَعَلَ سَيِّدُهُ يَقُولُ: قُلْ هَكَذَا بِالْإِبِلِ! وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبِلَالٍ: أَلَا أُبَشِّرُكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَهُمْ يَسِيرُونَ عَلَى رَوَاحِلِهِمْ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي الْكَنْزَيْنِ فَارِسَ وَالرَّوْمَ، وَأَمَدَّنِي بِالْمُلُوكِ مُلُوكِ حَمِيرٍ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَأْكُلُونَ فِيءَ اللَّهِ".^١

شق تاراء (غدير تاران)



شق تاراه
27°12'46.6"N
37°16'38.8"E

شق تاراء: وعند ابن إسحاق شق تاراء، ويسمى اليوم شق تاران، وهو غدير في وادي الشق من أرض الجوف. والشق وادٍ يُقبل من طرف حرة عويرض الشمالي الشرقي، فيُطيف بالجو من الجنوب والغرب حتى يدفع في وادي أبو راحة أحد روافد وادي الجزل.



^١ المغازي، ١٠١١/٣، المصنف لعبد الرزاق، ٤٨٤/٤، ط١، الناشر: دار التاصيل - القاهرة

ووادي الشق وادٍ له حظ من اسمه، فهو عبارة عن فلق أو شق في النهاية الغربية لحرّة عويرض، ويتميز بأرضيته الصلدة، وبتعدد الغدران والملازم المائية على طول مجراه.

اكتفى المتقدمون في التعريف بتاراء (تاران) بقولهم: "تارا: بالراء المهملة، على وزن فعلى: موضع بالحجاز بين المدينة وتبوك، ذكر ابن إسحاق أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه مسجداً".^١

وأغرب البلادي حين قال: "شَقَّ تَارًا: لَعَلَّهَا تِلْكَ الصَّحْرَاءَ الَّتِي تُوَجِّهُكَ قَبْلَ الْحَجْرِ مِمَّا يَلِي تَبُوكَ".^٢

قلت الصحراء التي يعينها البلادي هي طريق التبوكية، التي لم يسلكها النبي ﷺ لا في ذهابه ولا إيابه، فضلاً عن أن شق تارا معروف الاسم والموضع.

يقول الأستاذ ناصر العطوي: "تاران: بفتح التاء ثم ألف فراء مفتوحة ثم ألف ونون؛ غدِير ماء مطر يقع جنوب شرق تبوك، شرق قرية الصليبة في الجوّ في وادي الشق. ورد ذكره ضمن المنازل النبوية باسم شق تارا، وينطق اسمه اليوم شق تاران".^٣

موقع مسجد شق تاراء

لا يعرف مكان المسجد بالتحديد، وعند الغدير رسوم كثيرة، تحتاج إلى

^١ معجم ما استعجم، ٣٠٠/١

^٢ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ٢٩٤/١

^٣ معجم تبوك، ص ٣١٩/١



دراسة أثرية لتحديد ما يمكن أن يكون موضع المسجد النبوي في شق تاراء.

المنزل الثاني عشر نقيع بولي (قاع لالا)

استقى الجيش النبوي من غدير تاران، وغيره من غدران وادي الشق، وربما بقي في المنزل يوماً أو يومين للراحة وتسريح الإبل في أرض الجوّ المتميزة بكثرة الكلاّ وتنوع النبات، لتستعيد شيئاً من قوتها تجابه به بقية الطريق الخشنة إلى تبوك.

غادر النبي ﷺ المنزل في اتجاه الشمال في أرض الجوّ السهلة المنبسطة، وسار فيها حتى نهايتها،



وهي تنتهي في قاع يفيض فيه وادي (آلاء) القادم من حرة الرهاة (الرحا)،

ويسمى اليوم وادي لالا، وهنا نزل النبي ﷺ.

والظاهر أن هذا النزول؛ مع أن المنزل السابق لا يبعد سوى ٢٠ كم، الغرض منه انتظار تجمع الجيش المنتشر في أرجاء الجوِّ الواسعة، استعداداً لدخول المنطقة الوعرة التي تفصلهم عن سهل تبوك.

نقيع بولي (قاع لالا)



27°21'47.2"N
37°14'44.9"E

هذا المنزل ذكرته كتب السيرة مثل ابن هشام وغيره، باسم:

(ألاء)-على اسم الشجر المرّ المعروف- وهو وادٍ في الجوّ يدعى

اليوم (لالا)، يهبط من حرة الرهاة وينتهي في قاع يسمى (قاع لالا)، وهذا القاع على الطريق لمن أراد أن يسلك طريق نقيع البكرة إلى تبوك، وهو الطريق النبوي في الذهاب، حسب ما ترجع لدي.



ونقل السمهودي قول محمد بن الحسن ابن زبالة بأن المنزل والمسجد في
(نقيع بولي)^١ يعني في قاع لالا، حيث يحير سيل الوادي وينقع.

وقول ابن زبالة هذا يوافق مسار الطريق النبوي، مما يُرجح أن المنزل
والمسجد في مكان مناسب من القاع.

وفي تحديد المنزل، لم يزد المتقدمون على قولهم: "ألاء: بفتح أوله، وثانيه
ممدود، على لفظ اسم الشجر المرّ: موضع على خمس مراحل من تبوك، لرسول
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه مسجد"^٢.

وقد حدده الأستاذ ناصر العطوي، فقال: "لالا: بلا مين مفتوحتين وألفين؛
وادي يقع جنوب شرق تبوك، شمال غرب قرية الصليبية، ينشأ من حرة الرهاة، ويرفده
زلاق وزليليق، وعدد من الوافد، ويصب عند الدرجة ٢٢-٢٧ شمالاً، ١٤-
٣٧ شرقاً، وارتفاع ١٣٨٩ م في قاع كبير يبلغ طوله ٤, ٢ كم يسمى قاع لالا يتصل
بقاع قليصات الذي يحده من الشمال، وقرب القاع يقطع وادي لالا الطريق الذي
سار معه الرسول ﷺ في غزوة تبوك"^٣

موقع مسجد نقيع بولي (قاع لالا)

غير معروف المكان بالتحديد.

^١ وفاء الوفا، ١٧٩/٣، وأرى أن بولي محرفة عن بالي، أي أن المسجد في نقيع ألي، يعني قاع آلاء (لالا)

^٢ معجم ما استعجم، ١٨٥/١

^٣ معجم تبوك، ١٧٧/٣



تعدد الطرق إلى تبوك

الطريق من المدينة إلى نقيع بولى (قاع لالا) كان واضحاً جداً، والمعلومات التي زودتنا بها المصادر مكنتنا من تتبع جيش الغزوة من بداية تحركه إلى وصوله إلى هذا المنزل، ثم صممت المصادر عن تزويدنا بما يعيننا على تحديد بقية المسار إلى تبوك، بعكس طريق العودة، فقد ذكرت فيه مواضع مازالت موجودة بأسمائها إلى اليوم.

ومن أجل ترجيح أنسب الطرق التي على الجيش أن يسلكها بعد نقيع بولى (قاع لالا)، فنحن أمام طرق ثلاث للوصول إلى تبوك:

- الطريق التبوكية: وهي طريق سهلة بدون عوائق تقريباً، ولكنها مفازة لا ماء فيها ولا كلاً، وهو ﷺ قد تجنبها من البداية عندما اختار طريق الصعود إلى حرة عويرض، وغير معقول أن يتجه إليها وقد أصبحت بعيدة عنه، ويحتاج ٤٥ كم حتى يلائمها.

- طريق النقيب (نقب البكرة): وهي طريق فيها خشونة، وتسلك بين جبال ليست عالية بعضها منشؤه بركاني، وفي نهايتها نَقْبٌ كَوُود لا بد من الهبوط منه، وتتخللها أودية فيها (قَلَات)^١ وملازم (مصامد) للماء ضخمة، تكفي سقيا الجموع الكبيرة، وهي طريق قديمة، توجد فيها نقوش وآثار من أمم سابقة.

^١ القَلْتُ، بإسكان اللَّام: النَّقْرَةُ فِي الْجَبَلِ تُسَمَّى الْمَاءُ؛ وَفِي التَّهْدِيدِ: كَالنَّقْرَةِ تُكُونُ فِي الْجَبَلِ، يَسْتَنْقِعُ فِيهَا الْمَاءُ؛ وَالْجَمْعُ قَلَاتٌ. (لسان العرب).

- طريق حرة الرهاة: هي طريق أقرب قليلاً من طريق نقب البكرة، ولكن السير عليها يتطلب الصعود أولاً على ظهر حرة الرهاة. والصعود عليها من شعيب العرقوبية، أحد شعاب وادي لالا، يتطلب جهداً عظيماً، ووقتاً طويلاً، إضافة إلى قلة المراعي والمياه على ظهر الحرة، والجيش عدده كبير جداً، ومن المؤكد أن موارد الحرة المائية والنباتية لا تتحمله، وسيتمين لنا ذلك لاحقاً في رحلة العودة من تبوك.

الطريق من قاع لالا إلى تبوك

بالمفاضلة بين الطرق الثلاثة؛ أيهما يُفترض أن يسلكه الجيش، فإن المنطق يرجح طريق النقيب (نقب البكرة)، وخاصة إذا علمنا أن وجود الجيش في قاع لالا يثبتنا أن النية متجهة إلى سلوك درب النقيب، إضافة إلى أن هناك معالم على هذا الطريق فيها إشارة إلى أن الجيش النبوي قد سلكه، وستتطرق إلى ذكر ذلك في موضعه.

لذلك نرجح أن الجيش النبوي سلك طريق النقيب في رحلة الذهاب إلى تبوك.

المنزل الثالث عشر وادي الراشدة (وادي الأخضر)

غادر الجيش النبوي منطقة الجوّ العديّة ليدخل بين جبال بركانية، وممرات وثنيا ضيقة، ولكن لا مفرّ منها، فالطرق الأخرى إلى تبوك إما أكثر وعورة أو أقلّ ماءً وكلاً، فالعبور منها يعرض هذا



مصدر الرائدة
27°42'09.9"N
17°07'16.7"E

الجيش العرمرم لخطر العطش والجوع ونفوق الدواب، والتاريخ يخبرنا بمصير حملات عسكرية قام بها الرومان والآشوريون وغيرهم حاولوا التوغل في الجزيرة العربية فكان مصيرهم الفناء.

انطلق الجيش النبوي يكابد صعاب هذه المرحلة بقوة عزمته وصدق إيمانه، وسمو الهدف الذي يسعون من أجله، وهو نشر دين الله في الأرض وإخراج البشر من عبادة المخلوقين إلى عبادة الخالق، وهم مستعدون لدفع الثمن مهما كان غالياً، وأسوتهم في ذلك قائدهم رسول الله ﷺ.



بعد السير الشاق مسافة حوالي ٤٠ كم نزل الجيش في وادي يسمى اليوم

وادي الراشدة، أحد كبار روافد وادي الأخضر، وفي موضع قريب من التقائه معه، وتوزع الجيش بين وادي الراشدة ووادي الأخضر.

يتميز موضع نزول الجيش في وادي الراشدة بوجود ملازم للماء، وقلّتين عظيمتين، ترويان الجيش إن كانتا ممتلئتين^١.

صلاة رسول الله ﷺ بصلاة عبد الرحمن بن عوف رضی الله

عنه:

من المرجح، وحسب تسلسل المنازل أن الواقعة التي يرويها المغيرة بن شعبة عن إمامة عبد الرحمن بن عوف بالنبي ﷺ في صلاة الصبح، كانت في هذا المنزل.

٦٧٢

يقول المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه): "كُنَّا بَيْنَ الْحِجْرِ وَتَبُوكَ فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ، وَكَانَ إِذَا ذَهَبَ أَبْعَدَ، وَتَبِعْتَهُ بِمَاءٍ بَعْدَ الْفَجْرِ، فَأَسْفَرَ النَّاسُ بِصَلَاتِهِمْ - وَهِيَ صَلَاةُ الصُّبْحِ - حَتَّى خَافُوا الشَّمْسَ، فَقَدَّمُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَصَلَّى بِهِمْ. فَحَمَلَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِدَاوَةً فِيهَا مَاءٌ، فَلَمَّا فَرَّغَ صَبَبَتْ عَلَيْهِ فَعَسَلَ وَجْهَهُ. ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَغْسِلَ ذِرَاعَيْهِ فَضَاقَ كُمُ الْجُبَّةِ - وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ رُومِيَّةٌ - فَأَخْرَجَ يَدَيْهِ مِنْ تَحْتِ الْجُبَّةِ فَعَسَلَهُمَا وَمَسَحَ خُفَيْهِ. وَأَنْتَهَيْنَا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَقَدْ رَكَعَ بِالنَّاسِ، فَسَبَّحَ النَّاسُ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ حِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَادُوا أَنْ يَفْتَنُوا، فَجَعَلَ عَبْدُ

^١ وقد وصف الإخوة فريق الصحراء، هذه المرحلة وصفاً دقيقاً لا مزيد عليه.

الرَّحْمَنِ يُرِيدُ أَنْ يَنْكُصَ وَرَاءَهُ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُبْتُ،
 فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَكْعَةً، فَلَمَّا سَلَّمَ عَبْدُ
 الرَّحْمَنِ تَوَاتَبَ النَّاسُ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي الرُّكْعَةَ الْبَاقِيَةَ،
 ثُمَّ سَلَّمَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتُمْ! إِنَّهُ لَمْ يُتَوَفَّ نَبِيٌّ حَتَّى يُؤْمَهُ رَجُلٌ صَالِحٌ
 مِنْ أُمَّتِهِ^١.

خبر الأجير ورجل من العسكر

وأثناء يومئذ يعلى بن منية بأجير له قد نازع رجلاً من العسكر فعضه الرجل،
 فانتزع الأجير يده من في العاض فانتزع ثنيتيه، فلزمه المجروح وبلغ به النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال: يعمد أحدكم فيعض أخاه كما يعض الفحل! فأبطل صلى الله
 عليه وسلم ما أصاب من ثنيتيه^٢.

وادي الراشدة

وادي الراشدة من أودية حرة الرهاة، المهمة، وأحد الروافد الكبيرة لوادي
 الأخضر.

وتنبع أهميته من مرور طريق نقب البكرة به، ووجود أكبر خزان طبيعي للماء
 فيه قرب الطريق، وهو حفرة كبيرة (قلته) في صخور الوادي، يمكن أن تستوعب
 آلاف الأطنان من الماء إذا امتلأت، وقد تكون هي السبب الرئيسي لجعل سلوك

^١ المغازي، ١٠٠٩/٣، انظر المستدرک للحاکم، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل

^٢ المصدر السابق

هذا الطريق ممكناً للقوافل الكبيرة، يضاف إلى هذا الخزان المائي وجود ملازم مائية أخرى متفرقة في الوادي.



مصمد الراشدة (المصدر: فريق الصحراء)

٦٧٤

وقد ورد هذا الخزان المائي ابنُ فضل الله^١ سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة، وقال عنه: أنه يظن أنه إذا امتلأ من مياه الأمطار يكفي أهل تهامة والحجاز سنة كاملة^٢.

يقول الأستاذ ناصر العطوي عن وادي الراشدة: "بفتح الراء ثم ألف وإسكان الشين وفتح الدال ثم تاء مربوطة؛ وإِدِ يقع جنوب شرق تبوك، شمال شرق حرة

^١ أحمد العُمري (٧٠٠ - ٧٤٩ هـ) (١٣٠٠ - ١٣٤٨ م) أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المغلى بن دعجان بن خلف بن نصر القرشي، العدوي، الغمري، دمشقي، الشافعي (شهاب الدين أبو العباس) اديب، ناظم، ناثر، مؤرخ، ولد بدمشق، وتولى القضاء، وتوفي بها يوم عرفة.

من مؤلفاته: مسالك الابصار في ممالك الامصار في ازيد من عشرين مجلدا. (معجم المؤلفين- عمر بن رضا كحالة)

^٢ للاطلاع على وصف وافٍ لوادي الراشدة والمرحلة التي بعده، ينظر موقع (فريق الصحراء) الالكتروني، رحلة: "من الجعر الى تبوك (٣): درب نقب البكرة- تبوك"

الرهاه، وهو أحد فروع وادي اللعبان، ويصب في وادي الأخضر.

ويسلك الراشدة طريق القوافل القديم (طريق نقب البكرة). ويوجد في الراشدة سدّ طبيعي كبير عند الدرجة ١٥٣-٤٢-٢٧ شمالاً، ٣٧-٠٧-٢٦٤ شرقاً، وارتفاع ١٢٣٠ متراً. وتبلغ أبعاده: ٣٠x٢٥ متراً وعمقه ١٥ متراً تقريباً، ويمكن الوصول إليه من أسفل الوادي أو غربه. وإذا سال الوادي تبقى المياه فيه لفترة طويلة. وشاهدته وهو مليء بالمياه عام ١٤٠٥هـ، وعام ١٤٣٠هـ. وأسفل منه غدران تسمى العاقولة، ويمرّ طريق نقب البكرة^١

مصمّد الأثفة



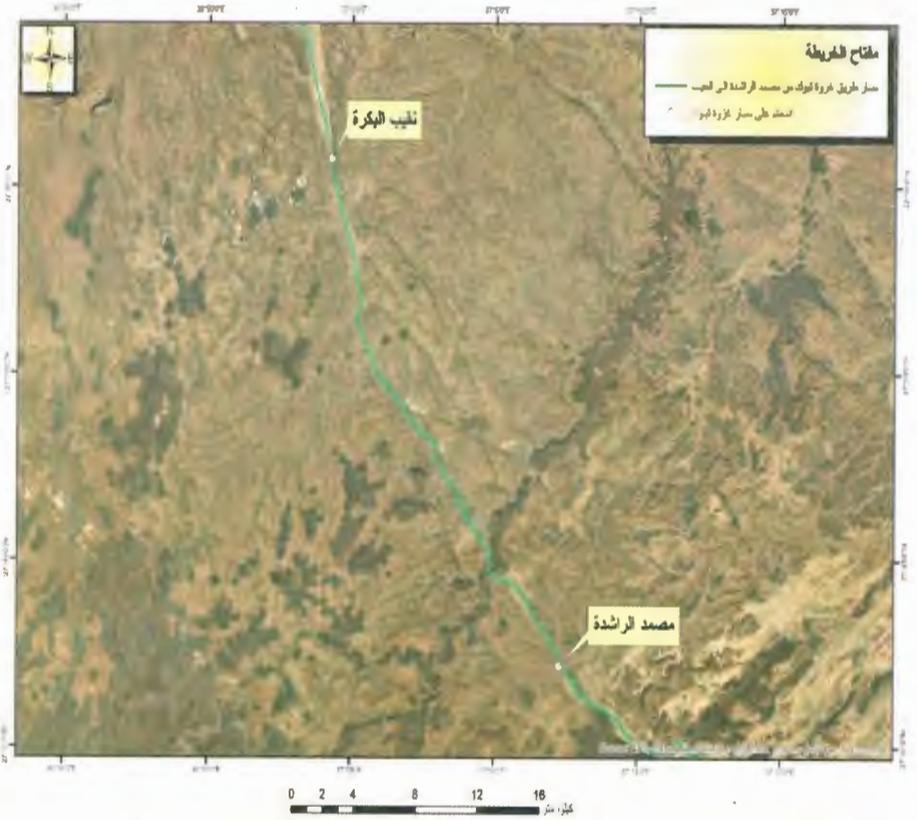
مصمّد الأثفة
27°38'27.7"N
37°10'58.5"E

قبل الوصول إلى وادي الراشدة، وأسفل جبال (أم جذائذ) توجد قلعة عظيمة، لا تقل في الاتساع عن قلعة الراشدة تدعى (مصمّد الأثفة)^٢

^١ بهذا الحساب تكون الطاقة الاستيعابية لهذا الخزان ١١٢٥٠ طن متري

^٢ معجم تبولك، ١٨٨/٢

^٣ نسبة إلى اسم جبل قريب منها.



المنزل الرابع عشر وادي النقيب

بعد أن استقى الجيش النبوي من ماء وادي الراشدة، واستراح قليلاً من عناء المرحلة السابقة الطويلة المضية، ارتحل آخذاً في وادي الأخضر، الذي سيسير فيه مسافة ٥, ٢ كم ثم يتركه يميناً ليأخذ طريق النقيب.

وبعد حوالي ٢٠ كم وصلت طلائع الجيش إلى النقب الذي سميت الطريق به (نقب البكرة)، وبدأ بالنزول منه إلى (وادي النقيب)، وهو وادٍ طويل (طوله ٢٠ كم) وفيه تلاحقت كتائب الجيش وتوزعت في جنباته حتى ملأته.



وادي النقيب

النوم حتى خروج وقت صلاة الصبح

هبطت كتائب الجيش من العقبة، ومن المؤكد أن ذلك أخذ وقتاً طويلاً، لصعوبة العقبة وضيقها وكثرة الناس والدواب، لذلك سيكون اكتمال انتشارهم في وادي النقيب بعد مُضي وقت طويل من الليل.

بعد أن اطمأن النبي ﷺ على سلامة جيشه، بعد مكابדתه النزول من تلك العقبة التي لم يمرّوا بمثلها في مسيرهم، وبعد أن هدأت الأصوات ونام الجميع، طلب النبي ﷺ من بلال (رضي الله عنه) أن يرقب لهم طلوع الفجر ويوقظهم للصلاة.

ونترك الصحابي الجليل عقبة بن عامر (رضي الله عنه) يخبرنا بما حصل بعد ذلك:

"خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ، حَتَّى إِذَا كُنَّا مِنْهَا عَلَى لَيْلَةٍ اسْتَرْقَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ حَتَّى كَانَتْ الشَّمْسُ قَيْدَ رُمْحٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا بِلَالُ، أَلَمْ أَقُلْ لَكَ ائْكُلْ لَنَا اللَّيْلَ؟ فَقَالَ بِلَالٌ: ذَهَبَ بِي النَّوْمُ، ذَهَبَ بِي الَّذِي ذَهَبَ بِكَ! قَالَ: فَارْتَحِلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، ثُمَّ صَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ هَدَّبَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ بِتَبُوكَ"^١

^١ هذب: أسرع في السير (كتاب العين)

^٢ المغازي، ١٠١٥/٣، دلائل النبوة للبيهقي ٢٥١/٥.



وادي النقيب (نقب البكرة)



نفس البكرة
27°55'44.6"N
36°59'16.6"E

وادي النقيب؛ تصغير نقب، وهو نسبة إلى نقب في الجبال المطلة على تبوك من الجهة الجنوبية الشرقية، عُرف باسم (نقب البكرة)^١. وهي عقبة كأداء، لكن لا بد لمن يأخذ هذا الطريق أن يمر بها.

ووادي النقيب يسيل من جبل يسمى باسمه، ويتجه شمالاً لمسافة ٢٠ كم تقريباً فيختلط مع وادي غضي ونعام والأثيلي، التي تذهب مع بقية الأودية إلى وادي الأخضر ثم في قاع شروري، شمال تبوك.

ووادي نقيب البكرة: "نقب (دبة أو عقبة) يقع جنوب شرق تبوك عند الدرجة ٥٥-٢٧ شمالاً، ٥٩-٣٦ شرقاً وارتفاع ١٠٧٦ متراً (عن سطح البحر)، بين وادي نعام الذي تذهب سيوله لوادي أبو نشيفة ووادي الزرداب الذي تذهب سيوله إلى وادي أبو حلفاء ثم الأخضر.

ووادي نقيب البكرة ينشأ من مرتفع نقيب البكرة، يتجه إلى الشمال ويصب

وقد وردت روايات أخرى أن ذلك كان زمن الحبيبية، انظر: سنن أبي داود رقم (٤٤٧)، ومسنن أحمد ١٧٠ / ٦، رقم [٣٦٥٧] أرناؤوط، وابن أبي شيبة ١٣ / ٢، والطبري في تفسيره ٦٩ / ٢٦، والبيهقي في الدلائل ٤ / ٢٧٤-٢٧٥.

ورودت روايات أخرى أن ذلك كان في غزوة خيبر، انظر: صحيح مسلم (٤٧١/١) ابن حبان في صحيحه ٥ / ٤٢٢ رقم (٢٠٦٩)، وأخرجه ابن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب مرسلًا، ابن هشام ٢ / ٣٤٠، وأخرجه مالك في الموطأ ١ / ١٣، كتاب وقوت الصلاة، باب النوم عن الصلاة عن الزهري عن سعيد بن المسيب مرسلًا، ومن طريقه أخرجه الشافعي في المسند ١ / ٥٥ رقم (١٦٢). ويمكن الجمع بين الروايات بالقول بتعدد القصة، انظر: شرح النووي على مسلم ١ / ١٨١-١٨٢، وفتح الباري ١ / ٤٤٩.

^١ وسمي بدرب البكرة لحكاية لطيفة، مضمونها أن أحد الركب امتطى ناقة صغيرة السن بعد أن ولدت، وترك مولودها في وادي الحجر، فلما وصل تبوك عقلتها ابنته، وقال لها: هل عقلت البكرة جيدًا؟! فقالت: حتى اهترت جذلة رأسي، وسرت البكرة على ثلاثة أرجل عائدة إلى وليدها وديارها ليلاً، فلما أفاق صاحبها لم يجدها، واقتفى أثرها، فوجدها على بعد خمسين كيلاً واقفة على عقبة من الطريق وقد برزت أكتافها من جلدها، وهي ما زالت بعقالها (عن د. مسعد بن عيد العطوي)



ويسلك مع وادي النقيب طريق (تبوك- الجوّ-العلا) القديم، والطريق
الممهّد الحديث الذي يربط تبوك بالجوّ (الصلبية)^١.

^١ معجم تبوك، ٣/٣٣٤، مصدر سابق. لكن في الحقيقة هذا الطريق ليس ممهّداً، والسير فيه يتم بالتباعد أثر السيارات، ويصعب السير معه بدون دليل عارف بالطريق.



طوَيْلُ النَبِيَّةِ (طوَيْلُ النَّبِيِّ)



طويل النبي
28°11'55.0"N
36°44'03.0"E

هذا الطوَيْلُ بهذا الاسم المتوارث عند أهل تلك الديار منذ قديم الزمان فيه دلالة على علاقة هذا الأثر بالنبي ﷺ. ويعتبر من المرجحات الدالة على مروره ﷺ على طريق النقيب، ولا بد أن يكون ذلك في ذهابه، لأن إياه من طريق المدراة مؤكد لوجود عقبة الزراب والمساجد على ذلك الطريق.

وقد أشار د. مسعد بن عيد العطوي إلى احتمالية هذا الأمر، وإن كان هو لا يرى أن الجيش النبوي سلك طريق النقيب، فقال: "وهناك إشارات توهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم سلك هذا الطريق، وأول هذه الإشارات وجود جبل منفرد يسمى طوَيْلُ النبية جنوب تبوك على بداية ذلك الطريق فكأنه (طوَيْلُ النَّبِيِّ)،

¹ يعني: جبل صغير

وهناك مسجد يشيرون إليه فيه كتابة أثرية غير منقطة اطلعت عليها في مكان فسيح
بعض الشيء ..^١

أما ناصر بن محمد العطوي فقد أعطانا تفاصيل أكثر عن هذا الأثر، فقال: "طويل النية: مرتفع ترابي غير بركاني مخروطي صغير يقع جنوب شرق تبوك، فيه آثار محراب مبني من الحجارة القديمة، ويتصل بمواقع تبوك القديمة"^٢



آثار المحراب

قلت: يبعد المسجد الأثري المشار إليه في طويل النية عن مكان نزول النبي ﷺ في تبوك ٢٦ كم. فإذا كان هذا المسجد من المساجد النبوية التي فات على أصحاب المغازي ذكرها، فأرجح أن النبي ﷺ نزل هذا المكان وصى صلاة الصبح، ثم استأنف المسير حتى ورد عين تبوك بعد الضحى حسب ما جاء في

^١ تبوك المعاصرة، ص ١٣٦

^٢ معجم تبوك، ص ٤٢٨/٢

المنزل الخامس عشر (تبوك)

المسافة بين منزل الجيش في وادي النقيب ومنزله ﷺ في تبوك حوالي ٥٠ كم، سارها الجيش من آخر النهار، أو أول الليل إلى نهار اليوم التالي حتى وصلوا تبوك، وهذا ما قاله النبي ﷺ لهم وهم في منزلهم هذا.

روى البخاري ومسلم وأصحاب السنن، واللفظ لمسلم، قال: " حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَنْفِيُّ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ وَهُوَ ابْنُ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ، أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَخْبَرَهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا آخَرَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، ثُمَّ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتَوْهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِي»^١

قلت: يُلاحظ هنا اختلاف يسير في بدء المسير من هذا المنزل إلى تبوك بين أهل الحديث وأصحاب السير، فالأولون على أنه ﷺ استأنف المسير بعد أن صلى المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، أما الواقدي وغيره من المؤرخين فقالوا إن ذلك

^١ صحيح مسلم، ٤/١٧٨٤، المحقق: محمد فواد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت



تبوك

٦٨٤

يرى ألويس موسل^١ أن تبوك اسم قديم لهذا الموضع، ذكره بطليموس (القرن الثاني الميلادي) باسم (تباوا) عند الحدود الشمالية الغربية لبلاد العرب السعيدة، وأن هذا الاسم يُعتبر تحريفاً للفظة تبوكا أو تبوك، إذ ينطبق المكانان كل منهما على الآخر^٢.

^١ الويس موسيل (بالإنجليزية Alois Musil) : (٣٠ يونيو، ١٢ - ١٨٦٨ أبريل، ١٩٤٤)، أحد مستشرفي الإمبراطورية النمساوية المجرية، أستاذ جامعي وأحد مشاهير الرحالة الأوربيين الذين قاموا بزيارة الجزيرة العربية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. اكتشف في عام ١٨٩٨ قصور بني أمية الصحراوية. عاش في بلاد الشام وشمال شرق شبه الجزيرة العربية ووسطها، كمستشرق ومدرس وباحث جغرافي واجتماعي وسياسي، حيث خالط البدو من سنة ١٩٠٨ م إلى سنة ١٩١٤ م (ويكيبيديا)

^٢ شمال الحجاز، الويس موسل ص ١٤٠، ترجمة د. عبد المحسن الحسيني- مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية

أما القول بأنها سُميت تبوك " لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى قومًا من أصحابه يبكون حسي تبوك، أي يدخلون فيه القدح ويحركونه ليخرج الماء، فقال: (ما زلتُم تبكونها بوكا) فسميت تلك الغزوة غزوة تبوك^١ - فهو غير صحيح، فالاسم معروف قبل الغزوة.

فتعليل كل اسم قد تأثر بما عُرف عن المتقدمين من محاولتهم تعليل كل اسم قديم بما يتفق مع التعليل العربي، فهناك أسماء يجهل العرب معناها، ويتمحل اللغويون والإخباريون في تأويلها معاني بعيدة عن الحقيقة^٢.

تبوك عند الرحلة المتقدمين

وصف البلخي تبوك بقوله: "تبوك بين الحجر وبين أول الشام على أربع مراحل نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخيل، وحائط ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب كانوا بها، ولم يكن شعيب منهم، وإنما كان من مدين"^٣.

زار محمد بن رُشيد الأندلسي (القرن السابع) تبوك، وقال إنه قد رآها وقد ملئت جنانا من نخيل، وبينها يسير زرع للأعراب، ورأى عين تبوك كصهريج كبير مطوي بالحجر، يجتمع فيه ماء كثير، وماؤها عذب كثير. ثم نقل قول ابن وضاح (ت ٢٨٧) إنه رأى تبوك وما حول العين كله جنانا خضرة نضرة^٤.

^١ صحيح السيرة النبوية لإبراهيم بن محمد بن حسين العلي، ٤٦٤/١

^٢ حمد الجاسر - في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٣٧

^٣ المسالك والممالك، ص ٢٤، مصدر سابق

^٤ شمال غرب الجزيرة لحمد الجاسر، ص ٤٤٠

وفي سنة ١١٩٣هـ وصفها صاحب رحلة بهجة المنازل بأن فيها الكثير من البساتين وعيون الماء العذبة، وقد بنى السلطان سليمان (القانوني) فيها قلعة وبركة، وتملأ البركة من عين مجاورة لها، وهي عين كثيرة الماء، وخارج القلعة بساتين الرمان والتين والعنب وغيرها من الفواكه والخضروات الورقية^١.

وما نقله هؤلاء الرحالة على مرّ العصور مصداق لقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه-: "يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد مليء جنانا"^٢.



عين تبوك

تقع العين إلى الجهة الجنوبية الغربية من مسجد التوبة (مسجد تبوك التاريخي) على بعد نحو ٤٠٠ متر، وسُميت في عصر متأخر بعين السكر. وهذه

^١ رحلة بهجة المنازل، محمد أديب، ص ٥٣، قراءة وترجمة أ.د. هشام بن محمد علي عجمي، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م

^٢ جامع الصحيحين، للحافظ أبي نعيم الحداد (ت ٥١٧) ط ١، المحقق: لجنة مختصة من المحققين، الناشر: دار النوادر- دمشق

العين من دلائل النبوة، فمنذ أن تفجرت على يدي رسول الله ﷺ استمرت تمد
المسافرين والمقيمين بالماء العذب المعين حتى وقت قريب حينما اتجه الناس
لحفر الآبار الارتوازية، وعلى إثرها غارت كل العيون، ليس في تبوك فحسب، بل
في معظم أنحاء البلاد.

موقع مسجد تبوك



موقع مسجد التوبة
28°23'02.8"N
36°33'27.4"E

يقع المسجد في وسط مدينة تبوك، ويسمى مسجد التوبة،

وهذا اسم قديم له، قال ابن زبالة: ويقال له مسجد التوبة.

قال المطري: وهو من المساجد التي بناها عمر بن عبد العزيز.

قال المجد: دخلته غير مرة، وهو (على) عقود مبنية بالحجارة.

وجدد المسجد مرات عديدة آخرها في عهد الملك فيصل (رحمه الله) عام

١٣٩٤هـ.



بعض ما جرى من أحداث ومعجزات أثناء مكوث النبي ﷺ في

٦٨٨

تبوك

أقام النبي ﷺ في تبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة، (وَهَرَقْلُ يَوْمَئِذٍ بِحِمَصَ)،^١ وجرت عدة أحداث ومعجزات نبوية، خلال إقامته تلك، نوجز بعضها فيما يلي:

- أول تلك الأحداث ظهور بركته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عين تبوك، عندما جاءها وهي تبض بقليل من الماء "فغرفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء"، قال: وغسل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه يديه

^١ موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان. إسناده صحيح، والحديث في الإحسان ٤/ ١٨٣ برقم (٢٧٣٨).
^٢ المغازي، ٣/ ١٠١٤.

ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر - أو قال: غزير - قال: فاستقى الناس ثم قال: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد مليء جنانا^١.

- لما انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى تبوك وضع حجرا قبلة مسجد تبوك بيده

وما يلي الحجر، ثم صلى بالناس الظهر، ثم أقبل عليهم فقال: "ما هاهنا شام، وما هاهنا يمن"^٢.

- فلما استقر المقام بالنبي ﷺ في منزله في تبوك، التحق به أبو خيثمة، وقد كان على وشك أن يكون معدوداً في المخلفين. يقول أبو خيثمة رضي الله عنه:

"تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلت حائطاً فرأيت عريشاً قد رش بالماء، ورأيت زوجتي فقلت: ما هذا بإنصاف، رسول الله صلى الله عليه وسلم في السموم والحرور وأنا في الظل والنعيم، فقمتم إلي ناضح لي وتمرات فخرجت، فلما طلعت على العسكر فرآني الناس، قال النبي: كن أبا خيثمة فجئت، فدعا لي"^٣.

١ صحيح مسلم

٢ المغازي، ١٠٢٣/٣

٣ البيهقي التَّبَوُّة الصَّحِيحَةُ مَحَاوَلَةٌ لِتَطْبِيقِ قَوَاعِدِ الْمُحَدِّثِينَ فِي نَقْدِ رَوَايَاتِ الْمَبْتَدِئَةِ النَّبَوِيَّةِ، ٢/ ٥٢٩، د. أكرم ضياء العمري، ط٦، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.



- بعد أيام من نزول النبي ﷺ تبوك توفي عبد الله ذو البجادين^١. فكان بلال بن الحارث يقول: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفاً بها، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبر، وإذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يدلّيانه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: أدنيا إليّ أخاكما! فلما هيأه لشفقه قال: اللهم إني قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه. قال: فقال عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب اللحد!^٢.

- وكان رجل من بني سعد هذيم^٣ شاهداً على ثلاث معجزات في تكثير الطعام.

يقول أخو سعد هذيم "جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو جالس بتبوك في نفر فقال «يا بلال أطعمنا». فبسط بلال نطعا ثم جعل يخرج من حميت له فأخرج خرجات بيده من تمر معجون بسمن وأقط، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

«كلوا» فأكلنا حتى شبعنا، فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأكل هذا وحدي، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معاء واحد»، ثم جئت في الغد متحيناً لغدائه لأزداد في الإسلام يقيناً، فإذا عشرة

^١ عبد الله ذو البجادين، وهو ابن عبد نهم بن عفيف بن سحيم المزني.
 قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وكان اسمه عبد العزى، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، وهو الذي دل النبي ﷺ على ثنية الغائر في طريق الهجرة، وكان أواها فاضلاً كثير التلاوة للقران العزيز.
^٢ المغازي، ١٠١٤/٣، سيرة ابن هشام، ٥٢٨/٢، عيون الأثر، ٢٧٤/٢.
^٣ سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحاف بن قضاة. ويعتبر جداً جامعاً لقبائل من قضاة هي: الحارث وعذرة وسلامان وضنة

نفر حوله فقال: «هات أطعمنا يا بلال» فجعل يخرج من جرابٍ تمرًا بكفه قبضة قبضة فقال: «أخرج ولا تخش من ذي العرش إقلالا» فجاء بالجراب ونشره. فقال: فحزرته مدين، فوضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يده على التمر وقال: «كلوا باسم الله» فأكل القوم وأكلت معهم، وأكلت حتى ما أجد له مسلکًا. قال: وبقي على النطع مثل الذي جاء به بلال كأننا لم نأكل منه ثمرة واحدة. قال: ثم غدوت من الغد وعاد نفر فكانوا عشرة أو يزيدون رجلاً أو رجلين. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «يا بلال أطعمنا» فجاء بلال بذلك الجراب بعينه، أعرفه، فشره، ووضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يده عليه وقال: «كلوا باسم الله» فأكلنا حتى نهلنا ثم رجع مثل الذي صبّ فعل ذلك ثلاثة أيام¹.

- وقدّم من بني سعد هذيم قوم فقالوا: يا رسول الله! إنا قدمنا عليك وتركنا أهلنا على بئر لنا قليل ماؤها وهذا القيظ، ونحن نخاف إن تفرّقنا أن نقتطع، لأن الإسلام لم يفش حولنا، فادع الله لنا في مائنا، فإننا إن رويناه به فلا قوم أعزّ منا، لا يقربنا أحد مخالف لديننا. فقال: أبغوني حصيات، فدفع إليه ثلاث حصيات فعركهنّ بيده، ثم قال: اذهبوا بهذه الحصيات إلى بئركم فاطرحوا واحدة واحدة وسمّوا الله. فانصرفوا، ففعلوا ذلك فجاشت بئرهم بالرواء، ونفوا من قاربهم من المشركين ووطئوهم.

فما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حتى أوطئوا من حولهم

¹ سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد للصالحى، مصدر سابق، ٥٤٤/٥

غلبة. ودانوا بالإسلام".^١

- وفي تبوك أرسل النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد مع عدد من الصحابة إلى دومة الجندل وقد ذكر عروة بن الزبير مرسلًا أنه أرسله في أربعمائة وعشرين فارسًا، حيث أسر أكيدر بن عبد الملك الكندي - ملكها - وهو في الصيد خارجها، فصالحه النبي صلى الله عليه وسلم على الجزية. وكتب له كتابًا فيه أمانهم، وما صالحهم عليه.

وقد تعجب المسلمون من قِباء كان أكيدر يلبسه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا".

وقد ورد أن غنائم خالد من أكيدر كانت ثمانمائة من السبي وألف بعير وأربعمائة درع وأربعمائة رمح.

نص كتاب النبي ﷺ لأكيدر

"قَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ دُومَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ لَهُ هَذَا الْكِتَابَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِأَكِيدِرٍ حِينَ أَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ وَالْأَصْنَامَ، مَعَ خَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ سَيْفِ اللَّهِ، فِي دُومَةِ الْجَنْدَلِ وَأَكْنَفِهَا. وَإِنَّ لَنَا الصَّاحِيَةَ مِنَ الصُّحُلِ، وَالْبُورِ، وَالْمَعَامِي، وَأَغْفَالِ الْأَرْضِ، وَالْحَلَقَةِ، وَالسَّلَاحِ، وَالْحَافِرِ، وَالْحِصْنِ، وَلَكُمْ الضَّامِنَةُ مِنْ

^١ إمتاع الأسماع للمقريزي، مصدر سابق، ٦٨/٢

النَّخْلِ، وَالْمَعِينُ مِنَ الْمَعْمُورِ بَعْدَ الْخُمْسِ، لَا تُعَدَّلُ سَارِحَتُكُمْ وَلَا تُعَدَّ فَارِدَتُكُمْ، وَلَا يُحْظَرُ عَلَيْكُمُ النَّبَاتُ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ عَشْرُ النَّبَاتِ، تُقِيمُونَ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا، وَتُؤْتُونَ الزَّكَاةَ لِحَقِّهَا. عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، وَلَكُمْ بِذَلِكَ الصَّدَقُ وَالْوَفَاءُ. شَهِدَ اللَّهُ وَمَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ: الضَّحْلُ: الَّذِي فِيهِ الْمَاءُ الْقَلِيلُ، وَالْبُورُ: مَا لَيْسَ فِيهِ زَرْعٌ، وَالْمَعَامِي: مَا لَيْسَتْ لَهُ حُدُودٌ مَعْلُومَةٌ، وَأَغْفَالُ الْأَرْضِ: مِيَاهٌ، وَلَا تُعَدَّ فَارِدَتُكُمْ: يَقُولُ لَا يَعَدُّ مَا يَبْلُغُ أَرْبَعِينَ شَاةً، وَالْحَافِرُ: الْخَيْلُ، وَالْمَعِينُ: الْمَاءُ الظَّاهِرُ، وَالضَّامِنَةُ مِنَ النَّخْلِ: النَّبَاتُ مِنَ النَّخْلِ الَّتِي قَدْ نَبَتَتْ عُرُوفُهَا فِي الْأَرْضِ، وَلَا يُحْظَرُ عَلَيْكُمُ النَّبَاتُ: وَلَا تَمْنَعُوا أَنْ تَزْرَعُوهُ".

٦٩٣

قدوم يُحَنَّةَ بن رُوْبَةَ الأيلي: كان يحنة بن رُوْبَةَ صاحب أيلة^١ أحد الأمراء المقيمين على الحدود بين الشام والحجاز، وقد سمع ما آل إليه أمر أكيدر فبادر بالقدوم على رسول الله ﷺ، ومعه أهل جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ^٢، فصالحه وأعطاه الجزية، فأمنه وكتب له كتابا.

كتاب رسول الله ﷺ لِيُحَنَّةَ^٣

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة

بن رُوْبَةَ وأهل أيلة،

^١ هي إيلات الميناء المعروف اليوم في فلسطين قرب العقبة
^٢ جربا وأذرح قريتان معروفتان جنوب الأردن، في قضاء معان.
^٣ الاسم النصراني للنبي يحيى (عليه السلام)

سفنهم وسيارتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله، وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً، فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يُمنعوا ماء يريدونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر» وأعطاهم النبي برده مع كتابه زيادة في الأمان لهم.

كتاب رسول الله ﷺ لأهل أذرح

"قَالَ الْوَاقِدِيُّ: نَسَخْتُ كِتَابَ أَذْرَحَ وَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ أَذْرَحَ، أَنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَأَمَانِ مُحَمَّدٍ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ مِائَةَ دِينَارٍ فِي كُلِّ رَجَبٍ وَافِيَةَ طَبِيبَةٍ، وَاللَّهُ كَفِيلٌ عَلَيْهِمْ بِالنَّصْحِ وَالْإِحْسَانِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ لَجَأَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَخَافَةِ وَالتَّعْزِيرِ إِذَا خَشَوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ آمِنُونَ، حَتَّى يُحْدِثَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدٌ قَبْلَ خُرُوجِهِ".^١

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل مقنا^٢

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني جَنْبَةَ؛ وهم يهود بمقنا وإلى أهل مقنا، ومقنا قريب من أَيْلَةَ: أما بعد فقد نزل عليّ آيتكم راجعين إلى قريبتكم فإذا جاءكم كتابي هذا فإنكم آمنون لكم ذمة الله وذمة رسوله وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم غافر لكم سيئاتكم وكل ذنوبكم وإن لكم ذمة الله وذمة رسوله لا

^١ السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبه، ٥٠٣/٢، ط٨، الناشر: دار القلم - دمشق

^٢ المغازي، ١٠١٧/٣

^٣ معروفة اليوم، قرية على الساحل الشرقي لخليج العقبة، في المملكة العربية السعودية

ظلم عَلَيْكُمْ وَلَا عَدَىٰ وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَارَكُمْ مِمَّا مَنَعَ مِنْهُ نَفْسَهُ
فَإِنْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَزْكَمُ وَكُلِّ رَقِيقٍ فِيكُمْ وَالْكَرَاعِ وَالْحَلَقَةِ إِلَّا مَا
عَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ أَوْ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ عَلَيْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
رَبِيعٌ مَا أَخْرَجَتْ نَخْلَكُمْ وَرَبِيعٌ مَا صَادَتْ عُرُوكُمْ وَرَبِيعٌ مَا اغْتَزَلَتْ نِسَاؤُكُمْ وَإِنَّكُمْ
بَرِئْتُمْ بَعْدَ مِنْ كُلِّ جِزْيَةٍ أَوْ سَخْرَةٍ فَإِنْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ فَإِنَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْرِمَ كَرِيمَكُمْ وَيَعْفُو عَنْ مَسِيئَتِكُمْ. أما بعد: فَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُسْلِمِينَ مَنْ أطلع أهل مقنا بخير فهو خير له ومن أطلعهم بشر فهو شر له وأن
لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَمِيرٌ إِلَّا مَنْ أَنْفَسَكُمْ أَوْ مِنْ أَهْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".^١

مشاورة النبي ﷺ أصحابه في التقدم إلى الشام

٦٩٥

وَشَاوَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّقَدُّمِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ كُنْتُ أَمِرتُ بِالْمَسِيرِ فَمَسِرٌ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
لَوْ أَمِرتُ بِهِ مَا اسْتَشَرْتُكُمْ فِيهِ! قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلرُّومِ جُمُوعًا كَثِيرَةً، وَلَيْسَ
بِهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ دَنَوْتَ مِنْهُمْ حَيْثُ تَرَى، وَقَدْ أَفْزَعَهُمْ دُنُوكَ، فَلَوْ
رَجَعْتَ هَذِهِ السَّنَةَ حَتَّى تَرَى، أَوْ يُحْدِثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ فِي ذَلِكَ أَمْرًا".^٢

^١ الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ٢١٢/١

^٢ المسيرة النبوية على ضوء الكتاب والسنة، محمد أبو شهبه

مساجد وأحداث العودة من تبوك

معجزة تكثير الطعام:

كما بدأ النبي ﷺ نزوله في تبوك بمعجزة تكثير الماء، فقد غادرها بمعجزة تكثير الطعام.

يقول أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه -: لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرننا نواضحنا- جمع ناضح وهي الإبل التي يسقى عليها- فنأكل وندهن، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " افعلوا"، فجاء عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: يا رسول الله! لا تفعل، إنهم إن فعلوا نفذ الظهر - وهو ما يُحمل عليه من الإبل - ولا يجدون ما يركبون، ولكن يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم بالبركة، فعسى الله أن يفعل.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم (بالنطع)-أي: بساطٍ من الجلد- فبسطه، وأمرهم أن يأتوا بأزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكفٍ من ذرة، وآخر يجيء بكف من تمر، وثالث يجيء بكسرة خبز حتى اجتمع على النطع شيءٌ قليل من الزاد، فدعا النبي - صلى الله عليه وسلم - ربّه بالبركة في الطعام، فبارك الله لهم في الطعام فقال - صلى الله عليه وسلم -: "خذوا واملأوا أو عيتكم" فملأوا أو عيتهم حتى لم يبق في الجيش وعاء إلا مُلئ.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "أشهد أن لا إله إلا الله، وإني رسول الله، لا يلقي الله بها عبداً غير شاكٍّ فيحجبُ عن الجنة"^١.

وقد حدد الإمام الواقدي أن هذه المجاعة حصلت عندما أجمع النبي ﷺ على العودة من تبوك.

طريق العودة على حرة الرهاة

في طريق عودته ﷺ من تبوك أخذ على حرة تبوك والرهاة، مخالفاً الطريق الذي جاء منه إلى تبوك، وهذا الأمر تكرر منه ﷺ في غزواته، فكان يذهب من طريق ويعود من طريق آخر. حصل هذا في غزوة بدر، والعشيرة، وذات الرقاع، وفي مناسبات أخرى. وهذا من الدلائل التي تشير إلى أن الذهاب إلى تبوك كان على طريق مختلف عن طريق العودة.

وهناك أمر آخر مهم، وهو أن الجيش في العودة من تبوك قد تفرق، فقد انتهت مهمته القتالية، وسلكت كل قبيلة أو مجموعة ما يناسبها من الطرق، فلا شك أن وجودهم ككتلة واحدة يشكل ضغطاً كبيراً على الموارد المائية والنباتية القليلة في الحرة، خاصة أن النبي ﷺ قد اختار سلوك طريق ظهر حرة الرهاة القليلة الماء والكلاء، ولكنه الأقرب إلى منطقة الجوّ، بعد أن استهلك الجيش موارد المياه في طريق نقب البكرة في رحلة الذهاب.

^١ المغازي، ١٠٣٣/٣، سنبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلّاة والسّلام، ٥٣٠/١، صالح بن طه عبد الواحد، ط٢، ناشر: مكتبة الغرباء، الدار الأثرية، صحيح مسلم، ٥٦/١

وسيتبين لنا لاحقاً قلة الجيش المصاحب للنبي ﷺ، وأن عددهم لا يتجاوز بضع مئات، ورغم ذلك عانوا من العطش ثلاث مرات، ولم يحدث لهم هذا في طريق الذهاب، مما يشير إلى اختلاف الطريقين.

المنزل الأول (ثنية مدران)

ارتحل النبي ﷺ من تبوك، وسار في اتجاه الجنوب ميمماً الحرة؛ حرة تبوك، والطريق إليها سهل لا عوائق فيه، وبعد نحو ٤٠ كم صعد في ثنية هي رأس وادي مدران (المدراه). وحط الجيش رحاله في مكان فسيح في ملتقى أودية بُخية ونعام وأثانة.



ثنية مدران

ثنية مدران: مازالت معروفة وتسمى (شُريف المدراه)، سُميت بذلك لأنها رأس وادٍ بهذا الاسم جنوب تبوك.

ويقول البلادي أن المدراه ربما كان هو الاسم الصحيح ثم صُحِّف إلى مدران^١.

قلت: هذا غير مستبعد، فمن يطلع على أسماء المواضع في المصادر يجد العجب من أنواع التصحيفات والتحريفات، وغالب ذلك سببه النسخ.

ولم تزد المصادر على القول إن ثنية مدران تلقاء تبوك، وأن فيها مسجداً للنبي ﷺ.

والمُدْرَاة: " وادٍ يقع جنوب تبوك يوجد أعلاه شريف المدراة. ينشأ من ذراع حرة تبوك الشمالي الشرقي ويتجه إلى الشمال بميل إلى الغرب، ثم ينحني عند مروره بجبل عيرين إلى الشمال الشرقي فيسمى وادي عيرين فيه (قصير تمر)، ثم يطلق على الوادي أسماء أخرى مثل الخور وضبعان إلى أن يختلط مع الأودية التي تمر جنوب مدينة تبوك.



ثنية مدران
28°02'51.2"N
36°36'22.2"E

مسجد ثنية مدران

موضع مسجد الغزوة في الثنية معروف عند أهل تلك الديار،

^١ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٢٨٤

يتعاهدونه، وأقام بعضهم بناءً مؤقتًا في موضع مصلاه ﷺ.

وقال العطوي في معجم تبوك "وتوجد آثار في أعلى الوادي في شريف المدرة المعروف قديمًا بثنية مدران حيث فيه مسجد محدد بالحجارة بدون مؤنة بارتفاع أقل من متر، عند الدرجة: ٨٦٢-٠٢-٢٨ شمالاً، ٣٦٩-٣٦-٣٦ شرقاً، وارتفاع ١٠١٦ م، وقد شاهدته وصليت فيه، ويبعد عن مركز مدينة تبوك ٤٣ كم، وتشير الأقوال إلى أنه المسجد الذي صلى فيه الرسول ﷺ" ^١



المنزل الثاني (وادي أتانة)

ارتحل الجيش من رأس المدراه وأخذ في الاتجاه الجنوب الشرقي سانداً في

^١ معجم تبوك، ٢١٢/٣، مرجع سابق

وادي أتانة، ويسمى أيضاً وادي وتر، وهو وادٍ يتسم بشيء من الوعورة، وبعد نحو ٣٠ كم حط الرحال للاستراحة، وهو مازال في وادي أتانة.



المنزل الثالث (عقبة الزراب)

مؤامرة لاغتيال النبي ﷺ



عقبة ذات الزراب
27°38'33.6"N
36°47'26.1"E

في الليلة الثالثة من مسير النبي ﷺ من تبوك، وكان السير في حرة الرهاة وأوديتها الوعرة، أراد أن يأخذ في شعب ضيق من وادي

الزّراب في أعلاه عقبة، وأمر بقية الجيش أن يأخذ في الوادي فهو أيسر لهم، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان؛ مؤامرة لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم!!!!

روى ابن إسحاق، والإمام البيهقي في الدلائل وغيرهما عن عروة، قال: "ورجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قافلاً من تبوك إلى المدينة، حتى إذا كان ببعض الطريق مكر برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ناس من أصحابه، فتأمروا عليه أن يطرحوه في عقبة في الطريق، فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه، فلما غشيهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبر خبرهم، فقال: "من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم". وأخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - العقبة، وأخذ الناس بطن الوادي إلا الناس الذين مكروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا وقد هموا بأمر عظيم، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فمشيا معه مشياً وأمر عمار أن يأخذ بزمام الناقة وأمر حذيفة أن يسوقها، فبينا هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم من ورائهم قد غشوهم، فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمر حذيفة أن يردهم وأبصر حذيفة غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرجع ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم فضربها ضرباً بالمحجن، وأبصر القوم وهم متلثمون .. فرعبهم الله - عزَّ وجلَّ - حين أبصروا حذيفة وظنوا أن مكربهم قد ظهر عليه، فأسرعوا حتى خالطوا الناس. وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أدركه، قال: "اضرب الراحلة يا حذيفة



وامش أنت يا عمار" فأسرعوا حتى استوى بأعلاها فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لحذيفة: "هل عرفت يا حذيفة من هؤلاء الرهط أو الركب أو أحدًا منهم؟" قال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان وقال: كانت ظلمة الليل وغشيتهم وهم متلثمون فقال - صلى الله عليه وسلم -: "هل علمتم ما كان شأن الركب وما أرادوا؟" قالوا: لا والله يا رسول الله قال: "فإنهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا أظلمت في العقبة طرحوني منها". قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاءك الناس فتضرب أعناقهم؟ قال: "أكره أن يتحدث الناس ويقولوا إن محمدًا قد وضع يده على أصحابه" فسامهم لهما وقال: "اكتماهم".^١



^١ الصَّحِيحُ من أحاديث السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، ٥٢٣/١، محمد بن حمد الصَّوَيْتِي، ط١، الناشر: مدار الوطن للنشر. دلائل النبوة للبيهقي، ٢٥٧/٥.

قلت: بعد أن خرج النبي ﷺ من العقبة نزل وصلى، يرجح أنها المغرب والعشاء، وموضع صلاته معروف إلى اليوم. وبات في المكان ينتظر اكتمال الناس. وفي الصباح جرى مناقشة ما حصل مع كبار صحابته من الأنصار، واتخذ قراره الصائب الذي تقدم ذكره.



٧٠٤

ذات الزراب

ذات الزراب، ويسمى اليوم الزراب فقط؛ وادٍ يقع جنوب شرق تبوك على بعد حوالي ٩٠ كم، يأتي من جبل شيبان- ثاني أعلى جبال حرة الرهاة^١- ويتجه شرقاً فيلتقي مع وادي المسدّ، ثم يفيض مع أودية أخرى في وادي أتانة، الذي ينتهي

^١ الحرات، هيئة المساحة الجيولوجية مرجع سابق

في سهل تبوك.

وفي أعلى شعب من هذا الوادي عقبة تفضي إلى مكان متسع في الحرة يسمى اليوم (شريف الزراب)، وأحداث هذه العقبة هي سبب شهرة هذا الوادي.

وعُرف وادي الزراب في التاريخ الإسلامي بسبب المحاولة الإجرامية التي قام بها بعض المنافقين الذين كانوا يرافقون الجيش وهمّوا بأن يغتالوا النبي ﷺ، بدفعه من عقبة الوادي فتتردى به ناقته إلى أسفل الوادي بين الصخور والجلاميد، ولكنهم باءوا وخسروا. واشتهر الوادي أيضاً لوجود مسجد نبوي في أعلاه معروف لدى أهل تلك الناحية يتوارثون معرفته من لدن الآباء والأجداد، وهو اليوم مقام عليه بناء مؤقت لحفظ الموضع من الاندثار.

المنزل الرابع الأخضر (عين البيضاء)

معجزة انخراق الماء من الصخر

بعد محاولة الاغتيال، وحكمة النبي ﷺ بعدم مؤاخذه المنافقين بما همّوا به، وخروج الجيش من الأودية الوعرة (الزراب والمسد وشعابهما وانتشارهم في أماكن سهلة مستوية من حرة الرحا (الرهاة)، كانوا في حاجة شديدة إلى الماء، وأمّامهم وشلّ ماءه قليل جداً، جاء ذكره في الصحاح.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي الطفيل، قال: "كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ

١ الوشل: حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً، والكلمة ما زالت مستعملة.

الْعَقَبَةِ؟ وَبَيْنَ حُدَيْفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ كَمْ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ؟ قَالَ فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ، قَالَ: كُنَّا نُخْبِرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ، وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حَرَبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، وَعَدَرَ ثَلَاثَةً، قَالُوا: مَا سَمِعْنَا مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشَى فَقَالَ: إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ، فَلَا يَسْبِقُنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَقُوهُ، فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ^١.

قلت: شأن هذه المعجزة ذكره بالتفصيل -كعاداته- الإمام الواقدي، وقال

إنها في وادٍ اسمه وادي الناقة.

وبالوقوف الميداني، وبتتبع سير الأحداث من موقع حصول المؤامرة في العقبة (شريف الزراب)، في حرة الرهاة، ومن ثم مشوا في الحرة (كما جاء في حديث مسلم) وأمامهم الوشل غير بعيد حوالي (٨) كم، كل ذلك يجعلنا نرجح أن هذا الوشل هو عين البيضاء، وأن وادي الناقة هو وادي المخينق، أحد رؤوس وادي الأخضر، حيث كانت فيه هذه العين. والله أعلم.

قال الواقدي -رحمه الله: " وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَافِلًا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ تَبُوكَ وَوَادٍ يُقَالُ لَهُ وَادِي النَّاقَةِ - وَكَانَ فِيهِ وَشَلٌّ يَخْرُجُ مِنْهُ فِي أَسْفَلِهِ قَدَرٌ مَا يَرُوي الرَّاكِبِينَ أَوْ الثَّلَاثَةَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَبَقَنَا إِلَى ذَلِكَ الْوَشَلِ فَلَا يَسْتَقِيمَنَّ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى نَأْتِي! فَسَبَقَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: مُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ الطَّائِي، حَلِيفٌ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَوَدِيعَةُ

^١ صحيح مسلم، باب ذكر المنافقين

بْنُ ثَابِتٍ، وَزَيْدُ بْنُ اللَّصِيْتِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَمْ أَنْهَكُمُ؟ وَلَعَنَهُمْ وَدَعَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ نَزَلَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْوَشْلِ، ثُمَّ مَسَحَهُ بِإِصْبَعِهِ حَتَّى اجْتَمَعَ فِي كَفِّهِ مِنْهُ مَاءٌ قَلِيلٌ، ثُمَّ نَضَحَهُ، ثُمَّ مَسَحَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ دَعَا بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُو بِهِ، فَانْحَرَقَ الْمَاءُ. قَالَ معاذ ابن جبل: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ لَهُ شِدَّةً فِي انْحِرَاقِهِ مِثْلَ الصَّوَاعِقِ! فَشَرِبَ النَّاسُ مَا شَاءُوا، وَسَقَوْا مَا شَاءُوا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَنْ بَقِيْتُمْ - أَوْ بَقِيَ مِنْكُمْ - لَتَسْمَعُنَّ بِهَذَا الْوَادِي وَهُوَ أَخْصَبُ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِمَّا خَلْفَهُ!

قلت: مصداقاً لما جاء في هذه الرواية، فإن وادي البيضاء استمر على مدي قرون، وهو أخصب مكان في حرة الرهاة.

البيضاء (عين الأخضر^١)



الأخضر، عين البيضاء
27°35'42.0"N
36°49'15.0"E

البيضاء أرض واسعة في حرة الرهاة، تبعد نحو ١٠٠ كم جنوب تبوك، يجري فيها وادٍ باسمها، يأتي من جبال القرن وجبلي دارة وإطليس، ويتجه شرقاً ثم ينحني شمالاً، فإذا التقى بشعيب مصدر سُمِّي الوادي المخينق، وفيه عين البيضاء، وهو الفرع الرئيسي المكون لوادي الأخضر. ويمر بالبيضاء طريق الحج القديم (ظهرة حسمى)، والطريق الذي سار معه الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك.

١ المغازي، ١٠٣٩/٣

٢ الأخضر وادٍ شهير، يبلغ طوله حوالي ١٥٠ كم، يبدأ من البيضاء وينتهي في قاع شروري شمال تبوك، وترفده عشرات، بل ربما مئات الشعاب والأودية على طول مساره.

وتمتاز البيضاء باعتدال مناخها صيفاً وبرودته شتاءً، وتسقط الثلوج عليها أحياناً، وهذه ميزة جعلتها من المواقع المرشحة للسياحة بمنطقة تبوك^١.

وقد جاء ذكرُ للبيضاء عند المتقدمين، قال عنها ابن شبة أنها في حرة الرجلاء، وأنها من جملة صدقات عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه^٢.

ويقول أ.د. مسعد بن عيد العطوي^٣ "وأما البيضاء حالياً فهي عين الأخضر التي وردها الرسول صلى الله عليه وسلم وبات عندها، وهي المرحلة الرابعة، وأما عين الأخضر المعروفة بهذا الاسم فإنها شرق الطريق المعبد، وشرق البيضاء أيضاً".

قلت: وهناك عين في ملتقى وادي المخينق مع وادي (أبو صورة) تسمى اليوم عين الأخضر

وهي على يسار الطريق الذي سلكه النبي ﷺ فلا يمر بها، وربما كانت غير موجودة أيام الغزوة.

والأقرب - كما قال د. مسعد - أن تكون عين البيضاء هي العين التي فجرها النبي ﷺ، واستقى منها أصحابه الميامين في عودتهم من تبوك. والله أعلم.

^١ معجم تبوك، ٣١٧/١

^٢ أخبار المدينة لابن شبة، ١٣٨/١، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

^٣ تبوك المعاصرة، د. مسعد بن عيد العطوي "مساجد الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك"
^٤ يقصد محطة الأخضر أو الأخضر على طريق الحاج الرئيسية بين تبوك والعلامة المسماة (التبوكية).



موقع المسجد في الأخضر (عين البيضاء)

"معالم المسجد مندثرة هناك؛ لأن الأرض تعاورتها أيدي الناس التي تعاقبت عليها، فهي مورد ماء للقبائل، وهي طريق القوافل، وهي مزارع؛ لذلك اختفت معالم المسجد، والمكان فسيح فيه شعاب كثيرة، ومياهه غزيرة ومتعددة، وهو رأس الأخضر الممتد طويلاً حتى يصب في قاع شروري شمال شرق تبوك".¹



٧٠٩

المنزل الخامس (ذات الخطمي)

بعد أن استقى الناس من عين البيضاء (الأخضر) بدأوا في الرحيل، ميممين

¹ تبوك المعاصرة، د. مسعد بن عيد العطوي "مساجد الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك"

ناحية (جوّ تذرع)، حيث الماء والكلأ، وبشرهم النبي ﷺ بقوله:

"إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتِكُمْ وَلَيْلَتِكُمْ، ثُمَّ تَأْتُونَ الْمَاءَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ".^١

وكان آخرهم ارتحالاً النبي ﷺ فقد ارتحل ليلاً مع قلة من أصحابه، منهم أبو رهم الغفاري^٢، وأبو قتادة الأنصاري الخزرجي

حديث أبي رهم بالأخضر

سار النبي ﷺ في ثلثة من أصحابه ليلاً، وسايه أبو رهم الغفاري -رضي الله عنه- وبسبب الإجهاد وعدم النوم طوال الليل، فما أن استوا على رواحلهم حتى غشيهم النعاس.

٧١٠



يقول أبو رهم، في الحديث الذي رواه عنه بن أخيه: "عَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكٍ، فَلَمَّا قَلَّ سَرَى لَيْلَةً بِالْأَخْضَرِ، فَسِرْتُ قَرِيبًا مِنْهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْنَا النُّعَاسَ، فَطَفِقْتُ أَسْتَقِظُ وَقَدْ دَنَّتْ رَاحِلَتِي مِنْ رَاحِلَتِهِ فَيُفْزِعُنِي دُؤُوهَا، حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أُصِيبَ رِجْلَهُ فِي الْغُرْزِ فَأَوْخِرُ رَاحِلَتِي، حَتَّى عَلَبْتَنِي عَيْنِي

^١ صحيح مسلم

^٢ أَبُو رُهِمٍ الْغِفَارِيُّ، وَهُوَ كَلْبُومُ بْنُ الْحُصَيْنِ بْنِ عُبَيْدٍ، بَاتَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَشَهِدَ مَعَهُ أَحَدًا وَرَمَى يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ فِي نَحْرِهِ فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَبَسَقَ عَلَيْهِ فَبُرَأَ. فَكَانَ أَبُو رُهِمٍ يُسَمَّى الْمُنْحُورَ. اسْتَحْلَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي بَعْضِ مَخَارِجِهِ عَامَ الْفَتْحِ، رَوَى عَنْهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ أَبِي رُهِمٍ، وَأَبُو حَازِمٍ مَوْلَاهُ، وَكَانَ لَهُ مَنْزِلٌ بِنْتِي غِفَارٍ. وَكَانَ أَكْثَرَ ذَلِكَ يَنْزِلُ الصَّفْرَاءَ وَغَيْفَةَ وَمَا وَالَاهَا. وَهِيَ أَرْضٌ كِنَانَةٌ (الطبقات الكبرى، الاستيعاب)

^٣ أَبُو قَتَادَةَ (١٨ ق هـ - ٥٤ هـ = ٦١٤ - ٦٧٤ م) الْحَارِثُ (أَوْ النُّعْمَانُ، أَوْ عَمْرُو) ابْنُ رُبَيْعِ الْأَنْصَارِيِّ

الْخَزْرَجِيِّ السَّلْمِيِّ، أَبُو قَتَادَةَ: صَحَابِيُّ مِنَ الْأَبْطَالِ الْوَلَاةِ اشْتَهَرَ بِكُنْيَتِهِ. وَكَانَ يُقَالُ لَهُ (فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ) وَفِي حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي غَزْوَةِ الْغَابَةِ: (خَيْرُ فَرَسَانِنَا أَبُو قَتَادَةَ). شَهِدَ الْوُقُوعَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْتِدَاءً مِنْ وَقْعَةِ أُحُدٍ. وَلَمَّا وَلِيَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمْرَ الْمَدِينَةِ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ لِيُرِيَهُ مَوَاقِفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقَ مَعَهُ وَأَرَاهُ. وَلَمَّا صَارَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى عَلِيٍّ، وَوَلَاهُ مَكَّةَ. وَشَهِدَ صَفَيْنَ مَعَهُ. وَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ. (الأعلام للزركلي)

فِي بَعْضِ اللَّيْلِ فَزَاحَمَتْ رَاحِلَتِي رَاحِلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَرَزِ ، فَأَصَابَتْ رِجْلَهُ ، فَلَمْ أُسْتَيْقِظْ إِلَّا بِقَوْلِهِ : حَسَّ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي ، فَقَالَ : سِرْ ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُنِي عَمَّنْ تَخَلَّفَ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، فَأَخْبَرْتُهُ^١ .

معجزة الإداوة

في أثناء المسير ليلاً في حرة الرهاة عرضت للنبي ﷺ حاجة، فمال عن الطريق ومعه أبو قتادة-رضي الله عنه- وهو يحمل مِضْأَةً وهي إداوة صغيرة لحفظ الماء. يقول أبو قتادة: "فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ جَاءَنِي فَسَكَبْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْمِضْأَةِ فَتَوَضَّأَ، وَقَالَ لِي: أَحْفَظْهَا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ لِبَقِيَّتِهَا شَأْنٌ وَسَارَ الْجَيْشُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْفُقُوا بِأَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ يَعْصُوهُمَا يَشْقُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ» ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَشَارَا عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَنْزِلُوا حَتَّى يَبْلُغُوا الْمَاءَ، وَقَالَ بَقِيَّةُ النَّاسِ: بَلْ نَنْزِلُ حَتَّى يَأْتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلُوا فَجِئْنَاهُمْ فِي نَحْرِ الظَّهْرَةِ، وَقَدْ هَلَكُوا مِنَ الْعَطَشِ فَدَعَانِي بِالْمِضْأَةِ فَأَتَيْتُهَا بِهَا، فَاصْطَبَّهَا ثُمَّ جَعَلَ يَصُبُّ لَهُمْ، فَتَوَضَّأَ لَهُمْ فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا، وَتَوَضَّؤُوا وَمَلَّؤُوا كُلَّ إِنَاءٍ مَعَهُمْ، حَتَّى جَعَلَ يَقُولُ: «هَلْ مِنْ عَالٍ؟» قَالَ: فَخِيلَ إِلَيَّ أَنَّهَا كَمَا أَخَذَهَا وَكَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا^١ .

١ المعجم الكبير للطبراني، ١٨٤/١٩، وانظر الأدب المفرد ٤٠٢/١، الأحاد والمثاني ٢٣٧/٢، مسند أحمد،

٤٢٢/٣١، سنن أبي داود، ١٥٥/٤

٢ دلائل النبوة للبيهقي، ٢٨٢/٤

هذه العطشة الثانية بعد العطشة الأولى عند عين البيضاء (الأخضر) منذ مغادرتهم تبوك، والتي أظهرت لكل ذي بصيرة صدق نبوة نبينا ﷺ وأنه مؤيد من الله عز وجل الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

قلت: قوله: " وَكَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا " في هذا إشارة مهمة، كما تقدم معنا، إلى أن الجيش في العودة من تبوك قد تفرق. فقد انتهت مهمته القتالية، وسلكت كل قبيلة أو مجموعة ما يناسبها من الطرق.

وهذه العطشة دليل على أن الجيش لم يسلك ظهر حرة الرهاة في طريق الذهاب إلى تبوك، وهم ما زالوا بكامل عددهم، وإلا كان حصل لهم من العطش أضعاف ما حصل لهم هنا في العودة.

بعد أن ارتوى الجمع استأنفوا المسير في العشي حتى هبطوا من الحرة في وادي آلاء (لالا)، وحطوا رحالهم في براح بين جبل الخطمي (الخدمى) ووادي سَمْنَة في (جوّ تذرع).

ذات الخطمي (جبل الخدمى)



ذات الخطمي
27°20'13.0"N
37°12'09.0"E

ذات الخطمي من المنازل التي نزلها النبي ﷺ وبنى فيها مسجداً، كما جاء في كل مصادر السيرة النبوية، ولكنهم لم يحددوا موقعه. ولكن بتتبع مسار الغزوة في الذهاب والإياب، ولحسن الحظ فإن معظم المنازل بين الحجر وتبوك مازالت معروفة، وإن تم تحريف أسماء بعضها بصورة طفيفة لا يبعدها عن الأصل؛ مثل تحريف شق تاراه إلى شق تاران،

وألاء إلى لالا، وذات الخطمي إلى الخذمي، والبراء إلى الأيترا.

وذات الخطمي جبل بركاني في أرض الجوّ يسمى اليوم الخذمي، يبعد نحو

٥٠ كم عن البيضاء.



٧١٣

وإسقاط (ذات) أو (ذو) من اسم الموضع أمر شائع في أسماء المواضع،

وأحيانا يتم استبدالها

ب(أم) أو (أبو)، مثل قولهم في ذات كشد أم كشد^١، وذي الطفيتين يقولون:

أبو الطفيتين^٢.

ويلف بجبل الخذمي (الخطمي) وادي سمنة، الذي ما يزال معروفاً باسمه،

^١ وإن كان ليس من المستبعد أن تكون الأسماء الحالية هي الصحيحة، والأسماء الواردة في المصادر دخلها

التصحيف وهو آفة أسماء المواضع.

^٢ تلعة على طريق الهجرة النبوية

^٣ غدير من غدران عقيق المدينة

وهو مذكور ضمن المنازل النبوية في الغزوة.

لذلك من يقول إن المنزل النبوي أو المسجد بذات الخطمي، أو من يقول إنه بسمنة، فكلا القولين صحيح، والمقصود منزل واحد، لتقارب المَعْلَمين.

ولم أر وصفا للمنزل من المتقدمين سوى قولهم: "موضع فيه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، معروف، على خمس مراحل من تبوك"^١.

ولم يصف المتأخرون شيئاً على ما قاله المتقدمون، فيما اطلعتُ عليه، إلى أن جاء الباحثان العَطَوِيان المعاصران؛ أ.د. مسعد بن عيد، والأستاذ ناصر بن محمد فأنارا لنا منازل طريق الغزوة، خاصة ما كان منها في أرض الجو وحررة الرهاة، فجزاها الله خيراً.

وصف الأستاذ ناصر العطوي الخدمي (ذات الخطمي) بقوله: "الخدما: مرتفع بركاني منحني يقع جنوب شرق تبوك في الجوّ شمال غرب قرية الصليبية^٢، ويحيط به وادي سمنة من الغرب والشمال والشرق، وتشكل جهته الشرقية مع وادي سمنة صدرًا متسعًا تكسوه أشجار الطلح عند الدرجة ١٩-٢٧ شمالاً، ١٢-٣٧ شرقاً وارتفاع ١٢٦٨ متراً (فوق سطح البحر)، وعلى الطريق الذي سار معه الرسول ﷺ في غزوة تبوك، والخدما هي المنزلة المعبر عنها قديماً بذات الخطمي أو سمنة التي لم يتغير اسمها"^٣.

^١ معجم ما استعجم،
^٢ فيها مركز الإمارة التابع لإمارة منطقة تبوك.
^٣ معجم تبوك، ١١٣/٢



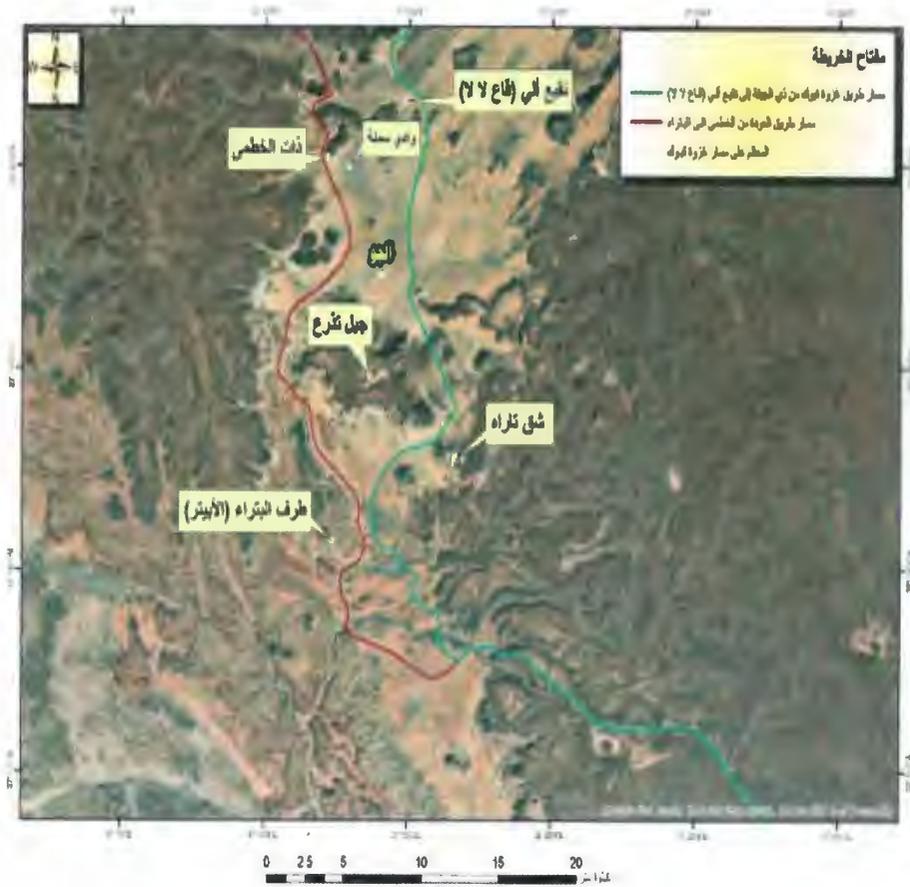
٧١٥

موقع مسجد ذات الخطمي

يوجد أثر مندرس كأنه مبني على هيئة مسجد في مكان متوسط بين وادي سمنة وذات الخطمي (الخزما)، ويحتاج الموقع إلى دراسة أثرية للتأكد من طبيعته.

المنزل السادس (البتراء)

ارتحل النبي ﷺ وصحبه الكرام الذين رافقوه في رحلة العودة من منزلهم قرب جبل الخطمي، ويبدو أن الماء لم يكن كافياً لهم عندما ارتحلوا من منزلهم ذلك، فلم يلبثوا أن أصابهم عطش شديد، وهم مازالوا في أرض الجوّ.



وبعد ٢٣ كم تقريباً نزل النبي ﷺ قرب حُريرة تسمى (البتراء)، وأرسل من يبحث لهم عن الماء، ومنهم أسيد بن حضير -رضي الله عنه- فوجد امرأة من بليّ تحمل راوية من ماء، فأخبرها بما جاء من أجله، فأعطتها له " فَلَمَّا جَاءَ أُسَيْدٌ بِالْمَاءِ دَعَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: هَلُمُّوا أَسْقَيْتُكُمْ! فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُمْ سِقَاءٌ إِلَّا مَلْؤُوه، ثُمَّ دَعَا بِرِكَابِهِمْ وَخَيُولِهِمْ فَسَقَوْهَا حَتَّى نَهَلَتْ. ثُمَّ رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبْرِدًا مُتَرَوِّيًا مِنَ الْمَاءِ^١."

^١ المغازي، ٣/١٠٤١

قلت: وجود امرأة من بليّ في المكان يدل على أنهم مازالوا في الجوّ، لأن الحرتين (عويرض والرهاء) المحيطة بالجوّ لبني عذرة في ذلك الزمن، وأرض الجوّ مازالت من ديار بليّ إلى يوم الناس هذا.



٧١٧

البتراء (الأبيتر)



طوبه البتراء
27°10'43.0"N
37°12'22.0"E

البتراء: أصل الكلمة: " (بتر) بترًا: انْقَطَع فَهُوَ أَبْتَرٌ وَهِيَ

بتراء" أي مقطوعة. ولأنها حرة صغيرة، كأنها ذيل لحرّة أكبر منها

انفصلت عنها، فقد سموها (الأبيتر)، وهو معنى صحيح لغويًا وواقعيًا.

والبتراء (الأبيتر) جبل بركاني مفصول عن حرة بقره في الجوّ (جوّ تدرع)،
تكتنفها شعاب تسيل من الحرة، وغيرها من المرتفعات فتفيض في وادي الشق،
الذي ينقلها بدوره إلى وادي (أبوراقة)، ثم إلى وادي الجزل.

وبطرف البتراء (الأبيتر) من الجنوب وادي يعرف اليوم باسم الذنيب، لعله هو
ذنب كواكب الوارد في السيرة.

جاء عند ابن إسحاق وغيره، أن النبي ﷺ نزل بِطَرْفِ الْبُتْرَاءِ، مِنْ ذَنْبِ
كَوَاكِبِ، وَأَنَّ هُنَاكَ مَسْجِدَهُ.

ولم تزد المصادر في تعيين البتراء عما قال ابن إسحاق، ولكنهم خلطوا بين
كواكب المذكور هنا، وبين جبال كواكب في بلاد أبي بكر بن كلاب من بني عامر
في عالية نجد الجنوبية^١.



وقال البلادي: إن كواكب "مَعْرُوفٌ الْيَوْمَ بَيْنَ تَبُوكَ وَالْعَلَا، وَهُوَ عَلَى طَرِيقِ
الْغَزْوَةِ"^٢، ولكنه لم يحدد موقعه بينهما، وأهل تلك الديار لا يعرفون اليوم وادياً
أو جبلاً اسمه كواكب.

موقع مسجد البتراء (الأبيتر)

غير معروف المكان تحديداً.

^١ معجم البلدان، رسم: كواكب، معجم ما استعجم، رسم: البتراء
^٢ معجم المغاليم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٢٩٣



صعيد قرح
26°37'29.2"N
37°54'58.2"E

صعيد قرح

من منزله بطرف البتراء استقام الطريق بالنبي ﷺ، عودُه على بدئه، حتى نزل صعيد قُرْح في وادي القرى، وصلّى في الموضع الذي اتخذهُ أهل الوادي مسجداً لهم.

قُرْح

قُرْح: بالضم ثم السكون، والقُرْح والقُرْح لغتان في عَضّ السلاح ونحوه مما يجرح الجسد: وهو سوق وادي القرى، وكانت من أسواق العرب في الجاهلية قال السديّ: قرح: سوق وادي القرى وقصبتها، والصعيد المرتفع من الأرض، أو الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة.

وقال البشاري عن قرح: "وناحية قرح تسمى وادي القرى وليس بالحجاز اليوم بلد أجل وأعمر وأهل وأكثر تجاراً وأموالاً وخيرات بعد مكة من هذا، عليها حصن منيع على قرنته قلعة قد أحرق به القرى واكتنف به النخيل ذو تمور رخيصة واخباز حسنة ومياه غزيرة ومنازل أنيقة وأسواق حارة عليه خندق وثلاثة أبواب محدّدة والجامع في الازقة في محرابه عظم قالوا هو الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا تأكلني فانا مسموم وهو بلد شامى مصريّ عراقىّ حجازيّ غير أن ماءهم ثقيل وتمرهم وسط وحمّامهم خارج البلد والغالب عليها اليهود"¹.

¹ معجم البلدان، رسم: قرح
² أحسن التقاسيم، ٨٤/١

قلت: هذه الأوصاف التي نقلتها عن أوثق المصادر البلدانية تؤكد على أن صعيد قرح هو جزء من مدينة العلا القديمة التي تسمى اليوم (الديرة)، وتشرف عليه القلعة المسماة (قلعة موسى بن نصير).



٧٢٠

مسجد صعيد قرح

روى أبو الشמוש البلوي (رضي الله عنه)، قال: "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي في صعيد قرح، فعلمنا مصلاه بعظم وأحجار، فهو المسجد الذي يصلي فيه أهل وادي القرى"^١.

ونقل السمهودي قول الحافظ عبد الغني في مسجد الصعيد: "وهو اليوم

مسجد وادي القرى"^٢

^١ معرفة الصحابة لابن منده، ٩٠٢/١، ط١، الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة.

^٢ وفاء الوفاء، ١٨٠/٣

قلت: هو كما قال الحافظ عبد الغني، فمسجد العظام في حيّ الديرة هو المسجد الجامع لأهل العلا قديماً، وتسميته بمسجد العظام، وقول البشاري إن في محرابه عظم، دليل قوي على أنه مسجد صعيد قرح الذي أجمعت عليه مصادر السيرة النبوية.

بعد نزوله ﷺ بصعيد قرح وصلاته فيه، مرّ بحديقة المرأة التي سبق أن خرصها، ومن هناك قال لأصحابه: "إِنِّي مُسْرِعٌ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: هَذِهِ طَابَةٌ، وَهَذَا أُحُدٌ، وَهُوَ جَبَلٌ يُجِبُّنَا وَنُجِبُهُ".

ولم تورد المصادر أحداثاً ذات بال بعد ذلك، حتى نزل بذي أوان قرب المدينة المنورة.

منزل ذي أوان



ذو أوان
24°30'42.2"N
39°35'23.6"E

كان بعض المنافقين من بني عَنَم بن عوف من أهل قباء قد بنوا مسجداً خاصاً بهم، ليس غرضهم الصلاة فيه، ولكن ليكون لهم عذر عن الصلاة مع النبي ﷺ أو في مسجد قباء القريب منهم، وليكون أيضاً مكان اجتماع لهم، يدبرون فيه الدسائس للمسلمين ويكيدون لهم، ويبثون منه الإشاعات.

فلما أتموا بناءه أتوا النبي ﷺ وهو يتجهز لتبوك فقالوا: "يا رسول الله، إنا قد

بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليله المطيرة والليله الشتيه، وإنا نحب أن
تأتينا، فتصلي لنا فيه؛ فقال: "إني على جناح سفر، وحال شغل، ولو قد قدمنا إن
شاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه".^١



خو اوان

فلما نزل النبي ﷺ ذا أوان، وهو في ضاحية من ضواحي المدينة القريبة،
وصار على وشك أن يحقق للمنافقين مرادهم، عصمه الله من ذلك، فأنزل عليه
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا
لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لِكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ

فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ^١

حينها استدعى النبي ﷺ كلاً من: عاصم بن عديّ العجلانيّ، ومالك بن الدخشم السالميّ، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُهُ فاهدماه ثم حرّقاها!
فخرجا سريعين على أقدامهما حتّى أتيا مسجد بني سالم، فقال مالك بن الدخشم لعاصم بن عديّ:

أَنْظِرْنِي حِينَ أَخْرُجُ إِلَيْكَ بِنَارٍ مِنْ أَهْلِي. فَدَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ فَأَخَذَ سَعْفًا مِنْ النَّخْلِ فَأَشْعَلَ فِيهِ النَّارَ. ثُمَّ حَرَجَا سَرِيعَيْنِ يَعْذُوَانِ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَيْهِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَهُمْ فِيهِ.. فهدماه وحرّقاها.^٢

ذو أوان

قال ابن إسحاق: "ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ بِدِي أَوَانَ، بَلَدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ".^٣

قلت: رددت المصادر قول ابن إسحاق هذا ولم تزد عليه شيئاً.

وحتى نستطيع تحديد هذا الموضع بأقصى دقة ممكنة فعلينا تعقّب أثر من يُقبل على المدينة من الطريق الشامي.

فبعد أن يتجاوز المرحلة الأخيرة قبل المدينة وهي (ذو خشب)، ويقرب

^١ آية ١٠٧، ١٠٨ من سورة التوبة

^٢ المغازي، ١٠٤٦/٣

^٣ البلد: كلّ موضع مُستجيزٍ مِنَ الأرض، غابرٍ أو غير غابر، خالٍ أو مسكون، فهو بلدٌ (تهذيب اللغة، مادة: بلد)

^٤ السيرة النبوية، ٥٢٩/٢

من المدينة؛ فإن أراد النزول قبل دخولها فهناك منزلان؛ الجرف وهو اسم قديم للمكان، فإذا تجاوزه نزل البركة (عيون حمزة) - وهو اسم محدث لهذا الموضع، لم يكن معروفًا بهذا الاسم في العهد النبوي - ينزلها الحاج الشامي في وروده وصدوره، وتسميها الحجاج عيون حمزة^١.

وهذا الموضع أعني: البركة أو عيون حمزة، موضع معروف اليوم يقع عند التقاء وادي بطحان بوادي قناة، يبعد عن المدينة بمسافة تقل عن خمسة أكيال، يقطعها الماشي المُجدِّ في ساعة واحدة أو أقل، وكانت توجد فيه إلى عهد قريب آثار تدل على أنه كان محطةً للمسافرين، مثل كسر الفخار والعملات، وأدوات الزينة للنساء، وغيرها^٢.

مَجْمَعُ الْأَسْيَالِ

وذو أوان قريب من مجمع الأسيال^٣، وهي أرض كانت رطبة، دائمة المياه الضحلة والنباتات المائية.

والأوان اسم للسلاحف، وهي تستوطن مثل هذه الأماكن فلا أستبعد أن يكون هذا هو سبب التسمية.

لذلك، فالراجع عندي أن هذا الموضع هو ما كان يسمى في العهد النبوي

^١ وفاء الوفا، ١٣/١

^٢ أخبرني بهذا الأخ عبد الله بن سعد التميمي المحمدي الحربي، وهو من أهل هذه الناحية، في جولة معه على المكان وما حوله.

^٣ أرض في سافلة المدينة تجتمع فيها سيول أوديتها الثلاثة (العقيق، قناة، بطحان)

^٤ القاموس المحيط، فصل: الهمزة

(ذو أوان).

والله أعلم.



٧٢٥

أما أوان الوارد في كتاب ابن شبة^١، فهو وادٍ من روافد وادي إضم (الحمض)،
يبعد حوالي ٧٠ كم عن المدينة، أي: مرحلة ونصف، وليس ساعة من نهار، كما
قال ابن إسحاق.

دخول النبي ﷺ المدينة من ثنية الوداع

وصل النبي ﷺ ثنية الوداع، وعندها تلقاه النساء والصبيان مرحبين مهللين،

وصدحوا بالنشيد الشهير:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع^١

قلت: هذا النشيد؛ حققْتُ أنه قيل أول ما قيل في الهجرة النبوية الشريفة، وأنه لا مانع من تعدده في مناسبات أخرى، ترحيباً برجوعه ﷺ للمدينة، وقد حصل ذلك هنا وفي العودة من غزوة بدر، كما سبق بيانه في موضعه.

وقال الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية: "لا مانع من تعدد وقوع هذا الشعر، مرة عند الهجرة، ومرة عند قدومه من تبوك، فلا يحكم بغلط ابن عائشة لأنه ثقة"^٣.

وبهذا نكون قد أثينا على ذكر كل المساجد النبوية، والمنازل بين المدينة المنورة وتبوك الواردة في السيرة، مع تحديد المنازل الذي بُنيت فيها تلك المساجد.

^١ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ٤٢٥/١، غزوة تبوك، إمتاع الأسماع للمقريزي، ٣٩٤/٨، تاريخ الخميس، ١٣١/٢

^٢ ينظر كتاب "الرحيق المصفي في وصف طريق هجرة المصطفى ﷺ" للمؤلف.

^٣ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ١٠٠/٤، غزوة تبوك. وابن عائشة هو راوي نشيد طلع البدر علينا، في حديث الهجرة.

المعجزات

- أهمها، في رأيي، قيادة ذلك الجيش العرمرم لمسافة ٧٠٠ كم، والعودة به سالمًا مظفرًا، في ظل كل تلك الظروف المعاكسة، وهذا لم يسبق أن حصل مثله في تاريخ الجيوش. بل يخبرنا التاريخ بكوارث حلت على جيوش أكثر تجهيزًا واستعدادًا حاولوا غزو الجزيرة العربية من الشمال فكان مصيرهم الهلاك جوعًا وعطشًا.

ولنا مثال على ما جرى لجيش الروم المطارد لليهود لما أخرجوهم من فلسطين، واتجه اليهود إلى المدينة (يثرب)، جدّ الروم في طلبهم ليردوهم فأعجزوهم، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز، فلما بلغ طلب الروم (التمر) انقطعت أعناقهم عطشًا، فماتوا وُسْمِي الموضع (تمر الروم) فهو اسمه إلى اليوم^١ وكذلك الحملة الرومانية بقيادة أوليوس غالوس عام ٢٤ ق.م، والتي وضع تحت تصرفها مقدرات عظيمة جدًا بمقاييس ذلك الزمان، ورغم ذلك كان مصيرها هلاك ٩٠٪ من أفرادها وفشلت فشلًا ذريعًا.

هذه المعجزة ليست حدثًا وقتيًّا رواه شهود العيان وانتهى، ولكن يمكن أن يستمر معنا ويدرس في الكليات الحربية عند دراسة تاريخ الحملات العسكرية على الجزيرة العربية، والإستراتيجية العسكرية في العصر النبوي.

- عدد المعجزات في غزوة تبوك فاقت كل الغزوات الأخرى؛ خمس حالات كان الجيش فيها مشرفاً على الهلاك من العطش فأنقذهم الله تعالى ببركة نبيه ﷺ ودعائه.

- عندما كانوا في تبوك أصابتهم مسغبة، ونفذ منهم الزاد والطعام إلا قليلاً، حتى أرادوا أن ينحروا ظهرهم، فدعا النبي ﷺ ربه فبارك في قليل طعامهم، فلم يشتكوا جوعاً حتى عادوا للمدينة.

- دعاؤه ﷺ لدواب الجيش، لما أصبحت غير قادرة على حملهم لمشقة الطريق، وطوله، وقلة الماء، والكلأ.

روى فضالة بن عبيد (رضي الله عنه)، قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك، فجهد الظهر جهداً شديداً، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بظهرهم من الجهد، فتحين بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مضيئاً سار الناس فيه، وهو يقول: «مروا بسم الله»، فجعل ينفخ بظهرهم وهو يقول: «اللهم احمِلْ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِكَ، فَإِنَّكَ تَحْمِلُ عَلَى الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ وَالرَّطْبِ وَالْيَاسِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»، قال فضالة: فلما بلغنا المدينة، جعلت تنازعنا أزمته، فقلت: هذه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القوي والضعيف، فما بال الرطب والياس، فلما قدمنا الشام غزونا غزوة فبرس، ورأيت السفن وما تدخل، عرفت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم^١



^١ صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان للألباني، ط ١، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض

- من أهم الدروس التي تعلمناها من أحداث الغزوة أن المهم هو النيّة الصادقة وبذل الجهد على قدر الاستطاعة، والبذل على قدر ما أعطاه الله، لذلك ذمّ الله تعالى المنافقين حين سخروا من الصحابي الفقير حينما ساهم في المجهود الحربي بصاع من التمر.

- من الدروس التي تعلمناها من الغزوة أنه في ساعة العسرة يتميز الصادق المخلص من الكاذب المنافق، لذلك سميت الغزوة بالفاضحة.

- أفضل الإستراتيجيات العسكرية هي نقل المعركة إلى أرض العدو، وهذا كان ديدن النبي ﷺ في تحركاته العسكرية.

- ممارسة الشورى في زمن الحرب، حينما قبل النبي ﷺ رأي عمر في عدم مجاوزة تبوك والعودة إلى المدينة، وفي عدم ترك الجند ينحرون إبلهم عندما نفذ منهم الزاد.

- في الحقيقة إن غزوة تبوك في مجملها تدريب عسكري شاق لا بد منه، لإعداد المسلمين لملاقاة أعدائهم خارج الجزيرة العربية، الذين كانوا أكثر قوة وبأساً وعتاداً ومعرفة بفنون الحرب من القبائل العربية في جزيرة العرب التي دانت للمسلمين، وعليهم الآن أن ينشروا نور الإسلام خارجها.

- كانت الجهة الشمالية من الجزيرة العربية محط أنظار المسلمين بعد أن تم تطويع القبائل العربية داخلها. فكانت سرية مؤتة جس نبض لما هو آتٍ، ثم كانت غزوة تبوك، التي فتحت الأبواب سُرعاً لفتوح الشام بعدها بسنوات قليلة.

- علمت القبائل في جزيرة العرب أن الإسلام أصبح قوة قاهرة، حتى أن هرقل - وهو عندهم قوة لا تقهر - لم يحرك ساكناً عندما اقتطع المسلمون أجزاءً من أطراف امبراطوريته.

بعد عودة النبي ﷺ من الغزوة مظفراً، علمت العرب أن الإسلام صار ذا شأن عظيم، فأتته وفود القبائل من كل أطراف الجزيرة العربية طائعة تبايعه على الإسلام، وتأخذ عنه أصوله وشرائعه، فسُمي هذا العام (عام الوفود).

فهرس المواضيع

٣	بسم الله الرحمن الرحيم
٥	إهداء
٩	شكر وامتنان
١٣	تقديم
١٩	مقدمة
٢٧	الباب الأول
٢٧	المغازي النبوية
٢٩	الفصل الأول
٣١	غزوة العُشيرة

٣٢	تاريخ الغزوة
٣٣	هل العُشيرة أول الغزوات النبوية؟
٣٤	أسباب الغزوة
٣٧	التتبع الميداني لأحداث الغزوة
٣٩	سبب آخر لتسمية علي-رضي الله عنه- بأبي تراب
٤٠	موادعة بني مدلج وبني ضمرة
٤١	المعالم الواردة في الغزوة
٤١	نقب بني دينار:
٤٢	فيفاء الخبر
٤٣	بطحاء ابن أزهر
٤٣	المشيرب
٤٦	مسجد بطحاء ابن أزهر
٤٦	الخلائق
٤٧	شعبة عبد الله
٤٨	مجتمع وادي الضبوعة مع وادي ملل
٤٨	فرش ملل
٤٩	فرش ملل في المصادر
٥١	صخورات اليمام :
٥٢	العشيرة
٥٤	مسجد العشيرة
٥٧	ينبع
٥٩	حكام ينبع:

٦٠	جبل الزينة
٦٠	جبل الزينة عند المؤرخين
٦٣	وادي مبرك
٦٤	السلطان الأشرف قايتباي يسلك نقب مبرك
٦٥	مبرك في المصادر
٦٦	وصف الطريق النبوي إلى العشيرة
٦٩	وصف الطريق من صخيرات اليمام إلى العشيرة
٧٠	وصف طريق العودة من العشيرة
٧١	هل أخذ النبي ﷺ طريق مبرك في الذهاب أم في الإياب؟

٧٣ الفصل الثاني

٧٥ غزوة بدر الكبرى

٧٦	سبب الغزوة
٧٦	تاريخ الغزوة
٧٨	خروج النبي ﷺ إلى بدر
٧٣٣ ٧٨	تحديد المواضع
٧٨	نقب بني دينار
٧٩	البعق
٧٩	بيوت السقيا
٧٩	تاريخ الخروج
٨١	عدد من خرج إلى بدر
٨٢	منازل ومعالم الطريق إلى بدر
٨٢	اليوم الأول
٨٣	معالم اليوم الأول (يوم الأحد ١٤ رمضان)
٨٣	العقيق
٨٤	طريق المكيمن
٨٤	المكيمن
٨٤	بطحاء ابن أزهر
٨٦	المنزل الثاني (يوم الإثنين ١٥ رمضان)
٨٦	معالم اليوم الثاني:
٨٧	ذات الجيش:
٨٧	ثنية الحفيرة:

٨٧	تربان :
٨٨	ملل:
٨٩	المنزل الثالث (يوم الثلاثاء ١٦ رمضان)
٩٠	معالم اليوم الثالث:
٩٠	مَرَّيْن:
٩٢	غميس الحمام:
٩٣	صخيرات اليمام :
٩٤	السيالة:
٩٥	فج الروحاء:
٩٥	شنوكة:
٩٦	عرق الطَّبِيَّة:
٩٧	وصول خبر العير:
٩٧	المنزل الرابع (الأربعاء ١٧ رمضان)
٩٨	معالم اليوم الرابع:
٩٩	الروحاء :
٩٩	بئر الروحاء:
١٠١	المنصرف:
١٠٢	النازية:
١٠٢	رَحْقَان:
١٠٣	المضيق:
١٠٤	المنزل الخامس (الخميس ١٨ رمضان)
١٠٦	معالم اليوم الخامس:
١٠٧	الخبيرتين:
١٠٨	خيف المعترضة، وثنية المعترضة:
١٠٨	(التيا):
١٠٩	الصفراء:
١٠٩	مسلح ومخرئ:
١١٠	ذفران:
١١٠	الأصافر:
١١١	الدَّبَّة:
١١٢	الحنان:
١١٣	ليلة الجمعة (١٩ رمضان):
١١٣	الاستعداد للمعركة



٧٣٤





١١٤	موقف الفرقاء الثلاثة ليلة الجمعة
١١٨	معركة بدر:
١٢١	بدء المعركة ونهايتها:
١٢٢	شهداء وقتلى بدر:
١٢٣	نتيجة موقعة بدر:
١٢٤	معالم أرض معركة بدر:
١٢٥	وادي يليل:
١٢٥	العقنقل:
١٢٧	جبل الملائكة
١٢٧	الملص
١٢٨	العريش:
١٢٨	القليب والحوض
١٢٩	طريق العودة إلى المدينة:
١٣١	الأثيل:
١٣١	فيفاء خريم
١٣٣	تقسيم النفل:
٧٣٥ ١٣٤	الدخول للمدينة من ثنية الوداع الشمالية
١٣٥	مصليات الرسول ﷺ في غزوة بدر
١٣٥	مسجد الدبة
١٣٦	مسجد ذات أجدال:
١٣٦	مسجد خيف عين الغلا:
١٣٧	مسجد الجيزتين (الخيزرتين):
١٣٨	موقع قبر عبيدة بن الحارث (رضي الله عنه)
١٣٩	مسجد ذفران المقبل:
١٤٠	مسجد ذفران المدبر

١٤١ الفصل الثالث

١٤٣ غزوة قرقرة الكدر

١٤٤	أسباب الغزوة
١٤٤	تاريخ الغزوة
١٤٥	قرقرة الكدر
١٤٦	حدود قرقرة الكدر (حضوضي)

١٤٩	وصف قرقرة الكدر في المصادر:
١٥١	قرقرة الكدر اليوم:
١٥١	أحداث غزوة قرقرة الكدر:
١٥٢	المعالم الواردة في الغزوة
١٥٣	- قرقرة الكدر:
١٥٣	- معدن بني سليم:
١٥٥	الرحضية
١٥٧	سد معاوية
١٥٩	مورد الكدر
١٦٣	صرار:
١٦٣	صرار في المصادر التاريخية
١٦٦	الطريق النبوي إلى مورد الكدر

١٦٩	الفصل الرابع
١٧١	غزوة السويق

١٧٢	تاريخ الغزوة
١٧٢	سبب الغزوة
١٧٣	أحداث الغزوة
١٧٤	سَبَبُ تَسْمِيَتِهَا بِغَزْوَةِ السَّوِيقِ
١٧٤	المعالم الواردة في الغزوة
١٧٥	جبال ثيب
١٧٨	العريض
١٧٩	العريض في المصادر التاريخية
١٨٠	طريق أبي سفيان إلى بني النضير

١٨٣	الفصل الخامس
١٨٥	غزوة ذي أمر

١٨٦	تاريخ الغزوة
١٨٦	سبب الغزوة
١٨٧	أحداث الغزوة

١٨٩	معالم الغزوة
١٨٩	ذو أمر
١٩٠	ذو أمر في المصادر
١٩٢	الأودية التي يقطعها الطريق قرب النُخيل من الشرق .
١٩٢	ذو أمر غير الكديد
١٩٣	الأودية التي يقطعها الطريق قرب النُخيل من الغرب
١٩٦	المنقى:
١٩٩	مضيق الخُبيت
٢٠١	ذو القصة
٢٠٢	كثيب أظلم
٢٠٣	وصف الطريق النبوي إلى ذي أمر

٢٠٧	الفصل السادس
٢٠٩	غزوة حمراء الأسد

٢١٠	سبب الغزوة
٧٣٧ ٢١١	تاريخ الغزوة
٢١٢	أحداث الغزوة
٢١٤	مرور ركبٍ بأبي سفيان
٢١٤	معالم الغزوة
٢١٥	حمراء الأسد
٢١٥	حمراء الأسد في المصادر التاريخية:
٢٢٢	تعيين حمراء الأسد
٢٢٣	حدود حمراء الأسد:
٢٢٤	مكان معسكر الجيش في حمراء الأسد
٢٢٤	لماذا عسكر النبي صلى الله عليه وسلم في حمراء الأسد
٢٢٧	الطريق إلى حمراء الأسد
٢٢٧	بعض دروس ونتائج من غزوة حمراء الأسد

٢٢٩	الفصل السابع
٢٣١	غزوة ذات الرقاع

٢٣٢	تاريخ الغزوة
٢٣٤	سبب الغزوة
٢٣٥	سبب تسميتها بذات الرقاع
٢٣٦	التتبع الميداني لأحداث الغزوة
٢٣٦	صلاة النبي ﷺ في وادي نخل
٢٣٧	مسجد الكديد
٢٣٨	مسجد الجبل ببلاد أشجع (جبل الوشاح)
٢٣٩	وصول الجيش النبوي إلى جبال ذات الرقاع
٢٤١	صلاة الخوف وحادثة غورث
٢٤٣	مرور الجيش النبوي بالشُقرة وصرار
٢٤٣	معالم الغزوة
٢٤٤	المضيق:
٢٤٤	وادي الشقرة:
٢٤٥	نخل:
٢٤٩	الكديد
٢٥٠	وادي الكديد في المصادر
٢٥٢	ذات الرقاع
٢٥٣	أقوال المؤرخين في ذات الرقاع
٢٥٤	الشُقرة
٢٥٥	الشقرة في المصادر
٢٥٧	صرار
٢٥٩	وصف الطريق النبوي إلى ذات الرقاع والعودة منها
٢٥٩	من نخل إلى ذات الرقاع
٢٦٠	بئر أرما
٢٦١	طريق العودة
٢٦٣	أهم نتائج الغزوة



٢٦٥ **الفصل الثامن**
 ٢٦٧ **غزوة المريسيع (بني المصطلق)**

٢٦٨	سبب الغزوة
٢٦٩	بعثُ بريدة بن الحُصيب إلى بني المصطلق
٢٦٩	تاريخ الغزوة

٢٧٠	أحداث الغزوة كما جاءت في المصادر
٢٧١	الخروج من المدينة
٢٧٢	الصلاة في كهف أعشار
٢٧٢	النزول ببقعاء
٢٧٤	من بقاء إلى المريسيع
٢٧٥	الأحداث على ماء المريسيع
٢٧٧	التعجيل في العودة من المريسيع
٢٧٩	أحداث في بقاء
٢٨٠	معجزة نبوية أخرى
٢٨١	النبي ﷺ يحيى النقيع
٢٨٢	النبي ﷺ يسابق عائشة ؓ
٢٨٣	الصلاة في الضيقة (مضيق هلوان)
٢٨٤	الصلاة في مسجد الضيقة
٢٨٤	حديث الإفك
٢٨٦	موقع ضياع العقد:
٢٨٨	عبد الله يمنع أباه المنافق عبد الله بن أبي من دخول المدينة
٧٣٩	٢٨٩
٢٨٩	معالم الغزوة
٢٨٩	الخلائق
٢٩١	حدود خلائق الأحمديين (أبيار الماشي)
٢٩٢	الخلائق (أبيار الماشي) في التاريخ:
٢٩٤	مسجد كهف أعشار
٢٩٦	مسجد الضيقة (مضيق هلوان)
٢٩٨	ذات الحماط
٢٩٩	وادي وحمى النقيع
٣٠١	موقع وادي النقيع
٣٠٢	حمى النقيع ومسجد مقل
٣٠٣	بقعاء
٣٠٦	الحجاز
٣٠٧	طرق ومسالك حرة الحجاز
٣٠٧	طريق الخريطة ودرب الزائر
٣٠٨	دروب أخرى من دروب الحرة (تسمى طريق التهمة)
٣١٠	المريسيع
٣١١	تحديد موضع المريسيع

٣١٥	علاقة المريسيع بوادي الفرع
٣١٧	المسافة بين المريسيع والفُرع
٣١٩	وصف الطريق النبوي من المريسيع إلى المدينة
٣٢٠	التقاء الطريق النبوي مع طريق المنصى
٣٢١	ريع الركبانية
٣٢٢	النبي ﷺ يغير اسم الوادي إلى خضرة
٣٢٤	من بقعاء إلى المدينة

٣٢٧	الفصل التاسع
٣٢٩	غزوة الخندق (الأحزاب)

٣٣٠	سبب الغزوة
٣٣١	إخبار النبي ﷺ بتحريك جيش قريش
٣٣١	موقع تمركز المشركين حول المدينة
٣٣٢	تاريخ الغزوة
٣٣٢	الشخصيات المؤثرة في أحداث الغزوة
٣٣٦	معالم غزوة الخندق
٣٣٨	راتج
٣٣٩	ذباب (القرين التحتاني)
٣٤٠	المذاد
٣٤٢	جبل بني عبيد
٣٤٣	أجم الشيخين
٣٤٤	جبل سلع
٣٤٥	أهم أحداث الغزوة
٣٤٥	١ - حفر الخندق
٣٤٦	محددات الخندق
٣٤٦	أبعاد الخندق
٣٤٧	طول الخندق
٣٤٨	عمق الخندق
٣٤٩	عرض الخندق
٣٥٠	وصف مسار الخندق
٣٥١	بداية الخندق
٣٥٢	الخندق تحت جبل ذباب (الراية)

٣٥٤	نهاية الخندق
٣٥٥	خندق آخر في المدينة
٣٥٦	موقع إدارة الغزوة
٣٥٧	معجزة تكثير الطعام
٣٥٨	مساجد الفتح
٣٥٩	مسجد الفتح (مسجد الأحزاب):
٣٥٩	مسجد سلمان الفارسي (رضي الله عنه):
٣٦٠	مسجد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):
٣٦٠	مسجد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)
٣٦١	مواجهات و مبارزة
٣٦٢	مدة الحصار
٣٦٢	رفع الحصار
٣٦٣	من أهم نتائج الغزوة

٣٦٥ الفصل العاشر

٣٦٧ غزوة ذي قرد (الغابة)

٧٤١

٣٦٨	تاريخ الغزوة
٣٧٠	سبب الغزوة
٣٧١	أهم الأشخاص المؤثرين في الغزوة
٣٧٤	أحداث الغزوة
٣٧٨	معالم الغزوة
٣٧٩	الغابة
٣٨٠	صنع المنبر النبوي من الغابة
٣٨٢	البيضاء
٣٨٤	ثنية الوداع
٣٨٦	منازل بني عبد الأشهل
٣٨٧	قناة (وادي قناة)
٣٨٩	هيفا
٣٩١	ذو قرد
٣٩٣	موقع ذي قرد
٣٩٦	البحث عن ذي قرد
٣٩٧	الأدلة على أن (ذو قرد) على الطريق النجدي العراقي (طريق فيد):

٤٠٢	النزول الأول لذي قرد:
٤٠٢	النزول الثاني لذي قرد:
٤٠٣	النزول الثالث لذي قرد:
٤٠٣	قرائن على أن ذي قرد ليس على طريق خيبر:
٤٠٥	البرهان الميداني على موقع ذي قرد
٤٠٩	وصف الطريق إلى ذي قرد
٤٠٩	وصف الطريق من المسجد النبوي إلى ذي قرد
٤٠٩	وصف طريق سلمة بن الأكوع إلى ذي قرد
٤١٠	وصف طريق المغيرين من الغابة إلى ذي قرد
٤١١	نتائج الغزوة

٤١٣	الفصل الحادي عشر
٤١٥	غزوة الحديبية

٤١٦	سبب الغزوة
٤١٧	تاريخ الغزوة
٤١٨	أحداث الغزوة
٤١٨	الخروج من المدينة والإحرام من ذي الحليفة
٤١٩	الطريق إلى الحديبية
٤١٩	بين الروحاء والأبواء
٤٢٠	الوصول إلى الأبواء
٤٢٢	المواجهة بين المسلمين وقريش وحلفائها
٤٢٣	مشاورة النبي ﷺ لأصحابه في غدير الأشطاط
٤٢٤	خالد بن الوليد على خيل قريش عند كراع الغميم
٤٢٥	الانعطاف إلى ثنية ذات الحنظل وثنية المرار
٤٢٦	الطريق إلى ثنية ذات الحنظل
٤٣٠	الطريق إلى ثنية المرار والحديبية
٤٣٢	ما جرى في الحديبية
٤٣٣	المشركون يختبرون استعداد المسلمين
٤٣٥	بيعة الرضوان
٤٣٦	قريش تدعن للصلح
٤٣٧	وفد قريش للصلح
٤٣٧	شروط الصلح





٤٣٩	النبي ﷺ يتحلل من إحرامه وينحر هديه
٤٣٩	العودة من الحديبية
٤٤٠	معجزة تكثير الطعام
٤٤١	نزول سورة الفتح
٤٤١	النبي ﷺ يستغفر لمن يرقى جبلاً
٤٤٢	النزول في الإثابة
٤٤٣	معالم الغزوة
٤٤٤	غيقة
٤٤٥	الأبواء
٤٤٧	الجحفة
٤٤٨	عسفان
٤٥٠	غدير الأشطاط
٤٥٢	كراع الغميم
٤٥٢	جبال سراوع
٤٥٥	ثنية ذات الحنظل
٤٥٧	موقع ثنية ذات الحنظل
٧٤٣ ٤٥٨	ثنية المرار :
٤٦١	الحديبية
٤٦٢	مسجد وبئر الحديبية
٤٦٤	جبال التنعيم
٤٦٦	السقيا
٤٦٩	الإثابة
٤٧٠	وصف طريق الغزوة من المدينة إلى الحديبية
٤٧١	من الروحاء إلى العرج
٤٧٢	جبل ورقان
٤٧٢	من العرج إلى السقيا
٤٧٣	مسجد نبوي وراء العرج
٤٧٤	نهبان وقدس
٤٧٤	من السقيا إلى الأبواء
٤٧٥	عين القشيري:
٤٧٦	مسجد الرمادة
٤٧٦	بئر مبيريك
٤٧٧	تعديل الجادة العظمى

٤٧٨	من الأبواء إلى الجحفة
٤٧٩	مسجد ثنية عزور
٤٧٩	من الجحفة إلى قديد
٤٨٠	من قديد إلى عسفان
٤٨٠	مسجد ثنية لفت
٤٨٢	من غدِير الأَشْطاط إلى ثنية ذات الحنظل
٤٨٣	النتائج والعبر المستخلصة من الغزوة

٤٨٧	الفصل الثاني عشر
٤٨٩	غزوة خيبر

٤٩٠	دواعي الغزوة
٤٩١	تاريخ الغزوة:
٤٩٣	الاستعداد للمسير إلى خيبر
٤٩٦	المسير إلى خيبر
٤٩٩	معالم الطريق إلى خيبر
٥٠١	تتبع المسار النبوي بين المدينة وخيبر
٥٠٢	ثنية الوداع
٥٠٥	حالة الثنية في العصر الحديث
٥٠٥	بعض الأحداث المرتبطة بثنية الوداع
٥٠٧	الزغابة
٥٠٨	نقمة
٥٠٩	وصف نقمة في المصادر:
٥١١	أجزاء وادي نقمة
٥١٣	أثار في وادي نقمة
٥١٥	تحقيق الطريق النبوي من المستنخ إلى الصهباء
٥١٦	الطرق الواقعة بين المستنخ والصهباء كما جاءت في المصادر
٥١٩	المعالم الواردة في هذا الطريق:
٥١٩	تحليل المعلومات الواردة في الروايات السابقة
٥٢٠	أشمدان
٥٢١	عسجد
٥٢١	البحث عن عسجد
٥٢٢	موقع معدن عسجد (النمرانية)



٥٢٤	مفارقة!!
٥٢٥	المستناخ
٥٢٧	مجموع المعالم على الطريق النبوي من المستناخ إلى الصهباء
٥٢٧	كبس الوطه
٥٢٩	عِضْر
٥٢٩	مكان عصر في المصادر:
٥٣٠	تحقيق موضع عِضْر
٥٣٣	تعيين جبل عصر (جبل كتيفة)
٥٣٣	مسجد عصر
٥٣٥	طريق آخر معتبر من المدينة إلى خير
٥٣٦	نقب يردوح (ربيع الشعيبه)
٥٣٧	حرة الشُّقة
٥٤٠	المعالم الواردة في هذا النص
٥٤١	الصهباء
٥٤٤	مسجد الصهباء
٥٤٥	رسم خطة المفاجأة
٧٤٥ ٥٤٧	نجاح خطة المفاجأة
٥٤٩	معالم الطريق بين الصهباء والرجيع
٥٥٠	صدور الأودية
٥٥٠	حزن، شاس، حاطب، مرحب
٥٥٠	حياض
٥٥١	السُرير
٥٥٢	مسار أودية خير
٥٥٣	الحرضة
٥٥٣	النطاة والشق
٥٥٤	المنزلة
٥٥٦	الصخرة (مسجد الصخرة)
٥٥٧	الرجيع
٥٥٧	فتح حصون خير
٥٥٩	فتح حصون النطاة:
٥٥٩	حصن ناعم
٥٦٠	حصن قلعة الزبير
٥٦٢	فتح حصون الشق

٥٦٣	حصون الكتيبة
٥٦٣	القموص:
٥٦٥	جنفاء وذو الرقيبة
٥٦٥	جنفاء
٥٦٦	ذو الرقيبة
٥٦٦	قُصير النبي
٥٦٨	حقيقة موقع (قصير النبي)
٥٦٩	الخروج من خيبر إلى وادي القرى
٥٧١	البناء بصفية رضي الله عنها
٥٧٣	الطريق إلى برمة
٥٧٥	ثبار
٥٧٦	الصهباء
٥٧٧	القصيبة
٥٧٧	من القصيبة إلى برمة
٥٧٨	برمة
٥٨١	من برمة إلى وادي القرى
٥٨٣	دعوة يهود وادي القرى إلى الدخول في الإسلام
٥٨٤	موقع الغزوة في وادي القرى
٥٨٦	العودة من وادي القرى إلى المدينة
٥٨٦	فوات صلاة الصبح
٥٨٧	موضع هذه الحادثة
٥٨٨	أهم نتائج غزوة خيبر
٥٨٨	النتائج السياسية
٥٨٩	النتائج الإقتصادية
٥٩١	الفصل الثالث عشر
٥٩٣	غزوة تبوك

٥٩٤	سبب الغزوة
٥٩٨	تاريخ الغزوة
٥٩٩	استشكال تاريخ الخروج للغزوة
٦٠١	متى كانت الغزوة
٦٠٩	تاريخ الغزوة بعد التحقيق

- ٦٠٩ عدد وعدة الجيش
- ٦١٠ أحداث الغزوة
- ٦١١ أحداث قبل المسير
- ٦١١ غزوة العسرة
- ٦١٥ الغزوة الفاضحة
- ٦١٨ معالم الطريق إلى تبوك
- ٦١٩ مساجد المدينة- تبوك (في الذهاب):
- ٦٢٠ مساجد تبوك- المدينة (في العودة):
- ٦٢٠ أحداث ومنازل الطريق إلى تبوك والعودة منها
- ٦٢٢ مقابلة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) للنبي ﷺ
- ٦٢٤ المنزل الأول (ذو خشب)
- ٦٢٤ ذو خشب
- ٦٢٥ مسجد ذي خشب
- ٦٢٦ المنزل الثاني السويداء (فيفاء الفحلتين)
- ٦٢٩ (فيفاء الفحلتين)
- ٦٣٠ مسجد فيفاء الفحلتين
- ٦٣٠ المنزل الثالث (المُر)
- ٦٣٠ المنزل الرابع (ذو المروة)
- ٦٣٢ دعاء النبي ﷺ لذی المروة
- ٦٣٣ ذو المروة
- ٦٣٥ موقع مسجد ذي المروة
- ٦٣٥ المنزل الخامس (الرحبة)
- ٦٣٧ الرحبة هي الرقعة
- ٦٣٩ مسجد الرحبة
- ٦٤٠ المنزل السادس السقيا (سقيا الجزل)
- ٦٤١ اللقاء مع أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه)
- ٦٤٢ تخذيل المنافقين وإرجافهم بالمسلمين
- ٦٤٣ السقيا (سقيا الجزل)
- ٦٤٤ موقع مسجد السقيا
- ٦٤٤ المنزل السابع وادي القرى
- ٦٤٥ الرسول ﷺ يخرص حديقة في وادي القرى:
- ٦٤٦ ملحوظة
- ٦٤٦ بنو عريض يهدون هريساً للنبي ﷺ

- ٦٤٧ وادي القرى (قرية بني عدرة)
٦٤٨ موقع مسجد وادي القرى (قرية بني عدرة)
٦٤٩ المنزل الثامن (الحجر)
٦٥٠ معجزة نبوية من السماء
٦٥٢ الحجر
٦٥٤ موقع المسجد في الحجر
٦٥٤ المنزل التاسع (وادي حوضي)
٦٥٦ وادي صدر حوضي
٦٥٧ موقع مسجد حوضي
٦٥٨ المنزل العاشر (وادي الجيفة)
٦٥٩ حادثة دالة على صدق نبوته ﷺ
٦٦٠ وادي ذي الجيفة
٦٦١ موقع مسجد ذي الجيفة
٦٦٢ المنزل الحادي عشر غدير تارا (تاران)
٦٦٤ شق تاراء (غدير تاران)
٦٦٥ موقع مسجد شق تاراء
٦٦٦ المنزل الثاني عشر نقيع بولي (قاع لالا)
٦٦٧ نقيع بولي (قاع لالا)
٦٦٨ موقع مسجد نقيع بولي (قاع لالا)
٦٦٩ تعدد الطرق إلى تبوك
٦٧٠ الطريق من قاع لالا إلى تبوك
٦٧٠ المنزل الثالث عشر وادي الراشدة (وادي الأخضر)
٦٧٢ صلاة رسول الله ﷺ بصلاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:
٦٧٣ خبر الأجير ورجل من العسكر
٦٧٣ وادي الراشدة
٦٧٥ مصمد الأثفة
٦٧٧ المنزل الرابع عشر وادي النقيب
٦٧٨ النوم حتى خروج وقت صلاة الصبح
٦٧٩ وادي النقيب (نقب البكرة)
٦٨١ طویل النبیة (طویل النبی)
٦٨٣ المنزل الخامس عشر (تبوك)
٦٨٤ تبوك
٦٨٥ تبوك عند الرحالة المتقدمين

٦٨٦	عين تبوك
٦٨٧	موقع مسجد تبوك
٦٨٨	بعض ما جرى من أحداث ومعجزات أثناء مكوث النبي ﷺ في تبوك
٦٩٢	نص كتاب النبي ﷺ لأكيدر
٦٩٣	كتاب رسول الله ﷺ لِيُحَنِّة
٦٩٤	كتاب رسول الله ﷺ لأهل أذرح
٦٩٤	كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل مقنا
٦٩٥	مشاورة النبي ﷺ أصحابه في التقدم إلى الشام
٦٩٦	مساجد وأحداث العودة من تبوك
٦٩٦	معجزة تكثير الطعام:
٦٩٧	طريق العودة على حرة الرهاة
٦٩٨	المنزل الأول (ثنية مدران)
٦٩٩	ثنية مدران
٦٩٩	مسجد ثنية مدران
٧٠٠	المنزل الثاني (وادي أتانة)
٧٠١	المنزل الثالث (عقبة الزراب)
٧٤٩ ٧٠١	مؤامرة لاغتيال النبي ﷺ
٧٠٤	ذات الزراب
٧٠٥	المنزل الرابع الأخضر (عين البيضاء)
٧٠٥	معجزة انخراق الماء من الصخر
٧٠٧	البيضاء (عين الأخضر)
٧٠٩	موقع المسجد في الأخضر (عين البيضاء)
٧٠٩	المنزل الخامس (ذات الخطمي)
٧١٠	حديث أبي رهم بالأخضر
٧١١	معجزة الإداوة
٧١٢	ذات الخطمي (جبل الخذمي)
٧١٥	موقع مسجد ذات الخطمي
٧١٥	المنزل السادس (البتراء)
٧١٧	البتراء (الأبيتر)
٧١٨	موقع مسجد البتراء (الأبيتر)
٧١٩	صعيد قرح
٧١٩	قُرْح
٧٢٠	مسجد صعيد قرح

٧٢١	منزل ذي أوان
٧٢٣	ذو أوان
٧٢٤	مَجْمَع الأسيال
٧٢٥	دخول النبي ﷺ المدينة من ثنية الوداع
٧٢٧	بعض معجزات ودروس ونتائج غزوة تبوك
٧٢٧	المعجزات
٧٢٩	الدروس
٧٣٠	النتائج
٧٣١	فهرس المواضيع





Bismillah



Al-Fatiha



9 786030 460519